نصوص مقدسة ونصوص دنيوية
من مصر القديمة



مطبوعات
اليونسكو



دار الفكر
للدراسات
والنشر والتوزيع

المجلد الثانى

الأساطير والقصص والشعر

نقلا عن الترجمة الفرنسية بقلم: كلير لالويت

الترجمة العربية : ماهر جويجاتى

نصوص مقدسة ونصوص
دنيوية من مصر القديمة

الطبعـــة الأولـــى
القــاهـــرة ١٩٩٦



القاهرة - باريس

القاهرة : ش هشام لبيب - رقم ٤٠
مدينة نصر - المنطقة الثامنة
أسسها
الدكتور طاهر عبد الحكيم ١٩٨٤

تليفون : ٢٧٣٥٠٧٤

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الفرنسي
للثقافة والتعاون



صدر هذا الكتاب
بالتعاون مع اليونسكو

نصوص مقدسة ونصوص دنيوية
من مصر القديمة

المجلد الثانى

الأساطير والقصص والشعر

نقلا عن الترجمة الفرنسية

بقلم : كلير لالُويت

الترجمة العربية : ماهر جويجاتى

COLLECTION UNESCO D'OEUVRES REPRESENTATIVES

سلسلـــة اليونسكـو لنمـاذج الفكـر العـالمـى

ترجمة كتـــاب

Textes sacrés et textes profanes de l'ancienne Égypte

**

Mythes, contes et poesie

TRADUCTIONS ET COMMENTAIRES

PAR CLAIRE LALOUETTE
Professeur à l' Université de Paris-Sorbonne

PRÉFACE DE PIERRE GRIMAL
Membre de l'Institut

اهداء

الى الاستاذ ريشار چاكمون ،

الرئيس السابق لقسم الترجمة بالبعثة الفرنسية بالقاهرة

أهدى هذه الترجمة،

تقديراً و عرفاناً لجهوده المخلصة فى تدعيم حركة الترجمة فى مصر،

وترسيخاً لتيار العقلانية والتنوير.

ماهر جويجاتى

تقديم

بقلم بيير جريمال Pierre Grimal

عالم الدراسات الكلاسيكية القديمة.

بعد أن قدمت لنا الآنسة «كلير لالويت»، الملوك والأعيان وسواد الشعب، وبعد اسفار الحياة والموت، تقدم لنا الان المجلد الثانى الذى يضم بين دفتيه نصوصا عامرة بالاسرار الإلهية، فتروى علينا ولادة الآلهة والعالم، واصل الخير والشر، واكتساب العدالة، وأتراح وأفراح الكائنات الإلهية وأهواءها وآلامها شديدة الشبه بتلك التى تمزق الكائنات البشرية. كما سنقرأ فى هذا المجلد الأناشيد التى جهر بها الناس تقرّباً من قوى الكون العظمى المؤلهة، لاستمالتها وأيضاً لإدخال الطمأنينة إلى نفوسهم، إذ يؤكدون جهاراً، وجودها ودوامها.

ويفتح الباب الثانى من الكتاب الطريق لأحلام أخرى ويكشف عما ينطوى عليه السحر من أعاجيب وفتون وخيبة أمل، والسحرهو خصوصية الخصوصيات التى تميز مصر. كما يكشف عن سراب الرحلات القصية،اذ كان المصريون فى عصور ما قبل التاريخ،من كبار الملاحين على صفحات مياه نهرهم العظيم اوامواه ما اطلقوا عليه «الشديدة الاخضرار». وأخيراً، ينتهى هذا الكتاب عند ما هو مدفون فى أعماق أعماق قلب الإنسان من أناشيد وقصائد حب. وهكذا نصل إلى ختام دورة قادت القارئ من الأرض والنهر عائلنا الكبير إلى السماء، ومن السماء إلى وسط الناس، من جديد. وكلما أنتقلنا من صفحة إلى اخرى ارتسمت واتضحت صورة تزداد ثراءً وغنىً للروح المصرية : هذه الروح التى تسمح لنا الآثار، أن نلمحها بكل وضوح، ولكن قراءة النصوص المصرية، المحفورة فى الحجر أو المسطورة فى الغالب على البردى، هى وحدها التى تسمح لنا بالنفاذ إليها.

والنصوص التى تجمّعت هنا، لا تشكل سوى مجموعة مختارة، صنفت من وسط ماتبقى لنا من الأدب المصرى. بعضها له طابع مقدس، وينتمى إلى التعاليم الدينية المتواترة من خلال الكهنة والكتبة. وبعضها الآخر نصوص، دنيوية. وهامش الإبداع فيها الذى يخص أول من صاغها أوسع وأشمل بكثير. ولايشغل فيها ماهو مقدس سوى الخلفية. ولكنها ليست الأقل تعبيراً عن الروح المصرية.

تعود جميع هذه النصوص – المقدسة منها والدنيوية – إلى عصور شديدة التنوع، ولكن التاريخ الموضوعي لكل نص منها لايعنينا بقدر مايهمنا مدى استمرارية التقليد الذى تقف شاهداً عليه. فبعض النسخ حديثة نسبياً (من العصر البطلمى أو الرومانى) ولكن قد يعود مضمونها (وهو يعود بالفعل) إلى تاريخ أكثر قدماً بمراحل. أيا كان الأمر، وبعد أن أبدينا تحفظنا هذا، يبدو أن الفكر المصرى لم يكن بالتأكيد فكراً جامداً ولكنه التزم باستمرارية ووحدة حافظت عليها نصوص شعائر الأعياد والصيغ التى تصاحب، عبر الأجيال، أسماء الآلهة والملوك، والإحتفالات التى ترتبط باستمرار حياة المتوفى. وعبثاً تتعاقب الأسرات الملكية، وقد جاء بعضها من الشرق أو جاءت من الجنوب، من البلدان التى نطلق عليها الآن السودان أو أثيوبيا، فقد استطاعت قوة الفكر المصرى أن تفرض بصمتها التى لا تمحى على ماجلبته معها وهذا ماتوضحه أولاً الترجمات التى نقدمها فى هذا المجلد، وهى لاتحاول أن تتحايل على مايمكن أن تسببه الألقاب الملكية او الإلهية من حيرة نظراً لتكرارها هى هى من صفحة إلى أخرى. وربما أزعج الأمر عاداتنا الحديثة، التى تعادى التكرار معاداة شديدة، ولكن من الضرورى، عند قراءة هذه النصوص ان نتخلّى عن موقفنا المألوف من كل ماهو مكتوب. إذ يبدو فى الوقت الراهن وكأننا نأسف على الوقت الذى نخصصه لقراءاتنا. فعلينا باستمرار أن نسرع أكثر فأكثر، ربما لان كمية الكتب التى علينا أن نقرأها تتزايد تزايداً ملحوظاً. ويوجد كما نعرف أساليب تعليمية تدربنا على «القراءة السريعة»، ولا تتردد فى تشويه فكر المؤلف تشويهاً خطيراً، ولكنها تمكننا، مقابل ذلك، من توفير دقائق من وقتنا.

لا يوجد شئ مماثل فى الأدب المصرى. فهو قبل كل شئ، أدب لأوقات الفراغ. وتطيل الأناشيد المقاطع الشعرية بتكرارها تكراراً لا آخر له. وما ترويه من قصص يمتد طويلاً، فى ظلال الجدران، وفى أفنية المعابد، أو فى حجرات الكهنة وفى الحدائق وتحت شجر الجميز اوعلى مقربة من الاحواض أو الأجنحة الخاصة بالنساء .إنه أدب شفوى، فى زمن كانت فيه الكتابة وقفاً على الكتبة ، إنه أدب يروى او يُنشد فى إطار أناس يصغون دون أن يعيروا أنقضاءالساعات أى اهتمام.

هكذا بدأت كل الآداب وربما ستنتهى أيضاً على هذا النحو. وربما تنبىءأيامنا بذلك .

والأدب المصرى شأنه شأن جميع الآداب، الشفوية فى أساسها، لايخشى التكرار.ولايشمل التكرار الكلمات فحسب ، بل مقاطع وفقرات باكملها، هدفها فى كل

مرة أن تقدم لحدث جديد. ولم ينحُ «هوميروس» منحىً مختلفًا. وهى جميعها بمثابة نقط ارتكاز مفيدة، ينتظرها المستمع، بل يترقبها. ويشعر بالرضا كلما استطاع أن يستبقها، فتلك هى إضافته هو شخصياً. وهى طريقته فى المشاركة فيما يبدعه القصاص، وفى إغلاق الدائرة من حوله. ربما يعود السبب إيضاً إلى قدر من الكسل من جانب الراوى، ولكن التراخى المرتبط بشدة حرارة شمس مصر، لايفسر كل شئ، فبعض المناطق الأقل قيظاً لم تتمكن من الإفلات من هذا القانون.

إن ترتيب عرض النصوص التى يضمها هذا الكتاب ليس ترتيباً اعتباطياً، وسنلحظ أن فى وسعنا أن نتتبع من خلاله مايشبه التاريخ السرى للفكر المصرى، وطريقة تشكله تدريجياً، بدءاً من الإدراكات الحَدْسية الأولى التى سوف تطول وتغالب الأيام.

إن تكرار المسارد المرتبطة بكل إله، تكرار لا ينقطع بمناسبة كل عيد، كان قد آل إلى خلق عالم له مرجعياته، وكل مايخصه، ومجاله الخاص، هو المقابل الأسطورى لعالم الواقع. وكان ذكر بعض الأسماء الإلهية كافياً لينبثق فى المُخيِّلة مشهد بأكمله من الرمال والصخور، من الفيافى الحمراء أو المتوهجة، من المستنقعات، بغابة من البوص العملاق أو البردى، على شطآن النهر حيث تتربص التماسيح وتنام. إن«سخمت» هى لبؤة الصحراء، و«حورس» هو الصقر الحوّام فى السماء. والآلهة حاضرة بالنسبة للبشر. وهذه اللغة، التى يمكن اعتبارها لغة رموز (أو شفرة، كما يحلو للكثيرين ان يسموها) تفسّر استحالة التعرف فى هذه النصوص، على وصف لمشاهد أو حقائق واقعية. كل شئ مضمر، ظاهر فى حقيقته الإلهية، بعد أن طرح كل ماهو عابر جانباً. هل نود أن نذكر الشمس المشرقة؟ يكفينا أن نشير إلى الاسم «خپرى»، الأمر الذى يمنح الذاكرة مايشبه الأبدية.

وهكذا تستطيع الروح البشرية أن تصل إلى فهم أفضل وأن تشاهد انبثاق الدنيا. إن زهرة اللوتس الأولية، هى زهرة من العديد من زهور اللوتس، زهرة من الزهور التى تنبت على صفحة المستنقعات او فى أحواض الحدئق . ويكفى ان نغمض أعيننا، عندما نغفو، سواء فى ضياء الظهيره او فى ظلال الليل الحانية فى مصر، لنشاهد النطفة وهى تسقط من السماء ونرى الطفل -الشمس يتشكل داخل كأس الزهرة .إنها شيء من الحقيقه ، وكأنها قائمة على التجربة ،إنهادون الرمز ،إنها الواقع ذاته.

ومن ذلك أيضاً، أن السماء «هى» بقرة محمولة على مايشبه أربعة عمد، هى قوائمها الثابتة القوية، إنها «الخصب»، وهى صورة حالمة، ضبابية، أشبه بتلك التى

تراود راعى غنم، فتلاحقه فى منامه، وتشغله عن قطيعه.

تلك كانت على مايظن الأحلام الأولية التى عاودت البشر بينما كانوا لايظلهم سوى السماء ويتصورون عالماً، لاتنضب فيه ضروع إناث العجول أبداً، وتسبغ فيه الحقيقة والعدالة نظامها على الأشياء.

ثم نشأت القرى وجاء منها الحرفيون الذين يصنعون للجميع مالايعرف كل فرد أن يصنعه بنفسه. وتخيلّوا أن فخارياً إلهياً قد شكل الآلهة والبشر والحيوان. حقاً ان عملية الخلق آية فى الإعجاب، إنهاتحيل قطعة صلصال إلى شئ له معنى، يمكن التعرف عليه ويمكن اعطاؤه اسماً. وقبل ان يجعل أفلاطون من الإله إلهاً حرَفياً (بكسر الحاء) أى إلهاً خالقاً - قبل ذلك بزمن طويل، كان المصريون قد ألهوا الفخارى، فخلطوا بينه وبين جنّ من الجان الرعويين، هو الكبش «خنوم». وهذه الصفة الإلهية التى اسبغت على مخلوقات القرية المتواضعة سوف تستمر لقرون وقرون، حيث أن ماسنقرأ هنا من نصوص، هى نصوص معاصرة للإمبراطور الرومانى «تراجان» (٩٨-١١٧م.)!

ولم يغب أبداً عن بال المصريين دلالة ماهو مخلوق، دلالة الصورة الحية سواء وجدت على جدران المعابد أو فى ظلام المقابر.

هذا التخيّل الممتد الذى لا آخر له، حول خلق الكون، الذى ينتهى إلى أنه لايوجد شىء، لاشىء مما هو موجود وقائم، يكون ذاته فقط، ففى الكون حيث يتردد صوت الكلمة من صدى إلى رجع الصدى، وحيث العلامات التى تشكلت تستجيب فى آن واحد للعديد من الحقائق، ولعدد من المفاهيم، هذا التخيل انتهى إلى التبلور فى عدد من القصص اللاهوتية التى ظلت رغم كل شئ، على قدر من المرونة، لتفسح المكان للخيال، للإبداع المتخفى وراء الثبات الظاهر للكلمات. وكانت الكلمة والكتابة تعملان معاً للإيحاء بقصص أخرى للخلق وفتحتا آفاقاً جديدةتطل على أسرار الكون التى لاقرار لها.

ترى، أيوجد شعب لم يؤمن أبداً ان الجناس اللفظى والتقاء الأصوات لايعنيان إزاحة الحجب عن الطبيعة السرية للأشياء؟ إن النحاة الإغريق والفلاسفة الرومان أنفسهم (وبعد المصريين بقرون طويلة) قد وجدوا أحياناً فى هذا التلاعب متعة فريدة. فجميع الأساليب صالحة لمحاولة الوصول إلى ماوراء الظواهر.

ذلك هو التخيل الأعظم الذى نستشفه من خلال صفحات هذا الكتاب: مكاشفة الإنسان لذاته، والمعنى المرجع الذى تتخذه الصور التى يحملها فى داخله، إلى جانب

الأشياء المألوفة التى تحيط به والكلمات الدالة عليها أيضاً.

وكان من الطبيعى بالنسبة للآلهة التى كشفت عن ذاتها بنفسها للبشر، أن تعيش معهم لأمد طويل فى شركة كاملة. كان هذا الزمن هو زمن الملوك بلا منازع، وزمن زعماء قرى يغمرهم احترام الناس. لكن اتضح استحالة ان يلتزم البشر بالسلام إلى الأبد وأن يحافظوا على الوفاق. لذا فقد تمرد البشر على الآلهة. والقصة التى تسرد هذا التمرد لها قيمة نموذجية. بل كانت تاريخاً، إنه «تاريخ». يلخصها جميعاً، فهى مرحلة لا مناص منها لكل أسطورة بشرية، ولا سيما الأسطورة التى نلمحها منذ بدايات العالم المصرى، منذ تلك القرون التى كان رعاة الصحراء والسقانا يعيشون مشتتين. وبعد ذلك، نشأت القرى وتشكلت وتعددت، بأنشطتها المتمايزة، وأخيراً ولدت الممالك.

إن سلطة الملوك سلطة عظيمة، فقد كان فى وسعهم معاقبة المتمردين، ولكن ما قيمتهم يا ترى، إن لم يكن لهم رعايا يطيعونهم؟ وهكذا بدأ البشر يتعرفون على سلطة ملكية تعاقب وتحمى فى آن واحد. و لهذا السبب، فإن الإله العلى، الذى قرر فى البداية أن يبيد الجنس البشرى، قد راجع نفسه، وانقذه فى نهايه المطاف. وهذه القصص التى تبدو فى بداية الأمر قصصاً غريبة، ترسم فلسفة شاملة للسياسة، للعلاقات القائمةمنذ قديم الأزل بين السلطةوسوادالبشر. سيكتشف الفراعنة هنا بسهولة نماذج بل سوابق أيضاً لقيادة شعوبهم. ونفهم من مطالعة هذه النصوص لماذا يعتبر الملك إلهاً، انبثق من إله.لقد سبق فى الزمان من يعتبرونه والداً له. ومرة أخرى، وهو ما حدث مراراً وتكراراً عبر التاريخ، شكل البشر الآلهة على صورتهم، على صورة العالم الذى ألفوه. كانت طريقة يكفلون بها تأمين أفعالهم، ويوفرون لانفسهم الطمأنينة فى مواجهة صروف الدهر.

إن «رع» – الشمس (اسم مذكر فى اللغة المصرية القديمة.م.) الذى يبحر دون كلل عبر السماء، يؤمّن ثبات واستمرار الأيام. ومع كل مساء يتجدد اليقين فى صبح وضّاء. والشمس «أشاع(ت) »الطمأنينة، لأن(ها) إله لايدركه الموت. والملك أيضاًيشيع الطمأنينة وأن كان يروّع الناس أحياناً.

أجل، هناك آلهة تموت. ولولا ذلك لما كانت تماماً على صورة البشر، وعلى غرار البشر، هناك آلهة تتعارك، وتضمر الشر لبعضها وتتقاتل أو تحاول ذلك على الأقل، فتمزق أجساد أعدائها إرباً، وتشتت أعضاءها. لكن الإله المهزوم، طيباً كان أم شريراً، عليه أن يولد من جديد، لتتكرر المأساة من جديد. وليس فى وسع الثعبان

«أبوفيس» بعد هزيمته، سوى أن يبعث حياً، ليتأكد أيضاً ودائماً انتصار «رع»، أنتصار النهار على الليل. إن «أوزيريس» بعد أن تُقْطَع أوصاله تقطيعاً، سيولد من جديد، على هذا النحو أوذاك(وأساليب إحيائه عديدة، طبقاً للأسطورة) و«حورس»أيضاً، سوف يشوه، حتى يبدو أنه مات، ولكنه سيستطيع فى النهاية المطاف أن يتسلم مملكةأبيه. وخلال الإحتفالات التى تواكب السنة، يشارك فى هذه المعارك الكهنة أو بعض المؤمنين العاديين أحياناً. يساهمون فيها بصلواتهم وأناشيدهم أوصيحاتهم. وكما يحد ث الآن فى بعض البلدان، كان يحدث فى الماضى فى حضارات حوض البحر المتوسط القديم أن تساعد النساء القمر (يفرض السياق علينا أن نعتبر القمر مؤنثاً -م.) بصراخها حتى«تـ»لد متى جاء«ها» المخاض وصار ضوؤ«ها» شاحباًأو خسف.

ولكن جانباً كبيراً من هذا الكتاب لا يعرض لنا القرى والممالك، بل يعرض للحياة الخاصة، حياة البيوت، حيث يعيش أناس عاديون، تحيط بهم زوجاتهم وعائلاتهم. عندئذ تظهر المرأة المثلى كبطلةالدراما وهى«إيزيس» وقد أصبحت لا تتجسد فيها الخصوبة، بشكل عام فقط، ولكن العواطف المصاحبة لها أيضاً:الحب والأمومة والحداد والشجن عند موت الأحياء. وهى تجسد أيضاًالدهاء، كسمة ملازمة لها. إنها تخترع ألف حيلة وحيلة لتضمن سلطانها، الذى لم توفره الطبيعة لها، عندما حرمتهامن القوة، ولكنها تعرف كيف تستعيده عند الضرورة عن طريق السحر.

كان كل مصرى وحتى الأكثر تواضعاً، يعرف تمام المعرفة أنة لايوجد إنسان فى إمكانة أن يكتم السر، مهما بلغ من الأهمية، لو سعت امرأة إلى أنتزاعه منه. فالمرأة وحدها- وهذا هو سلاحها الذى لايقاوم- تستطيع أن تصيب قلب الرجل بهذا الجرح الخفى، الذى سيقول عنه، ما قاله الإله العظيم الذى كان يأبى أن يبوح باسمه :«لقدلدغنى شىء مؤلم... لم تصنعه يدايَّ . ولكننى لم أشعر أبداً بمثل هذا الألم...»إنها لسذاجة وزهو رجال، ودهاء ومخاتلة ومودةامرأة، ترفض اقصاءها عن أى شىء، فعقدت العزم على معرفة كل شىء عن الأخر. وستتوصل«إيزيس» إلى التعرف على الاسم السرى لأبيها، الذى كان يريد اخفاءه، حتى لا يتمكن منه أحد. ومنذ الأن، لن يوجد أبداً شىء، يخفى عليها هى، أو على بناتها، أوعلى بنات بناتها مما يكتمه الرجال، ومما يأملون أن يكون ركيزة قدراتهم.

لذلك،فإن أسرار«إيزيس»التى ستصاحب عبادتها، ستكون أسرار حياة امرأة - الأمر الذى يستثير أصداءً رومانسية- بل وامرأة من مصر، ينبسط حبها واتراحها

وافراحها كزوجة وكأم في سحر فتّان. إن عالم الأساطير هذا، لا يعرف المستحيل. فيه تُمسخ الكائنات، فتصبح أسداً أوسمكة أوتمساحاً وتعود الأيدى والرؤوس إلى مكانها بعد قطعها. والموتى يبعثون أحياءً. فهذه الملحمة الطويلة الغنية بمواضيعها، التى تتمحور حول الإلهة «إيزيس»وذويها، وحول ابنها «حورس» فى المقام الأول، وحول«ست» ، لاتضم شيئا نهائياًأو قطعياً. فكل شيءيتجدد، كما تتجدد الأيام.

وتعكس مأثرة«إيزيس» بعض مشاكل الحياة السياسية، ولكن من خلال تأثيرها على حياة الأسرة. إن الحرب الطويلة الامد التى تندلع بين «ست»و«حورس»، أى بين العم وابن أخيه، تتعلق بالنظام الملكى، وهذا صحيح، وكلها ليست سوى حالة خاصة للمشكلة التى تثير فى بيت ما، موضوع الإنتقال من جيل إلى جيل أخر، عندما تقف سلالتها وجهاًلوجه، فأى منهما يحق لها أن تشغل المكان الذى خلا بوفاة كبير العائلة ؟

وما سنتوصل إليه من حل، لهذه المشكلة يرتبط بنظام العالم، وليس بالشيء الكثير ان تتخيل الآلهة مثل هذا الحل، آلهة الأزمنة الأولى التى انصرفت عقليتها المنظمة، فى الزمن الأعظم للخلق، عن التنبؤ بنظام وراثى. وعليها ان تتدخل، ليس لان المشكلة التى نشأت عن ذلك، لاتخص سوى الملوك فحسب، الذين يعتبرون فى كل مرة، حجر الزاوية للبنيان الإجتماعى، ولكن لأن الموضوع ينطوى على نقطة قانونية، هى أحد جوانب النظام الكونى، هذه الحقيقة -العدالة، التى تم تأليهها منذ وقت باكر جداً، والتى تسترجعها نصوصنا مراراً وتكراراً. ولكن فى زمن لم يعرف سوى آلهة خلق الكون، لم تكن هذه المشاكل، قد وجدت بعد. فإذا كبر الأبناء تفرقوا عبر أرض بلاحدود، دون أن يكترثوا بتشكيل أملاك محددة داخل حدود، واضحة.

وبمرور الأيام، وكلما ازدادت المجتمعات تعقيداً، برزت متطلبات جديدة. عندئذ كانوا يطرحون الأسئلة على الآلهة، التى كانت جاهزة بردودها. وهو ما يفسر على ما يرجح نجاح «إيزيس» الذى جاء متأخراً نسبياً، وإن دام طويلاً وجعل منها زوجة مفجوعة ومغيثة، إلهة كونية، صاحبة قدرات لانهائية، على الأرض وعلى البحار وفى السماء، على حدّسواء. وهكذا، لاتُخلع أقدم الآلهة تدريجياً عن عروشها، ولكنها تتراجع بعيداً عن الفكر اليومى، بينما تقترب من البشر «إيزيس» الطيبة والحاذقة، ويتعاظم قدرها بجوارهم. ومن خلالها، ستجد بعض أقدم الأفكار الكوسمولوجية طريقها إلى عالم البحر المتوسط فى زمن ميلاد المسيحية وانتشارها. ويظل كتاب «مسخ الحمار الذهبى» للكاتب اللاتينى «أبوليس»، الشاهد الرئيسى على ذلك.

يحدثنا الكتاب عن السحر الوافد من مصر، واستحضارالأرواح (وهو أسلوب من أساليب العرافة، ينظر اليه أهل وادى النيل نظرة فيها قدر كبير من الرهبة)، إلى جانب فض مغاليق أسرار العالم الآخر أيضاً والتصوف، والتجليات، وكل ماهو ليس غريباً على القصص المصرى، وإن لم يكتسب أهمية تشبه تلك التى سيكتسبها فى ظل الإمبراطورية الرومانية. ويبقى رغم كل ذلك، أن عبادة «إيزيس» ستظل أحد الروافد التى ستربط دون انقطاع مصر القديمة بعالم العصور القديمة فى الغرب.

لا توجد فروق جوهرية بين الأساطير التى تدور حول شخصيات إلهية والقصص التى تقدم لنا شهادة على انبهار البشر، عندما ابتعدوا عن ضفاف نهرهم، ليكتشفوا البلدان القصية، فى بلاد العرب وجزرالبحر الأحمر أو عند تخوم سوريا، الى جانب بلدان آسيا التى حملتهم اليها سفنهم. وقد حملوا معهم أساليبهم العقلية، ورموزهم ولم يترددوا أبداً فى التعرف على نشاط آلهتهم ووجودهم فى كل مكان. وإذا قفلوا راجعيين، رووا على مسامع مليكهم قصصاً عجيبة، تختلط فيها ذكريات حقيقية، بخيال خادع، ومباهاة وما يشبه الكذب، وهو أمر يبدو طبيعياً لكل من ساح كثيراً ووجد عند عودته آذاناً صاغية. وعندما يقف مثل هذا النوع من الرحالة بين يدىّ فرعون، فإنه يعقد العزم على قول الحقيقة، ولكنه سرعان ما ينقاد وراء إغراء الكلمة، فيتحول التقرير إلى قصة. وشأنه شأن أية قصة، لا يفتقر المسرد إلى الوقائع المأسوية، ولكن النهاية هى دائماً نهاية سعيدة، أيا كانت الأسباب التى تقف وراءها بعيدة عن المعقول.

وأشهر هذه القصص هى قصة «الغريق»، ويتساءل المتخصصون منذ اكتشاف مخطوطتها، عن أوجه الشبه بينها وبين «الأوديسّا» (وهى ملحمة تنسب إلى «هوميروس» من القرن التاسع ق.م - م.)، التى ظلت حتى هذا التاريخ، «القصة» الأكثر شهرة والأكثر استحساناً، من بين القصائد الهوميرية. وبالطبع فإن وجود تأثير مباشر أمر مستبعد.وما كان فى وسع روايات عن رحلات تجوب بحاراً كانت لا تزال مجهولة، سوى أن تقدم مغامرات مماثلة. وكانت مشاعر الرعب التى قد تستبد بالبحارة الذين يحاولون استكشافها مماثلة. ولم تكن مغالاتهم أو مباهاتهم أقل منها.
ولعل مصر قد عرفت العديد من الروايات التى من هذا النوع، روايات شاعت وانتشرت فى أوساط بحارة جزيرة «فاروس» التى كان قد انقضى زمن طويل والإغريق يترددون عليها، لمّا جرى تأليف وتجميع مختلف قصص «الأوديسّا». ومن المؤكد أن هذه الأوساط قد عرفت أدب شفهياً، كان يزداد حيوية بقدر ما كان فى

وسع كل قاصٍ من القصاص أن ينسخ وقائع جديدة يضيفها إلى حبكة روايته. ولكن إذا كانت وقائع جزء بأكمله من الأوديساً» تدور على أرض مصر، ولو بطريقة غير مباشرة على الأقل، فلا شك أن الأمر لم يكن صدفة. إن المقابلة التى تسعى إلى الكشف عنها، لا تشبه هذه المقابلات التى تكتشفها فى عصور أخرى، بين نموذج ومحاكاته، أو بين نص وآخر قد يكون تابعاً له. وتشير الحالات المماثلة فقط إلى أن العالم المصرى لم يكن عالماً منغلقاً، إذا استبعدنا العلاقات الفكرية القائمة بين الشعوب التى كانت تشق عباب «الشديدة الإخضرار» منذ الألف الأولى ق.م

هذا الإنفتاح على العالم، الذى يعود إلى قديم الزمن، ولكنه أضحى أكثر وضوحاً، مع ظهور الإمبراطورية المصرية، سوف نلتقى به، من خلال آخر القصص التى يضمها هذا المجلد، ولكن علينا قبل ذلك، أن نقفل عائدين إلى قرى المزارعين، وفوق أراضى الوادى، بل إلى داخل منزل واحد منهم، على وجه التحديد، وهو المدعو «باتا» الذى برز بفضل مغامراته ومرة أخرى نواجه المرأة وحيلها. إنها قصة تسترجع إلى الأذهان بالضرورة عالم الكتاب المقدس، وبشكل أعّم المآسى التى يثيرها حب وغضب امرأة راودت رجلاً عن نفسه فقوبلت بالرفض. إنها مغامرة شائعة ومألوفة جداً ولكن أهميتها لنا، هى قبل كل شئ، أنها تلمح إلى الوضع الحقيقى للزوجات فى الشعب المصرى. وإن وجدت نساء مخلصات لزوجهن، كتلك التى تسهر قلقة فى قصة «الأمير وأقداره الثلاثة المكتوبة»، للحؤول دون تحقيق الفاجعة التى تهدد زوجها الشاب، فهناك أخريات لا يُشبع الزواج رغباتهن وتكون دائماً على أتم الإستعداد لإغواء أول رجل تتوق إليه. وعلى هذا النحو تصرفت زوجة «باتا». وانطلاقاً من هذا المعطى، نلحظ أن القصّاص قد أخذ يحلم، فإن «باتا» الذى كان مجرد فلاّح، وزميل أخيه وعاملاً عنده، يكتسب فجأة قدرات عجيبة، تؤهله لتجنب المكائد والموت. وتشبه هذه القدرات إلى حدّ كبير تلك التى يمتلكها «أوزيريس» و«حورس» و«ست»، و الآلهة الأخرى: ملكة الإنفصال عن هذا العضو أو ذلك من أعضائها، أن تبتر أحد أعضائها، لتستعيد بعد ذلك سلامتها، ان تهجر بدنها، وأن تتجول بعيداً عنه، وأن تستعيده إذا حان وقت ذلك، وبعد سنوات طويلة أحياناً. وهل فى وسعنا فى هذا الصدد ألاّ نذكر «الشامان»؟ إننا حقاً بعيدون عن سيبريا، ولكن يبدو أن بعض أساليب الفكر أو الأحلام، تنبثق من تلقاء ذاتها فى مجتمعات تفصلها فى يومنا هذا مسافات بعيدة.

وأيا كان الأمر، فإن هذه القصص تقدم لنا عالم كل يوم، وقد نفذ إليه ما هو

إلهى. فنرى الآلهة تجنب أطفالاً من مخلوقات بشرية ـ ولا تفتقر الميثولوچيا اليونانية إلى هذا الضرب من الأمثلة. كما نشاهد عمليات إخصاب إعجازية: بواسطة نشارة شجرة، على سبيل المثال. إذ أن النفس الإنسانية ـ جوهرها الحياتى ـ لا تحتفظ بوجودها فحسب، ولكن بقدراتها، وإن اندثر البدن. وهذه النفس هى نفس مادية، إنها عنصر مادي، وهى لا تحمل المعنى الذى نسبغه عليها، فهى ليست «روحاً». وشأنها شأن بذرة لا تحتاج سوى إلى القليل من الرطوبة لتنبت. ومن ثم، فإن الشخص المرتبط بهذه النفس، يتخذ جميع أشكال الحياة الممكنة، حيوانية كانت أم نباتية أم بشرية. ويستحوذ السحرة على سرّ قدرة الحياة على تغيير أشكالها. ففى استطاعتهم أن يؤثروا فيها، فينقلوها حسب، رغبتهم أو يكبلوها، ولكن ياللغرابة دون أن يتمكنوا من إفنائها. فيبدو أن كل شئ يجنح نحو حالة من التوازن، ومن السكينة، هى الموت. والجبانات هى التى تضم الأسفار والكتب التى تمنح هذه القدرات، وإلى الجبانات أيضاً ينبغى أن تعود هذه الأسفار وهذه الكتب، لتعود الأمور إلى مسارها الطبيعى.

إن السحر الذى كان ممارسة يفخر بها المصريون قد اكتسب على ما يبدو بالتدريج سمعة سيئة إلى حدّ ما. فإذا كان السحرة الأفارقة قد استحوذوا على أسرار رهيبة، حتى استطاعوا ان يتطاولوا على فرعون ذاته، فقد بات من الضرورى إيجاد «سحر مضاد». وهل فى الإمكان الإفتراض ان هذا الصراع الغريب الذى احتدم بين سحرة الجنوب وسحرة مصر، يخفى من ورائه مرحلة الحرب الطويلة التى نشبت بين البلدين؟ أكانت أشبه بالإعداد الدينى للأعمال الحربية السافرة؟ إنه لأمر محتمل إلى حدّ ما، ونجد له أمثلة فى أزمنة أخرى وبلاد أخرى.

وتوجد حالات أخرى ينحاز فيها السحر إلى جانب الشر: فهو الذى يدفع «ستنى» إلى التضحية بكل ثروته، حتى أنه لا يأبه لذبح أولاده، تحت ضغط الرغبة، من أجل كائن ليس سوى وهم وخيال، على الأرجح. ولحسن الحظ، لا يخلق السحر سوى صور. فتبقى الحقيقة، ولن يموت الأطفال، كما لن يستحوذ أبوهم على كل حال مع الساحرة.

وكلما تنوع المجتمع المصرى برزت المشاكل الأخلاقية الأساسية. ويدفع الطفل «سا – أوزير» بأبيه ألى عالم الموتى، ليوضح له أن العدالة تسود بين الموتى. ولربما لجأت إلى هناك، لأنها أستشعرت الغربةفى هذا العالم الذى لم يعد عالم آلاف السنين الغابرة. ياللغرابة، إن العقاب الذى أُنزل بالمذنبين شديد الشبه بعقاب عالم

الموتى كما تصوره الفكر الإغريقى لفترة ما . فالحفرة التى تحفر لتمتلئ أولاً بأول، تعيد بالطبع إلى الأذهان جرة أسطورة بنات «دانوس» المثقوبة.* وقصة الحمار الذى يقرض الحبل المجدول معروفه فى العالم القديم، حيث صارت ترمز لكل الذين لايتوصلون أبداً إلى قرار. كما تستعيد إلى الأذهان صخرة «سيزيف». وإذا قال البعض ان هذا التصور لعالم الموتى هو تصور متأخر نسبياً (ومجهول من القصائد الهوميرية) ولكنّه يتبوأ مكانة بارزة فى العقيدة الفيثاغورية، فمن حقنا أن نتساءل ان لم يكن ذلك قد حدث كصدى للعقائد المصرية.

وتبرز التساؤلات أيا كان الضوء الذى نسلطه على هذه النصوص. وفى كل مرة نعود بذاكرتنا إلى هذه الجماعة الروحية التى تشكلت فى حوض بحر إيجه، الذى كانت أيضاً مجاورة له. وكان أفلاطون لا يجهل ذلك.

وأيا كان الأمر، فإن المصريين كانوا يكنون حباً عظيماً لأرضهم. ومهما بلغوا من ثراء وسلطان فى بلد أجنبى فإنهم يظلون محتفظين برغبة دفينة فى العودة إلى البلد الذى قضوا فيه طفولتهم وشبابهم. وهو ما تفصح عنه بجلاء وقوة، قصة «سنوهى» على سبيل المثال. ولكن نلتقى أيضاً فى أماكن أخرى، بصور عن مصر ـ عنيدة لا تمحى: وهكذا فإن مرور الأوز البرى وهو ما يميز الإنتقال من فصل إلى فصل آخر، من فصول السنة، يغذى الحلم ويصبغ عليه لونه الفريد، الحلم الذى ما كان من الممكن أن يمتلكه سوى مصرى. ان ملامح من هذا القبيل تلون موضوعات مستعارة من الفولكلور العالمى: قصة طفل إلهى اكثر علماً من الدكاترة، والعشق الدفين فى حديقة غنّاء. ونجد كل ذلك، فى العديد من المقاطع من الآداب، المعروفة بالآداب الشعبية لتعذر معرفة أسماء المؤلفين الذين ابتدعوها .

وتضم هذه القصص إلى جانب هذه الإقتباسات أو هذه الإكتشافات فقرات، كان من غير الممكن تخيلها فى مجال آخر: ذكريات عن نمو الإمبراطورية أو الشواهد عليه، النزاعات مع ملوك سوريا، إيمان لايتزعزع فى «آمون ـ رع»، فهو الأقدر بين سائر الآلهة الأجانب وأكثرها نفعاً، إحصاء للثروات المقدمة إلى الإله العظيم على هيئة جزية، عمليات تجارية تحت ستار الجزية، كبرياء مملكة تعرف أنها اكثر ثراء من غيرها من الممالك، مناورات سرية وخيانات الأمراء، الدبلوماسية التى ينبغى الإعتماد عليه للخروج من عثرة او كبوة، فما نستشفه من هذه النصوص التى تجمع

---

* تروى هذه الأسطورة أن بنات «دانوس» الخمسين قد قتلن أزواجهن ليلة زفافهن فحكم عليهن فى عالم الموتى بملء جرة مثقوبة. (المترجم).

بين الواقع والخيال هى حياة شرق البحر المتوسط برمتها.

وإذا صحّ أن عاطفة الحب هى من المقومات العالمية للنفس البشرية، فليس أقل صواباً من القول أن كل حضارة تطبعها بتعبيرات متنوعة. وما كان فى استطاعة مصر أن تحيد عن هذا القانون. وما فتئت قصائد الحب التى وردت فى ختام هذا الكتاب موحية: فالعشيقان، على سبيل المثال يتصوران أنهما «أخ» و «أخت»، أيا كانت درجة القرابة التى تجمع بينهما. عندئذ تحضرنا زيجات فرعون. كما كان من الطبيعى أن تستعار الصور والتشبيهات من العالم المألوف وأن تصبح الفتيات غزلاناً ويشبه الفتيان بفرس لا يبقيه شئ فى إسطبل الملك. كما أن الأشكال التى سيبتدعها شعر العشق والحب، فيما بعد تنطلق تلقائياً من هذه المقاطع الشعرية: الحوار بين العاشق ومعشوقته، الأغانى أمام الباب الموصد، وهذا الأسلوب سنعود للإلتقاء به، عند الكاتب المسرحى الإغريقى «أريستوفانوس» (٤٤٥ ـ ٣٨٦ ق. م)، ثم عند الشعراء اللاتين بعد ذلك. وعلى غرار ما يحدث فى إحدى مسرحيات الكاتب المسرحى اللاتينى «پلوتوس» (٢٥٤ ـ ١٨٤ ق.م)، ويقدم قربان للمزاليج التى توصد باب المعشوق. وليس من الأمور الهينة ان نرى النساء يجرؤون على التحدث جهاراً عن حبهن. وهذه الحرية وهذه الجسارة التى تبدو طبيعية جداً فى هذا المقام، سوف تشكل مكسباً بطيئاً عندما تتحقق فى العالم القديم الكلاسيكى. صحيح أننا نعرف الشاعرة «سافو» (القرن السادس قبل الميلاد)، ولكنها تنحدر من «الجزر»، وكانت أثينا أكثر تحفظاً، وكان علينا أن ننتظر إلى عصر «أغسطس» (المتوفى عام ١٤م)، لتكتب «سولبيكيا» قصائدها الحزينة. كل ذلك كانت نساء مصر يمتلكنه قبل آلاف السنين. إن الأكشاك المصنوعة من البوص، حيث يشرب العشاق معاً، عند شطآن النهر، هذا التحرر فى مجال العشق، سوف يستهوى البرابرة القادمين من الشمال. ومن الشواهد التى تبقت لنا على ذلك، تلك الفسيفساء التى كان يزدان بها معبد «إلهة الحظ»، فى مدينة «پالسترينا»، وترجع إلى عهد «سيلاّ» (١٣٨ ـ ٧٨ ق.م) ورحلة قيصر المتمهلة على متن السفينة الملكية بجوار كليوباترا. وهكذا استقبلت مصر الخالدة سادة العالم بنشيد الحب.*

پيير جريمال

* راجع «كلمة المترجم» فى المجلد الأول من هذا الكتاب. (المترجم)

الباب الأول

القوى الإلهية فى العالم

إن القوى الطبيعية بأسرها، هى فى المجتمعات القديمة، أجزاء صغيرة من القوة الإلهية العظمى، المنتشرة فى الكون.

قبل خلق العالم، كانت هذه القوة الإلهية لاتزال غير فاعلة، ولكنها كانت متأهبة للفاعلية، وسط كتلة سائلة ضخمة، هى محيط أزلى، بلا حدود وبلا ضياء، فهو خواء لا عضوى.

وعندما تجلت هذه القوة للمرة الأولى، على هيئة انبثاق وضّاء، خلقت بأساليب متنوعة، السماء والأرض والآخرة فى العالم السفلى والجبال والتلال والوديان والصحارى والأنهار والبحار والبشر والحيوان والنبات والأحجار، وكل ما لا يزال يُشكل عالمنا الراهن. وفى بعض هذه العناصر يكمن جزء متناهى الصغر من الكيان الإلهى الأصلى يربطها بالقوة الأولية العظمى. وهكذا ولد سحر العالم.

وفيما بعد، تنوعت الآلهة، طبقاً للأشكال والأدوار التى تخيلها البشر فيما بعد، بدافع من الإمتنان أو رغبة فى الحماية حيال العناصر الخيّرة (الشمس، البقرة المرضعة، شجرة الجميز التى تمدنا بالظلال الظليلة فى ساعات قيظ النهار ...) أو الخطرة (التمساح، الثعبان، فرس النهر...). وهكذا رأت النور جماعة عريضة من الآلهة.

فى إطار التنظيم القبلى لعصر ما قبل التاريخ، كان لكل بطن من البطون، إله رئيسى، وإن لم يستبعد الآلهة الأخرى. وحوالى عام ٣٢٠٠ق.م مع نشأة نظام ملكى موحد فى وادى النيل الأدنى، تجمعت العبادات المبعثرة. وبدورها فإن عاصمة كل إقليم قد اتخذت لنفسها إلهاً رئيسياً. ثم مع تدعيم السلطة المركزية لفرعون وتطورها، ظهرت آلهة دولة، بمعنى الكلمة، تناظر قوى الإحياء الكبرى فى الطبيعة - الكونية منها والنباتية. لقد تم كل ذلك بروح من التسامح الشديد الذى هو من سمات الديانات القديمة.

كانت جماعة الآلهة تتكون من عدد كبير من الآلهة، فكانت تعتبر «فاعلة» بقدر ضخامة أعداد القوى الإلهية التى كانت تتكون منها، فكانت هذه الجماعة ترحب من منطلق روح التسامح هذه، بالآلهة الأجنبية فى زمن الفتوحات القصصية. ولكن الحركات التلفيقية الكبرى لم تلغ أبداً الخصوصيات المحلية.

لقد خلقت الآلهة العالم، وبالنسبة لكل إله فى مدينته الرئيسية، تخيل البشر أساليب متنوعة لانجاز عملية الخلق على خير وجه. لقد نظمت الآلهة الكون وكان المصريون المرهفو المشاعر والحسّ، المولعون بالصور الأسطورية الجميلة، يكثرون إذ ذاك من المناظر الخيالية التى تهدف إلى تفسير تشكيل العالم وموقع الأشياء.

لقد أقدم المصريون وهم أيضاً من هواة القصص الجميل، على صياغة العديد من الأساطير التى تدور حول حياة الآلهة، سعياً منهم على وجه التحديد إلى تفسير الدورة الشمسية والدورة النباتية. وتقدم لنا العديد من النصوص وصفاً لمحن الشمس وآلام «أوزيريس».

كما كان المصرى إنساناً شديد التقوى، فنظم الأناشيد معبراً للآلهة، فى صورة شعرية، عن امتنانه وعبادته. وسوف يترك هذا الشعر المقدس الغزير أثراً مؤكداً على الآداب اللاحقة الكلاسيكية القديمة واليهودية والمسيحية.

وسوف يعلن أمير «بيبلوس» فى عام ١١٠٠ق.م قائلاً: «إن الرفعة والحكمة قد جاءتا من مصر.»

الفصل الأول

التكوين أو كيف خلقت الآلهة العالم.

١- «بتاح» الإله الخالق فى «منف».

من التفسيرات التى طرحت لتفسير وجود العالم، ما ورد فى نص مترابط قام بصياغته فى مدينة «منف»، كهنة الإله «بتاح».

وبالفعل فقد عُثر على لوحة جرانيتية ضخمة[1] *كان الملك «شاباكا»، من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (حوالى عام ٧١٠ق.م) قد أمر بحفر نص على سطحها وهو- بشهادة الوثيقة ذاتها - نسخة من مخطوط محفوظ فى أرشيف معبد «منف»، وكان مخطوطاً شديد التلف،قرضته الديدان. إن لغة النص وأسلوبه القديمان تشهدان على هذه الحقيقة.ولسوء الحظ أصاب التلف الشديد بعض أجزاء اللوحة، فقداستخدمت فى العصور الحديثة كقاعدة لحجر طاحونة.*

فليحى «حورس»: «ذاك الذى يعمل على ازدهار القطرين» -

«السيدتان»: «ذاك الذى يعمل على ازدهار القطرين» -

«حورس الذهبى»: «ذاك الذى يعمل على ازدهار القطرين» -

ملك الوجهين القبلى والبحرى: «نفر - كا - رع» -

ابن «رع»: «شباكا» - محبوب «بتاح - إلى - الجنوب - من - جداره» الحيّ مثل «رع» للزمن اللانهائى.[2]

لقد كرّس جلالته هذا النص من جديد، فى معبد أبيه «بتاح - الذى - يوجد - إلى - الجنوب - من - جداره». وبالفعل فقد اكتشف جلالته ان الأمر يرتبط بمؤلف من مؤلفات الأجداد، كانت الديدان قد قرضته، فبات من الصعب على الناس أن يلمّوا

بمعناه (إلماماً كاملاً) من مطلعه وحتى نهايته. فكرّسه جلالته من جديد (فنسخه) ليصل أيضاً إلى مستوى رفيع من الكمال اكثر من ذى قبل - وذلك من أجل بقاء اسم (الملك) وليدوم أثره طويلاً فى معبد أبيه «پتاح - الذى - يوجد - إلى - الجنوب - من - جداره» على امتداد كل الآماد للزمن اللانهائى، وهو ما صنعه ابن «رع»: «شباكا»، من أجل أبيه «پتاح - تاتنن»[٣] لكى ينشط بعد أن وهُب حياة لانهائية.

پتاح الإله الملكي.

تان ملك الوجهين القبلى والبحرى] هو «پتاح»[٤] الذى يشار إليه بالاسم العظيم [تات]نن-[الذى-يوجد-إلى-الجنوب-من-جداره]....[جامع شمل]الوجهين القبلى والبحرى، إنه هو،هذا الموحد الذى ظهر متألقا كملك الوجه القبلى (ثم)ظهر متألقاً كملك الوجه البحرى.... ذاك الذى أنجب نفسه بنفسه،حسب أقوال «أتوم»والذى أنجب التاسوع الإلهى.[٥] [لقد أمر «چب» رب الآلهه] أن تتجمع إلى جواره الآلهة التسعة، حتى يتم الفصل بين «حورس» وبين «ست»[٦] ، ولوضع حدّ لخصومتهم. ونصّب «ست» ملكاً على أرض الوجه القبلى، حتى المكان الذى ولد فيه، فى مدينه «سسو».[٧] ثم قام «چب» بتنصيب «حورس» ملكاً على الوجه البحرى فى بلاد مستنقعات (النيل) حتى المكان الذى غرق فيه والده، أى «تقسيم الأرضين».[٨] وعلى هذا النحو، سيشرف «حورس» على منطقة و«ست» على منطقة (أخرى)، وسوف يعملان على إقرار السلام فى القطرين فى «عيّان.»[٩] وعلى هذا النحو إذن سيتم تقسيم الأرضين.

وقال«چب» لـ «ست» : «اذهب إلى المكان الذى ولدت فيه». (فأردف) «ست»: «الوجه القبلى». ثم قال «چب» لـ «حورس» : «اذهب إلى المكان الذى غرق فيه والدك ». (فاردف) «حورس» : «الوجه البحرى ». عندئذ قال «چب»لـ«حورس» و «ست»: «لقد فصلت بينكما»- الوجه البحرى والوجه القبلى[١٠].

عندئذ بدا أن قلب «چب» مستاء، لأن نصيب «حورس» كان مماثلاً لنصيب «ست». ولذا فقد أعطى ميراثه الخاص لـ«حورس»، فهذا الأخير كان ابن ابنه البكر.[١١] ثم قال «چب» للتاسوع «لقد وقع اختيارى على «حورس»، المولود البكر».(وقال) «چب» للتاسوع: «الميراث هو من نصيب «حورس» وحده.(وقال)

«چب»للتـاسـوع :«حـورس» هذا الوريث، له مـيـراثى (وقـال) «چب للتـاسـوع : «لابن ابنى«حـورس»، ابن آوى، الوجـه القبلى «. (وقـال) «چب» للتـاسـوع : «المولود البكر «حـورس» الذى يفتح « الدروب». (وقـال) «چب» للتاسـوع : لقد وُلد ابنٌ هو«حـورس»، يوم وُلد فاتح الدروب»[١٢].

هكذا تولى «حورس» أمر البلاد (باسـرها). فـهو الذى لمّ شملها[١٣] والذى يشـار إليـه بالاسم العظيم «تاتنن-الذى-يوجـد-إلى-الجنوب-من-جـداره»، رب الزمـن اللانهائى[١٤]. عندئذ ازدهرت على جبينه «صاحبة-السحر-العظيم»[١٥].إنه «حورس» الذى يتجلى متألقاً بصفته ملك الوجهين القبلى والبحرى، موّحد القطرين فى إقليم «الجدار» (الأبيض)[١٦] وهو نفس المكان الذى كانا قد اجتمعا فيه.

والآن يظهر البوص والبردى[١٧] على الباب العظيم المزدوج لمعبـد «پتـاح». وذلك يعنى أن «حورس» و«ست» فى سلام وهما متحدان. سوف يتآخيان من الآن ويضعان حداً لنزاعهما فى كل مكان يتوجهان إليه، نظراً لاتحادهما فى معبد «پتـاح»، «ميزان القطرين». حيث جرى فيه وزن الوجهين القبلى والبحرى.

[يلى ذلك نص طويل إلى حدّ ما، شديد التشويه، ومستلهم من أصول أوزيرية واضحة].

الخلق

الآلهة التى جاءت إلى الوجود على هيئة «پتاح»:[١٨]

«پتاح ـ على ـ العرش ـ العظيم... »

«پتاح ـ ننوت»، الأب، الذى انجب «آتوم»

«پتاح ـ ننوت»، الأم، التى ولدت «آتوم»

«پتاح ـ العظيم»، قلب ولسان التاسوع.

[«پتاح»]... الذى انجب الآلهة

[«پتاح»]... الذى انجب الآلهة

[«پتاح»]...

[«پتاح»]... [«نفر]تم»، يومياً، من أجل أنف «رع».[19]

عندئذ، وفى قلب («پتاح») و(على) لسان («پتاح»)، ظهرت إلى الوجود صورة «آتوم».[20] العظيم جداً هو «پتاح»، الذى ينظم (حياة) الآلهة جمعاء و«كا»اتها».[21] وفى قلبه، وفى نفس الوقت، ظهر «حورس» إلى الوجود، كـ (شكل من أشكال) «پتاح» ـ وظهر «تحوت إلى الوجود على لسانه، كـ (شكل من أشكال) «پتاح».[22] وهكذا تجلت هيمنة القلب واللسان على سائر الكائنات حسب التعليم (الذى يرى)، أن القلب هو العنصر المسيطر على كل جسد، واللسان هو العنصر المسيطر على كل فم، (فالقلب واللسان هما) من نصيب الآلهة جمعاء، والبشر أجمعون والماشية جمعاء والكائنات الزاحفة جمعاء وكل ما يحيا. إن الأول يتصور كل ما يبتغيه «پتاح»، والآخر يأمر به.

تاسوع «پتاح» هو فى حضرته، على هيئة أسنان وشفتين. (إنها المقابل) لنطفة «آتون» ويديه. وفى الحقيقة فقد ظهر تاسوع «آتوم» إلى الوجود بواسطة نطفته وأنامله.[23] إن تاسوع «پتاح» هو الأسنان وشفتا فمه التى نطقت اسم كل الأشياء ومنه انبثق «شو» و«تفنوت»[24]

لقد خلق تاسوع («پتاح») الإبصار، بفضل العينين، والسمع بواسطة الأذنين، والتنفس بالأنف. وكل هذه ترفع بعد ذلك إلى القلب (ما تستقبله من أحاسيس)، والقلب هو الذى يسمح بظهور كل معرفة، واللسان هو ما يردد ما يتصوره القلب. وعلى هذا النحو، ولدت الآلهة جمعاء (ومن بينها) «آتوم» وتاسوعه. لأن كل كلمة إلهية تظهر إلى الوجود حسبما فكر فيه القلب وأمر به اللسان.

وهكذا، خلقت بفضل هذه الكلمة منابع الطاقة الحيوية وتحددت صفات الكائن، كما خلقت كل الأطعمة وكل المأكولات النافعة. كذلك أيضاً (خُلق الثواب العادل) من أجل من أعتاد أن يفعل ما يحبه الناس و(العقاب) لمن يرتكب الأفعال المكروهة. ووهبت الحياة للكائن المسالم، والموت للمجرم. وهكذا تم خلق الأعمال كلها وجميع الحرفيين وعمل الأيدى وسَيْرالسيقان، وحركة كل عضو، حسب الأمر الذى تصوره القلب وافصح عنه اللسان، والذى ما زال يشكل دلالة كل شئ.

حدث إذن أن قيل عن «پتاح»: « ذاك الذى خلق كل شئ وأتى بالآلهة إلى الوجود. إنه «تاتنن» الذى انجب الآلهة وانبثقت منه كل الخيرات والمأكولات النافعة والأطعمة والقرابين الإلهية وكل ما هو طيب وجميل.» هكذا يعترف الناس أن قدرته عظيمة،

وأعظم من قدرة (غيره من) الآلهة. وكان «بتاح» راضياً بعد أن خلق كل هذه الأشياء وكل الألفاظ الإلهية.

لقد انجب الآلهة وأسس المدن وأنشأ الأقاليم، وأقام الآلهة فى معابدها، وزاد من قرابينها ونمّاها، وأسس هياكلها وصنع أجسادها كرغبة قلوبها، واستطاعت الآلهة أن تدخل فى أجسادها التى صنعت من شتى أصناف الخشب، ومن مختلف أنواع الحجر ومن الصلصال ومن مختلف الأشياء (الأخرى) التى تنمو عليه («بتاح») والتى تتجلى من خلالها.(٢٥) وهكذا تجمعت كل الآلهة وكاءاتها إلى جواره راضيةً، متحدةً مع رب القطرين.(٢٦)

منف، العظيمة

مخزن غلال الإله «تاتنن»، العرش، العظيم، (المدينة) التى تُفرح الآلهة الموجودة فى معبد «بتاح»، (إنها) «سيدة الحياة. لقد أُغرق «أوزيريس» على صفحة مياهها، واستطاعت «إيزيس» و«نفتيس» أن ترياه، وعندما لمحتاه، أعانتاه وأمرهما «حورس» أن تمسكا بـ «أوزيريس» بلا إبطاء، لتحولا بالتالى دون غرقه. وأسرعتا ووضعتاه على اليابسة: عندئذ دخل من الأبواب الخفية، إلى أمجاد رب الأبدية، مقتفياً خطى ذاك الذى يتألق فى الأفق، عبر دروب «رع»، كالمتربع على العرش العظيم. ودخل القصر وتآخى مع الآلهة ومع «تاتنن - بتاح»، سيد السنين. وهكذا «ظهر«أوزيريس» على الأرض، فى القصر الملكى، شمال هذا البلد الذى جاء إليه. وظهر ابنه «حورس» ساطعاً بصفته ملك الوجه القبلى، ثم ظهر ساطعاً بصفته ملك الوجه البحرى، بين ذراعى أبيه «أوزيريس»، وسط الآلهة التى تتقدمه وتتبعه.

هذا النص نص مترابط ولكنه متشعب ومركب، وينطوى على دلالتين عظيمتين.

فهو يستعرض من ناحية، الأساليب الذهنية والروحية التى يعتمدها «بتاح» (معبود) مدينة «منف»، عند خلق العالم. فبعد أن تصور فى البداية عناصر الكون فى قلبه - وهو مركز كل وجدان وكل ذكاء - تخرج هذه العناصر بعد ذلك إلى الوجود بواسطة «الكلمة» الخلاقة. إن الإقرار بالقدرة السحرية للفظ هى حقيقة منتشرة كل الإنتشار فى الحضارات الساميّة والإفريقية على حدّ سواء. ولكن «ترتيب» الخليقة كما تظهر على هذا النحو ليس بالأمر العديم الأهمية: وبالطبع فالآلهة هى التى تظهر

أولاً، الآلهة التى امتزجت شخصيتها إلى حدّ ما مع شخصيته الإله الخالق المنفى الذى كان يحتويها جميعاً. ثم أعطى - للمخلوقات - من بشر وحيوانات على السواء - القلب واللسان، وهما ضروريان لكل كائن عاقل، فلا يوجد تمييز جوهرى بين مملكتى الحيوان والإنسان. ثم خلقت المقومات الروحية والأخلاقية الضرورية لدوام الكون وتأسيس جماعة بشرية تسعى إلى مغالبة الأيام.

ثم تأتى الأعمال وجماعة الحرفيين حسب ترتيب الخلق: فعندما ينحت الحرفيون أو يرسمون أويشكلون أويكتبون، فإنهم يخلقون على هيئة تماثيل أونقوش أوتصاوير - أغلفة، هى كتل أومجرد ملامح، فى الإمكان أن تدب فيها الحياة عند النطق بالكلمات. وعلى كل حال فإنهم يعرفون بعبارة «سى عنخ» أى «ذاك الذى يُحى(بضم الياء)». وفضلاً عن ذلك فهى طريقة لا سباغ الخلود على الخلق الجديد، من خلال إيجاد أشكال تغالب الأيام، فتحييها عناصر الكائن اللامادية. وللإنتهاء من عمله يلجأ الخالق إلى الأسس الفيزيقية للحياة ولا سيما إمكانات الفعل والحركة. وأخيراً، فإنه يدبر شئون العالم دينيا و إداريا. لقد تصور الإله الخالق «پتاح» مهمته وتفكرها وأنجزها على خير وجه بلا أى تدخل فيزيقى . أما الدلالة الأخرى لهذا النص فهو إعترافه الواضح منذ هذا العصر القديم بهيمنة الآلهه الثلاثة: «پتاح» (إله عاصمة المملكة) و«رع» (القوة الكونية الشمسية) و «أوزيريس» (إله الإنبات والتربة الخصبة الذى سيبعث حياً). وإلى جانب ما عرفه ثلاثتهم من تبجيل على المستوى المحلى، فإنهم سيظلون آلهة مصر العظمى طوال التاريخ الفرعونى. إذن فمنذ قديم الزمان كان الوعى يدركهم على هذا النحو ورفعهم إلى هذا المقام، بعد ان ادمجهم فى أساطير معقدة.

كان «پتاح» إلهاً ملكياً وعادلاً، فى مدينة كبرى وأيضاً إله خلق رئيسى، وإذ يلجأ إلى مختلف الأساليب، فإنه لا يعطى الوجود فحسب، بل انه يسبغ على عمله النظام والأبدية فيعطى «للروح» دوراً بارزاً.

٢- بزوغ الشمس فى فجر البداية الأولى، فى «هليوبوليس».

لا يوجد عرض مترابط للاهوت «هليوپوليس». ولكن فى الإمكان تحليل وفهم المنظومة التى صاغها كهنة الشمس بفضل ماورد عنها من إشارات فى مختلف النصوص ولا سيما كبرى أسفار الطقوس الجنائزية:متون الأهرام، ومتون التوابيت، وكتاب الموتى[٢٧] *ـ والأناشيد،*

قبل أى خلق، كان إله ـ الشمس القديم، بمدينة «هليوپوليس» («آتوم» أو «آتوم ـ رع») مغموراً فى المحيط الأزلى مع الآلهة، فى حالةكمون.

قال «آتوم»..«كنت» وحيداً فى الـ«نوو» وكنت خاملاً. كنت لا أجد موطئاً استطيع أن أقف فيه، كنت لا أجد مكاناً استطيع أن أجلس فيه. ومدينة «هليوپوليس» التى كان مقرراً أن أقيم فيها (فى المستقبل)، لم تكن قد تأسست بعد، والعرش الذى كان مقدراً أن اتربع عليه ، لم يكن قد تشكل بعد.لم أكن بعد قد خلقت «نوت» من فوقى، وجماعة(الآلهة) الأولى لم تكن قد جاءت إلى العالم. وتاسوع الآلهة الأولية، لم يكن موجوداً . كانت (الآلهة) لاتزال معى.» عندئذ قال «آتوم» لـ«نوو»: كنت طافياً، خاملاً كل الخمول، وكانت الـ«پعت» بلا حركة.إن ابنى، الحياة، هو الذى أعادنى إلى الوعى وبعث فى قلبى الحياة، بعد أن جمع أعضائى التى كانت حتى الأن بلا حركة»[٢٨]. وقال «نوو» لـ «آتوم»: فلتتنفس (يا«آتوم») ابنتك«ماعت» (الحقيقة والعدالة)، ارفعها إلى أنفك ليحيا قلبك. ليت ابنتك «ماعت» وابنك «شو» الذين يطلق عليهما أيضاً اسم الحياة، لا يبتعدان عنك.»[٢٩]

وعلى هيئة صورة أسطورية اكثر إستعلاءً، إذ يمتزج الخالق بمفرده مع المحيطالأزلى، متواجداً وجوداً فريداً، فإنه يبعث حياته الخاصة:

«أنا«نوو»، أنا الواحد الأحد، ليس كمثلى شىء... لقد جلبت جسدى إلى الوجود بفضل قدرتى السحرية.لقد خلقت نفسى بنفسى وشكلت نفسى حسبما كنت أتمنى، حسب رغبتى.»(٣٠)

تماماً، كما أن الحياة كامنه فى القدرات الإلهية الغارقة فى الخواء السائل،كذلك فإن هذا المحيط اللاعضوى هو بأبعاده صورة مسبقة للكون، إن العالم ونظامه المحكم المرتب (الكوزموس) هوعلى قدّ الإله الخالق:

...الـ«نوو»الذى يحمل «آتوم» والذى يبلغ اتساع السماء وعرض الأرض.(٣١)

عندئذ ينبثق *«الشمس» (لفظ مذكر فى المصريه القديمه م.) خارج الكتله السائله، بإرادته الخاصة، على هيئة انبعاث وضّاء:*

«أنا السرمدى، أنا«رع» الذى خرج من الـ«نوو»... أنا سيد النور».(٣٢)

كل فجر جديد سيكون تكراراً لهذا الإنبعاث الأول للنور، إذ خلط علماء اللاهوت، من خلال صور أسطورية أكثر تعقيداً، بين البزوغ الأول للنجم والميلاد اليومى للكرة الوضّاءة التى تلد «نوت» إلهة السماء كل يوم، فى دورة ثابتة لا تتغير. وهكذا تتداخل الأزمنه السابقة على الخلق واللاحقة عليه لتضفى على نشاط الشمس الحيوى سرمدية لا تفارقها.

السماء حبلى بـ «رع»، وعندما ستلده «نوت»، ترتفع الأيدى ويلتف من حوله الأتباع... رب الأفق، «رع»، السرمدى، إنه يبزغ خارج الـ «نوو»، و«المتألقة»(٣٣) من حوله. إن تاسوعه يتحرّق من حوله، وقدرته تخيف الآلهة التى أتت من بعده إلى الوجود. إن ملايين «كا»اته، هى فى فمه، فهو السحر، ذاك الذى ولد من ذاتة. والآلهة عندما تراه يغمرها الفرح، وهى تعيش من عرقه العطر. إنه ذاك الذى خلق الجبال وشكّل السماء.(٣٤)

لا ينبغى أن نبحث فى هذه الأساطير عن هياكل عقلانية أو أطر نظامية، فهى

تتراكب وتسعى إلى الوقوف على أحوال من الوعى الدينى ولحظات متنوعة منه.

فى اليوم الأول، و«آتوم» خارج الـ «نون»، فإنه يجسد فى الوجود الإلهين التوأمين: الإله «شو» والإلهة «تفنوت»، وهما أول زوجين مخلوقين. واستناداً إلى تقليد قديم، ظل قائماً منذ عصر متون الأهرام، فإن الإله الخالق قد شكّلهما بلعابه أو بتفاله:

«لقد تفلت «آتوم» من فمه، باسمك هذا، الذى هو «شو».[٣٥]

«يا «آتوم»... لقد تفلت «شو» و «نفثت «تفنوت».[٣٦]

«تفالك ولعابك، أى «شو» و «تفنوت».[٣٧]

وحسب تصور آخر، فقد شكل «آتوم» الأعزل«فرخيه»، بفعل يده النشطة عن طريق الإستمناء:

فما أن خرج «آتوم» إلى الوجود، مارس الإستمناء فى «هليوپوليس». فوضع ذكره فى قبضة يده، فأوجد اللذة لنفسه. عندئذ وُلد فى آن واحد التوأمان: «شو» و «تفنوت».[٣٨]

فى عالم الثلاثة هذا، ظهر المشهد الأسطورى الأول:

يقول آتوم: «–«تفنوت»، تلك التى هى الحياة، هى ابنتى. إنها فى صحبة أخيها «شو» الذى يُدعى أيضاً ذاك الذى هو الحياة. وهى تدعى أيضاً «ماعت». إنى أحيا مع فَرْخَىّ. إنى وسطهما، أحدهما خلفى والآخر أمامى. لقد نهضت فوقهما، بينما كانت سواعدهما تطوقنى.»–[٣٩] –(إنه ثالوث مقدس، لازال غير منقسم تقريباً.)

هكذا كانت النسمات الهوائيه والرطوبة اللازمة للحياة قد تشكلت فى نفس الوقت الذى كان يكتسب فيه الكون أبعاده الزمنية بصورة كامنه:

«شو» هو الزمان السرمدى و«تفتوت» هى الزمان اللانهائى.[٤٠]

وحيث ان «شو» و«تفنوت» قد شكلا إذن أول زوجين فى العالم، فقد انجبا بعد

ذالك عن طريق وسائل الأنجاب الطبيعية عناصر الفضاء في الكون: «چب»، إله الأرض، و«نوت»، إلهة السماء. فكانت الأرض هي العنصر المذكر والسماء هي العنصر المؤنث–نظراً لأن السماء هي مبدأ الخصوبة في العالم المصري لأنها تحتوي على النور واهب الحياة. لذا تُصور السماء في الغالب على هيئة امرأة أو بقرة،وهي أيضاًحيوان ولود ومصدر غذاء. ونظراً لأن «چب» قد صار «ثور«نوت»»، فقد رزق الزوجان الثانيان أربعة أولاد.وبعد النظام الكوني، استقر النظام الأرضي مع «أوزيريس»(ملك الأرض الذي سيخلف أبيه «چب»)و«إيزيس» – و«ست» و«نفتيس»،وهما زوجان جديدان على أساس إقتران الأخ بأختة(وهو ترتيب إلهي سوف يحاكيه الملوك):حيث يرمز الزوجان الأولان لقوى خصوبة التربة وتوازن الحياة. أما الزوجان الثانيان فيرمزان إلى الجدب والتقلبات البائسه. إنه تعبير عن التعارض الملموس بين وادي النهر والصحاري والتضاد الأخلاقي بين الخير والشر. وهكذا يكتمل التاسوع:

أيها التاسوع العظيم الذي يقيم في «هليوپوليس». أيا «آتوم»، أيا «شو» و«تفنوت»، أيا «چب» و«نوت»، أيا «أوزيريس» و«إيزيس»، أيا «ست» و«نفتيس»، الذين أنجبهم «آتوم»، بينما قلبه مفعم بالسعادة بسبب أولاده. (٤١)

وتتواصل عملية الخلق المتبقية، جنبا إلى جنب مع خلق البشرية:

كلمات نطق بها...سيد الكون....:«لقد أتيت أربعة أعمال صالحة عند باب الأفق. لقد خلقت الرياح الأربع[٤٢]. ليستطيع كل امرىء أن يتنفس حيثما يوجد: وذلك أحد أعمالي. لقد خلقت الأمواه الدافعة (*الفيضان*) لتزدهر أحوال الصغير والكبير، على حدّ سواء. فكان (عملاً آخر) من أعمالي. لقد خلقت كل إنسان شبيهاً لجاره، ولم أسمح أن يرتكبوا الشر، ولكن قلبهم خالف ما قلته.[٤٣] فكان (عملاً آخر) من أعمالي. وتصرفت بحيث لا تفكر قلوبهم في الغرب،[٤٤] وتوفر القرابين الإلهية لآلهة الأقاليم. فكان (عملاً آخر) من أعمالي. لقد خلقت الآلهة من عَرقي (بفتح العين) والبشر من دموع عينيّ»[٤٥]

وتمتدح جميع الطقوس قدرة «أوزيريس» الإله الخامس من آلهة تاسوع «هليوپوليس».

إن قلب «چب» و«نوت» مفعم بالسعادة. ويتردد الاسم الجديد: «ونن ـ نفر»(٤٦) قوى الجانب كالنبات! «رع» هو إشعاعه وسوف يدوم ما يقال له:، أنت الفيضان، أنت أعظم الآلهة، الذى يعمم ما يتذوقه البشر، الحلو على القلب. لا وجود لما يجهله. إنه صاحب القدرة المرهوب الجانب، عدّاء التاسوع.(٤٧) ذاك الذى يُبجل «با» ؤه، الأكثر فطنة من آلهة الجنوب والشمال.(٤٨)

هذا النسق تمّت صياغته بكل دقة لعرض نشأة الكون وأصل مكوناته الأساسية، وأيضاً لرسم صورة لتاريخ الشعائر. لقد رأى كهنة «هليوپوليس» أنه من «الكياسة» بمكان، إذ لاحظوا صعود نجم الشعائر المكرسة لـ «أوزيريس» (إله القدرات النباتية والبعث والذى ترجع أصوله إلى الدلتا)، أن يضموه إلى نسقهم، الذى نشأ حول الإله ـ الشمس، فأضافوا للاهوتهم مزيداً من الفاعلية الإلهية والقدرة السحرية. لقد تأكد اضفاء صبغة شمسية مقصودة على «أوزيريس» من خلال ما أختص به من أوصاف وصفات تعود فى المعتاد إلى «رع».

هذه الصور وهذا الإيمان اللذان ولدا فى وعى البشر، قبل أربعة آلاف سنة من الميلاد، كانت ما تزال قائمة قبل قرون معدودات من ميلاد المسيح.إنه مثال لا يضاهيه مثال، على عقيدة راسخة ودائمة. إن سفراً طقسياً يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد،(٤٩) يعرض على النحو التالى قصة الخلق فى «هليوپوليس» :

يقول سيد الكون: «عندما جئت إلى الوجود، تجلّى عندئذ الوجود. لقد جئت إلى الوجود على هيئة «خپرى»(٥٠) هكذا جئت إلى الوجود للمرة الأولى. جئت إذن إلى الوجود على هيئة «خپرى»، فكنت موجوداً. هكذا إذن تجلّى الوجود، لأننى كنت سابقاً على الآلهة السابقة، التى تكفلت بخلقها. كنت سابقاً على الآلهة السابقة، وكان اسمى سابقاً على اسمها. لقد صنعت (الزمن) السابق والآلهة السابقة. لقد فعلت كل ما كنت أتمنى (أن أفعله) على سطح هذه الأرض وانتشرت فيها. وعقدت يدى، أنا الأعزل، قبل أن تولد، حيث لم أكن قد تفلت «شو» أو نفثت «تفنوت»، ودربت فمى، إذ

كان اسمي «السحر»، وكنت «ذاك ـ الذى ـ ينفث». وجئت إلى الوجود على هيئتى، جئت إلى الوجود على هيئة «خپرى». جئت إلى الوجود فى (الزمن) السابق، ثم جاءت إلى الوجود العديد من الأشكال فى «الزمن الأول»، والتى لم يسبق ان تجلّى أى منها على هذه الأرض. لقد أنجزت كل عملى فى عزلتى، دون وجود أحد غيرى يستطيع ان يعمل معى فى هذا المكان. لقد خلقت الأشكال بفضل هذه القوة العليا (التى بداخلى). لقد جمعت (الأشياء) بينما كنت فى الـ «نوو»، أشبه بكائن ما زال غافياً، لأننى لم أكن قد وجدت بعد مكاناً أنهض فيه. ثم (وُلِدَت) الفاعلية فى قلبى، وبدت خطة (الخلق) أمام بصرى، ومن ثم حققت عملى كله وأنا فى عزلة. لقد صغت خطةً فى قلبى، فخلقت عندئذ أشكالاً أخرى، وكانت الأشكال التى عملت على ظهورها لا حصر لها. وبعد ذلك جاء ابناؤها إلى الوجود فى أشكالها كأبناء. وأنا الذى تفلت «شو» ونفثت «تفنوت». كنت قد جئت إلى الوجود، إلهاً أعزل، والآن يخصنى ثلاثة آلهة، بعد أن جاء إلى الوجود، على هذه الأرض الإلهان (التوأمان). كان «شو» و«تفنوت» ينشطّان الـ «نوو» فى سعادة، وهما ما يزالان بداخله... وبالفعل فقد اتحدت بجسدى ذاته، بحيث خرجا منى بعد أن أوجدت الإثارة بقبضتى المضمومة، فنبعت الشهوة من يدى وسالت النطفة من فمى. وهكذا تفلت «شو» ونفثت «تفنوت». هكذا إذن جئت إلى الوجود، إلهاً أعزل، والآن يخصنى ثلاثة آلهة، بعد أن جاء إلى الوجود على هذا الأرض الإلهان (التوأمان). وهكذا كان «شو» و«تفنوت» ينشطّان الـ «نوو» فى سعادة، *(ومرة أخرى يكرر النص الفقرة السابقة)* لقد كان أبى الغافى،[٥١] هو الذى(؟). وكانت عينى هى التى طاردتهما (وأعادتهما) بعد زمن لانهائى، بقيا خلاله بعيداً عنى...[٥٢] وبكيت علي(ـهما) بالدمع، وبعد أن بكت عينى على هذا النحو، جاء البشر إلى الوجود.[٥٣] ... وبعد ذلك قام «شو» و«تفنوت» وأنجبا «چب» و«نوت». وهذان أنجبا من جسديهما «أوزيريس» و«حورس ـ مختنتى ـ إرتى»(٥٤) و«ست» و«إيزيس» و«نفتيس». وهؤلاء انجبوا وشكلوا (بدورهم) عدداً غفيراً من الأشكال على هذه الأرض، أى أبناؤهم وأحفادهم...»

إنه نص متشعب، يجمع بين تقاليد مختلفة فى ترتيب أسطورى تلفيقى عن قصد. إنه نص تعزيمى، يذكر باستمرار كلمة «خپر»: ومعناها «جاء إلى الوجود، يتجلّى» واشتقاقها «خپرو» ومعناه الأشكال. إنها تراتيل حقيقية، تدور حول عمل الإله الخالق. والتكرار مقصود، وكأنه تكرار لابتهالات سحرية من أجل الوجود الجديد الذى انبثق فى اليوم الأول من سطح السائل السابق. ويكاد يكون نصاً مفرحاً، يسوده شعور

بالعرفان تجاه عمل الآلهة. إنه نص ترجع أصوله الروحية إلى الأزمنة الغابرة عندما بدأ الإنسان يعيش على ضفاف وادى النيل.

فى هذا العالم الأول، كان البشر والآلهة يشكلون شيئاً واحداً.(٥٥) فلم يكن البشر قد استحقوا من جراء جحودهم أن يفرق بينهم وبين الآلهة. كان العصر الذهبى للكون.

٣- الآلهة الثمانية فوق التل، فى «هرموبوليس».

اللاهوت الذى صيغ أصلاً فى «هرموبوليس» ـ عاصمة الاقليم الخامس عشر من أقاليم الوجه القبلى والمدينة المقدسة للإله «تحوت» ـ لم نعرفه من خلال أى نص مترابط. ولكن يدل اسم المدينة فى اللغة المصرية القديمة وهو «خمنو» ـ أى «مدينة الثمانية »(٥٦) (الأشمونين، حالياً) ـ يدل على أن هذا النسق الفكرى قد صيغ منذ زمن سحيق ويمكن ان نفهم جوهر هذا النسق بفضل نصوص ترجع إلى عصور متأخرة، ولا سيما العصر البطلمى. وبالفعل، نرى أن لاهوتيى «منف» ولاهوتيى طيبة على وجه الخصوص، قد خصّوا مفاهيم «هرموبوليس»، بمكانة بارزة فى أبحاثهم المتأخرة، التى تنحى منحى تلفيقياً فى عرضها لقصص الخلق.

فى الأصل، كانت ثمانية آلهة أولية موجودة فوق تل انبثق فى «هرموبوليس» من المحيط الأزلى. إنها أربعة أزواج إلهية، يتكون كل زوج منها من عنصر ذكر وعنصر أنثوى، وكانت تتخذ هيئة الضفادع (من سكان المياه المعتادة) والأفاعى (وهى رمز قديم للحياة المتجددة أبداً(٥٧). وقائمة اسمائهما موجودة فى المعابد الطيبية، لا سيما فى مدينة هابو حيث جرى تكريس معبد لهذا الثامون، فى الأزمنة المتأخرة. وتستعيد هذه الأسماء إلى الأذهان «المشهد الطبيعى» الأول للعالم. وأسماء الثمانيةهى: «نون» و«نونت».(٥٨) وهما يشخصان العنصر السائل الذى كان يغطى «المكان» غير العضوى واللانهائى. ـ «ححو» و«ححت» رمزا سرمدية «الزمان». ـ «كيكو» و«كيكت» اللذان يشخصان «الظلام»، فى عالم بلا نور، وهى الظلمات التى كان الخواء غارقاً فيها. ـ وكان «آمون» و«آمونت» هما «القدرة الإلهية الخفية» التى يضمها العنصر السائل. ـ إنه مشهد لانهائى أزلى، حالك الظلمة، ستدب فيه الحياة.

وذات يوم شرعت الآلهة السابقة فى العمل. وتقول رواية متواترة أنها شكلت بيضة فوق تلها. وحطم النجم الساطع غلافها لينبثق منها. وتصور رواية أخرى الثمانية وهى تخلق من نطفتها، زهرة لوتس، زهرة الأمواه، التى تنفتح بتَلاتها مع شروق الطفل الشمس الذى سطع بنوره على العالم.

(زهرة) اللوتس التى جاءت فى البدء إلى الوجود وطردت الغمامة المعتمة، دون أن يتمكن أحد بعد، أن يتعرف عليها (الزهرة). (لقد صنعتم) انتم (الآلهة الثمانية) نطفةً من سائل خرج منكم وسكبتم هذه النطفة على زهرة اللوتس، بأن أرقتم سائلاً نَطْفياً. لقد وضعتموه فى الـ «نوو»، وكثفتموه فى شكل واحد، وجاءت ولادة ووريثكم الوضاءة على هيئة طفل.[٥٩]

(زهرة) اللوتس... هذا الإله الذى فى قلب حوض الماء الخاص به الذى أنبعث من جسدكم (أيها الثمانية!)، زهرة اللوتس الضخمة المنبثقة من البركة الكبرى التى كانت فاتحة النور، عند «المرة الأولى»... إنكم تبصرون نورها، وتستنشقون عبيرها، وأنفكم ملآن بها. إنه ابنكم الذى يظهر على هيئة طفل، ليثير البلاد بعينيه[٦٠]... لقد جئت إليكم بزهرة اللوتس الواردة من المستنقعات، (فهى)، عين «رع» شخصياً[٦١] ذاك الذى يحقق (فى ذاته) حصيلة الأقدمين، الذى خلق الآلهة السابقة وصنع كل ما يوجد فى هذا البلد... واذ يفتح عينيه، فإنه ينير الأرضين، ويفصل الليل عن النهار. لقد خرجت الآلهة من فمه والبشر من عينيه، فكل شئ ولد منه، هذا الطفل (الذى يتألق) فى زهرة اللوتس، والذى تُحى أشعته كل الكائنات.[٦٢]

وهناك نص أحدث، ويرجع إلى ما قبل بداية التقويم الميلادى بقليل، يقدم ثمانية شركاء فى أشكال مختلفة. ولكن تظل أسطورة «الطفل ـ الشمس» المنبعث من اللوتس باقية بفعل أندفاع تكاثرى.

نزل الثمانية إلى «هرموبوليس»... بينما [كانوا يتحولون إلى أبقار وثيران حسب] طبيعتهم.[٦٣] كان الأسود والأخضر... لونى الثيران والأبقار،[٦٤] عن هؤلاء الذين نادى[٦٥] عليهم قائلاً: «فلتتحد [الثيران الأربعة]! فلتتحد الأبقار الأربع! فلـ [تتحدد] على الفور!» وصارت الذكور ثوراً أسْود، والإناث بقرة سوداء. وأطلق [عليهما اسما]

«آمون» و«آمونت» - وأنقضّ الثور على البقرة [بسرعة حتى] أنه أراق نطفته على الماء فى «البركة العظمى» فى «هرموبوليس» التى كانت قد أزهرت [زهرة اللوتس] وبرعم اللوتس... كانت زهرة لوتس على هيئة جعران، برأس [كبش]،[٦٦] واتخذت شكل طفل، [يضع] أصبعه [على فمه. ويحمل] تاجاً عليه صل'[٦٧]

إن شعيرة تقدمة زهرة اللوتس هى مظهر دائم وثابت لعقيدة «هرموبوليس» هذه. وسواء هى زهرة اللوتس الزرقاء أو زهرة اللوتس البيضاء،الموجودة على صفحة المياه، أو هى زهرة اللوتس اللازوردية أو زهرة اللوتس الفضية، فإن رفع الزهرة حتى الأنف الإلهى، أثناء الخدمة الإلهية، داخل المعبد، يعتبر رمزاً للحياة الشمسية.

وانتظم الكون. وكان رجال «هرموبوليس»، يتطلعون أيضاً إلى هذا العصر الذهبى الذى عرفته أزمنة العالم الأولى.

*لقد خلقت (الآلهة) «السابقة» إله الأفق. وفى زمانها أيضاً خُلق الجمال والرفق والسعادة. وفى عصرها جاء إلى السماء ناموس الحقيقة والعدالة («ماعت»). وأتحد مع أهل الأرض. وفى زمن الآلهة السابقة، كانت الأرض تفيض (بالخيرات) والبطون متخمة والمجاعة لا وجود لها فى القطرين والجدران لا تتهدم والشوكة لا تخزّ.

* لقد خَلّقت (الآلهة) الدائمة قرص الشمس، والبشر وجميع الأبرار، فى عصرهم. وهبط ناموس الحقيقة والعدالة على الأرض، وتآخى مع الآلهة - وفى زمن الآلهة السابقة، كان الطعام وافراً فى جسد البشر، والشرّ لا وجود له على سطح الأرض، والتمساح لا يخطف (فريسته) والثعابين لا تلدغ.[٦٨]

٤- فى إسنا.

فى مصر العليا وعلى بعد٥٥كم جنوب مدينة الأقصر، تقع مدينة إسنا وهى حالياً مركز ريفى شأنها شأن العديد من المراكز الأخرى فى مصر. وعندما نشر عالم المصريات الفرنسى «سرج سونرون» Serge Sauneron، منذ فترة قصيرة المتون التى نحتت فى المعبد العتيق[٦٩] فقد كشف النقاب عن الذخائر الروحية التى كان لا

يزال يحتفظ بها هذا الأثر - الذى يرجع تاريخه إلى القرن الثانى الميلادى، ويعود تاريخ معظم هذه المتون إلى عصر تراچان (٩٨ - ١١٧م) وهادريان (١١٧ - ١٣٨م)، وهى محصلة لتطور دينى طويل، يعود إلى أزمنة موغلة فى القدم، وتدور حول عبادة الإله الكبش «خنوم». وفى زمن أحدث، نرى أن عبادة الإلهة «نيت»، الإلهة القوّاسة، التى ظل مركز عبادتها الرئيسى طوال التاريخ الفرعونى فى مدينة «سايس» فى الدلتا، قد اتحدت بعبادة «خنوم». وتبرهن هذه الوثائق ان الفكر الوثنى الذى يخلط الأساطير والصور التى تصورها، منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة سنة، قد بقى فى علاقته بالتقاليد، على نفس القدر من الثراء والورع والأمانة. وهى أحدث مجموعة نصوص هيروغليفية من مصر القديمة حفظها لنا الدهر .

ا - «خنوم» الفخارى، (٧٠)
يخلق الكون على عجلته.

* «خنوم - رع» إله عجلة الفخارى، الذى أسس الأرض بساعديه، الإله الذى يوحد (الأبدان) فى بطن الأم، البنّاء الذى يعمل على ازدهار الفرخين(٧١)، الذى يُحى الكائنات (التى) مازالت فى طفولتها بفضل نسمة فمه، الذى يغمر البلاد بأمواه الـ «نوو» الدافقة، فى حين تحيط به «الدائرة السائلة الكبرى، ويحيط به بحر الأطراف العظيم» (٧٢).

لقد شكّل على عجلته، الآلهة والبشر، وسوّى الأغنام والقطعان، وصنع العصافير والأسماك، وشكّل الذكور المنجبين وأتى بالإناث إلى العالم. وقام بتنظيم مسار الدم فى العظام، والتشكيل فى ورشته (؟) بساعديه، عندئذ نفذت نسمة الحياة إلى جميع الأشياء وشكل الدّم... مع النطفة، ليكّون منذ البداية عظاماً وضّاءة(٧٣) وجعل الأنثى تلد إذا حان وقت (ولادتها) ... لقد خفف الآلام بما يجود به قلبه، ولطف الحناجر، واهباً الهواء للذين يتنفسون، فيُحْى الكائنات الصغيرة وهى لاتزال فى بطن الأم. لقد جعل خصل الشعر تنبت وجعل الشعر ينمو. وسوّى الجلد على الأعضاء. وصنع الرأس وشكّل الوجه ليعطى للملامح شخصيتها، وجعل العينين تنتفخان وفتح

الأذنين، ومـزج الجسـد بالهـواء مزجـاً، وجـعل الفم لتناول الطعـام وشكّل الأسنان للمضغ. وفصل اللسان ليمكنه من الكلام ومن الآن استطاع الفكان ان يتباعدا . وجعل العنق للبلع والبصق أيضاً و (أوجد) العمود الفقرى دعامةً والخصيتين اللتين يرتجف بسببهما الفخذ أثناء الجماع، والشرج ليقوم بوظيفته. والحلق ليزدرد واليدين وأصابعهما لتقوم بعملها، والقلب ليقود (الكائن)، والخصيتين سنداً لعضو التذكير وأداء العملية الجنسية، والأعضاء الأمامية لبلع كل شئ، والأعضاء الخلفية لبث الهواء فى الأحشاء .[٧٤] وللجلوس أيضاً أثناء الوجبات وامداد الأعضاء الداخلية بالحياة أثناء الليل. و(أوجد) عضو الحياة للجماع والرحم لتلقّى النطفة. وهكذا تتضاعف الأجيال فى مصر. و(جعل) المثانة للتبول وعضو الحياة ليقذف وينتفخ عند ضمّ الفخذين. وقصبة الساق للمشى والفخذين للتجول، إذا أن عظامها تنفذ عملها بتدبير من القلب.

هكذا تشكلت (جميع) الكائنات على عجلته. (وفيما بعد) تغير التعبير الشفهى، حسب كل بلد، وصولاً إلى لغة تختلف عن تلك التى يتحدث بها (أهل) مصر. وخلق المنتجات الأجنبية فى نطاق أراضيها ليتمكنوا من نقل الجزية إلى الخارج، لأن سيد العجلة هو والد (الجميع) ، (إنه) «تاتنن» الذى يعمل على وجود كل ما هو موجود، فوق اليابسة، وخلق مواد إعاشتهم - كالتى عند اهل «إبها»[٧٥] - من أجل إطعام أجسادهم (واجساد) ذريتهم أيضاً. وعندما بصق فمه، جاءوا فى الحال إلى الوجود.[٧٦] ولم تتوقف (عملية الخلق) : فمنذ أن بدأت العجلة فى الدوران، وهى تدور كل يوم.

لذا تعبدك جميع المخلوقات، يا«خنوم»، ياصورة «تاتنن»، (أنت يا) خالق الخالقين، (يا) من جئت إلى الوجود بكل ما هو قائم فى (مدينة) إسنا، (يا) من يطعم الكائن الصغير فى بطن (أمه) إلى أن يكتمل الزمن (المحدد) ثم ينبعث بأمرك من جسد الأم عندما يحّل أجل (الولادة).

لقد شكل البشر على عجلته ، وانجب الآلهه، وخلق الأغنام والماشية، وسوّى الطير والأسماك وجميع الزواحف. وفى أعقابه ، جعل الأسماك ترتعش فى مياه الـ «نوو» عند الخروج من الكهفين[٧٧] لاشباع البشر والآلهه فى الوقت المناسب. لقد أعطى الوجود للنبات فى الحقول ولوّن الشطآن بالزهور. وجعل أشجار الحياة [٧٨] تعطى ثمارها لتأمين معيشة البشر والآلهه. وشق التصدعات فى جسم الجبال وجعل المحاجر تلفظ ما فى باطنها فى أحجار .[٧٩].

* تحـيـة لك (يـا) «خنوم - رع»، (يا) سـيـد إسنا، (يا) «پتـاح - تاتن» الذى انجب الآلهـه السابقـة، أيها الإله العظيم (الذى) جاء إلى الوجود فى الزمن الأول، (أيها) الكبش الرائع، فى المرة الأولى!

لقد رفع السماء، وسند القبة الزرقاء، ونشر النور فيها، ساطعاً مشعاً، ثم أقام فيها مقـر روح الآلهـه، وبسط الأرض فوق قـواعدها، وأضـاء الأرضـين بعينه، وأذا نشط الإله، أخـذ الوجـود يتجلى. عندئذ فـتح القطرين بقـوته، (فـهـو الإله) صـاحب الوجـه المهيب، والطلعة البهية، صاحب الأبهة ذات الهيئة القديرة، فمن وجوده، كانت كل الكائنات تنهل وجودها، إنه أعظمـها جميعاً، وأشرفها جميعاً، وأعظم سائر الآلهـه، صـاحب الهيئة الخـفية، المهيمن على الآلهـه، صـانع صنا ع الأشكال، عظيم الآلـهه السـابقة، أبو الآباء وأم الأمهات، الذى خلق كائنات القبة الزرقاء، وجاء إلى الوجود بكائنات العـالم السـفلى، (إنه) الكبش المقـدس الذى انجب الكبـاش، (إنه) «خنوم» الذى صنـع المخلوقـات، (إنه) الإله صـاحب اليـد الصـانعـة التى لا تعـرف الكلل، فـلا يوجد عمل يجـهله. لقد أقـام المدن وفصل بين الحقول، وخلق القطرين وثَّبت الجبال، وشكّل البـشـر، على العـجلة، وجـاء بالآلهـه إلى العـالم ليمـلأ الأرض ودائرة المحيط الاكبر. جاء فى زمنه ليُحيى كل الذين خرجـوا من عجلتـه، فخلق العـشب لتتـجمع الماشية، وشجرة الحياة من أجل الأحياء، إنه يحلّ دائماً فى اللحظة المناسبة، لقد رسم حدود السمـاء، إلى يومنا هذا، (إنه) الإله الخّير للزمن الأول، الذى يعبر السماء منذ مطلع الفجر على (متن) سفينته[٨٠] ويمـلأ الأرض بجمـاله. ويتحقق قَدَر الأطفال ونموهم حسـبمـا يأمر به، والماء والريح تأتمر بأمره ومـا يخرج من فمـه، (ينفذّ) بلا إبطاء. هو الذى صنع ذاك وذلك، على حدّ سواء، فما من عمل يتم بدونه[٨١].

هذا النص - وهو نشيد عرفان وإجلال إكراماً للإله «خنوم» كان الكهنة يتـرنمون به مع مطلع كل صبـاح وخلال السـاعتين الأوليين من النهار فى معبد إسنا فيجددون يومياً مجد الخالق

ب - الإله «نيت»، القوّاسة،
أم الكون.

فوق الأكمة التى بزغت فى إسنا.

إن أبا الأباء، وأم الأمهات، الكائن الإلهى الذى استهل وجوده فى البدء، كان موجوداً فى قلب الـ«نوو»، لقد أنبثَقت من ذاتها، بينما كانت الأرض لاتزال فى الظلمات، ولم يكن النبات ينمو. اتخذت (فى البدايه) شكل بقرة،حتى لم يكن فى مقدور اى إله، فى اى مكان كان ، أن يعرفها. ثم تحولت إلى سمكة –بياض.[٨٢] وعند ئذ بدأت تسير فى طريقها.

اضاءت البصر بعينيها فكان النور .عندئذ قالت :«هذا المكان الذى أنا موجوده فيه، فليصبح من أجلى أرضاً يابسة فى قلب الـ«نوو»،لأتمكن من الوقوف فوقه». عندئذ أصبح هذا المكان الذى كانت«نيت»موجودة فيه،أرضاً يابسة فى قلب الـ«نوو»، حسب الكلمات التى نطقت بها. وصار(هذا المكان) «أرض المياه » ومدينه «سايس».[٨٣] وحلّقت كالجعران، فوق هذه الأكمة. عندئذ ظهرت «پر - نثر»و «په»[٨٤]' وقالت أيضاً:«كم هى ممتعةه نكهةهذه الأكمة» وظهرت«دپ»[٨٥] وصار يطلق من الأن على «سايس» اسم «أرض الترويح».

وهكذا، فكل ما كان يحتويه قلبها، كان يأتى فوراً إلى الوجود .وإذ استشعرت العذوبة فوق هذه الأكمه، ظهرت مصر وسط الإبتهاج العام .[٨٦]

خلق الثلاثين إلهاً.

ثم شكلت ثلاثين إلهاً، بأن نطقت أسماءها، الواحد تلو الآخر، وكانت مسرورة بعد أن رأتها. وقالت (الآلهة) :«مباركة أنت، يا سيدة الآلهة،يا أمّنا،(يا) من أتت بنا إلى

الوجود. لقد صنعت أسماءنا، بينما كنا لانزال بلا شعور، لقد فصلت من أجلنا بين النهار (؟) وبين الليل. لقد شكلت من أجلنا أرضاً يمكننا أن نقف فوقها. لقد فصلت من أجلنا بين النهار وبين الليل. يا للفاعلية!، آه! يا لفاعلية، كل ما يخرج من قلبك أنت. آه! أيتها الوحيدة، التى أتت إلى الوجود عند البدء. إن الزمن الأبدى والزمن اللانهائى يمران أمام وجهك »

عندئذ قالت لأبنائها:«هيا، فلننهض فى هذا المكان، الذى صار أرضاً يابسة نستطيع الوقوف فوقها، لنطرد الكلل.ثم سنبحر فى اتجاه هذا المكان المقدس، «إسنا-سايس»، هذه الأرض (التى) فى قلب الـ«نوو»، أكمة الترويح هذه، التى سنقيم عليها.» بسطت أرضاً يابسة فى قلب الـ «نوو» وأطلقت عليها اسم «الأرض العليا ».

عندئذ، قالت الآلهة العظيمة، للقديرة:«أنت التى أتيت بنا إلى الدنيا أنت التى انبثقنا منها، اجعلينا نعرف ذاك الذى لم يولد بعد، انظرى فالأكمة معزولة ونحن نجهل ما سيأتى أيضاً بالضرورةإلى الوجود ». وأجابت «نيت »(قائله):«سأحيطكم علماً بما ينبغى أن يظهر (قريباً). فلنذكر أيضاً أربعة مقاصد خيرة، فلنضىء ذاك الذى فى أجسادنا، فلننطق بصوت مرتفع بذاك الذى على شفاهنا، وهكذا فى ذلك اليوم بالتحديد سأحيطكم علماً بكل شىء».(٨٧) وأتمت (الآلهة) كل ما قالته، وحلت الساعةالثامنة بعد برهة قصيرة.

ميلاد الشمس.

عندئذ، تأملت البقرة «أحت»(٨٨) ماكان ينبغى ان يأتى إلى الوجود. وقالت :«سوف يظهر اليوم إله عظيم . وعندما يفتح عينه، سيكون نوٌر. وعندما يغمض عينه تظهر الظلمات. وسيولد البشرمن دموع عينه والآلهة من لعاب شفتيه. سأجعله قوياً بقوتى، وأجعله ساطعاً بفضل سطوعى، وأجعله قديراً بقدرتى. وسيثور أولاده عليه (٨٩)، ولكن سيُجهز عليهم، ويُضربون من أجله لانه ابنى، الذى من جسدى، وسيصبح ملكاً على هذا البلد للزمن اللانهائى. سوف أحميه فأعانقه بساعدىّ، فلا يصيبه سوء. هيا، سأقول لكم اسمه: سيكون «خپرى»عند الفجر، و«آتوم» فى المساء، وسيظل يومياً هو

الإله الساطع للزمن اللانهائى، بهذا الاسم الخاص به، (اسم)«رع».»[٩٠]

وقالت الآلهة :«من بين ما نسمعه، فإنك تذكرين أشياء نجهلها.» وهكذا صارت (كلمة) «خمنو» هى اسم هذه الآلهة وصار فى ذات الوقت اسماً لهذه المدينة.[٩١]

عندئذ، نهض هذا الإله الكبير خارج الافرازات التى أفرغها بدن «نيت» والتى كانت قد وضعتها داخل جسم بيضة. وعندما فجرت هذه(البيضة) الـ«نوو»، ارتفعت المياه، فى مكان واحد. وسقطت نطفه على البيضة بينما كان الـ«نوو» يحطم القشرة التى كانت موجودة حول هذا الإله العظيم المقدس. كان«رع» هو الذى اختفى فى قلب الـ«نوو»، بهذا الاسم الخاص به (اسم) «آمون» وهو الذى كان عليه أن يشكل الآلهات من خلال أشعته، بهذا الاسم الخاص به (اسم) «خنوم»[٩٢].

وصاحت أمه الإلهة-البقرة بأعلى صوتها«تعال، تعال، أنت الذى خلقتك! تعال،تعال،أنت الذى ولدتك! تعال، تعال، انت الذى جئت بك إلى الوجود ! أنا أمك، ،البقرة«أحت».»عندئذ، تقدم هذا الإله، مبتسماً،مرحّباً، بهذه الإلهة. وألقى بنفسه حول عنقها (هكذا)، وهوما يفعله فى المعتاد الابن مع امه. وأصبح هذا اليوم هو اليوم الجميل لبدايه السنة.

ثم بكى «رع» فى الـ«نوو»، عندما لم ير أمه البقرة «أحت»وأتى البشر إلى الوجود من دموعه.[٩٣] وسال لعابه بعدأن رآها وأتت الآلهة إلى الوجود من لعاب شفتيه.

والان ترقد هذه الآلهة السابقة (كل إله) فى ناووسه. وكانت (الآلهة) قد «سمّيت» بعد ان تفكرتها هذه الإلهة.[٩٤] إنها (الآلهة) تحمى «رع» من الآن فصاعداً داخل مقصورة (مركب الشمس)، إنها (الآلهة) تجزل الثناء تهليلاً لهذا الإله

وتقول :«مرحباً،مرحباً بك ،ياووريث«نيت»، الذى صنعته بيديها وخلقته فى قلبها.أنت ملك هذا البلد للزمن اللانهائى،كما كانت أمك قد تنبأت به.»

بقية الخلق وملخص له

ومع ذلك، طردت هذه الآلهة السابقة بصقة من فم «نيت»، بصقة كانت قد شكلتها («نيت») فى الـ «نوو». فصارت ثعباناً طوله مائة وعشرون ذراعاً،[٩٥] أطلق عليه

«أبوفيس». وصاغ قلبه العصيان ضد «رع» مع بنى جنسه الذين انبعثوا من عينه.[٩٦]

ثم خرج «تحوت» من قلب «رع»، فى لحظة حزن، الأمر الذى استحق عنه اسم «تحوت».[٩٧] وتحادث مع ابيه الذى أوفده[٩٨] للتصدى للثورة بصفته صاحب «الكلمة الإلهية».[٩٩] هكذا، فإن «تحوت» رب «هرموبوليس»، قد أتى إلى الوجود فى هذا المكان، (هو) والآلهة الثمانية فى المجمع الإلهى الأول.

عندئذ قالت «نيت» لابنها: «تعال معى إلى «إسنا - سايس»، إلى هذه اليابسة المشهورة فى قلب الـ «نوو». سوف أعلن اسمك فى مدينتك، ولن يتوقف الناس أبداً عن سماعه، كل يوم. سوف أرضعك لتصبح قوتك عظيمة، ويزداد أيضاً مدى ما تبعثه من خوف فى النفوس، حتى تتمكن من القضاءعلى الذين قد يتمردوا عليك».

هكذا خرجت سبعة أحاديث من فم «نيت» . أصبحت سبعة آلهة. وبالفعل، فما قالته صار اسماً للأحاديث، اسماً للكلمه الإلهيةُ واسم «سايس»،أيضاً. وهكذا ولدت«الأحاديث - الآلهة » السبعة (للإلهة) «محت - ورت»، لتصبح من الأن الحامية لـ«محت - ورت»، فى كل مكان تقصده. عندئذ تحولت إلى بقرة «أحت ». ووضعت «رع» بين قرنيها.[١٠٠] وسبحت وهى تحمله. وقالت الآلهة : «إنها السبّاحه العظيمة مع ابنها ». ومن هنا اشتق اسم «محت - ورت»[١٠١].

وامضت فترة من الزمن (تصل) إلى أربعه أشهر فى مدن الجنوب، التى يطلق عليها «قيدوم البلاد »[١٠٢] لصدّ العصاة الذين كانو يزحفون على جلالتة بدافع من الكراهية[١٠٣]. وكان يتألق أمامها لهب، سواء فى الوجه القبلى أم فى الوجه البحرى.

وعندما وصلت إلى «سايس»فى مساء اليوم الثالث عشر من الشهر الثالث من فصل الجفاف[١٠٤]، كان عيد جميل وعظيم فى السماء وعلى الأرض وفى كل بلد من البلدان . عندئذ، بدّلت من هيئتها وصارت الإلهة «أوريرت»[١٠٥] وتناولت قوسها بيدها، وسهمها بقبضتها، وأقامت فى معبد «نيت» فى صحبة ابنها «رع»[١٠٦]

عندئذ قال «رع »للإلهة التى كانت فى صحبته:«رحّبوا بـ «نيت» فى ذلك اليوم. تعالوا لتقيموا الأفراح من أجلها فى ذلك اليوم الجميل، لانها أوصلتنى سالماًمعافىً. اشعلوا المشاعل أمامها ! اقيموا الأعياد فى حضرتها، حتى مطلع الفجر.»[١٠٧]

[يلى ذلك ، وصف لطقوس العيد الذى كان يتكرر سنوياً فى إسنا فى نفس التاريخ – العيدالكبير لنشأة العالم .]

إن هذه النصوص التى يرجع تاريخها إلى عصر الأمبرطور تراجان والتى تعتبر من أحدث النصوص التى وصلت إلينا من مصرالقديمه هى تركيب روحى شامل حول موضع نشأة العالم –على النحو الذى تمت صياغتة على امتداد آلاف السنين (أكثر من أربعة آلاف سنةعلى الأقل) فى مختلف الأماكن المقدسه فى أرجاء البلاد . وتلك دلالة على إيمان راسخ، وتسامح مطلق يربط بين المعتقدات دون أن يرفض أياً منها. ويمكن أن نلحظ وجود ثوابت هامة فى الفكر أياً كان منشؤه. فى البدء كان ينبسط الخواء السائل اللامحدود واللازمنى واللاعضوى والخامل،الذى كان ينطوى على قدرات الحياة، ولكنه لا يستطيع إن يمنحها. ومن جوفه انبثق الخالق ذات يوم، بطرق مختلفة، وهى فى الغالب إرادة الوجود التى كان قد تصورها. وعلى اختلاف الأماكن يتغير اسم الإله الخالق الذاتى الولادة، كما أن أساليب الخلق كانت أيضاً متنوعة. ولكن يظل عنصر واحد يلحّ بثبات. ففى الأغلب الأعم، تولد فكرة الكون فى بداية الأمر فى وعى الإله بينما لا يزال خاملاً،فنشأة الكون كانت أولاً صياغة ذهنية. إن قوة الروح هى التى تتصور العالم، الذى سيعمل سحر «الكلمة» على تحقيقة فيما بعد. وتتحقق هذه العملية فى الغالب فوق أكمة منبعثة من المحيط الأزلى، وهو «المكان» الأول المنبثق من الأمواه، وهى الضمانة الأولى لعالم الغد. إن الإله المنعزل يخلق الزمان والنور والآلهة والبشر والكائنات الحية والأرض السماء ،عن طريق «الكلمة» بالطبع وبشكل أساسى، ولكن أيضاً من خلال تجسيد القدرات الإلهية الكامنة فى ذاته، وقذف النطفة وبصق لعابه أو بواسطة بيضة تنكسر قشرتها لتنبثق منها الحياة والنور أو أيضاً بواسطة زهرة لوتس يصبح تويجها رحم «اليوم الأول»، وتختلط الصور فى فيض أسطورى غايته أن يكون مؤثراً وفاعلاً. إن الخلق بالكلمة يربط بين التجانس الصوتى للألفاظ ليفسّر تفسيراً سحرياً الأسماء التى تطلق على الكائنات والأشياء.

تسمح هذه النصوص أيضاً بإدراك مدى التأثير الجسيم الذى مارسه فعلاً الفكر

المصرى على الفكر الإغريقى، فكان هذا الأخير تلميذاً مجّداً، فاستلهم هذه التصورات، التى ترجع أصولها - كما يمكننا ان نلاحظ عند قراءة النصوص اللاهوتية القديمة التى نعرض لها فى هذا الكتاب - إلى الماضى السحيق لأقدم عصور تاريخ وادى النيل.

شروح وهوامش الفصل الأول من الباب الأول

(١) لوحة حجرية تبلغ ١٣٧سم ارتفاعاًو٩٢سم عرضاً- وهى محفوظة حالياً بالمتحف البريطانىBritish Museum. وتضم نصاً من سطرين أفقيين و٧٢ عاموداً رأسياً.

النص المصرى : K.Sethe,Das Denkmal Memphitischer

Der Shabako Stein des Britischen Museums.

Leipzig,1928(2e ed:1964),pp.20-80

(٢) الملوك الأجانب ومنهم الملك «شاباكا» على سبيل المثال، كانوا عندما يتربعون على عرش مصر، يتخذون لأنفسهم الألقاب الفرعونيه المكونة من خمسة اسماء والتى تربط الملك بآلهة الوادى المشهورة،وإذا كان الاسم الشخصى («شاباكا») يلازمه كالمعتاد لقب «ابن رع»، فإن صيغةاسم التتويج الذى اختاره (والذى يلى لقب:«ملك الوجهين القبلى والبحرى»)- هى صيغة مصرية صرفة ويعنى «كاملاً هو، كا- رع»، وقد سبق لأحد ملوك الأسرة العاشرة ان حمل هذا الاسم.

و«ذاك-الذى-يوجد-جنوبى-جداره»- هى صفة قديمة جداً يوصف بها إله «منف»، وربما يرجع تاريخها إلى زمن تشييد المدينه، عندما كان «بتاح»إلهاً محلياً وله معبد جنوب سور المدينة الجديد.

(٣) شكل آخر من أشكال الإله «بتاح»، ومرتبط بإله محلى آخر هو«تا -تان» ومعناه حرفياً«الأرض التى ترتفع»، وأصبح هذا الإسم من الناحية العملية صفة لإله «منف»،على اعتباره بمثابة إشارة إلى عمله الخلاق، عند بروز الأرض من المحيط الأزلى.

(٤) يروى التقليد ان الآلهة قد حكمت الأرض فى بدايةالأمر قبل الملوك على مايبدو،وتوجد أشارات كثيرة إلى هذه الإسرات الإلهية الأولى فى العديد من الوثائق: كما أوردت إحدى البرديات المحفوظة فى متحف مدينة تورين اسم «بتاح» بصفته اسم أول ملوك الوجهين القبلى والبحرى، واعتمد «مانتون» على هذا المصدر.

ومن ثم فإن «شاباكا»«يسيرعلى خطى» اقدم الملوك والآلهة. وقد سعى مؤسسو الإسرات الأجنبية إلى أن«يتمصروا» بشتى الوسائل.

(٥) «أتوم»الإله الشمسى فى هليوبوليس. راجع فى هذا الفصل :«بزوغ الشمس فى فجر البداية الأولى فى هليوبوليس»

(٦) هذا النص الذى لايلتزم بالترتيب الزمنى لعملية الخلق على وجه التحديد، يبدأ بتاكيد قيام الآلهة بتنظيم شئون المملكة، بزعامة الإله «جب»، إله الأرض. إن اتحاد«حورس» و«ست»، ابن

وشقيق«أوزيريس» المتخاصمين (راجع الفصل الثالث من الباب الأول) سيقف شاهداً إلهياً على اتحاد القسمين الطبيعيين للملكة. وبداية، يبدو الخلق فى الواقع عملية تنظيم لمجمع الآلهة، ونزعة تلفيقية كبرى، تتصدرها شخصيتا «چب» وپتاح» أيضاً على نحو خاص، والأخير سيندمج فى «حورس»، رمز الخير. ويتشكل تاسوع هليوپوليس على هيئة محكمة.

(٧) شمال الوجه القبلى فى منطقه الفيوم.

(٨) ان«أوزيريس» الذى ترى فيه بعض المصادر الأخرى أول ملك يحكم الأرض(راجع ص ١٤٥) الكتاب هو رمز اتحاد المملكة وهو الإتحاد الذى يسعى«چب» إلى إعادة تحقيقه من خلال اتحاد «حورس»و«ست» اللذين يتخاصمان على ميراث أبيهما (راجع الفصل الثالث من الباب الأول)

(٩) موقع على مقربة من رأس الدلتا.

(١٠) إذا كان الوجه القبلى- الذى انطلقت منه حركة الوحدة التاريخية - يتصدر دائماً الألقاب والشعائر بالمقارنه مع الوجه البحرى، فإننا نرى هنا وبصفة استثنائية أن الشمال قد ورد قبل الجنوب، وذلك إعلاءً من شان الإله«حورس» على الإله «ست» وربما تكريماً للإله«أوزيريس» الذى وافته هنا المنية.

(١١) وفقاً لما جاء فى لاهوت «هليوپوليس» فإن «أوزيريس» وال «حورس» كان فى الواقع هو المولود البكر للإله «چب»(الأرض) والإلهة «نوت»(السماء) اذ تمتزج الأفكار والأساطير لتشكل من جديد مجموعات روحية ضخمة. ومن ثم تصبح الأرض باكملها، ميراث«چب».

(١٢) «أوپ- واوات»«ذاك الذى يفتح الطريق»،هو إله على هيئة ابن آوى، ورب مدينة «أسيوط» وفى الغالب كان يحدث الخلط بينه وبين «حورس»

وإذ تم تقسيم ميراث («چب» أو«أوزيريس») فى بداية الأمر على «حورس» و«ست»، فقد آل هذا الميراث فى النهاية إلى «حورس ».كما يختلط ايضاً تقليدان فى هذا السياق : فمن ناحية، كانت رواية التقليد التاريخى، تضع المملكتين الأوليين لعصرفجر التاريخ تحت رعاية«ست» فى الجنوب و«حورس» فى الشمال- ومن ناحية أخرى، كان التقليد الأسطورى يجعل من «حورس» الوريث القانونى لوالده «أوزيريس»، الذى قتله «ست»، ولكنه - أى «أوزيريس» - بعث حياً من جديد.

(١٣) إشارة محتملةأيضاً إلى وقائع تاريخية:فقد كان «نعرمر» الملك الذى وحد البلاد ينحدر أصلاً من الجنوب،ومن مدينة هيراكنپوليس» حيث كان يعبد«حورس» (ونظراً لان لفظ «حور»هنا هو اسم جنس، فإنه يدلُ على جميع الصقور التى تعبد، وكانت كثيرة). وبات هذا الـ «حور» هو الـ«حور» الملكى حقاً، الذى تسبق صورته الاسم الأول من مجموعةألقاب ملوك مصر.

(١٤) يشهد كل ذلك على الصفة الملكية للإله«پتاح»فقد آل إليه ميراث البلاد، بصفته «حورس».

(١٥) الصلّ.

(١٦) كانت «منف »عاصمة إقليم «الجدار الأبيض».

(١٧) الشارتان الشعاريتان للجنوب والشمال. وتتصدران الاسم الرابع من أسماء الملوك وهواسم التتويج «نسوت-بيتى» الذى تترجمه بـ «ملك الوجيهن القبلى والبحرى»ولكنه يعنى حرفياً: «ذاك الذى ينتسب الى البوص والنحلة»

(١٨) يلى ذلك قائمه باقانيم إله «منف»التى كانت أول ما جاء إلى الوجود.

(١٩) إن الإله «بتاح» يتكون إذن من ثمانية أقانيم: ويؤكد الأقنوم الأول على صفته الملكية كما سبق ان تحددت. ثم يمتزج بعد ذلك الاله «بتاح» مع المحيط الأزلى («نوو»)ونقيضه الأنثوى (ننوت) اللذين ينجبان«آتوم»،الإله الشمسى الأولىّ فى هليوبوليس. وبتاح هوأيضاً الذكاء وقدرة التصور الذهنى والإرادة للتاسوع المعبود فى هذة المدينة. ومن خلال علاقته المستمرة بالشمس (العنصر الاساسى فى الكون المخلوق) فهو «نفرتوم »«الإله-اللوتس»الذى ينبثق النجم منه انبثاقاً مقدساً مع فجر اليوم الأول والذى يرضى عطره الذكى الرائحة الأنف الإلهية. ومن المؤسف جداً وجود فجوات فى النص على امتداد ثلاثة أسطر.

(٢٠) إن «بتاح»-الإله الأساسى - يتصور شكل آتوم ذهنياً، ويخرجة إلى الوجود. وآتوم «هو شمس» هليوبوليس، الذى كان يعتبر خالقاً فى هذه المدينة. (راجع ص٣٠) .كل عاصمة إقليم كانت تنظر إلى إلهها بصفته مبدع الكون .

(٢١) الـ «كا» هى الطاقة الحركية للكائن، حيويته الكامنة.

(٢٢) جميع الآلهة المولودة من «بتاح» هى أيضاً صوره المختلفة.وقد صاغت «منف» وكهنتها أيضاً نظرية تلفيقية كبرى من أجل إلهها.

(٢٣) راجع ص٣١ .

(٢٤) دليل جديد على الإهتمام «بتجميع» نظريات الخلق اللاهوتية.و«شو» و«تفنوت» هما إلهان «توءمان»، خلقهما آتوم أولاً، عند انبثاقه من المحيط الأولىّ. كما أن «شو»، إله الهواء، و«تفنوت»، العنصرالإلهى للرطوبة، هما وجهان للزمان والأزل.

(٢٥) المقصود به هنا التماثيل التى تم تشكيلها كأغلفة جسدية وأوعية للحياة الكامنة. إنه أحد المبادىء الكبرى للفن المصرى، فجعله سحراً عظيماً باعثاً للحياة، وقد أقيم للأمد اللانهائى فتدوم إمكانيات الكائن إلى الأبد.

(٢٦) «بتاح» الملكى.

(٢٧) راجع «نصوص مقدسة ودنيوية من مصر القديمة» المجلد الأول:ص ص ٢٠٠ - ٢١٦، ٣٦١ - ٣٧٠

(٢٨) هنا الابن الملازم لشخصية الاله الخالق والذى سيُحى هذا الأخير- فيجمع أعضاء جسده ويدفع روحه ووعيه إلى الوجود- هذا الابن هو الإله «شو»، مبدأ الحياة الأصلى الذى يشخص «فراغ» الكون غير المخلوق(«شو» هو فى اللغة المصرية « الفراغ أوالخلاء») والهواء الذى لا غنى عنه لكل

حياة. إن«إحياء» الأب هذا بفضل الابن هو صورة متأثرة بأسطورة أوزيريس.(راجع الفصل الثالث من الباب الأول:«البعث وحب الحياة: الأب والابن») وفيما بعد، وفى السفر الأول من العهد القديم (وهو سفر التكوين، من الكتاب المقدس– م) فان النور سيرتبط أيضاً«بنسمة الحياة التى ترفرف فوق الأمواه». ولا ريب ان فى استطاعة وعى الساميين الوصول إلى صور مماثلة فى أوساط مختلفة، ولكن تأثير مصر الروحى على الشعوب القديمة ظل عظيم الشأن.

(٢٩) إن العنصريين الأساسيين الضروريين للعالم فى حالة تكوّنه هما الهواء (المبدأ الفيزيقى) والحقيقة والعدالة (وهما مبدأن أخلاقيان لاغنى عنهما لكل حياة) Textes des sarcophages, 80 b1c: متون التوابيت.

(٣٠) نفس المرجع B3L 741.

(٣١) نفس المرجع B1C. 78.

(٣٢) كتاب الموتى.

Livre des Morts, chapitre 159 B. Budge, B.D. III, P,8, 1. 13.14.

(٣٣) الصل - الثعبان الشمسى الحامى.

(٣٤) Textes des Sarcophages, 648 G1T

(٣٥) (N 663)، T.P.§ 1652C (متون الأهرام). وذلك مطابق للفكرة القائلة بأن فى إمكان الفم، بواسطة الكلام، أن يخلق الأشكال ويمنحها الوجود. ولكن ينطوى الأمر أيضاً على السعى وراء التجانس الصوتى بين الجذر الإشتقاقى «إشش» اى، «يبصق» والكلمة «شو»، وهى مباحث شكلية كان المصريون مغرمين بها وهى ليست تلاعباً لا نفع منه، ولكنه اهتمام يريد إضفاء فاعلية سحرية أكبر على الكلمة.

(٣٦) متون الأهرام (T.P.§ 1652 c (N 663. نفس النزعة الشكلية بحثاً عن التجانس الصوتى بين الجذر الإشتقاقى «تفن»:«ينفث» والإسم «تفنت» (حرفياً: «تلك التى تنفث»)

(٣٧) Textes des sarcophages, 331 G1T

(٣٨) T.P. § 1248 a-d (p465-466)

(٣٩) Textes des sarcophages, 80 B1C.

(٤٠) نفس المرجع 80 B1c.

(٤١) T.P. § 1655 a-c (M 205)

(٤٢) راجع الفصل الرابع من الباب الأول.

(٤٣) راجع الفصل الثانى.

(٤٤) مملكة الأموات،

(٤٥) تجانس صوتى جديد بين كلمة «رمت» (البشر) وكلمة «رميت» (الدموع)

Livre des deux Chemins, 1130 B3c.

(٤٦) من اسماء أوزيريس، ويعنى «ذاك الذى يظل كاملاً»

(٤٧) من الصفات المعتادة المنسوبة للإله «رع»، تبعاً لدورته.

(٤٨) Livre des morts, chapitre 136 A-Budge, B.D. P182, l. 6-8

(٤٩) بردية «برمنر رند» British Museum, (n10188)Bremner -Rhind

النص المصرى: R.O. FAULKNER,The papyrus Bremner-Rhind Bruxelles 1933, pp.69-72(1.28/20-29/6)

(٥٠) الإله الجعران، الشمس عند الفجر.

(٥١) الإله الخالق، ولم يكن بعد فاعلاً حيث كان هو ذاته فى وضعه السابق.

(٥٢) عن هذه الأساطير حول عين «رع» راجع ص ٦٠

(٥٣) راجع الهامش رقم ٤٥

(٥٤) الهيئة الشمسية.

(٥٥) راجع الفصل الثانى من الباب الأول.

(٥٦) هرموبوليس هو الاسم الذى اطلقه الإغريق على المدينة بعد ان اندمج الإله الإغريقى «هرمس» مع الإله المصرى «تحوت».

(٥٧) راجع ص ص ٢٢٥ -٢٢٦

(٥٨) «نونت» كلمة مؤنثة تكونت من المذكر «نون». وسوف تتكون الأسماء الأخرى على نفس الوتيرة. ان هذا الخلق المستند إلى قواعد النحو يضمن تآلف الزوجين الأسطوريين

(٥٩) معبد إدفو. Sauneron, Naissance du monde, pp58-59.

(٦٠) ينظر إلى الشمس والقمر فى الغالب على إنهما عينا الطفل البدئى - أو عينا الصقر الذى يعانقه بجناحيه ويندمج معه، عندما يحلق فى السماء، وذلك وفقاً لصورة أسطورية قديمة جداً وثابتة.

(٦١) تتجمع الصور وتندمج فى وعى دينى على درجة كبيرة من الورع. والزهرة هى التى تندمج هنا مع عين «رع». وسوف تكون بعد بضعة أسطر، ذات عينين على شاكلة الشمس التى ترمز اليها.

(٦٢) معبد إدفو. Sauneron, Naissance du monde, pp-59.

(٦٣) تسعى الأشكال إلى تأكيد القدرة الولّادة والجوهر المخصب لكل ما هو أولىّ وبدئىّ.

(٦٤) إصرار مماثل، على التجديد الأبدى لهذا الفجر الأول. و«الأسود» هو لون الطمى الذى يخصب ترب
مصر ويعطيه إمكانيات وجوده. والأخضر، هو لون النبات، بدورته التى لا تتبدل.

(٦٥) ينظر إلى «پتاح» فى هذا النص بإعتباره خالق الثمانية. إنها نظرة تلفيقية، بتأثير عقيدة «منف».

(٦٦) شكل أخر ذو نبرة تلفيقية. الجعران هو أحد أشكال الشمس عند الفجر، عندما يهب الحياة م
جديد كاليوم الأول من أيام الخالق. والكبش هو الحيوان المقدس للإله الشمسى «آمون - رع». إنه
صورة أسطورية ودلالتها المؤكدة تشير إلى الوجود الكامن للإله فى الزهرة.

(٦٧) بردية P. 13603 فى متحف برلين.

Sauneron, Naissance du monde,p58.

(٦٨) ;ethe, Amun und die acht Urgotter, Tafel IV.

(٦٩) ;.Sauneron , Le temple d'Esna, 5vol., le Caire, 1959-1962.
publications de I' Institut français d'arche'ologie orientale du Caire.)

(٧٠) ربما ارتبط هذا اللقب بـ«خنوم»، نظراً لوجود مستعمرة نشطة من الفخاريين فى هذه المنطقة.

(٧١) إشارة إلى التوصة.

(٧٢) لقد تم تقسيم المحيط الأزلىّ إذا صحّ القول. ففى حين ان النيل المنبثق منه كان يؤمن الحياة ل
مصر، فقد طردت بقية مياه الخواء إلى أطراف الكون المنظم.

(٧٣) حول التالق الأبيض للعظام راجع. Sauneron, op.cit., v, p.99, note m

(٧٤) حرفياً: «اولئك الذين فى داخل الجسد»

(٧٥) البلدان الجنوبية.

(٧٦) يمكننا أن نلاحظ فى هذا النص تأثير النظريتين اللاهوتيتين المنفية والهليوپوليتانية - إن تنو
أساليب الخلق المستخدمة توفر له واقعية أكبر، وتتداخل الأساليب وتضاف بعضها لبعض لتؤ
أكثر فاكثر هذه النشأة.

(٧٧) مغارتا جزيرة بيجا، على مقربة من إلفنتين، ومنها على ما يفترض كان يتفجر نهر النيل، المنبع
من «دنون».

(٧٨) أشجار الفاكهة التى تتجدد فيها الحياة كل سنة فتعطى ثمارها، فى دورة لا تتبدل أبداً.

(٧٩) النص المصرى؛ Sauneron, Esna, III, doc. 250, pp. 130-133

(٨٠) لقد اندمج هنا خنوم مع الشمس عبر مسارها النهارى.

(٨١) النص المصرى: Sauneron, Esna, III, pp. 375-376.

(٨٢) هامش نقعلاً عن Sauneron, Esna, v, p.254 d: «وهكذا كان سمك البياض Lates، الذى نعرف الدور الذى كان يلعبه فى شعائر عبادة الإلهة «نيت» واحد الأشكال التى تقمصتها الإلهة، عند بدء العالم. وكانت إسنا تعرف فى الماضى باسم «لاتوبوليس» أى مدينة «لاتيس» (وهو إسمها اليونانى م.)، ومازال فى امكاننا فى الوقت الراهن ان نتجول فى الجبانة الشاسعة للسمك المحنط القائمة فى صحراء إسنا.»

(٨٣) اندماج كامل للمكانين اللذين تقام فيهما شعائر الإلهة سايس فى شمال إسنا («أرض المياه») فى الجنوب وتضفى النزعة التلفيقية «الجغرافية» ثباتاً أكبر على الوحدة الدينية.

(٨٤) «پر ـ نثر»«بيت الإله» هو معبد للمنطقة الريفية جنوب إسنا ومدينة «په» أو «بوتو» هى مكان مقدس فى الوجه البحرى. ان أول ما خلقته «نيت» بعد الخلق البدئى للنور هو توحيد معبدى الشمال والجنوب فى كيان واحد، بعد أن اندمجا. وكما لاحظنا من قبل فإن أساليب الخلق ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببعض التجانس الصوتى للألفاظ: طارت أى «عپا» و «پا» أى ظهرت. (راجع الهامش٣٥)

(٨٥) تجانس صوتى بين «دپ» اى نكهة و«دپ» وهو اسم مكان مقدس فى الوجه البحرى.

(٨٦) مقارنة لفظية جديدة بين كلمة «باك» (عذوبة النور) وكلمة «باكت» وهى من الأسماء التى تشير إلى مصر.

(٨٧) تبدأ عملية الخلق فى الوعى الكامن الذى لم يتخذ بعد شكلاً محدداً والذى تحمله الإلهة فى ذاتها. وسيجرى التنفيذ على مراحل ثلاث: استعراض واختيار أفضل الفاعليات التى سترمز اليها المقاصد الأربعة والإنتقال من الحدس إلى الفكرة، بفضل صياغة ذهنية. ثم التعبير اللفظى الذى سيجلب الواقع المادى لما استشعره الفكر أولاً، ثم تصوره بشكل واضح (الكلمة المستخدمة وهى «سب آك» تعنى حرفياً «يجعله مضيئا» أو «ساطعاً كالشمس»).

(٨٨) شكل من أشكال «نيت».

(٨٩) راجع ص٥٧

(٩٠) منذ زمن موغل فى القدم صاغ علماء لاهوت هليوپولسى تركيباً جمع بين اسماء مختلفة لإله الشمس واللحظات الأساسية من دورته: الفجر والسمت والغسق. ونجد هذا التركيب فى متون الأهرام قبل ثلاثة آلاف سنة.

(٩١) تلاعب جديد بالتجانس الصوتى بين «خم-ن» اى نجهل و«خمنو» أى مدينة الثمانية، اى الأشمونين أو هرموپوليس. إنها بلا شك إستعارة مأخوذة من لاهوت هرموپوليس.

(٩٢) انه نص تلفيقى بالتأكيد ويجمع بين تقاليد لاهوتية متنوعة.

(٩٣) راجع ص٣٢

(٩٤) تقليد منفى.

(٩٥) حول الرقم ١٢٠ راجع الهامش ١٠ من الفصل الأول من الباب الثانى

(٩٦) وهنا أيضاً تحدث لحظة الميلاد عندما يتفجر ما وضع فى الـ «نوو»، عند مستوى السطح، كما لو أن المياه الأزلية، وهى المكان الذى تتجمع فيه القوى الكامنة للأجيال القادمة، لم يكن فى مقدورها ان تحتفظ فى داخلها بالحياة عند ولادتها»

(Sauneron, Esna, v, p255, a)

(٩٧) تجانس صوتى محتمل بين كلمتى «چحر» اى الحزن و«چحوتى» أى «تحوت».

(٩٨) تجانس صوتى بين الفعل «هاب» اى يرسل واللفظ «هب» الدال على «الطائر - إبيس» (أبو منجل) - وهو الشكل المعتاد للإله «تحوت».

(٩٩) «تلاعب» أكثر دقة فى هذا الصدد يعتبر اذن الإله «تحوت» رسول «رع» وحامل كلمته. ولكن اللفظة المستخدمة وهى «مدو-نثر» (حرفياً «الكلمة الإلهية») تدل أيضاً على العلامات الهيروغليفية، التى يعتبر «تحوت» خالقها وإستاذها.

(١٠٠) إنه المظهر المعتاد للبقرات«محيت ورت» وواحد من الأشكال التى تتخذها الإلهة «نيت». هنا، يورد النص تفسيراً متأخر عن موقف البقرات السماوية - والشمس بين قرنيها - وهو تصوير موغل فى القدم.

(١٠١) حرفياً: «محت - ورت»، أى «السباحة العظيمة».

إن ملاحظات «سونرون» Sauneron ، فى شرحه لمجمل هذا المقطع سليمة تماماً وتعبر بكل دقة عن روح النص (Esna, V, PP.268 - 269): «لو استعرضنا نص عملية الخلق فى ترابطها، للاحظنا فى واقع الأمر، أن «نيت» قد تحدثت سبع مرات ... ومن جانب آخر، وبشكل متباين، فإن هذه الأحاديث السبعة، كانت أصل بعض عناصر الخلق : الأرض التى انحسرت عنها المياه – ومدن إسنا و«پر - نثر» و «په» و«دپ» و «سايس» – والشمس «رع»، وكان لعمليات خلق أخرى (الآلهة والبشر والآلهه الثلاثين و«أبوفيس» و«تحوت») أصول مختلفة ... وإستناداً إلى هذا التفسير الخاص بمدينة «لاتوپوليس»، ليست الآلهة – الأحاديث» سوى العنصر الفعال لكلام الآلهه، وقد تفردت فى أعقاب نشاطها فتجمدت على هيئة مبادئ إلهية موتى. إننا نعرف أن هذه الآلهة – الأحاديث السبعة، كانت مدفونة فى جبانة الإلهية فى «پر - نثر».

ومن الغريب حقاً، جنباً إلى جنب مع هذا المسرد ان تتناول بالفحص نص مدينة ليدن المستغلق المعروف باسم «كوسموپوليا» Kosmopalia (Festigiere, la rèvèlation d'hermes Trismègishe PP. 302 - 303) حيث تولد عناصر العالم من سبع قهقهات متعاقبة صادرة عن الخالق : «وضحك الإله سبع مرات، وبينما كان الإله يضحك، ولدت الآلهة

السبعة التى تحيط بالعالم.. وتلك هى الآلهة التى تظهر فى المقام الأول..» يلى ذلك نص طويل يخبرنا من ولد مع كل قهقهة من القهقهات :

(١) «فوس» اى النور

(٢) الماء

(٣) ومن جراء غضب الإله ظهر «نوس» – الذهن – وهو يمسك، قلباً فى يده، وهو الذى أطلق عليه «هرمس» Hermes

(٤) «وچنّا»، ممسكا فى يده «البذور».

(٥) «مويرا» ٠– القدر

(٦) و«كايروس» – الملكية

(٧) «بسيشيه».

ويختلف النصان بالطبع فى تفاصيلهما، ولكن بينهما التناظر من حيث البنية»

(١٠٢) كان المصريون يولون وجههم شطر الجنوب، فى اتجاه منابع النيل، كجهة أصلية، وحسب صورة قديمة جداً، كانت مصر سفينة يتجه قيدومها صوب الجنوب، فى عهد الملكة «حتشبسوت» على سبيل المثال، راجع: Urk., IV, 66

(١٠٣) راجع الفصل الثانى.

(١٠٤) قرب نهاية شهر يونيو، وهو العيد المعروف أيضاً بعيد الثالث عشر من شهر أبيب.

(١٠٥) اسم البقرة، أم «رع».

(١٠٦) بعد أن خلقت «نيت» العالم فى إسنا، عادت إلى مكانها المقدس الذى انحدرت منه ورجعت إلى هيئتها الأولى.

(١٠٧) Sauneron, Esna, III, doc. 206, PP 28-34.

الفصل الثانى

تمرد البشر والكون الجديد

أثار جحود البشر قضية أول عمل قام به الخالق، واضعاً نهاية للعصر الذهبى الذى عاشه معاً البشر والآلهة.

وتقدم النصوص الجنائزية ومدونات المعابد وصفاً لهذه الحلقة الثانية من تاريخ العالم.

١- الإله «رع» :

رحمته وضعف همته.[١]

(أو سفر بقرة السماء)

.... الإله الذى أتى بنفسه إلى الوجود، بعد أن ظل ملكاً على البشر وعلى الآلهة الذين كانوا يؤلفون آنذاك «شيئاً» واحداً، إذا بالبشر يدبرون المؤامرات ضد «رع». بيد أن جلالة («رع»[٢]) - فليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة - كان قد تقدمت به السن. كانت عظامه من فضة و أعضاؤه من ذهب، وشعره من اللازورد الخالص. وأحيط جلالته علماً بالمؤامرات التى كانت تحاك من حوله، بمعرفةالبشر. ولذا، فقد أخبر من كانوا فى حاشيته : « استدعوا من أجلى عينى «شو» و «تفنوت» و «جب» و

«نوت»،[٣] ومعهم فى نفس الوقت الآباء والأمهات الذين كانوا يقيمون معى، بينما كنت لا أزال فى الـ «نوو»، معهم فى نفس الوقت أيضاً، إلهى «نوو»، وليصطحب معه بطانته. سوف تقوم «أنت» بإحضارهم سراً، بحيث لايرا (هم) البشر، فتلوذ قلوبهم بالفرار. وسوف تذهب معهم إلى القصر ليتقدموا (إلىّ) بنصائحهم. ومنذ أن رُفعت (أنا)، بينما كنت (لا أزال) سائراً فى الـ «نوو»، حتى المكان الذى أتيت فيه إلى الوجود، عاونتنى هذه الآلهة.»[٤]

ولماّ (وصل) هؤلاء إلى جواره، خرّوا عندئذ ساجدين فى حضرة جلالته. وألقى خطاباً أمام الآباء الأقدمين، هو الذى كان قد خلق البشر، (هو) ملك الشعب. وأجابت الآلهة على جلالته قائلة: «حدثنا، إلى أن نفهم الأمر.» وقال «رع» لـ «نوو»: «يا إله الزمان الأول، الذى جئت فيه إلى الوجود،أيتها الآلهة الأولية، إن البشر الذين خرجوا من عينى، ها هم يتآمرون علىّ. أخبرونى ماعساكم تفعلون لمواجهةالأمر. انظروا، فإنى ابحث. ولكنى لا أريد قتلهم مالم استمع إلى ما فى وسعكم ان تخبرونى به حول هذا الموضوع.» عندئذ قال جلالة «نوو»: «يابنىّ «رع»، الإله، الأعظم من خالقه، الأقيم ممن شكلوه، إن عرشك لشديد الرسوخ، والرعب الذى تثيره لشديد الوطأة.أرسل أذن عينك[٥] لتتصدى لأولئك الذين يتآمرون عليك.» قال جلالة «رع»: «انظروا إليهم، وقد شرعوا (الآن) يفرون إلى الصحراء،[٦] بعد أن ملك الرعب قلوبهم من جراء ما سأقوله لهم !» «فأجابوا على جلالته: «مُر أن تذهب عينك إليها (الصحراء) وتقضى عليهم من أجلك، فإنهم يخططون لأعمال خسيسة. ولاتوجد عين تفوُق (عينك) هذه، لضربهم نيابة عنك. فلتهبط على هيئة «حتحور». «واتجهت إذن الإلهة إلى الصحراء وأبادت البشر.

وعلى ذلك، قال جلالة هذا الإله:«مرحباً بكِ، فى سلام، (يا) «حتحور» التى أنفذت العمل الذى جئتُ (هنا) من أجله.» وأجابت هذه الإلهة: حقاً وكما أنك تحيا من أجلى، فقد تسلطت أنا على البشر. وكان الأمر لطيفاً على قلبى.» وقال جلالة «رع»: وهكذا سأستعيد سلطانى عليهم بصفتـ (ى) ملكاً، بعد أن تناقص العدد.». وهنا ظهرت «القديرة»[٧] صانعة الجعة[٨] أثناء الليل، التى عبرت فوق دماء (البشر) بدءاً من «هرقليوپوليس». وقال «رع»(أيضاً):«استدعوا من أجلى رسلاً مسرعين وعلى عجلةمن أمرهم، فيسرعون كالظل وراء الجسد.». واحضروا له على الفور هؤلاء

الرسل وقال جلالة هذا الإله:«فليركضوا حتى إلفنتين ويحضروا لى كميات كبيرة من الـ«ديدى»[٩]». فاحضروا له هذا الـ «ديدى». عندئذ أمر جلالة هذا الإله العظيم ان يتولى «المحاصر ـ الذى ـ فى ـ هليوپوليس»(؟) خلط هذا الـ «ديدى». وعلى ذلك، كانت الخادمات تسحن الشعير كما لو كانت تعدّ الجعة. عندئذ اضيف الـ «ديدى» لهذا الخليط فاتخذ شكل دماء البشر. وأعدوا سبعة آلاف جرة من (هذه) الجعة، وذهب جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «رع» فى صحبة الآلهة لمشاهدة هذه الجعة. عندئذ طلع الفجر (المرتقب) لمذبحة البشر (المنتظرة) بمعرفة الإلهة، أثناء أيام السفر بحراً فى اتجاه الجنوب. وقال جلالة «رع»:«ما أحسن ذلك!سوف أتمكن من حماية البشر منها.» وقال(أيضاً):«فلتُنقل الجعة إلى المكان المرتفع حيث من المتوقع أن يُذبح فيه البشر.» كان جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى، «رع» قد نهض مبكراً، فى عز الليل، حتى يسكب هذا السائل الذى يجلب النوم، وهكذا غطيت الحقول بهذا السائل (إلى ارتفاع) ثلاث راحات[١٠] بفضل القدرة الجبارة لجلالة هذا الإله.

ولما وصلت الإلهة عند الفجر، وجدت كل شئ مغموراً (وإذ تراءى لها) وجهها فى الماء، رأتـ (ـه) جميلاً. عندئذ، شربت واستحسن قلبها الأمر. ثم رحلت، وهى ثملة، دون أن تتعرف على البشر. عندئذ قال جلالة هذا الإله «رع» لهذه الإلهة:«مرحباً بك، فى سلام (أيتها) الرشيقة!» وظهرت الجميلات فى (مدينة)«إيماو».[١١] وقال جلالة «رع» بشأن هذه الإلهة: «فليُعدّ (من الآن) سائل من أجلها يجلب النوم فى فترة عيد «السنة» ولتكلف خادماتى (بأن تصنع) ذلك.» وحدث أن صناعة هذا السائل الذى يجلب النوم كان (أيضاً) من اختصاص الخادمات فى عيد «حتحور»، ومن أجل جميع البشر منذ اليوم الأول.

هكذا انقذ «رع» قسماً من مخلوقاته الجاحدة. ولم تنفرد مصر دون غيرها بموضوع هلاك البشرية. إنه موضوع شرقى قديم، نجده فى ملحمة «جلجماش» وفى العهد القديم (من الكتاب المقدس). إن «إيل» الإله العظيم لـ «سومر»، كان قد أهلك هو أيضاً خليقته، عن طريق المياه التى غمر بها الأرض، ولم يُبق إلاّ على زوجين، لجأ إلى جزيرة تم الحفاظ عليها. وهنا كان الحكيم «أوپا ـ نافيستم» يمتلك نبات الحياة الذى فشل «جلجماش» فيما بعد أن يحافظ عليه. و«يهوه»، إله اليهود، قد أغرق هو

أيضا مخلوقاته فى طوفان شامل، كانت ملامحه شديدة الشبه بملامح الرواية السومرية القديمة: الأيام السبعة، تحليق الغراب، وما شابه ذلك. وفى هذه الحالة أيضاً استطاع زوجان بمفردهما ـ هما «نوح» وزوجته ـ وعينات من عالم الحيوان ـ ان يطفوا وحدهم داخل فُلكهم، فوق أكمة، بعيداً عن المياه المدمرة.

والأسطورة المصرية أكثر إنسانية. إن قسماً كاملاً من الخليقة قد تم أنقاذه بفضل رحمة الإله العظيم، الذى رثى لمصير البشر فتحايل لأنقاذهم من الهلاك الشامل. وفى هذه الحالة، كان الطوفان وسيلة للوقاية وليس للموت ـ كما أن المياه هى من مقومات الحياة فى مصر،فى حين أن الأمطار الشديدة الغزارة قد تسبب الخراب والدمار فى حضارات أخرى. ويسترسل النص أيضاً. وينتهى إلى رؤية جديدة للعالم، هى رؤية اكثر شمولاً.

عندئذ قال جلالة «رع» لهذه الإلهة *(حتحور)*: «أيوجد إذن داء (أو) مرض فى وسعه أن يصيب اللهب *(الشمس)*؟ لأنه كما ترون، فقد حلّ (بالنسبة لى) زمن الإعياء.» وقال أيضاً: «حقا، وكما أننى أحيا، فإن قلبى متعب، متعب جداً من البقاء بين البشر. لقد عقدت العزم على أن أقتلهم، ولكنى لم أفعل. إن أعدادهم القليلة لم تعد تثير إهتمامى» فأجابت الآلهة التى كانت فى معيته: «لا تكن مجهداً، لا تكن ضعيف الهمة، فما زلت قادراً، على ما ترغبه.» عندئذ قال جلالة هذا الإله إلى جلالة «نوو»:«لقد وهنت أطرافى لأول مرة، فلا أسير بخطوات واسعة عندما (يحاول) شخص آخر أن يلحق بى.»(١٢) عندئذ قال جلالة «نوو»:«أيا بنى «شو» فلتكن عينيك (١٣) بالنسبةلأبيك هى الحامية له. أيا ابنتى «نوت»، اقيمينى فوق ظهرك.» فأجابت «نوت» قائلة:«ولكن ما السبيل إلى ذلك، يا أبى «نوو»؟»... وتحولت عندئذ إلى [بقرة]. وأقيم جلالة «رع» فوق ظهرها... وأصبح فى وسع البشر أن يروه فوق ظهر البقرة فقالوا له:«سوف نجهز على أعدائك وأولئك الذين يتآمرون على ارتكاب هذا *(التمرد)*. ومع ذلك تحرك جلالته نحو القصر [فوق ظهر] هذه البقرة... وهكذا كانت الأرض فى الظلمات. وعندما لاح الضوء، عند الفجر، خرج رجال يحملون الأقواس والعصىّ، وقال جلالة هذا الإله:«الشرّ فى أعقابكم، (إيها) القتلة احجموا عن القتل...» ثم قال لـ «نوت»:«اقيمينى (أيضاً) على ظهرك حتى ترفعينى» ـ «ولكن ما هذا إذن؟» قال ذلك، فى حين كانت «نوت» قد تحولت إلى إلهة السماء. عندئذ (تحدث) جلالة هذا

الإله مناشداً فى إلحاح:«ابعدينى عنهم، ارفعينى، حتى يشاهدونى (رغم ذلك)، ولو كنت بعيداً فى عالم الآلهة.»

وإذ نظر جلالة هذا الإله «فيها» («نوت» = *السماء*)، قالت:«واه! لو كان فى وسعك ان «تجهّزنى» بأشياء عديدة....[14] الريف هنا هادئ، عندئذ ظهرت «حقول القرابين».[15] سوف ازرع فيها الخضروات، فظهرت «حقول البوص».[16] سوف أوفر لها كل شئ، (ولا سيما) النجوم المتألقة، التى تولد ثم تولد، على الدوام».[17]

فى هذه اللحظة، أخذت «نوت» ترتعش بشدة بسبب الإرتفاع (الشاهق).[18] عندئذ قال جلالة «رع»:«واه! ليت عندى «الملايين» فاسندها!». عندئذ جاءت إلى الوجود الأعمدة «ححو» الشهيرة.[19] وقال جلالة «رع» أيضاً:«يا بنى «شو» خذ مكانك تحت ابنتى «نوت»،[20] واحم من أجلى الأربعة «ححو» (فى الشرق) والأربعة «ححو» (فى الغرب) لتحيا (أيضاً) خلال الليل.[21] ضعها («نوت») فوق رأسك، ارفعها. فقد يتفق ان تُعطى مرضعة[22] لابن أو لابنة. ويتفق (أيضاً) أن يوضع ابن بواسطة أبيه فوق رأسه.»[23]

يلى ذلك وصف ملون للتنسيق الجديد للكون وهذا الوصف هو فى واقع الأمر متن توضيحى للنقش الملون المحفور وسط النص ـ فالأشكال والكلمات تجمع جنبا إلى جنب فاعليتها السحرية.

يقال هذا النص على صورة بقرة. و«الجن ـ «ححو» ورائها. وقوائمها الأربع ملونة وعلى بطنها تسعة نجوم.[24] والذيل يتدلى فى الخلف على قائمتيها .[25] و«شو» تحت بطنها وهو ملون باللون الأصفر، وساعداه ترفعان النجوم، وفى وسطها وضع اسمه، اى «شو» ذاته. وأمام «شو»، بجوار يده، يوجد القارب المقدس،[26] (الذى) يضم دفة وقمرة. وصُوّر القرص فوقه، و«رع» موجود فيه.[27] والشئ نفسه من خلفه، بجوار يده.[28] وضروعها وسط قائمتيها، ناحية الشرق.[29] وجانبها[30] ملون، وسط القائمة. والذى يقال فى الخارج (مدون) بالخط المعكوس[31] :«أنا هو أنا، ولن اسمح أن ينشطوا». وما (يقال) أسفل القارب، وما (يقال) فى المقدمة (مدون) بالخط

المعكوس:«لاتكن متعباً، أيا بنى». وما يقال:«ان وضعك شبيه (بوضع) الـ
الأبدية.» وما يقال هنا:«ابنك موجود بداخلى.[٣٢] الحياة والصحة والإزدهار، فلتـ
هذا الأنف المقدس الذى هو أنفك.» إن ما (يقال) خلف «شو» بجوار يده، ما
:«احميهم». إن ما (يقال) خلفه، بجواره، بالخط المعكوس، ما يقال : يا«ماعت
إننى موجود كل يوم بالتأكيد.» ان ما(يقال) تحت ساعد هذا الشكل الذى تحت
(البقرة) الشرقية، أما ما يقال خلفها، إن ما يقال :«كل الأشياء. قد وضعت
الأختام».[٣٣] ماهو موجود فوق رأسه، أسفل الجزء الخلفى من هذه البقرة، م
موجود بين قائمتيها، ما يقال :«ليته يتم خروجه!» *(خروج قرص شمس الفجر، خ*
جسد البقرة، على مايظن). ما هو موجود خلف الشكلين *(الـ«ححو» الشرقية)*، ما
بين فخذى البقرة و(مايوجد) فوق رأس هذه الأشكال: «الشيخوخة... فلتجـ
المديح...» ما هو موجود فوق رأس الشكلين (الـ«ححو» الغربية)، وما هو مو
بين قائمتى البقرة الأماميتين :«ذاك الذى ينجب، ذاك الذى يسمع، قدرة
الآلهة.»

إن التفرد هو طابع هذه الفقرة من النص، وهى فقرة تقطع تسلسل النص بـ
مؤقتة، لتقدم وصفاً للنقش الذى يصور المشهد الجديد للكون. إنه ينقل ويحدد
دقة موضع المتون التوضحية فى الصورة المنحوتة. وتسترجع هذه المتون بإيـ
الأفعال التى مرت. إن دلالتها غامضة فى بعض الأحوال. الأمر الذى يدعم تد
كاملاً الفاعلية المشتركة فى نظر المصريين، التى تنبعث من الصورة ومن الكلمة.

وبعد ذلك، يتواصل النص ويصف ادخال عناصر أخرى إلى العالم الجديد ـ و
فى هذا النص ان الآلهة قد ابتعدت عن البشر.

وقال جلالة هذا الإله «رع»إلى «تحوت»:«استدع من أجلى جلالة «چب»،
ـول:«هيا سارع على الفور.» فجاء جلالة «چب». وقال جلالة هذا الإله :«
ـابينك، تلك التى فيك.[٣٤] إنها تخشانى منذ أن وجدت، ولكنك تعرف أيضا أنهـ
ون مفيدة. اسرع إذن حيث يوجد والدى «نون» لابلاغه :«احترس من تلك التى

اليابسة وفى الماء.» وفى نفس الوقت أكتب نصاً (تعويذة سحرية) ضد كل أكمة تابعة لثعابينك فتقول :«حذار أن تلمس[٣٥] شيئا». ومن ثم ستعلم أننى هنا وأننى أشرق واسطع من أجلها أيضاً.[٣٦] وسيدوم خلقها هذا، (على وجه) الأرض للزمن اللانهائى. حذار أيضاً من هذا الإفتتان السحرى المشهور الذى تعرفه أفواهها. انظر، فإن الإله «السحر» ذاته موجود فيها، أما من يعرفه، فهو أنت. (أما) أنا، فلن أتعب من الإرتفاع الذى ظهر أمامى فجأة.[٣٧] ولذا فإنى أضمها إلى ابنك «أوزيريس»الذى سيحمى صغارها ويحمل قلوب الأقدمين على النسيان. وتُجدى نفعاً بسبب ما تفعله حسبما ترغب، من أجل الأرض بأسرها، وبفضل الإفتتان السحرى الذى فى أجسادها.[٣٨]

ثم قال جلالة هذا الإله («رع») :«فليُستدع «تحوت» من أجلى.» فجئ به اليه فى الحال وقال له «رع» :«انظر، إنى هنا فى مكانى فى السماء. ومن هذا المكان، سأجلب النور الذى يطرد الظلمات[٣٩] والذى يغمر باشعته، العالم الآخر السفلى كما فى جزيرة «بابات».[٤٠] وأنت سوف تقوم بالكتابة هنا، وتعيد النظام بين السكان الذين خلقناهم، ودبرّوا تمرداً. فأنت الذى ستطرد أولئك الذين سلكوا سلوكاً سيئاً. سوف تحل مكانى، وتكون كاهنى المساعد، فيقول عنك الناس :«تحوت» هو كاهن «رع» المساعد.[٤١] وسوف أعمل لترسل من هم أكثر بسالة منك». وهكذا جاء إلى الوجود «أبو منجل» الشهير هذا، (وهو طائر) «تحوت».[٤٢] وسوف أعمل أيضاً لأمكنك من أن تبسط ساعدك فى حضرة «الأزليين»، الأكبر منك، لأن الخطاب الذى ألقيته (خطاب) جيد». وهكذا أتى إلى الوجود أبو منجل المقدس الشهير هذا، (وهو طائر) «تحوت».[٤٣] وسوف أعمل أيضاً لتحيط السماءين[٤٤] بجمالك وبياضك». وأتى إلى الوجود القمر الشهير هذا، (وهو قمر) «تحوت»[٤٥] «وسوف أعمل على ألا تتوقف عن التجوال فى الـ «حاو ـ نبو».[٤٦] وهكذا أتى إلى الوجود هذا القرد ذو رأس الكلب الشهير (وهو قرد) «تحوت».[٤٧] وهكذا حدث ما حدث.

٢- أبناء الضعف

ونجد أيضاً فى «كتاب الموتى»[٤٨] صدًى لأسطورة الثورة الأولى للمخلوقات فى الفصل السابع عشر من هذا السفر الطقسى الجنائزى. وما يعنينا فى هذا المقام، هو نص مصحوب بشروح متوالية.[٤٩]

«كنتُ الكل، بينما كنتُ موجوداً (من قبل) بمفردى فى الـ «نوو». وأنا (الآن) «رع» ذو التجليات المتألقة، بينما يبدأ فى حكم ما خلقه.» - ترى من يكون؟ - إنه «رع» عندما يبدأ فى حكم ما خلقه، عندما يتجلىّ متألقاً للمرة الأولى، بصفته ملك على خليقته، فى حين أن أعمال الرفع التى يقوم بها «شو»،[٥٠] لم تكن قد وجدت بعد. إنه فوق الأكمة التى فى «هرموپوليس»[٥١] وعندئذ، سلَّم إليه أبناء الضعف الذين كانوا فى «هرموپوليس»[٥٢]

يرجع هذا النص إلى أصول «هرموپوليتانية» واضحة، ولكن تصادفنا فى نفس هذا الفصل إشارات مماثلة لثورة البشر من خلال نص من الراجح أن صياغته ترجع إلى علماء اللاهوت فى «هليوپوليس». الأمر الذى يبرهن بجلاء على أنه، كان هناك، خارج المعتقدات المحلية وكبرى الأساطير الدينية فكر واسع الإنتشار مولع بالصور، وكان متماثلاً فى أرجاء وادى النيل، إذ كان كل مجمع من مجامع الكهنة يؤولها - أى هذه الصور - بما يتفق وتقاليده الخاصة. وكانت تجمع هذه التقاليد فيما بعد على هيئة أسفار كبرى للطقوس الجنائزية، فتقدم تعاويذها العون للإنسان لتستمر حياته فى العالم الآخر، إذ كانت أعدادهاوأصولها المتنوعة هى الضمان لأعظم قدر من الفاعلية السحرية.

«إننى هذا القط الكبير، الذى بجواره تفتحت الشجرة «إشد»،[٥٣] فى

«هليوپوليس»، خلال هذه الليلة التى أبيد فيها أعداء «سيد الكون». من هو؟ إن هذا القط الكبير، هو «رع» ذاته، لما كان طفلاً. لقد أسموه قطًا، عندما قال عنه الإله «سيا»[٥٤] :«أيوجد أحد كمثله فى نشاطه الخلاق؟» ومن هنا جاء اسمه القط.[٥٥] كلمة أخرى :«(لقد حدث ذلك) عندما أعدّ «شو» وصية لصالح «چب» و«أوزيريس». أما عن أنقسام الشجرة «إشد»، بجواره فى «هليوپوليس»، (فقد حدث ذلك) عندما كفَّر أبناء الضعف عما ارتكبوه. أما بالنسبة لليلة القتال الشهيرة هذه، فقد حدث ذلك عندما (سعوا إلى) الدخول فى شرق السماء واحتدم القتال عندئذ فى السماء وفى أرجاء الأرض.[٥٦]

ووسط ضخامة هذا الخيال الجامح الذى صاغ أشكال الآلهة، تظل فكرة واحدة ثابتة: فكرضعف أوضاع الإنسان وصولاً إلى جحود البشر حيال خالقهم. لقد جرى الإعداد للقتال أثناء الليل، وهى الفترة التى تسيطر أثناءها قوى الشر. وسوف يستسلم ضعف البشر الفاسدين فى وجه القوى الشريرة. ويحدث الهجوم عند الشرق، عندما ينبعث «الشمس» (مذكر فى اللغة المصرية القديمة.م.) إما من شجرة «نوت» أو من الأفق ذاته، فى الفترة التى تحل فيها قوى النور الخيّرة محل شياطين الظلمات. وسيكون للخير اليد العليا، لا محالة.

إن سفراً طقسياً كبيراً، مخصصاً فى المقام الأول، لمحاربة الثعبان «أپوفيس»، عدو «رع» (ومحفوظ على بردية«برمنر ـ ريند» Bremner - Rhind ـ وسنعرض له فيما بعد)، إن هذا السفر يبغى بفضل ما يضم من أوراد وتعاويذ، أن يؤكد يومياً على انتصار الخالق وأن يبغى البشر الأوائل المتمردين فى وضعهم الساقط وعديم الوجود.

٣- معركة الإله ضد الأشرار.

إن نصوص الشعائر الدينية المدونة فى المعابد التى أقيمت فى الأزمنة المتأخرة تظل محتفظة بأصداء هذه الأسطورة. ولا ريب أن المقصود من عناصر هذه النصوص الشعائريه هو استرجاع التتابع الخيالى لسياق المعارك الأولى، التى كان يعتمد تاريخها على تقليد قديم، بشكل ملموس، (وكأنها قصيده ملحميه استعراضيه).

ا- فى معبد كوم أمبو. .(٥٧)

عندئذ بلغ «رع» هذه الأكمه (التى) فى الشرق. (الأكمه) التى يطلق عليها «أومبوس»، فى حين كان «تحوت»و«حورس الكبير »[٥٨]، ضمن حاشيته للبحث عن هؤلاء الاعداء الاشرار الذين كانو فيها. واتجه«رع» إلى قصر «أومبوس»[٥٩]، و«حورس الكبير»، سيد« أومبوس» إلى المعبد، و«حورس بن إيزيس »[٦٠] إلى «شيدا بود»[٦١] ، إذ كان مقره فى هذا المكان. واستقروا فيها. عندئذ قال «رع » لـ«تحوت»: «فلتأمروا بأن يوفد من أجلى جاسوس ليبحث عن الأعداء الموجدين فى هذه الأكمه » وانصرف هذا الجاسوس. واكتشف (وجود) مائتين وسبعة وخمسين عدواً عند شاطىء «البحيره» الكبرى [٦٢]، وعلى رأسهم ثمانية قواد معادون ويلتف حولهم جيش كامل. كانوا عند شاطىء «البحيرة»الكبرى، (حيث)كانوا يتقولون على أبيهم، بينما هذا الجاسوس واقف عند شاطىء النهر. عندئذ عاد هذا الأخير إلى جوار «رع» ومعه(تقرير عن) موقف الأعداء. وقال «رع»لـ«تحوت» :«مَنْ مِن الآلهة، هو الإله الذى سيزحف على هؤلاء الأعداء ويثخنهم تقتيلاً دون أن يترك واحداً منهم على قيد الحياة؟» فأجاب «تحوت» :«إن «حورس الكبير» هو الذى يقيم هنا و(هو أيضاً) الإله «شو» بن «رع»[٦٣]. إنه سيد التقتيل على الأرض بأسرها. فليزحف إذن عليهم وليجهز عليهم..» وتم استدعاؤه إلى حضرة«رع» ومنحه «رع » قوته. وأمده بأسلحة القتال وبمختلف تجهيزات الحرب. واصبح وجه، «حورس الكبير» قرمزى

(اللون)(٦٤)، وثارت ثائرة جلالته، وارتعدت جميع أعضائه، لانه استطار غضباً، إذ كانت سكاكينه (٦٥) تهاجم هؤلاء الأعداء الأشرار، إنه الكائن الجسور القلب لدحر المتمردين(٦٦)

ب- فى معبد إسنا.

(فى) اليوم التاسع (من) الشهر الثانى من فصل الجفاف (٦٧)، حضر «رع» إلى المكان الذى يقيم فيه والده«تاتنن»، يصحبه ابنه «شو» بعد أن وقعت الأرض فى اضطراب شديد وانتشرت الحرب عبر السهول والتلال . تم إدخال جلالته من الناحيه الواقعة فى أعلى النهر وإلى الغرب من «پر-نثر»، لحجبه عن نظرات أعدائه. واختفى إذن فى مكان سرّى. وتوارى فى قلب الجبل (الذى اصبح) القصر الكبير جداً للإله الخفى، الذى لا يجوز معرفة ما بداخله.

عندئذ حضر ابنه «شو» لمشاهدته، وشعر قلبه بمتعة عظيمة بعد ان رآه، إذ كان قلبه فى سلام فى قصره. وقال لأبيه :«التسبيح لك! التسبيح لك! يا أبا الآباء، أيها الإله (يا) صاحب الجسد التام (اى الكامل) .» ولذا أطلق عليه «آتوم»(٦٨). كما يقال عنه أيضاً: «أيها الساهر فى اليوم التاسع» لان جلالته كان. يقظاً فى هذا المكان. ولكن فى أعقاب ذلك، سمع المتمردين (ذات يوم) «رع»، وهو يتحدث (ناحية) أعلى النهر وإلى الغرب من «پر - نثر». عندئذ ساروا صوب هذه الأكمة وأثاروا الإضطرابات بين مرافقى «شو» وموكب «رع» بحيث قام هؤلاء بذبح المتمردين فى هذا المكان.(٦٩)

ويلجأ نص آخر من نصوص معبد إسنا إلى أسلوب سبق أن لاحظناه: ويقوم على ربط تقليد محلى بأسطورة عامة. ولن يغيب عن تقليد مدينة «لاتوپوليس» ان يتواءم مع تقليد مدينة «هليوپوليس».

وانطلق «خنوم» ليتصدى لهم، حاملاً أسلحة القتال... وأعمل فيهم تقتيلاً، فسقطوا أسفله فى الماء. عندئذ بدّل من هيئتة واتخذ شكل التمساح.... فخرّ عدوه... وعليه

فقد لا حظ «رع» انه كان سيد القدرة. فاتحد معه فى هذه الحقول وابتهج قلبه، وجعله سيد الريف وأطلق عليه من الآن اسم «خنوم»،[٧٠] سيد الريف. وتلتف «تفنوت» فوق رأسه على هيئة صل، وتتألق الآن على جبينه[٧١] فى هذا الريف الجميل. ومن هنا جاء اسمها «نبتو».[٧٢]

وقال «رع» لأمه: «قلبى مفعم بالسعادة، لأننى شاهدت ابن(ى) «شو»[٧٣] بصفته سيد القدرة وشقيقته «تفنوت» هى الصل الذى يلتف على جبينه.» إن المياه تتحد باليابسة فى هذا الإقليم، ومن ثم أطلق على هذا المكان المقدس «بيت اتحاد اليابسة» أى «برخنوم الريف»

وانتصر جلالته مرة ثانية، فى اليوم الأول من شهر كيهك...[٧٤] وظهر جلالته متألقاً على هيئة أسدٍ بمقدرته الشجاعة.[٧٥] وفى الحقيقة فقد أتى إلى العالم كأسد شرس النظرات، عنيف وشجاع وجامح... يملأ الجبال زئيراً. عندئذ خرج ليتصدى لهم، واستقر وسطهم، بينما جاءت شقيقته «تفنوت» بهيئتها كلبؤة وباسمها «منحيت»[٧٦] لتنتزع رأس أعدائه. وذبح نصف... إذ اتخذ هيئة كبش عدوانى، جياشاً بشجاعته، بساعده القوى الذى يقضى على المتمردين والذى أثخن «أبوفيس» ذبحاً،[٧٧] (الكبش) صاحب القدرة العظيمة فى برنثر»، وخرج منتصراً من جميع معاركه...[٧٨]

وفى إسنا أيضاً خلال عيد خلق العالم، كان القوم يترنمون بهذا النشيد الختامى الذى يستعيد الأمجاد الإلهية، خلال هذه المعركة التى نشبت مع بداية العالم:

تحية لك، أيها التمساح الكبير، الكائن الذى يختبئ فى [الـ «نوو»] لإعادة الشباب إلى جسده، ثم يخرج منه وقد استحال أسداً ليدحر الثوار. لقد امسك بسهامه، وقبض على عصا الحقل ليصرع أعدائه. وهكذا يبعد المتمردين، سائراً بخطوات واسعة فى الريف، فيطلق صيحاته وزئير الأسد فوق التل، ومُجهزاً على الذين فى عداد العصاة. لقد رفع يديه حاملاً العصا، ليصرع المتمردين على جناح السرعة، ممسكاً بالوتد ليرشقه فى (جسد) «أبوفيس»، ممسكاً بالسكين ليقوم بتقطيع جميع

أعضائه، قاضياً على أعدائه، ذابحاً العصاة بكل (ما أوتى من) قوة، صارعاً المتمردين أيضاً،(٧٩) ضارباً عنق الثعبان (٨٠) قاتلاً الكائن الخسيس الطابع، واضعاً فوق خشبة الإعدام الإلهية الثعبان المتوهج الفم، مسيئاً إلى المتآمرين، ساحقاً الأعداء، داهساً أعداء ه بقدميه. ومكانه المقدس يعمه الفرح، بينما هو فوق محفته - (الإله) المنتصر، يومياً!(٨١)

لقد خاض إذن رجال أشرار منذ بداية العالم معركة – وربما معركتين – ولكن الإله الخالق ردهم بسهولة إلى صوابهم، إنها معركة الشر ضد الخير.

انه الخلق وقد خلص من القوة الشريرة التى «انتظمت من جديد مع ذلك. خلق تبقى فيه الآلهة معزولة عن البشر الذين مازال يُخشى من نقائصهم.

إنها أسطورة مشتركة بين مدن مصر العظيمة المقدسة، وذلك على امتداد ألفيات عديدة.

إنه «تأويل» ثانٍ للكون، أو نهاية العصر الذهبى.

شروح وهوامش الفصل الثانى من الباب الأول

(١) هذا النص محفور فى العديد من المقابر الملكية فى وادى الملوك، بطيبة. بل هو موجود جزئياً فى مقبرة «توت عنخ آمون » وبشكل أوفى فى مقابر «سيتى» الأول و«رعمسيس» الثانى و«رعمسيس» الثالث- من ١٣١٠إلى ١١٦٦ ق. م

PiANKOFF, in B.I.F.A.O.

النص المصرى:

(٢) أول ملوك الأرض .

(٣) راجع ص ٣١

(٤) حرفياً :« اصطحبتنى هذه الآلهة »

(٥) عين «رع» هو عنصر هام من عناصر الشخصية الإلهية وقد يتخذ أشكالاً إلهية مختلفة:«شو» و«تفنوت» و«حتحور». ويصبح رسول الإله الشمسى فيكلفه بمختلف المهام .

(٦) المكان التقليدى لقوى الشر والجدب

(٧) البحث عن التجانس الصوتى بين الفعل «سخم» ومعناه «يتحكم فى» واللفظ «سخمت » ومعناه «الشديدة البأس» وهذا اللفظ هو أيضاً إسم الإلهة - اللبؤة، المحاربة - وهى الشكل العنيف للإلهة «حتحور ».

(٨) إشارة إلى بقيه النص حيث سيتم أثنا الليل خلط جعة ذات خواص معينة.

(٩) من الراجح إنها مادة تصبغ بالحمرة. المغرة الحمراء؟

(١٠) يتكون الذراع من سبع راحات، وطول الراحة حوالى ٧,٥سم - فيصبح ارتفاع السائل الذى غطى الحقول أكثر من ٢٢سم.

(١١) تجانس صوتى ثلاثى يجمع بين الكلمات «إمايت» («الرقيقة») و«إماو » (اسم المدينة التى يفسر أصل اسمها تفسيراً شفهياً، أسوة بالعديد من أسماء الأماكن الأخرى) و«إماو» (التألق الشمسى). إننا هنا أمام خلاصة لها دلالتها لإمكانيات الفعل.

(١٢) لعبة تجانس صوتيه معقدة بين الكلمات المصرية التى تدل مخارجها الصوتيه على فكرة الشيخوخة، الأمر الذى يقلل بالتالى من تماسك الجملة من حيث معناها الحرفى. الربط بين الجذر «ياى» (السير بخطى واسعة) والكلمة «ياو» (الشيخوخة)- وبين العبارة «يحت وى» (يّبْلغنى) والعبارة الشائعة «يح ياو» (بلوغ الشيخوخة).

(١٣) تقارب صوتى بين كلمة «إرت» (العين) والفعل«إرت» الذى يعّرف القدرة الخلاقة وإمكانية الفعل. حول «استقلال»العين راجع الهامش رقم ٥.

(١٤) سيقوم «رع» بفضل الكلمة الفعالة«بإمداد»السماء بالحقول والنجوم، وهكذا استكمل أول أعماله

وارتقى به. وقد خلقت السماء فى واقع الأمر على صورة الأرض بحواضر ها وأريافها، وبنهرها وأسوارها.

(١٥) كلمه «حتپ» معناها «أن يكون هادئاً وراضياً». وتدل أيضاً على «تلك التى ترضى» أى القرابين.

(١٦) تقارب بين المخارج الصوتيه للفعل«يار» ومعناه«يزرع» والاسم «يارو» الذى يدل على نبات «البوص».

(١٧) تقارب ضمنى بين الفعل«يخيخ» اى («ليتلألأ») والفعل «أخ أخ» ومعناها اخضوضر مثل النبات. ان قوة الكلمات تخلق مشهداً طبيعياً.

(١٨) بعد أن وثبت الإلهة وثبتها الكونيه العظمى أصابها الدوار وهى واقفة فى أعالى العالم.

(١٩) الاسم «حـحو» الذى نترجمه بكلمه« الملايين» هو جناس لفظى للاسم الدال على عُمد السماء أو دعاماتها وهى الآلهة الثمانية التى ترفع اثنين اثنين البقرة وتكون قوائمها الأربع. ولها فى مقبرة سيتى الأول تصوير بالنقش الملون.

(٢٠) من الآن، سوف يسند «شو» جسد الإلهة بذراعيه المرفوعتين إلى أعلى، فى حركة تشبه حركة الإله الإغريقى «أطلس».

(٢١) زمن انتشار القوى الشريرة.

(٢٢) تجانس صوتى بين الفعل«منع» (ومعناه«رفع») والاسم «منعت» (ومعناه«المرضعة»).

(٢٣) وضع معاكس لوضع العالم الجديد.

(٢٤) وضع النجمات اثنا عشر نجماً. وكان المكان يتسع لهذا العدد. إن أى «فراغ» هو أمر غير مستساغ للعين، فلا يجوز تركه على هذا النحو فى تصوير مصرى.

(٢٥) حرفياً : «هو أمام قائمتيها».

(٢٦) قارب الشمس، حيث يوجد الإله«رع» الذى سيبحر من الآن على صفحة النهر السماوى (الصورة العليا لنهر النيل).

(٢٧) أو :«فيه» ـ قرص الشمس، إن التأويلين ممكنان نظراً إلى أن كلمتى «قارب» و«قرص» هما من نفس النوع (المذكر) فى اللغة المصرية القديمة.

(٢٨) يوجد «شو» فى مركز التكوين الذى تهيمن عليه البقرة الكبرى. ويسند «شو» بطنها وتستقر على الجانبين قوائم الحيوان المقدس (أمامه وخلفه).

(٢٩) القائمتان الخلفيتان بالطبع. ويقال إنها ناحية الشرق، لأن البقرة ستلد الشمس يومياً ولادة طبيعية.

(٣٠) المقصود به هنا، نقش جدارى، ولذا فإن رؤيتنا للضرعين هى إذن رؤية جانبية.

(٣١) نمط من الكتابة المصرية شديدة السرية.

(٣٢) من الراجح أنها من كلمات «نوت»، لأنها ستحبل من الآن من صلب «رع» مع حلول كل ظهيرة، بالشمس الجديد(ة) التى ستلدها يومياً عند الفجر والتى ستتسلل بين قدميها الخلفيتن. (راجع الهامش ٢٩)

(٣٣) هذه الجملة لاوجود لها على النقش الجدارى.

(٣٤) ترتبط الثعابين بإله الأرض، «چب»، ورمزية الثعبان متنوعة: فهو تارة مخلوق عدوانى وخطير بالنسبة للشمس ولكن الثعبان هو أيضاً الصورة الأسطورية للحياة التى تولد على الدوام من جديد.

(٣٥) معنى مادى جداً. ففى الغالب، تكون علامة الأصبعين هى العلامة الملحقة بهذا الفعل.

(٣٦) وهكذا سيتم تحييد عنصر محتمل للإضطراب فى العالم أو عنصر هدم. وستظل الثعابين مخلوقات الإله فى عالم يحاول هو ان يبعد عنه السحر الضار.

(٣٧) لن يهبط «رع» إلى الأرض من جديد.

(٣٨) فى ظل حماية أوزيريس، سيدُ النباتات، سوف ينتصر جانب الخير من الثعبان - الذى يتغذى على عصارة النباتات ويتمثل بالتالى طبيعتها. ومن خلال عملية خلقه «الثانية» يسعى «رع» إلى ابعاد القوى الشريرة. كما نرى أن الثعبان كان أيضاً فى خليقة الإله «يهوه» عنصرا خطراً وضاراً على توازنها. (راجع الإصحاح الثالث من سفر التكوين م.) ويبدو أن «رع» قد حاول من أعالى السماء التى يقيم فيها الآن، أن يبعد هذا الخطر عن الأرض بأن التمس مساعدة «چب» و«أوزيريس»، إلهى الأرض والنبات، السيدين الطبيعيين للثعابين.

(٣٩) الألفاظ الدالة على نور الشمس كثيرة. وغالبا ما يستخدم الاسم «شيسپو» فى سياق النصوص التى تعنى أن الضوء يطرد الليل. أما الاسم «آخو» فانه يشير إلى فيض النور. والمقصود به هنا إذن فعلين متعاقبين ومتكاملين.

(٤٠) جزيرة تقع فى سمت السماء.

(٤١) سيتولى «تحوت»، الإله - القمر - إضاءة السماء أثناء الليل، بدلاً من «رع».

(٤٢) مجموعة جديدة من التجانس الصوتى لتفسير خلق عناصر جديدة. وبين النص «هاب» (أى «يرسل») والاسم «هب» الذى يدل على طائر «الأيبيس»-أبومنجل.

(٤٣) من غير المطلوب ان نبحث هنا عن دلالة نصية، بل عن تجانس صوتى بين الإسم «خن» (اى «الخطاب») والإسم «تخن» الذى يدل على الطائر المقدس للإله.

(٤٤) السماء العليا والسماء السفلى التى تنقل الأولى أسفل الأرض كصورة طبق الأصل.

(٤٥) المعنى مزدوج هنا بفضل مقابلة بين الفعل «إنح» (أى «يحيط») والإسم «إعح» (اى («القمر»).

(٤٦) اسم جزر بحر إيجه او قسم شمالى من آسيا. وفى حقيقة الأمر، فان تحديد الموقع الدقيق لهذا التعبير الجغرافى قد تغير على ما يظن حسب العصور. ولا نفهم يقينا سبب وجوده فى هذا النص.

(٤٧) إذا نظرنا إلى العلامات الصوتية الساكنة المكونة للإسمين لوجدنا أن وجه الشبه بينهما تام. ويعنى الأول «التجوال المستمر»(«عن عن») والثانى «القرد ذو رأس الكلب» («عن عن»). وربما كانت العلامات المتحركة الداخلية وحدها والتى نجهلها فى الوضع الراهن لمعارفنا باللغة، هى التى كانت تميز بينهما. وفى لغة الكتابة، كان «المخصص» هو الذى يميز بينهما («المخصص».علامة تضاف إلى العلامات «الصوتية» للكلمة، وهو يوضح فئة الكائنات أو الأشياء التى تنتسب اليها هذه الكلمة.

والمخصص قيمة بصرية فقط ولا ينطق ابداً - المترجم).

(٤٨) نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، المجلد الأول،ص ٣٦١

(٤٩) النص المصري: Budge, Book of the Dead
I p.53, I, 3-5 (pap. de Nebse'ni)

(٥٠) إشارة إلى ما قام به «شو» عند رفع الإله «رع» إلى أعلى ساعديه، حتى عالم الآلهة. ان «التسلسل الزمني» للأحداث مماثل لتسلسلها في النص السابق. ففي أعقاب ثورة البشر عقد الإله العزم على الإبتعاد عنهم.

(٥١) راجع ص ٣٥

(٥٢) هذا النص نص معدل مختصر وتشبه عناصره النص السابق إلى حد كبير.

(٥٣) البرساء: هي شجرة «نوت» التي تلد الشمس عندما تتفتح مع كل فجر.

(٥٤) إله المعرفة.

(٥٥) تجانس صوتي كامل للعلامات الساكنة بين الإسمين «ميو» أي، «قط»و«ميو» أي «مماثل».

(٥٦) Budge, Book of the Dead, I, P69, 1.54-59

(٥٧) مدينة تقع على بعد ١٦٠كم إلى الجنوب من الأقصر. ويرجع المعبد القائم حاليا إلى عصر البطالمة (القرنين الثاني والأول ق. م.) لقد تم تسجيل المدونات مؤخراً وقام «أدولف جوتبوب Adolhe Gutbub بنشرها.

(٥٨) «هاروييريس» Haroëris هو التصحيف اليوناني للاسم المصرى «حور - ور»، اى «حورس الكبير» - وهو الإله الصقر الشمسي المعبود في معبد كوم أمبو إلى جانب الإله - الصقر سوبك. وكان لكل منهما معبده «الخاص» ولكن العبادتين كانتا مرتبطتين.

(٥٩) معبد «أومبوس» بلا شك.

(٦٠) «هارسييزيس» Harsiesis، وهو التصحيف اليوناني للإسم المصرى «حور - سا - إيزة»، أي «حورس بن إيزيس». إن «رع»، هو إذن في صحبة نائبه «تحوت» و«حورسين اثنين» أحدهما «حورس» شمسي والآخر، «حورس» أوزيري وهما قد يندمجان في طقوس معبد كوم أمبو.

(٦١) مكان مقدس في معبد كوم أمبو. أو ربما اسم المعبد ذاته. ومن ثم من الراجح ان الآلهة الثلاثة قد اتخذت مقامها في كوم أمبو، وقد أطلق عليه أسماء مختلفة.

(٦٢) إنه اسم النهر، دون شك.

(٦٣) نلتقي هنا بالتقليد القديم (راجع ص ٣١) ولكن حدث عملية تلفيقية مع أشكال الهيئة الأخرى.

(٦٤) من شدة الغضب ضد الأعداء. على ما يرجح. ولكن الأحمر هو اللون الذى يلون بشرة المحاربين: سواء كان الإله «مونتو» او الفرعون «رعمسيس» الثاني. راجع
C.LAiouette, Empire des Ramse's, P.377

(٦٥) من الراجح أنها مخالب الصقر.

(٦٦) GuTBUB, Kom Ombo,,I, P. 424

(٦٧) قرب نهاية شهر مايو - وهى الشعيرة المعروفة بشعيرة التاسع من شهر بؤونة.

(٦٨) تلاعب بالالفاظ بالجذر «إتم» ومعناه «يكون تاماً، يكون كاملاً» والذى يدخل فى تكوين إسم «آتوم».

(٦٩) SAUNERON, Esna, III, PP.5-6

(٧٠) شرح اسم «خنوم» الذى يعنى حرفياً:«ذاك الذى يتحد».

(٧١) صفة شمسية على وجه الخصوص وهى الآن صفة لخنوم أيضا.

(٧٢) «نبتو» هو اسم إحدى زوجتى «خنوم» فى إسنا.

(٧٣) تلفيق آخر بين خنوم وابن «رع»، وانضم بالتالى إله إسنا إلى العائلة «الشمسية».

(٧٤) فى فترة فيضان النيل عند نهاية فصل الفيضان.

(٧٥) المقصود به هنا بلا شك هو «شو»، الذى قد يتخذ هيئه الأسد، والذى اندمج هنا مع «خنوم».

(٧٦) اسم الزوجة الثانية لخنوم فى إسنا.

(٧٧) راجع الفصل الثالث من الباب الأول: «مآثر أبوفيس».

(٧٨) SAUNERON, Esna, V. PP 374- 375

(٧٩) ان الترديد الذى لايكل للإستعراض المظفر لمآثر انتصاراته حتى تكاد تكون ترنيمة - يسبغ عليها مزيداً من الصلابة والإستمرارية.

(٨٠) عدو الشمس - مثل «أبوفيس».

(٨١) SAUNERON, Esna, III, PP. 162-163

الفصل الثالث

الأساطير الإلهية

إلهان من بين سائر الآلهة، استطاعا ان يلهما خيال البشر فنسبوا إليهما مغامرات تحمل جميعها عبراً من الحياة: الأول، هو «رع» الإله الخالق، جلّاب الخير، في الزمن الأول. والثاني، هو «أوزيريس»، الإله العظيم الفائدة للنبات والتربة الخصبة. ان الشمس مثلها مثل النبات تولد، من جديد، بلا انقطاع، كل يوم مع كل فصل من فصول السنة. وبالطبع اصبح «رع» و«أوزيريس»، الإلهين النموذجين الضامنين للخلود المحقق. ولكن وكما حدث في زمن بداية العالم، تظل القوى المعادية للنظام والسلام الهادئ. كامنة على الدوام. وستتكرر المعركة الأولى الكبرى، على شكل معارك يومية وموسمية، يكون فيها النصر لقوى الخير.

١-مغامرات الشمس.

ا ـ الرحلة الأبدية.

في الكون الجديد، يتجول النجم عبر السماء، على ظهر الإلهة السماوية، التي قد تسمىّ حسب العصور «نوت» أو «حتحور» أو «إيزيس». وتتم هذه الرحلة على متن قارب تماماً كم يحدث على صفحات «نيل» الأرض. وللشمس قاربان مقدسان تحت تصرفها: الأول للرحلة النهارية على صفحات «نيل» السماء العليا، والآخر في السماء

السفلى، للرحلة الليلية على صفحات النيل السفلى، ويتم الإنتقال من سفينة إلى أخري فى نقطتين محددتين: وهما الشرق والغرب، فى «الأفقين»، وقد رسمت لهما صور متنوعة. ان العلامة الهيروغلفية ـ وهى علامة تصويرية ـ المقابلة لهذه الكلمة تمثل صورة شاملة: يمكن ان تؤخذ على أكثر من محمل، فهى: تلآن يفصل بينهما فى الوسط وادٍ تنبثق منه الشمس ناحية الشرق، مع فجر كل صباح ـ أوشجرتان (شجرتا برساء) سوف تنبسق من وسطهما ناحية الشرق الكرة المنيرة. والحركة ناحية الغرب معكوسة. وهكذا تستمر الدورة المقدسة إلى الأبد.

* يتجلى «رع» متألقاً فى أفقه. إن تاسوعه فى معيته. وعندما يخرج من المكان السرى، تعترى الأفق الشرقى من السماء، رعشة على صوت «نوت». إنها تضفى قداسة على دروب «رع»، أمام «عظيم العظماء» بينما يواصل هو دورته. « انهض إذن، يا «رع» (أنت) الذى فى مقصورتك، لتستمتع بالنسيم وتستنشق ريح الشمال وتبتلع «العمود الفقرى»،[١] وتستحوذ على النهار فى شباكك وتتنفس «ماعت» وتنظم جماعتك، بينما يبحر قاربك المقدس ناحية السماء السفلى. العظماء يرتعدون (عند سماعهم) صوتك. أنت تأمر عظامك وتجمّع أعضاءك[٢] وتولّى وجهك شطر الغرب الجميل. وهكذا تعود كل يوم (وأنت) جديد يا سيّد المتعة. إنك هذه الصورة الذهبية التى تسند القرص كله. إن أرجاء السماء ترتعش عندما تعود، كل يوم (وأنت) جديد. إن الأفق فى فرح وأولئك الذين بين حبال (قاربك) مغتبطون.»[٣]

وصورة الفجر أشبه بفتحة عريضة فى الكون العلوى تطل منها على قوى النور الخيرة ونسمات الريح:

السماء تنفتح، الأرض تنفتح، الغرب ينفتح، الشرق ينفتح، كما ينفتح هيكلا الوجهين القبلى والبحرى، الأبواب والمصاريع تنفتح، من أجل «رع»، عند خروجه من الأفق. بابا قارب الليل ينفتحان من أجلى، بينما ينفتح من أجله مصراعا قارب النهار. انه يتنفس «ماعت».[٤] إنه يخلق «تفنوت»، فى حين يتبعه رفاقه. [٥]

إن «رع» نور الأحياء على الأرض، سوف يواصل رحلته على صفحة «النهر - العلوى»، فى أملاكه العليا، فيعبر حقوله، شأنه شأن أى مصرى. لقدتشكلت السماء العلويةوالسماء السفلية كصورتين للأرض، وإن كانتا أيضاً معكوسة فقط. إنه كون قائم على الشفافية والتناظر بل والتطابق تقريبا . فى هذه الحقول، نجد أن الأكمات (كتذكرة«للأكمة الأولية») آهلة بالوجود الإلهى. ومنها، الأكمة الخضراء التى يقيم فيها «حور - آختى» («حورس» الأفقين» فى هيئة شمسية):

* حقل البوص جدرانه من نحاس،[٦] ويرتفع نبات الشعير فيه، إلى خمسة أذرع،.[٧] وسنابله إلى ذراعين، وسيقانه إلى ثلاثة أذرع. ويرتفع نبات العلس فيه، إلى سبعة أذرع. وسنابله إلى ثلاثة أذرع، وسيقانه إلى أربعة أذرع. إن الأبرار الذين طول كل منهم، تسعة أذرع (*هكذا*)، هم الذين يقومون بالحصاد إلى جانب «حور - آختى».[٨]

(إنه كون، وإن كان خيالياً، الأ أنه محدد بكل دقة).

عندما تختفى الشمس فى الغرب عن أعين الأحياء، يسطع فجر جديد فى الغرب للأموات الذين يتزاحمون عند شاطئ «النهر السفلى»، فى انتظار هذا النور الذى يعبر فى «سفينته الليلية»، فيعطيهم الضوء والنسمات لحظة من الزمن. إن «رع» له فجران للحياة، فجر للأحياء وفجر للأموات.

* أنت كامل كل يوم، (يا) «رع»، أمك «نوت» تعانقك، بينما تغرب فى تؤدة، فى أفق «مانو»،[٩] وأنت مسرور القلب. الموتى المبجلون هم فى فرح عندما تنشر ضياءك هناك، من أجل الإله العظيم «أوزيريس»، حاكم الزمن اللانهائى. [١٠] إن أولئك الذين يمتلكون مقبرة، تقدم سواعدهم الثناء والتهليل لـ«كا» ئك، داخل مقابرهم المنحوتة فى الصخر ويرفعون لك كافة التماساتهم، بعد أن تتألق من أجلهم [١١]. لقد هدأ قلب

سادة الـ«دوات» (١٢) واستكان، بعد أن أثارهم ضياؤك الحانى، و تنفتح أعين أهل الغرب عندما يرونك وتلتهب مشاعر قلوبهم، كلما استطاعوا أن يتأملوك. كما أنك تستمع إلى التماسات أولئك الذين فى التابوت، وتُبعد عذابهم وتطرد آلامهم وتمنح انفسهم نسمه (الحياة) وهكذا يمسكون أيضاً حبال قاربك فى أفق «مانو»(١٣). انت كامل، كل يوم، (يا) «رع»، وأمك«نوت» تعانقك.(١٤)

لاتتم رحلة الشمس بلا معوقات. إن القوى الشريرة، التى تسعى حثيثاً وراء الفوضى، تتجسد على وجه التحديد فى هيئه ثعبان، سيعاود هجومه، كلما قامت الشمس برحلة العبور، كان الثعبان أيضاً فى نظر البشر خالداً، لأنه يولد من جديد كلما غيّر جلده. أجل، إنه خالد على ما يبدو، ولكنه سهل المنال ويُقهر على الدوام.

* أما عن هذا الجبل «باخو» الذى يستخدم ركيزةً للسماء، فهو قائم إلى الشرق منها. ويبلغ طوله ثلاثمائة ذراع، وعرضه مائة وخمسين ذراعاً. ويقيم «سوبك»، الإله- التمساح، سيد«باخو»، شرق هذا الجبل، ومعبده من الحجر الـ«حرست»(١٥). وعلى قمه هذا الجبل ثعبان طوله ثلاثون ذراعاً. إن ثمانية أذرع من مقدمة جسده هى من حجر الصوان .... واسمه هو«ذاك الذى فوق جبله، ذاك الذى فى لهيبه»(١٦). وبعد أن توقفت (الشمس) لحظه، فى سمت (السماء)، (حدث) أن صوب هذا الثعبان نظراته إلى«رع». عندئذ تعطل القارب فجأه وأصاب مساره فوضى شديدة. (وبالفعل) كان (الثعبان) قد أبتلع سبعة أذرع من المياه العظمى وأطلق«ست» (١٧) عليه حربته النحاسيةوأجبره على أن يلفظ ما ابتلعه. ثم وقف أمامه متحدثاً برقى سحرية:«ليت الرأس النحاسى الذى فى يدى يدفعك إلى أن تستدير إلى الوراء. إنى انتصب أمامك، لتعود ملاحة(القارب ملاحة) سلسلة. أنت الذى شاهدت(الشمس) وإن كنت بعيداً، اخفـ رأسك الآن حتى أتمكن من الإبحار من جديد، استدر امامى إلى الوراء. أنا الذكر الذى سيحجب وجهك ويبرّد شفتك، من أجل البقاء مزدهراً، لأننى مزدهر. أنا(العارف) الكبير للرقى السحريه، (أنا) ابن «نوت». إنى اضع فاعليتى فى مواجهتك. ترى ما هى هذه الروح التى تمشى على بطنها وعلى مؤخرتها وعلى

فقراتها ؟ انظر إنى امضى الآن وقوتك فى يدى،فأنا ذاك الذى يحمل القوة. لقد حضرت لاهتم، بدلاًمن«رع»، بأمر الـ«أكرو» (١٨)، وليكون هو فى سلام، عند المساء بعد أن ينتهى من دورته،فى السماء العليا . والآن تدثرك الأربطة، وهوما كان قد رتب ضدك، من قبل. هكذا سيغيب «رع»،حياً فى أفقه.»(١٩)

***

من بين هذه الثعابين الضارة، فإن الثعبان الذى نعرفه اكثر من غيره، وأكثرها شهرة فى قصص المغامرات الشمسية، هو الثعبان «عاپيپ» الذى صحّف الإغريق اسمه إلى «أپوفيس».

وقد عثر على نص طويل مدون على بردية(هى بردية«برمنر - ريند» - (Bemner (Rhind) ويقدم هذا النص عرضاً للمعارك ويستعرض على وجه الخصوص قائمة بالتعاويذ اللازمة لهزيمة الكائن المثيرللفوضى.

ب- مآثر «أپوفيس» أو الهزيمة اليومية للشرّ.(٢٠)

بداية الكتاب المكرس لسقطة «أپوفيس»، عدو «رع» وعدو«ونن-نفر»(٢١) -ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! (يا) صادق -القول».(طقس) يقام كل يوم على امتداد (النهار) فى معبد «آمون- رع»، سيد عرشى القطرين، فى الكرنك.

تعويذة للبصق على «أپوفيس». كلمات تقال :«فليبصق الناس عليك، يا«أپوفيس»!» تقال هذه الكلمات أربع مرات. (يفعل)ذلك لصالح «رع» و«كا»ه، يفعل ذلك لصالح فرعون و«كا»ه(٢٢).«لقد أقبل «رع» قوياً. لقد أقبل «رع» باسلاً. لقد أقبل«رع» متحمساً. لقد أقبل «رع» مجهّزاً. لقد أقبل «رع»فى فرح. لقد أقبل«رع» كاملاً. لقد أقبل «رع» بصفته ملك الوجه القبلى. لقد أقبل«رع» (أيضاً) بصفته ملك الوجه

البحرى. لقد أقبل «رع»فى سرور. لقد أقبل «رع»، مظفّراً[٢٣]. آه ! احضر إلى جانب فرعون- فليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! لكى يصدّ من أجله جميع أعدائه، كما أنه من أجلك صرع «أپوفيس»،(كما أنه) من أجلك قطع «الشرير»تقطيعاً، ويقدم المديح لقوتك، ويكرمك فى كل تجلٍ من تجلياتك الوضّاءة، التى من خلالها تشرق متألقاً من أجله، كما أنه يصرع أعداءك من أجلك، طوال كل يوم. »

* تعويذة لسحق «أپوفيس»بالقدم اليسرى :«انهض،أيها (الإله)«رع» وصدّ أعدائك. تألق، أيها (الاله) «رع» لأن أعداءك قد اجهز (عليهم).انظر، إن فرعون-فليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! - قد صرع من أجلك كل اعدائك، أيها (الإله)«رع» اطرد جميع أعدائك، أمواتاً كانوا أم أحياء. انظر، إن « رع » له سلطان عليك، يا «أپوفيس» !إن أواره المتوهج يتفجر ضدك، إنه يتمكن منك، حرارته المحرقه تشتد عليك، النار تنزل على جميع أعداء«رع».» تقال هذه الكلمات أربع مرات. «فلتنزل النار أيضاً على أعداء فرعون. تمكّن من أعدائك، أيها (الإله)«رع»، ليتك تستطيع بالتالى أن تروح وتغدو(فى حرية)فى أفقك. إن أولئك الذين على متن «سفينة الليل» يعبدونك، وطاقم سفينتك المقدسة فى فرح، ليتك تتجدد فتبدو متألقاً، فى سرور، فى قلب «سفينه النهار». الثناء لك يا«رع-حور-أختى».(وهى كلمات) تقال أربع مرات.

تعويذة للإستيلاء على الحربة لضرب «أپوفيس». كلمات تقال: «لقد امسك «حورس»[٢٤] بحربته النحاسية لقطع رؤوس أعداء«رع». لقد أمسك «حورس» بحربته النحاسية لقطع رؤوس أعداء فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ! انظر لقد أمسك «حورس» بحربتة النحاسية وضرب الأعداء فى قيدوم قاربه. انهض إذن أيها (الإله) «رع»، عاقب هذا الذى تمرد عليك، قطّع «أپوفيس» بالسكين تقطيعاً، للإجهاز على جماعة «الشرير». انهض أيها الفرعون، عاقب هذا الذى تمرّد عليك، قطّع «أپوفيس» بالسكين، للإجهاز على جماعته. تعال، أيها (الإله) «رع»، فى بهائك الوضاء، فأولئك الموجودون فى هيكلهم[٢٥]، يتعبدونك، وسيعبدونك فى كمالك. انهض

وتألق، فلا أعداء لك من الآن، ومقدرتك السحرية سوف تحمى جسدك. إن فرعون يعبد «رع» ويرمى«أبوفيس»، إنه يُلدغ فى وسط ظهره. واه! لقد سرت النار فى «أبوفيس»! بحربته ويقبض على اللهب، ليشعل فيه النار، إنه ينزل العقاب بجثة عدوك، إن النار فيك، ولهيبها فيك، والنار هى أيضاً فيكم، يا أعداء فرعون(٢٦)،وسوف تلتهمكم. انهض إذن، أيها (الإله) «رع»، وانزل العقاب بمن تمرد عليك، اشعل النار فى «أبوفيس» ! إنه يُلدغ فى وسط ظهره. واه ! لقد سرت النار فى «أبوفيس» ! والآن يبحر «رع» فى انسجام مع الريح المواتية، فى حين أن طاقمه مفعم بالبهجة وأهل الأفق فى فرح عندما يرونه. لقد صرع عدوه، والنار أمسكت بـ«أبوفيس»«المزمجر»«الشرير»، فلن يعرف الراحة والسكينة أبداً.

أيها (الإله) «رع-حور-آختى» أدر وجهك الجميل صوب فرعون-فليكن حياً ومزدهراً وفى صحه طيبة ! صدّ جميع أعدائه من أجله. وسوف يعبد «رع»، بالحقيقة. «ومثلما انتصر «رع» على «أبوفيس» - تقال (هذه العبارة) أربع مرات-«سوف ينتصر فرعون على أعدائه». تقال هذه العبارة أربع مرات.(٢٧)

****

ينبغى تلاوة هذه التعويذة على (صورة) «أبوفيس» مرسومة بالمداد الأخضر على برديه ناصعة البياض توضع على النار فتأتى عليها، فى حضرة «رع» عند ظهوره فى الفجر، وفى الظهيرة وفى المساء أيضاً وهو يغرب حياً فى الأفق، وفى الساعة السادسة ليلاً، وفى الساعة الثامنة نهاراً، وفى نهاية المساء، وإلى أن تنتهى كل ساعة من ساعات النهار والليل، وفى عيد «غرة الهلال»ويوم عيد الشهر، وفى عيد اليوم السادس، وفى عيد اليوم الخامس عشر ،وكذلك كل يوم(٢٨). «لقد سقط «أبوفيس»،عدو «رع» الذى كان يفجر العاصفة فى السماء. والآن يتألق «رع». لقد سقط«أبوفيس»، بالحقيقة. سوف يُحرق فوق محرقةمن حطب نباتى، وتوضع رفاته فى إناء للتبول ويجمع فى كومة رماد وحيدة.(٢٩) كما ستتصرف طبقاً لهذه التوجيهات، فى الساعة السادسة ليلاً والساعة الثامنة نهاراً، بمعنى :أن يوضع «أبوفيس» فوق محرقة،

ويبصق عليه عدة مرات، مع بداية كل ساعة (من ساعات) النهار، وحتى حلول الغسق. وبعد ذلك، وخلال الساعة السادسة (من ساعات) النهار، ستضع «أپوفيس» على النار، مع البصق عليه وسحقه بالقدم اليسرى، (ويتم بالتالى) دحر «المزمجر» الخسيس الوجه. وسوف تعمل بالمثل فى الساعة الثامنة (من ساعات) النهار، للحيلولة بهذه الطريقة دون قيام «أپوفيس» بالهجوم على «سفينة الليل» كما ستعمل أيضاً بالمثل عند جيشان السحب فى شرق السماء وعند غروب «رع» حياً فى الغرب لمنع «الحمراء»[٣٠] من أن تحلّ فى شرق السماء. ستفعل ذلك عدة مرات، لمنع هبوب العاصفة، لمنع إثارة الإعصار فى السماء، ستفعل ذلك عدة مرات، ضد العاصفة. عندئذ سيتألق قرص «رع». لقد سقط «أپوفيس»، بالحقيقة.

سيكون الأمر خيرا، لمن يقيم هذه الشعيرة على الأرض. كما سيكون خيراً لعالم تحت الأرض. ومن ثم تعطى القوة لهذا الرجل الذى فى إمكانه الإرتقاء إلى الوظيفة (التى يشغلها) رئيسه (فى الوقت الراهن). وهو ما سيتيح له بالحقيقة، ان ينجو من كل الأشياء الرديئة والشريرة، لقد كان فى وسعى أن ألاحظ ما كان قد حدث لى.»[٣١]

السفر الأول[٣٢] المكرس للإجهاز على «أپوفيس»، عدو «رع». كلمات تقال: «انكفئ على وجهك، يا «أپوفيس» إيها الخصم الخسيس (للإله) «رع». استدر إلى الخلف، أيها العدو، أيها الثائر، الذى بلا ساعدين وبلا ساقين. سوف يبتر الجزء الأمامى من جسمك، وعناصر وجهك. لقد سقطت. لقد هلكت. إن «رع - حور - آختى» هو الذى أجهز عليك، لقد طردك، لقد أدانك. إن «العين»[٣٣] التى تنتمى إلى جسده هى التى عاقبتك. وقد سقطت بسبب النار الصادرة عنها، بسبب اللهب الناتج من حرارتها والذى يظهر فى الوقت (المناسب). وكانت حرارته موجهة ضدك. ويُطرد غضبك على يدى «إيزيس» بفضل كلمات فمها الخيّرة،[٣٤] ومن ثم قُطع «با»ؤك[٣٥] بالسكين، وبترت فقراتك. لقد فرض «حورس» عاهتك ويحتفظ بك أبناء «حورس» سجيناً، أنت الذى كنت قد أبدت لحظة (وصولهم). استدر إلى الوراء! استدر إلى الوراء! استدر إلى الوراء! إلى الوراء! إلى الوراء! لقد سقطت يا«أپوفيس»، لقد تقهقرت، لقد استدرت إلى الوراء. التاسوع الأعظم الذى فى «هليوپوليس» يجعلك تتراجع أيضاً.

لقد أسقط «حورس» غضبك، و«ست» جعل لحظة (هياجك) غير ناجحة، و«إيزيس» تصدك و«نفتيس» تقطّعك بالسكين تقطيعاً. إن التاسوع الأعظم الذى يقيم عندقيدوم قارب «رع»، يجعلك تتراجع، بعد أن طعن «ست» رقبتك، وأبناء «حورس» يرشقون حرابهم فى جسدك، كما تصدّك هذه الآلهة حارسة البوابة السرية وأنفاسها المتوهجة تخرج وكأنها النار، تقهقر، استدر إلى الوراء فى مواجهة أنفاس النار الصادرة من فمها. اسقط، ازحف، يا«أبوفيس»! تقهقر، استدر إلى الوراء، ياغريم «رع»! لأنك سقطت من زمانه، وأولئك الذين فى سفينته المقدسة يجهزون عليك أيضاً. إلى الوراء! لقد طردت منك الأرواح الشريرة، لقد أبعدت، لقد طردت من زمانك. اسقط إذن! إستدر إلى الوراء! ان «با»ءك يستدير إلى الوراء، إن لحمك ينتزع منك، وتفرض عليك العاهات، وتمزق إرباً، وتبتر ويستبعد غضبك وتنتزع منك قدرتك على المشى ويضرب لحمك وأعضاؤك بالمثل، ويفصل «بأ»ؤك عن «ظلك»،[٣٦] ويفنى اسمك[٣٧] وقدرتك السحرية قد استبعدت، لقد اصابك الدمار. اسقط! لقد سقطت! ولن تخرج من مكان ابادتك هذا، للزمان الأبدى وللزمان اللانهائى. أنت عاجز. لقد تجددت أربطتك. أنت فى حراسة من يحرسون الأمراض. لقد استبعد زمانك ويعود غضبك إلى حيث كان. ويعرقل «رع» خطاك وتستبعد من عرينك. اسقط! تراجع! لأنك وقف على الشّر! ذاك الذى يُحرس (بضم الياء) هو محروس حراسة مشددة، ولن تظهر أفعاله أبداً. لقد دُمرّ «با»ؤك، وقضى على ظلك، وأوقفت على «عين حورس» المتوهجة. وسلطانه عليك، ويلتهمك حتى أطراف وجهك. لاتوجدنّ أبداً، يا «أبوفيس». لقد أمطرك بوابل من السهام، لقد أجبرك على التراجع، لقد دمرك، لقد وضع نهاية لوجودك.»

....

القسم الثانى المكرس للإجهاز على «أبوفيس»، عدو «رع» :«انكفئوا على وجوهكم، ياأعداء «رع»! أيا جميع المتمردين، المناوئين، «أبناء الضعف»، الكائنات ذات القلب الخسيس، الثائرين الذين بلا اسم، المقتولين الذين أرادوا أن يرتكبوا مذبحة! لقد صدرت الأوامر بإبادة الكائنات ذات القلب الخسيس، تلك التى دبرت التمرد، الثائرين الذين سعوا إلى اشاعة الفوضى.[٣٨] اسقطوا إذن! اسقطوا خلال زمن «رع»! إنه يبيدكم، إنه يجهز عليكم، إنه يقطع رؤوسكم. على وجوهكم! انظروا، إنه هو

الذى يُدمركم، إنه هو الذى يذبحكم. يا من أردتم ان تُدمروا، فلتُدمَّروا! فلتـبـادوا! لن توجـدوا أبداً، لن تكونوا أبداً، لن تعـودوا إلى الوجـود أبداً، لن تحـيـوا أبداً. سـوف تنتزع رؤوسكم، وتدق أعفاقكم، وتبتر فقراتكم، وتكون العاهات من نصيبكم، ويتولى القوم ذبحكم.سوف تسقطون بسبب «عين حورس»، فلهيبها «نافذ» فى مواجهتكم. والنار سـوف تمسك بكم. و«عـين رع» المتـألقـة، سـوف تنهض ضـدكم. وقـوة «رع» سـوف تتـسلط عليكم. وعـينه، سـوف تتـسلط عليكم. وباسـمـه المقـدس «النار الملتهبة»سوف يلتهمكم، ويعاقبكم. وباسمه المقدس «سخمت»،[٣٩] سـوف يتـسلط عليكم. وتسقطون بسبب النار التى له، فما يصـدر عن هذه النارمن لهب، لايحتمل. سـوف تهلككم أنتم الهـالكون، الهـالكون. النار تنبـعث ضـدكم، (يا) أعـداء «رع» الثـائرين علـى «حـورس»،(ومـن ثم) علـى «با»ئكم، وأجـسـادكم وأطيـافكم. إن النار تنبعث، فتكويكم، وأوارها يحرقكم، وحرارتها تأتى عليكم. إنها «تشق» شقاً،[٤٠] إنها تشقكم، إنها تفترسكم، إنها تيبسكم، إنها تأتى على «با»ئكم. ويحمل لهيبها العقاب (حتى) إلى أطيـافكم. أنتم، يا من أردتم ان تبيـدوا، فلتبـادوا! إنكم تُطردون طرداً! سوف تحرقون، وتقطعون تقطيعاً، ويتولى القوم ذبحكم، لقد خُصص لكم موقد اللهب العظيم، سيد الحرارة. وضياؤه يلتهم «با»اتكم، وتوهجه يعاقب أجسادكم، وفى أتونه العظيم ـ يحشركم حشراً، وبسكينه يقطعكم، وضدكم يستشيط غضباً، ويستهلككم غذاءً لأتونه، ويصليكم بلهبه، ويحرقكم حرقاً، ويصليكم صلياً، ويمسك بكم بقبضة من نار. سـوف يحطمكم باسـمـه المشـهـور:«اللهب ـ الذى ـ يحطم»،[٤١] ويشقكم شقاً باسـمـه:«اللهب ـ الذى ـ يشق». سـوف تتـسـاقطون بسـبب أتونه، فـشـديد هو اللهب العظيم القائم فى ناره. وضياؤه سوف يلتهم «با»اتكم.

أنتم الذين كان فى نيتكم أن تقتلوا، فلتُقتلوا!. لقد سقطتم وأُجهز عليكم! اسقطوا بسبب «رع»! اسقطوا بسبب الغضب الذى يتملكه! ولتهلكوا بسببه، ولتهلكوا! سوف يقضى عليكم، سوف يُجهز عليكم، سوف يُقطّعكم تقطيعاً، سوف يُدينكم، سوف يُهلككم، سوف يُبيد أسماءكم، سوف يبتر «با»اتكم، سوف يسجنكم، سوف يقضى عليكم، سوف يَرْدَعكم، سوف يعاقبكم، سوف يجهز عليكم، سوف تسقطون بسبب لهيبه الفتاك، سوف يقضى عليكم. وعلى ذلك، فلا وجود لكم أبداً! أنتم يا من كنتم تريدون الإهلاك، فلتهلكوا هلاكاً! فلتهلكوا، فلتهلكوا، ليهلك «با»ؤكم! فلتهلكوا، وليهلك

جسدكم! فلتهلكوا، وليهلك طيفكم! فلتهلكوا[٤٢] ! لن توجدوا أبداً. ولن يوجد «با»ؤكم أبدا. لن توجدوا أبداً. ولن يوجد طيفكم أبداً. لن توجدوا أبداً، لن توجد حياتكم أبداً. لن توجدوا أبداً، لن توجد قدرتكم الجنسية أبداً. ورؤوسكم لن تتصل بأجسادكم، أبداً.

إلى الوراء، إذن، بسببه! استديروا إلى الوراء، إيها المتمردون! لا توجدوا أبداً! ليت الإله «تحوت» (يوجه) قدرته السحرية ضدكم! إنه الإله[٤٣] شديد البأس عند مواجهتكم. إنه يقهركم، ويحمل الناس على كراهيتكم، فاللهب المنبعث من فمه تتوجه إليكم، احترقوا إذن، أيها المتمردون! لا توجدوا أبداً! إن «تحوت» بما له من قوة سحرية هو ضدكم. إنه يصرعكم، إنه يقطعكم تقطيعاً، إنه يقضى عليكم، إنه يخصكم بالنظرة الملتهبة المنبعثة من «عين حورس». وهذا الأخير يلتهمكم حتى أطراف وجهه، إنه يقضى عليكم بعظمته المشتعلة. ولن يكون فى الإمكان صده فى اللحظة التى يسعى قلبه (إلى عمل ذلك) باسمه «مريت».[٤٤] ولتبادوا، إذن بسببه! استديروا إلى الوراء بسببه! استديروا إلى الوراء! استديروا إلى الوراء، بسببه! إلى الوراء، بسببه! أيا أعداء «رع» و(يا) أعداء «حورس»! سوف يرشقكم بسهامه، سوف يدفعكم إلى الخلف، سوف يأتى عليكم ـ سوف يبيدكم بسببه، سوف تذبحون بسببه، ولن تعرفوا أبداً الإنتصاب، ولن تطأوا (امرأة) أبداً، للزمن اللانهائى، الزمن اللانهائى.

إن رع منتصر، إن الحقيقة والعدالة ضدكم، يا «أپوفيس» و(يا) «أبناء الضعف» الشديدى الجبن. إن «رع» ينتصر على أعدائه. (تقال هذه الكلمات) أربع مرات.[٤٥] إن «أوزيريس»، أول أهل الغرب، ينتصرعلى أعدائه. (تقال هذه الكلمات) أربع مرات. إن فرعون، ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة، ينتصر على أعدائه.«(تقال هذه الكلمات) أربع مرات.

لقد صرعت «أپوفيس»، والمتمرد، والسلحفاة، والكائن الخسيس القلب، وأبناء الضعف فى شتى منازلهم، وفى كل مكان يوجدون فيه. لقد أجهزت على جميع أعداء «رع»، فى شتى منازلهم، وفى كل مكان يوجدون فيه. لقد صرعت كل أعداء «حورس»، فى شتى منازلهم، وفى كل مكان يوجدون فيه. لقد اجهزت على أعداء «آمون ـ رع»، سيد عرش القطرين، الذى يتسيد الكرنك، فى شتى منازلهم، وفى كل مكان يوجدون فيه. لقد صرعت أعداء «پتاح»، «ذاك ـ الذى ـ يوجد ـ جنوب ـ

جداره»،[٤٦] الإله سيد حياة الأرضين، فى شتى منازلهم، وفى كل مكان يوجدو
(لقد سلكت) على النحو ذاته، فى مواجهة جميع أعداء «آتوم». وعلى النحو ذا
مواجهة جميع أعداء «تحوت»، رب «هرموپوليس» وعلى النحو ذاته، فى مواجهة
أعداء الإلهة «يوسعاست»[٤٧] سيدة(؟) والإلهة «حتحور»، سيدة «حت إيت»[٤٨
«آتوم». جميع أعداء «حورس»، رب «أتريبس»، جميع أعداء الإلهة «خاوت»، زوج
جميع أعداء (الإلهة) «باستت»، سيدة «بوباستس». جميع أعداء «أوزيريس
«بوزيريس». جميع أعداء «باوبدد»، الإله العظيم، حياة «رع». لقد أجهزت على
أعداء الإله «اينحرت – شو»، ابن «رع» وأعداء «حورس» القوى الساعد، .
أعداء «أمون ـ رع» الذى يتحد بإله «بحدت».[٤٩] جميع أعداء «أنوبيس»،
«سيوت»[٥٠] جميع أعداء الإله «سوپد»، سيد الشرق.[٥١] جميع أعداء «حورس»
«شدنو»[٥٢] جميع أعداء «حورس» الذى يقيم فى (؟). جميع أعداء «حورس»
الأرضين وسيد «تيدد».[٥٣] جميع أعداء «حورس» فى مدينة «په» وأعداء
«واچت» فى (مدينة) «دپ».[٥٤] جميع أعداء «حر ـ ور» (حورس الأكبر)، سيد
القبلى ـ فى جميع منازلهم، وفى كل مكان يوجدون فيه. لقد صرعت إيضاً .
أعداء فرعون ـ ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة ـ فى جميع منازلهم، و
مكان يوجدون فيه.»

....

باقى النص هو عبارة عن خطاب للإله «رع» يصف فيه عمله كإله خالق. وقد أن ترجمنا هذا المقطع من خلال شروحنا على مقومات عملية الخلق، كما ص كهنة «هليوپوليس».[٥٥]

ثم نعود إلى ترديد الطلبات التى لا آخر لها، الطلبات الفاعلة للجحيم الا حيث يتولى سحر الكلمات احتواء «أپوفيس» والمتمردين..... وفيما يلى مقطع آ

* «يا «أپوفيس»، (يا) عدو «رع»، إن «رع» يهزمك. ان «آتوم» يدفع
الإستدارة إلى الوراء، بفضل التعزيمات السحرية التى على شفتيه. انصت إل

الكلمات السحرية. لسوف تموت بسببها، كما أمر به «رع» فى حقك.

يا «أپوفيس»، (يا) عدو «رع» إنى اعرف ما ارتكبته. تعال وانصرف بسبب أفعالك السيئة، إنك تسقط فى زمن نحسك. ان «رع» يطرد منك الأرواح الشريرة، بشهادة «التاسوع الأعظم». أما أنت، يا «أپوفيس»، (يا) عدو «رع» فقد سقطت، سقطت، سقطت، فى زمنك المرموق. لقد سلمتك للسكين، فامسك بك بفضل صناع السكاكين المشهود لهم الذين فى القارب المقدس. وإلى اللهب أيضاً مصيرك، فله سلطان عليك، خلال أوقات النهار من كل يوم. وإلى خشبة الإعدام مصيرك، فوجهك (كان بالفعل) فى مواجهتها. و«إيزيس» تجهز عليك بفضل أقوالها السحرية. وإلى «عين حورس» مصيرك، فى حين أن الإلهة «أوسرت».[٥٦] «المتوهجة» تحرق «با»ك. وإلى «حورس» وريث الإله العظيم مصيرك، والحربة التى بيده تنطلق ضدك. وإلى «ست» بن «نوت» مصيرك، إنه يحطم فقراتك، وينتزع رقبتك، ثم يطعنك بالحربة القوية التى يمسكها بيده. وإلى «عين رع» مصيرك، (العين) ذات النظرة الملتهبة لـ «حورس»، التى تلتهم جسدك. إلى آلهة طاقم «رع» مصيرك، (الآلهة) التى تؤمّن ملاحته (النهرية) وتضع رأسك على اليابسة. إلى «حورس - مخنتى - إيرتى»[٥٧] مصيرك، انه يقتلك بسكينه الذى فى «ليتوپوليس». إلى حرّاس البوابات السرية مصيرك، فتنهض ضدك أنفاسهم الملتهبة ومشاعلهم. وتأكلك «المرعبة العظيمة» وتتغذى على جسدك.

يا «أپوفيس»، يا عدو «رع»، لا تبحر، لا تمش، لا تأت إلى الوجود، لا تتجمّع أبداً.[٥٨] سوف يواجهك «باء» خارج من الغرب. إلى اللهب المنبعث من فمه، مصيرك. سوف يواجهك صقر خارج من الشرق.[٥٩] إلى القدرة السحرية التى فى جسده مصيرك. ان القائمين فى هياكلهم يقطعونك، كما يرشقون فيك سهامهم، ويقطعونك إرباً إرباً، مرة ثانيةً ومرة ثالثة. وتوضع على مجمرة الإله، على نار هذا الذى يلتهم الحجر الأخضر، (فى) مكان ذبح طاقم «رع»، على خشبة إعدام «تحوت». عندئذ، يأخذ منك كل إله نصيبه من الطعام، وتصبح قلوبها راضية لأنها تمزقك إرباً إرباً.

يا «أپوفيس»، يا عدو «رع»، إلى الوراء! استدر، (فلتكن) رأسك باتجاه الأرض! إن قدرتك على الحركة قد دمّرت. ان بصرك قد تلاشى، ولن يوجد أبداً، (بل إن) صورتك لن توجد أبداً، وهيئتك لن تكون أبداً. لن تأتى أبداً لملاقاة «رع» فى سماء يه. فمن الآن ينتسب «رع» إلى سماء يه، إنه ينتصر عليك. وسوف يوضع ذَنَبك (بفتح

النون) فى فمك، وتأكل لحمك ذاته، (بعد) أن تقطع على مذبح آلهة التاسوع العظيم الذى يقيم فى «هليوپوليس». لقد سقطت صريعاً، لا نهم اجهزوا عليك. وتظهر الأضرار عندما تنبثق حرارة لهيبها ضدك، ويتعالى الصراخ ضدك وقد استحالت ناراً، وتواجهك وجوهها فى أتونها... وتحرق أحشاءك، بعد أن صدتك بالسكاكين التى فى أيديها. ويصدك «أبناء حورس» أيضاً، بينما تنفذ فيك قدراتهم السحرية، إذ تعترضك تعاويذهم. أنت من الآن «مسحور» على الماء وعلى اليابسة، أنت من الآن «مسحور» فى كل بادرة قد تقدم عليها، فى ساعة نحسك.

لا تهاجم «سفينة الليل» وما فيها من آلهة. إلى الوراء، أيها المتمرد! لقد أبيد باؤك، لقد قطّعت إرباً، لقد طردت (بعيداً) عن السفينة المقدسة، وطردت منك الروح الشريرة، لقد أجهز عليك، «وعين رع» تلتهمك.»

....

هذا السفر هو سيل من الألفاظ المدمرة، ألفاظ متنوعة أو على وتيرة واحدة بشكل مقصود، إنه ترنيمة موت طويلة، وهذيان سحرى مهول للألفاظ. هكذا يبدو لنا للوهلة الأولى هذا السفر الطقسى، والذى يبرهن برهاناً بيناً على الأهمية القصوى التى أولاها المصريون «للكلمة» عند تأسيس نظام الكون. وتنهال الكلمات وكأنها سيل من اللعنات، الفعالة وغير المحتملة، ولكنها بلا دواء، وهى موجهة إلى «أپوفيس» فى المقام الأول، ولكن أيضاً إلى المتمردين عند بدء الكون. إن المغامرة الكبرى لرحلة الشمس، تصبح يومياً نسخة مطابقة للزمن الأول، وكل فجر جديد هو صدًى للخلق. إنها المعركة الكبرى، التى تتجدد على الدوام، يوماً بعد يوم،منذ «المرة الأولى» ـ معركة الخير ضد الشر والنور ضد الظلمات والنظام ضد الخواء.

ويلعب المعبد وكهنته فى هذه المعركة دوراً فاصلاً. كان المعبد المصرى ينطلق من فلسفة خاصة، فلم يكن مكاناً يتعبد فيه الإنسان ويخلو إلى نفسه كما هو حال الكنائس والمساجد والمعابد اليهودية.

وبداية، فإنه يعتبر بأقسامه المكونة له وأشكاله ـ خلاصة للخلق وصورة للعالم. إن صرح المدخل يستوحى بنيانه من جبل الأفق بتلّيه، ومن وسطه تنبعث شمس

وبداية، فإنه يعتبر باقسامه المكونة له وأشكاله ـ خلاصة للخلق وصورة للعالم. إن صـرح المدخل يسـتـوحى بنيـانه من جـبل الأفق بتّلّيه، ومن وسطه تنبـعث شـمس الصباح. كانت أرضية المكان المقدس ترتفع بالتدريج إلى حدّ ما، بدءاً من المدخل وحتى قدس الأقداس (فى الطرف الآخر من المعبد)، فى حين كان ينخفض السقف على العكس. والناووس الذى يضم تمثال الإله، والذى تتجه إليه أرضية المعبد وسقفه، يمثل الأكمة الأصلية المنبثقة من المياه الأزلية والتى فوقها الإله الخالق. والبحيرة المقدسة، على مقربة من المعبد هى من «بقايا» المحيط الأزلى. أما بهو الأساطين فهو صورة للكون: فالسقف الملون باللون الأزرق، هو السماء المرصعة بالنجوم الصفراء (فالنحاس هو المادة التى صنعت منها النجوم). كما يزدان أحياناً بخرائط النجوم أو دائرة بروج السماء. ومن الأرضية تنبثق نباتات المستنقعات، وتزين صورها القسم السفلى من الجدار، فى حين أن خصوبة التربة تمثلها «غابة» الأساطين النباتية بالتيجان التى تجسد على نحو خاص أشكال نبات اللوتس والبردى والنخيل. إن «مسار» المعبد، هو عبارة عن ميكروكوزم (عالم صغير) محمّل بقدرة سحرية، كما يهدف أيضاً إلى تصوير رحلة نجم الشمس: إذ يفترض أنه ينبعث من «الصرح» وكأنه «أفقه»، ليواصل طريق حياته ويغمر بنوره الفناء العام وبهو الأساطين، ثم ينتقل بعد ذلك إلى عالم المساء فى ظلام قدس الأقداس الذى يسعى إليه ومن نور المشرق إله ظلال المغرب، يمتزج «طريق» المعبد مع «طريق» الشمس.

وفى هذا المكان المقدس، الرمز المكتمل للكون، كان على الكهنة أن يدافعوا عن الإله، يحمونه ويحافظون على نظام الخلق. وينجزون هذه المهمة الجوهرية بفضل الطقوس والكلمات التى ينطقون بها، ولولاها لعاد الخواء أدراجه. ويبرهن هذا النص على هذا الدور بالبرهان البيّن.

ولا شك ان تلاوة الترنيمة السحرية الطويلة فى غبش المعبد المقدس كان أمراً مؤثراً، إذ يتلوها الكهنة، وهم مساعدو الآلهة، بصوت جهورى ـ يتلون التضرعات الكبرى للحق والعدالة لمواجهة الإنحطاط. إنه الصراع الضروس من أجل الخير الذى لا يشارك فيه «رع» فحسب، بل جميع الآلهة أيضاً. ومن ثم، ويوماً بعد يوم، وفى لحظات وساعات محددة، كان رجال مقدسون يسهرون لتتمكن الشمس، عبر رحلتها الأبدية، من مواصلة عملها الخيّر. كان المعبد هو الحافظ العظيم النشط للخلق.

حـ - «رع» و«إيزيس».(٦٠)

كانت الأساطير التى تحرك المشاعر البشرية موجودة أيضاً فى عالم الآلهة. وتُبرز أسطورة من هذه الأساطير بوضوح فضول المرأة الطبيعى ومكرها. كانت الإلهة «إيزيس» الساحرة العظيمة، تود معرفة الاسم السّرى للإله «رع»، الأمر الذى يعطيها سلطاناً عليه. فدبرت مكيدة.

كلمات الإله الذى أتى إلى الوجود بذاته، وخلق السماء والأرض والماء، ونسمة الحياة والنار، والآلهة والبشر، والقطعان والثعابين والعصافير والأسماك، ملك البشر والآلهة مجتمعين (٦١) الذى تتجاوز حدوده السنين، الذى له عدة أسماء، غير معروفة من هذا أو من ذاك.

كانت «إيزيس» امرأة نابهة. كان قلبها أكثر براعة من قلب ملايين البشر، وبصيرتها تفوق مليون إله، وسداد رأيها أفضل من مليون عقل. كانت لا تجهل شيئاً مما كان موجوداً فى السماء وعلى الأرض، ومثلها مثل «رع»، الذى كان قد خلق ما يوجد على الأرض. ولكنها كانت تتشوق فى قلبها إلى معرفة اسم هذا الإله المعظم.

كان «رع» يدخل يومياً على رأس موكبه ويتربع على عرش الأفقين. كان تقدمه فى السن قد جعل فمه رخواً. ومن ثم كان يترك لعابه يتساقط على الأرض أو يبصقه بإلقائه على الأرض. (وذات يوم) عجنت «إيزيس» بيديها لعابه بالتراب الذى سقط عليه. واعطته هيئة ثعبان مقدس وشكلته كسهم (متأهب للإنطلاق). ولكنه لم يحرك ساكناً أمامها. واستطاعت أن تضعه عند مفترق الطرق التى اعتاد الإله المعظم أن يسلكها، فى (ربوع) القطرين، حسب رغبته.

وظهر الإله خارج أبواب (القصر)، فى حين كانت آلهة القصر بين حاشيته، (وذلك) ليتنزه كما تعوّد كل يوم. عندئذ لدغه الثعبان المقدس، فخرجت منه نار الحياة، ثم اختبأ الحيوان وسط البوص. وفتح الإله فمه وبلغ صوت جلالته (حتى) السماء. فقال تاسوعه: «ما هذا إذن؟ ما هذا إذن؟ وقالت آلهته:«ماذا إذن؟» ماذا إذن؟ ولم

يتمكن من الردّ عليها، وأرتعشت شفتاه، وانتفضت أعضاؤه، فالسم كان قد سرى فى جسده، تماماً كما يجرف النيل أمامه كل شئ.

عندئذ، ثبتَ الإله الكبير قلبه واستدعى من كانوا ضمن حاشيته: «تعالوا إلىّ، أنتم يامن جئتم إلى الوجود خارج جسدى، (أيتها) الآلهة التى انبثقت منى، حتى أعرفكم ما ألمّ بى. لقد لدغنى شئ مؤلم، لايعرفه قلبى ولم تَرَه عيناى ولم تصنعه يداىّ، ولكننى لم أشعر أبداً بمثل هذا الألم. فلا شئ اكثر إيلاماً من ذلك. وأنا عاهل ملكى، ابن عاهل ملكى، (أنا) نطفة إلهية أتت إلى الوجود كإله. أنا العظيم، ابن العظيم، (أنا) صاحب الاسم الذى صوّره أبوه. عندى أسماء كثيرة وأشكال كثيرة. وهيئتى هى أيضاً فى كل إله. أنا الذى يُدعى «آتوم» و«حورس له الحمد». لقد اخبرنى أبى وأمى باسمى، وأخفيته فى جسدى (بعيداً عن متناول) أبنائى، خوفاً من أن يعطى لساحر سلطاناً علىّ. ولما كنت قد خرجت لمشاهدة ما خلقته، وكنت اتنزه فوق (أرض) القطرين اللذين صنعتهما، لدغنى شئ ما لا أعرفه. وهو ليس بنار، وليس بماء، ولكن قلبى يحترق، وجسدى يرتعد، وأعضائى باردة. ليت أبنائى الآلهة يحضرون، بكلمات مباركة، (الآلهة) التى تعرف التعاويذ السحرية والتى تبلغ معارفها (حتى) السماء.»

عندئذ، جاء إليه أبناء الإله، وكل منهم ينتحب. وجاءت «إيزيس»بسلطانها وتعزيماتها السحرية، مالكة نسمة الحياة، (جاءت) بتعزيماتها السحرية طاردة الأمراض، وبكلماتها القادرة على إعادة الحياة إلى حنجرة تختنق. وقالت:«ما هذا إذن؟ ما هذا إذن؟ ياأبى الإلهى! أيكون أحد أبنائك قد رفع رأسه ضدك؟ عندئذ سوف أعمل على إسقاطه بفضل قدرتى السحرية الكاملة، وأعمل على طرده من مرأى أشعتك.»

وفتح الإله العظيم فمه (قائلاً):«بالحقيقة، كنت سائراً على الطريق، واتنزه فوق (أرض) القطرين، إذ كان قلبى يتشوق إلى رؤية ما خلقته، فلدغنى ثعبان، لم ألحظه على الإطلاق. إنه ليس بنار، وليس بماء، ولكن أشعر أننى اكثر برودة من الماء واكثر سخونة من النار. إن جسدى كله يتصبب عرقاً وإنى ارتعد. ونظرتى غير ثابتة، ولم أعد أرى. وتعمل السماء على أن يتصبب الماء من وجهى كما (يحدث إبان) فصل الصيف.»

وأجابت «إيزيس»:«اذكر لى اسمك، ياأبى الإلهى! لأن الانسان يحيا من جديد عندما يُنادى باسمه. » ـ «أنا الذى فطر السماء والأرض، الذى ربط الجبال، الذى خلق ما يوجد عليها. أنا الذى أوجد الماء بحيث تستطيع البقرة (التى تدعى) «محت ـ ورت» أن تأتى إلى الوجود.(٦٢) لقد أوجدت الثور من أجل البقرة، بحيث أتت اللذة الجنسية أيضاً إلى الوجود. أنا الذى أوجد عالم الآلهة وأسرار الأفقين، وهناك أقمت «با»ءات الآلهة. أنا الذى يستدعى النور عندما يفتح العيون، ويأتى بالظلام عندما يغمضها. ومياه النيل تتدفق بأمره، هو الذى تجهل الآلهة اسمه. أنا الذى استدعيت إلى الوجود الساعات والأيام، أنا الذى حدد توزيع أعياد السنه، والذى خلق النهر. أنا الذى أوجد نار الحياة، لأمنح الوجود لأنشطة المعبد. أنا «خپرى» فى الصباح، و«رع» عند سمت النهار، و«آتوم» فى المساء.»(٦٣) ـ ولكن ذلك لم يوقف سريان السم ولم يتعاف الإله العظيم.

عندئذ قالت «إيزيس» لـ «رع»:«ان اسمك ليس من بين تلك (الاسماء) التى ذكرتها لى. اذكره لى إذن، وسوف يفارقك السم، فالإنسان يحيا من جديد عند النطق باسمه.»

كان السم يحرقه حرقاً، وكان أشدّ من كَىِّ النار. عندئذ قال «رع»:«أعيرينى سمعك، ياابنتى «إيزيس»، بحيث يمر اسمى من جسدى إلى جسدك. لقد أخفاه أكثر الآلهة قدسية، ليكون مقامى رحباً فى سفينة ملايين السنين. وعندما سيخرج من قلبى، اذكريه لابنك «حورس»، وخذى عليه عهداً إلهياً، بوضع الإله أمام بصره» وافشى الإله العظيم اسمه لـ «إيزيس»، «الساحرة العظيمة»

«تسرب، يا سُّم العقرب . اخرج من «رع» ومن «عين حورس»! اخرج من الإله، أيها الملتهب، بفضل تعزيمتى! أنا تلك التى تعمل، وأنا تلك التى تطرد. إغرب عنى إلى داخل الأرض، (أيها) السم الفعاّل! انظر لقد افشى الإله العظيم اسمه. ان «رع» يحيا والسم قد مات! حسب كلمات «إيزيس»، الساحرة العظيمة، سيدة الآلهة، التى تعرف «رع» باسمه.

هذه الأسطورة هى أيضاً درس فى السحر يعمل به البشر، كما تشهد على ذلك

نهاية النص.

هذه الكلمات ينطق بها، على صورة لـ «آتوم» و«حورس له الحمد» وصورة لـ«إيزيس» وصورة لـ «حورس»، مرسومة على يد المريض، وعلى هذا الشخص أن يلعقها. كما يمكن عمل ذلك على ضمادة من الكتان الرقيق ثم توضع على حنجرة المريض. وهذه وسيلة لمقاومته سم العقرب. أو يمكن أيضاً عمل (نفس الشئ) مع الجعة والنبيذ فيقوم الإنسان الذى لدغه عقرب بشربها. وذلك هو ما يقضى على السم. إنه فعال حقاً، لملايين المرات.

إن مصر عالم «مسحور» حيث يظل الآلهة والبشر قريبين جداً من بعضهم بعضاً رغم كل شئ.

وإذا كانت «إيزيس» تضطلع فى هذه الحالة بدور جاحد إلى حدّ ما، فإن أسطورة أخرى تجعل منها زوجة وأماً مثالية.

٢- أسرار آلام «أوزيريس»*

اتخذت الأسطورة الأوزيرية، وهى أسطورة إنسانية وشعبية، أشكالاً كثيرة، منذ العصور القديمة وحتى انتشارها فى عالم حوض البحر المتوسط. إن مقوماتها المختلفة منذ عصر الأهرامات (عام ٢٨٠٠ق.م تقريباً) وحتى بلوتارخ (٥٠-١٢٥ تقريباً) لتبرهن على استمرارية هذا المعتقد الذى انتشر فى بلاد الإغريق وروما وكافة أرجاء العالم الكلاسيكى القديم. وبالفعل لقد كان «أوزيريس» بآلامه وبعثه يعلّم البشر طرائق الخلود. بل ان عبادته ظلت قائمة حتى القرون الأولى للميلاد فى أقطار حوض البحر المتوسط. إنها مثال آخر للقوة الراسخة للروحانية الدينية المصرية.

كـان «أوزيريس»، ابن «چب» و«نـوت»، هو ملك الأرض وكـان ملكاً فـاضـ
البشر الزراعة وزراعة الكروم والفنون، وكان أخوه «ست» يحقد عليه حقداً :
فتـآمر عليه. فاوثـق «ست» أخيه «أوزيريس»، وقتله والقى جثـته فى الماء. وتـ
نصوص أحدث وهو يقطع جسد أخيه إلى اربع عشرة قطعة، بعثرها فى
الأرض. وفى الحالتين، كانت الصورة الأسطورية لـ«أوزيريس» (وكان إلهاً لا
فى الأصل) تضمـها شعيرة الخصوبة : سواء اتحد جسده بالماء أو نثر فى ا
وكأنه البذور فى فصل البذر.

عندئذ، تنتـحب «إيزيس» شقيقته وزوجته و«نفتيس» شقيقته الأخرى وزوجة «
وجابت «إيزيس» ونـفتيس» البلاد بحثاً عن جثمان «أوزيريس». وأنقذ هذا الاخـ
التعفن بفضل أمه «نوت» التى «وصلت عظامه، وأعادت قلبه إلى مكانه فى ـ
ووضعت رأسه من جديد فى مكانه». ثم بعث فيه «رع» الحياة وهكذا أمّن بعثه
قاطعا . وفى نسخ الأسطورة الأقل قدمـاً، يوفد «رع» الإله «أنوبيس» لإعادة تـ
الجسد المقطع ليعدّ بالتالى المومياء الأولى، بينما اتخذت «إيزيس» هيئة طائر
الأنفاس إلى زوجها فأخذت ترفرف بجناحيها الكبيرين. وسوف تستكمل الـ
السـحرية التى نطقت بها عملية إعادة الحياة إلى الإله. وأذ تمددت على ـ
«أوزيريس»، حملت منه بابن، هو «حورس»، الذى ستنشّئه سراً فى مستنقعات
لتجنبه أنتقام عمه «ست» .

إن «أسرار» بعث «أوزيريس» هى أيضاً «أسرار» الإنبات : فسوف يعود الإ
الحياة، مثل البذرة المدفونه فى التربة فى الخريف لتنبت مع حلول الربيع(٦٤) إ
«أوزيريس» ضمنته دورة الكون. ان «حورس»، الطفل المولود بعد وفاة أبيه، يره
تواصل العائلة والأخلاف، فالإبن يخلف أبيه، ويشهد بأفعاله على برّ الوالدين -
فضيلة عزيزة على المصريين. وبالفعل فإن «حورس» الفتى سوف ينتقم لأبـ
خضم معركة مع «ست» ويستعيد الميراث الذى يستحقه. وسوف ينطق «رع» با
وهذه المبارزة، مظهر جديد للصراع الذى لا ينتهى بين الخير والشر، وسوف
«أوزيريس» من الآن العالم السفلى فى حين يتولى «رع» مُلك السماء ولكـ
التوزيع للإختصاصات يحلّ محله فى الغالب الإتحاد المطلق لهذين الرمزين لا
الأبدى للحياة.

وبعد بعث «أوزيريس» حياً ، بفضل ممارسات «أيزيس» الشعائرية ومساعديها (وعلى رأسهم «أنوبيس» المحنِّط) وبفضل تعزيمات زوجته الساحرة، يقدم للبشر نموذجاً للخلود. ان تكرار هذه الشعائر، وترديد كلمات الزوجة الوفية من جديد، يعنى إمكانية ضمان استمرار الحياة للجميع.

وفى المعابد، وفى معبد «أبيدوس» فى المقام الأول، وهو المكان المقدس العظيم للإلهه «أوزيريس»، كان القوم يكررون «أسرار» الإله على هيئة عرض تمثيلى إيمائى، ولا شك ان الكهنة كانوا يرتدون الأقنعة، ويقومون بأدوار الآلهة. وكان فى وسع الشعب المحتشد على شواطئ النهر وفوق التلال أن يرى من على بعد عرض هذه الأسرار (وعلى الأقل القسم الذى يؤدى فى الخارج)، والتى تسهم قوتها الفعالة فى الحفاظ على حياة «أوزيريس»[٦٥].

أ- مراثى «إيزيس» و«نفتيس».[٦٦]

مشهد من «أسرار» «أوزيريس» فى «أبيدوس».

بداية المقاطع الشعرية لعيد «الشقيقتين»، المقام فى معبد «أوزيريس» الذى يرأس اهل الغرب، الإله العظيم، سيد «أبيدوس»، (العيد المقام) خلال الشهر الرابع من فصل الفيضان، من اليوم الثانى والعشرين وحتى اليوم السادس والعشرين. وسَيُقدَّس المعبد بكامله. وسيتم إحضار امرأتين طاهرتين الجسد، لم تنفتحا بعد (=عذراوين) وسيتم نزع شعر أعضائهما، وترتديان على رأسيهما شعراً مستعاراً وتحملان دفّين، سيشار إلى اسميهما على كتفيهما، لتمييز «إيزيس» من «نفتيس»[٦٧] وسترتلان المقاطع الشعرية من هذا السفر فى حضرة الإله.

وسوف تقولان (فى بداية الأمر) : «ياسيدنا أوزيريس» – أربع مرات.

كلمات يقولها «الكاهن المرتل»[٦٨] بصفته رئيس هذا المعبد:

«يا عظيم السماء والأرض»– أربع مرات..

كلمات تقولها حاملتا الضفائر :

«أيها الفتى الجميل، عُد إلى دارك،

فمنذ أمد طويل، منذ أمد طويل، لم نرك.

أيها اللاعب بالمصلصلة، الجميل(الطلعة)، عُدإلى دارك،

الأول... بعد أن تكون قد ضللت بعيداًعنّا،

أيها الفتى الجميل (الذى) رحل فجأة،

الشاب الشديد البأس، الذى لا كان يومه.

الصورة المقدسة لأبيه « تنن»(٦٩)،

النطفة السرية المنبثقة من«آتوم»،

السيد، السيد الذى يتميز عن آبائه،

الأول فى بطن أمه،

عُد إلينا فى هيئتك الأولى،

سوف نحتضنك ولن تبتعد أبداً عنّا،

أيها الكائن (يا) صاحب الوجه الجميل والحب العظيم.

(يا) صورة «تنن»، أيها الذكر، (يا)سيد الأهواء......

صاحب الجسد الثقيل، المدثر بالاشرطة،

عُد فى سلام، ياسيدنا، لنشاهدك،

لتتحد الشقيقتان فى جسدك، الذى لا نشاط فيه إطلاقاً......

يا رئيسنا، ولّ وجهك شطرنا.

إن كرباً عظيماً قد عمّ بين الآلهة،

لانه ليس فى وسعها أن تفهم الطريق الذى اجتزته.

أيها الصبى الصغير، الذى لا كان يومه،

اقطع السماء والأرض فى هيئتك الأولى،

أنت ثور الشقيقتين،

تعال إذن فى سلام، أيها الصبى الدائم الشباب،

يا سيدنا لنشاهدك،

اتحد بنا مثل الذكر،

إن «تبها»[٧٠] (هو بالفعل) على خشبة (الإعدام)،

عُد فى سلام، يا ابن أبيك الأول،

أقم فى منزلك، بلا خوف،

سوف يحميك ابنك «حورس» وينتقم لك،

لقد انصرف (الثعبان) «نيك»[٧١]،

إنه فى أتون النار كل يوم،

وقد بُتر اسمه، خارج عالم الآلهة،

لقد مات «تبها»، وهلك،

يمكنك أن تبقى فى منزلك، بلا خوف،

إن «ست» (ضالع) فى كل الشرّ الذى اقترف،

فقد أمر بالفوضى فى السماء،

وتركز الفكر من أجلنا،

وأصيبت الأرض معنا....

وإذ بعيوننا تبكى بسببك،

بالمدمع الملتهب،

ياللويل ! منذ أن ابتعد سيدنا عنّا،

أيها الكائن(يا) صاحب الوجه الجميل والحب العظيم،

أيها الثور الذى يخصب الأبقار،
عُد أيها اللاعب بالمصلصلة، يا صاحب الوجه المشرق،
الوحيد الذى يدوم شبابه، ويحلو مشاهدته.
أيها السيد وسط النساء،
يا فَحْل الأبقار،
أيها الصبى ذو الكمال الأسمى،
ليتنا نراك من جديد فى هيئتك الأولى.

(«إيزيس»)

كذلك أتوق إلى رؤياك.
أنا أختك «إيزيس»، التى أحبها قلبك،
فحبك يلازمنى وأنت بعيد.
وأغرق هذا البلد(دموعاً)،فى ذلك اليوم.

(تلاوة ثنائية)

اقترب، وسوف يقدم لك الحمد، بفضلنا.
وإذا حرمنا منك، تنقصنا حياتـ(نا).
عُد إذن فى سلام،(يا)سيدنا ،حتى نراك،
أيها الملك، عُد فى سلام.
تعال لتطرد الشرّ (؟) من منزلنا.
اتحدّ بنا وكأنك ذكر.»

*

كلمات (أخرى) كثيرة تقولها حاملتا الضفائر:

« يا «أوزيريس»، يا ثور الغرب،

الأوحد، الدائم، الأكثر بهاء بين غيره من الآلهة،

الصبى الذى يتزاوج، (٧٢)

وريث«جب» العظيم(٧٣)،

سليل الإله، من بين الآلهة.

عُد إلى الأرملتين !

إن آلهة التاسوع جمعاء،

تصدّ «ست»، من أجلك، عن مقاصده،

ليت من يطلق عليه اسم «الويلات» يكون خلف المحراب، فى حضرة أبيه«رع»،

عندما يأمر بطرد المتمردين،

هيا ! احضر إذن إلى هنا قرب مُنشدتَيْك،

واصرف الكآبة من بيتنا.

هيا ! احضر إذن قرب منشدتيك،

فلا يطيب لك ان تكون بمفردك،

وسيعيد سيدنا السلام إلى منزله،

إن الأقوى منه قد ضرب ذاك الذى كان وجهه ضعيفاً.

ومنذ ان انضم الشرير (٧٤) إلى أقرانه،

ونشر على الأرض مقاصده (الرهيبة) ،

ساد وسط الآلهة كرب عظيم،

وآلهة التاسوع وضعت رأسها على ركبتيها،(٧٥)

نظراً لأنك الأكثر بهاءً بين الآلهة.

أين هو إذن ،من كان يمشى على الأرض، عظيماً (منذ أن كان) فى بطن (أمه)،
ومن كان يحمل الصل على جبهته؟
ذاك الذى تشكل وفقاً لارادته، متى يعود إذن؟
أيها الجسد الإلهى، ياسيدالحب،(الكائن) البهى، الوافر الحب.
أيها الـ«با» الإلهى، فلتعش من جديد !
فلتتحد الشقيقتان بجسدك،
فلتقترب إذن من هنا كما فى السابق.
وتتجه إليك الأنّات بالملايين....
هيا! احضر إذن إلى هنا قرب منشدتيك!
إن والدك «رع» يعاقب الشرير،
ان آلهة التاسوع تخدعك، ومن هم فى بطانتك يصدّون «الحمر».(٧٦)
اطرد الكرب العظيم عن امرأتيك الكريمتين،
عندئذ سيكون منزلك فى فرح، ويكون الشرير فوق خشبة الإعدام،
ويكون المتمرد فى أسى، نظراً لما فعل،
فقد غمر الأرض بمقاصده السيئة،
وعمل على هبوط «السماء العليا» على الأرض.
وبعد أن أطيح به، اقتيد إلى مكان تنفيذ الإعدام فيه،
اقتيد إلى الخشبة (حيث يتم إعدام) المتمردين.
إن والدك «رع» سيحمى عزمك،
وابنك «حورس» سيجيب أمامك.
فلتصل إذن إلى الأرض فى هيئتك التى أتيت (عليها) إلى الوجود،
فلتعبر «السماء العليا» فى (أركانها) الأربعة،

فلتحطَّ أخيرا على الأرض فى القاعة الفسيحة بالمعبد الكبير.

وسوف تقوم رفيقتاك على خدمتك.

انهض! انهض! انظر، إن «ست» موجود فى موقع تنفيذ الإعدام،

فالمتمردون، لا يوجد منهم من (يتمرد) عليك،

حيا! احضر إذن إلى بيتك، يا «أوزيريس»، إلى منزلك، حيث يسعى الناس إلى رؤيتك من جديد.

استمع نواح «حورس» وهو على يدى أمه «إيزيس».

اطرد من بعثرك فى أرجاء «القطرين»، جمّع جسدك، حتى يستطيع («حورس») ان يتسلم ميراثك!

أيها الإله العظيم، استعد هيئتك ثانية،

ولا تبتعد أبداً عن بيتك، أيا «أوزيريس»!

عُد فى سلام إلى منزلك، ياسيد الرعب، على تلك الهيئة التى فيها كل الجمال.

أيها النور العظيم، ياسيد الهوى،

تزاوج مع أختك «إيزيس»،

اطرد الآلام التى هى الآن فى جسدك،

ليتها تعانقك، ليتك لا تبتعد عنها أبدا،

أعد الحياة إلى صدر البقرة!

واه! أنت محمى (منذ الآن)، يا من أُغرقت فى إقليم «أفروديتوبوليس».(٧٧)

لأن الشرّ قد (صار) وكأنه لم يوجد قط.

وتأتى أختك إليك، وتطرد النجاسات من جسدك.

أيها الإله العظيم الحى، يا صاحب الحب العظيم،

الذى يقوم على رأس الوجهين القبلى والبحرى،

تزين إذن أيها السيد بزينتك،

أيها الذكر العظيم، يا سيدّ الجمال.

هيّا احضر إلى أمك «نوت». وسوف تتمدد عليك عندما تأتى إليها.

وهكذا ستحمى جسدك من الشرّ،

والتائه سيسير إليها.

وسوف تطرد من جسدك الأدواء كلها،

(فتصبح) العزلة كأنها لم توجد قط.

وإذا بالطفل، السيد المنبثق من السماء العليا

قد أعاد تكوين هذه الأرض كما فى سالف الزمان.

السيد، الطفل الخارج من أحشاء تلك التى خصبتها الآلهة،

والذى يفتح الغرب فى موسمه،

الطفل الذى أخذ يسير، خارج الزمان.

سوف يحميك أبوك «رع».

ويشكلك ابنك «حورس».

ان «ست» وراء كل ما اقتُرف من شر.

عُد إذن إلى منزلك، بلا خوف.»

كلمات تقولها حاملتا الضفائر:

«إيها اللاعب بالمصلصة، الجميل (الطلعة)، عُد إلى منزلك!

فليعلُ شأنك، فليعلُ شأنك (من أجل) عودتك إلى منزلك!

بينما تتربع الآلهة على عروشها.

(«إيزيس»)

أنا امرأة مفيدة لأخيها،

(أنا) زوجتك وشقيقتـ (ك) وأمك.

عُد إذن إلىّ، على جناح السرعة،

لأنى اشتاق لمشاهدة وجهك من جديد، منذ الزمن الذى لم أتمكن من تأمله فيه،

فالظلام يبقى لنا هنا، فى عيوننا وإن كان «رع» فى السماء.

إن السماء والأرض متحدتان والظلام يخيّم اليوم على الأرض.

إن قلبى يحترق، لانفصاله عنك، ياللويل!

إن قلبى يحترق، لأنك أدرت ظهرك إلىّ!

ومع ذلك، لا، لن تجد أبداً خطأً تلومنى عليه.

والآن (يسود) «المنطقتين»(٧٨) الإضطراب وتضلّ الدروب،

بينما أسعى أنا لأراك من جديد.

عندما أوجد فى مدينة بلا أسوار،

فإنى اتحسّر على حبك لى.

عُد! لاتظل وحيداً! لاتظل بعيداً!

انظر، سيعمل ابنك «حورس» على عودة «تبها»، إلى خشبة الإعدام.

لقد اختبأت وسط (حقول) البوص لإخفاء ابنك «حورس» لينتقم لك.

لانها كانت مشكلة عسيرة أن أكون بعيدة عنك، على هذا النحو،

ولم يكن الأمر حسناً بالنسبة لجسدك (=«حورس»).

(أما) أنا فقد انصرفت وحيدة وأجوب (حقول) البوص،

بينما الأعداء يتمزقون غيظاً ضد ابنك.

وكانت امرأة تعادى هذا الغلام،

ولكن كنت أعلم ذلك فى الحقيقة (أنا) ورئيس العدالة أيضاً.

لقد جبت الدروب، وهمت بسبب أخى الذى هجرنـ (ى)، فهو سبب تعاستـ (ى).

كما تحترق أيضاً قلوب مئات الألوف،
فالآلهة مثقلة بألم شديد.

(تلاوة ثنائية)

إننا ننتحب على السيد،
فحبنا، لك لن يفارق وجهينا.
أنت (أيها) الذكر، (يا) سيد الهوى،
(يا) ملك الوجهين القبلى والبحرى، (يا) سيد الزمن الأبدى،
ارتفع حياً، ياحاكم الزمن اللانهائى.
لقد مات «ننرخ».(٧٩)

(«إيزيس»)

ياملك الوجهين القبلى والبحرى، أيها السيد، الذى خرج صوب «الأرض المقدسة»(٨٠) ـ هذا ليس فعلاً (صادراً) عنك فى وسعى أن أصدقه.
يا أخى، أيها السيد، الذى خرج صوب «أرض الصمت»،(٨٠)
عُد إلىّ فى هيئتك الأولى!
عُد فى سلام، عُد فى سلام!
يا ملك الوجه البحرى، أيهاّ الملك، هيا! عُد فى سلام،
فلنشاهد وجهك من جديد، كما فى سالف الزمان، وكما اشتقت أن أراه.
وساعداى ترتفعان لحمايتك، أنت الذى أحببته.
لقد أحببت «المنطقتين»، لأنه يدور فى خلدى

أنك تسلمت التاج فيهما.[81]

ترابك بخور.

أيها الزوج، (يا) أخى، (يا) سيد الحب، هيّا، عُد فى سلام إلى منزلك.

إيها اللاعب بالمصلصلة، الجميل (الطلعة)، هيّا! عُد إلى بيتك، فقد انقطعت عنه، منذ زمن بعيد، منذ زمن بعيد.

أملاكك سرّية، يا ثور الغرب.

إن المكان الخفىّ للحمك موجود فى معبد «سوكر»(؟)[82]

تحية! باسمك كحاكم الزمن اللانهائى.

«حورس»، الجسور، قادم إليك،

إنه يطهّر جسدك، ويجمع السوائل التى تنساب منه.

انضم إذن إلى جسدك، أيها الإله العظيم واستعد هيئتك من جديد.

(تلاوة ثنائية)

هيّا، عُد فى سلام، ياسيدنا، العائد إلى الحياة،

(ومن الآن) سوف يحميك ابنك «حورس»،

عُد إلى منزلك، فمعبدك مغمور بالحب الذى تثيره.

أيها الملك الخيّر...

الأوحد، ذو القوة الجبارة.

إن ابناً هو الذى (فتح) جسد (أمه)،

بينما كان لـ «چب» سلطان عليها.

أيها الزيْن، العظيم حباً،

الذى عمل ضد الغرب، الذى يتغلب على الهياج،

ياسيد الآخرة السفلية، ياثور الغرب، ياسليل «رع - حور - آختى»،

(أيها) الطفل الجميل الطلعة،

هيّا! عُد إلينا فى سلام، هيّا عُد إلينا فى سلام!

تخلص من غيظك، انبذ غضبك،

أيا سيدنا، تعال إلينا فى سلام، تعال إلينا فى سلام!

(«إيزيس»)

أيها العائد إلى الحياة، هيّا! عُد إلينا فى سلام!

يا أخى،

هيّا! عُد لأراك، ياملك الوجه البحرى، ياحاكم الزمن اللانهائى!

ليت قلبك لايكون متعباً، لايكون متعباً، ياسيدنا،

هيّا! عُد إلى منزلك، بلا خوف.»

(الشعيرة) العظمى للحماية التى لا ينبغى ان تُرى أو تُسمع.

كلمات يقولها الكاهن - المرتل :

«أيها اللاعب بالمصلصلة، الجميل (الطلعة)، هيّا! عُد إلى منزلك!

إن آلهة التاسوع تسعى إلى رؤيتك، أيها الطفل، أيها السيد، الذى (فتح) جسد (أمه)،

أيها الطفل، إن الحب الذى تثيره هوعليك،

(أيها) الوريث المبارك منذ أن أتى إلى الدنيا،

(إيها) الابن الخيّر المنبثق من ذاك الذى يَرى ويَسمع.

لقد قامت «إيزيس» على رعايتك. لاتبعد عن دارك.

لقد انتُزعت رؤوس (أعدائك) حباً لك،

وينتحب (الناس) من أجلك فى أسى، ورؤوسهم تلتفت إلى الوراء.

أيا «ونن نفر»، يا ممّون الطعام، أيها الملك العظيم الهيبة،

أيها الإله الذى يتفوق على الآلهة (الأخرى)،

إنك تُنزل إلى الماء سفينة ذاك الذى انجبك،

أنك بطل بالنسبة للآلهة.

النيل هو فيض جسدك، الذى يُحى الأشرا ف والشعب، على حد سواء.

ياممّون الغذاء، يا حاكم النبات الأخضر،

... الكبير، شجرة الحياة التى لا تتوقف عن منح ما يرضى الآلهة،

والقرابين التى تخرج على الصوت، من أجل الموتى النورانيين.[٨٣]

استيقظ، (وقد أصبحت) معافى ومزدهراً، أنت يا سيد المخدع،[٨٤]

يا مالك «العين - وچات»،[٨٥] (فما زلت) صاحب الأسرار فى الأفق،

الذى يتلألأ إذا آن الأوان،

الذى يتألق فى وقته.[٨٦]

النور ملكك، نظراً لما يتوفر لك من أشعة،

بينما تضئ فى الشرق من أجل «آتوم»،

ففى الإمكان مشاهدتك بدلاً من «رع»،

عندما تختفى(؟) أشعتك، تصبح مومياء،

بينما يحلّق «با»ؤك خلف «رع»،

إنك تسطع عند الفجر وتغرب فى المساء،

أنت باقٍ فى كل يوم.

أنت موجود على يسار «آتوم» للزمن الأبدى والزمن اللانهائى، وتظهر وذ

«نبيد»[٨٧] ملعون، لقد هلك فى حضرة (الإله)،

فهو معروف بسبب أفعاله الخسيسة.

ها هو المتمرد يرتدّ إليك، نظراً للمذبحة التى وقعت ضده،

ويقدم لك الكاهن[٨٨] القربان،

وهو يعظّم كافة الآلهة.

والتاسوع فى فرح عند قدومك،

وتقضى يومياً النهار إلى جانب «رع».

أيها المتجمّع[٨٩] إن القوم يرونك فى الشرق،

أيها المتجمّع، ان الأحياء يرونك.

إن تألق قرص «رع» هو ملك لك،

والتاسوع بأكمله، ملك لك،

والصلّ على رأسك فى سعادة،

لأن لهبه قد هاجم أعداءك.

افرح إذن بسببنا، فعظامك قد ربطت الآن،

ويتمّ حصر جسدك يومياً.

وتدخل مثل «آتوم» فى زمنه، دون أن يكون من الممكن إبعادك،

ورُبطت عنقك من أجلك.

ومن أجلك يشق «واپ واوات»[٩٠] الجبال ويحطم الدفنات،

لأن الأرض المقدسة ملكك أنت،

وملكك أيضاً الشقيقتان.

(تلاوة ثنائية)

لقد نسيت الأحزان، بفضلنا.

إننا[٩١] نجمع أعضاءك من أجلك، وسط النواح،

سعياً لحماية جسدك...

هيّا! إذن تعال إلينا، لينسى القوم عدوك،

هيّا! تعال فى الصورة التى كنت عليها على الأرض.

اطرد غضبك وكن حليماً من أجلنا، أيها السيد!

استرد ميراث القطرين،

أيها الإله الأوحد، صاحب المقاصد المباركة من أجل الآلهة.

ولذا فإن جميع الآلهة فى فرح بسببك.

عُد إلى منزلك، بلا خوف.

«رع» يحبك، والسيدتان الكريمتان تحبانك.

ابق إذن فى دارك فى سلام، للزمن اللانهائى.»

كلمات تقولها حاملتا الضفائر:

«أيها اللاعب بالمصلصلة، الجميل (الطلعة)، عُد إلى منزلك!

ليعلُ شأنك، ليعلُ شأنك، من أجل عودتك إلى منزلك، بينما تتربع الآلهة على عروشها.

واه! هيا تعال فى سلام،

ياملك الوجه البحرى، هيا! تعال فى سلام!

سوف يحميك ابنك «حورس».

عندئذ سوف تبعد البؤس العظيم عن سيدتيك الكريمتين،

وسوف يضيئنا وجهك بحبوره.

أيها الطفل، حسب اشتياق الناس إلى رؤياك،

تعال، إذن إلينا، ولسوف (نؤمّن) لك الحماية، كل الحماية، بدافع من حبنا.

هيا! تعال إلى منزلك، بلا خوف.

أنتِ يا أيتها الآلهة التى فى السماء،

يا أيتها الآلهة التى فى الأرض،

يا أيتها الآلهة التى فى العالم السفلى،

يا أيتها الآلهة التى فى (نهر) النيل،

اتبعينا إلى جوار سيدنا، سيد الحب،

أيها الأخ الذكر، يا سيد الهوى،

(«إيزيس»)

واه! تعال إلىّ!

السماء متحدة بالأرض،

واليوم، حلّ طيف على الأرض،

والسماء ملتصقة بالأرض،

واه! تعال معى!

الرجال والنساء فى المدينة يبحثون عن سيدنا،

من كانوا يسيرون على الأرض فى زمنه.

تعال إلىّ! السماء ملتصقة بالأرض.

ليت القوم يدفعون الإله إلى العودة إلى داره.

فلتتحد الأنفاس بأنفه!

فليلتحق السيد بقصره.

أيا«رع» احمه،

فارتكاب الشرّ هو لغتك.

حيث أن قلبى يشتاق إلى رؤياك،

أيها الوريث، ياملك الوجه البحرى أيها الطفل الجميل،

ياسيد الحب،

تعال إلىّ (يا سيد(ى) لأشاهدك اليوم.

إن أخى عائد، فلنشاهدك.

إن ساعدى كبيران لحمايتك،

ان ساعدى عاليان، ان ساعدى عاليان لحراستك،

أيها الذكر، (يا) سيد الشباب،، (أيها) الطفل - فلنحمِ سيدنا .

(ومع ذلك) فإنى ابنة «چب» وقد انفصلت أنت عنى.

أيها العائد إلى الحياة، الذى لم يحلّ زمنـ(ـه) بعد،

إنى أسير عبر الدروب بسبب حبى لك،

إنى أطأ الأرض ولا أكلّ أبداً عن البحث،

فى داخلى حرارة بسبب حبى لك،

واه! تعال لأراك!

إنى أبكى على وحدتك.

تعال إلىّ، على جناح السرعة، نظراً لاننى (لا أزال) اشتاق لرؤياك،

بعد ان تمنيت (بشدة) ان أتمكن من تأمل وجهك.

واه! سوف يعم الحبور معبدك،

سوف تُحمى، تُحمى فى سلام.

(تلاوة ثنائية.)

واه! واه! إن سيدنا يعود إلى منزله،
وأقام الناس من حول معبده حماية سحرية.
إن سيدنا يعود إلى داره فى سلام.
فلتستقر بثبات فى منزلك، بلا خوف،
فليعلُ شأنك، فليعلُ شأنك، ياسيدنا!
انصت إلى مدى بعيد، أيها الإله العظيم،
وعُد فى سلام عادل.
ارفع نفسك إلى جوار «رع» ولننتصر على الآلهة.

(«إيزيس»)

يا «هنى»،(٩٢)، عُد فى سلام،
لكى أراك، أيها الطفل، بينما تستعيد هيئتك كطفل.
لقد سقط «هاى»،(٩٣)
و«حورس» هو الحاكم.
ذاك الذى كان قد (اصبح) أرفع شأناً منك (=«ست»)، لن يرتكب أبداً شيئا ضدك.
انهض وسط الدائرة(٩٤) التى تشكلها شقيقتاك،
يامحبوب أبيك، (يا) سيد الحبور،
أنت الذى اختارته إرادة التاسوع.

إن معبدك يتألق بجمالك،

والتاسوع يخشى هيبتك،

والأرض زلزلت بسبب ما تثيره من خوف.

أنا زوجتك التى تعمل من أجلك،

(أنا) أخت مباركة لأخيها.

تعال لأشاهدك، ياسيد حبى!

فليعلُ شأنك، فليعلُ شأنك، فى هيئتك المعظمة، هيّا! تعال لأشاهدك.

(أيها) الكائن (الذى لازال) ضعيفاً، سر! أيها الطفل، واه! تعال لأشاهدك.

الضفتان والقطران تبكى بسببك،

والتلال تنتحب من أجلك، لاسيما وأنك هذا الذى يستيقظ معافى مزدهراً.

السماء والأرض تبكيان بسببك، لا سيما وأنك هذا الذى هو أعظم من الآلهة (الأخرى).

و(القوم) لم يتوقفوا عن عبادة «كا» ك،

تعال إذن إلى منزلك بلا خوف.

ان ابنك «حورس» ينصب فخاً فى مدار السماء.

ويمسك التاج المزدوج بالوهق *(٩٥) - فلن تخاف شيئاً

سوف يحميك ابنك «حورس»،

ويصرع من أجلك حلفاء «نبيد».

واه ! أيها السيد الذى كان خلفى فى «چبعت» (؟)،

إنى أراك اليوم، وعطر جسدك هو عطر «پونت».(٩٦)

وتتعبد السيدتان الكريمتان إليك، فى سلام،

والتاسوع بأكمله فى حبور.

تعال إذن فى سلام، إلى جانب زوجتك،

إن قلبها يخفق حباً لك،

إنها تعانقك - فلن تبتعد عنها أبداً -

إن قلبها فرح لمشاهدة جمالك،

بعد ان سمحت لها بالإبتعاد عن بيت الأسرار.[٩٧]

إنها تطرد أوجاع بدنك،

والجروح أيضاً، وكأنها لم توجد قط.

أنك تضع الحياة من جديد أمام زوجتك.

واه! واه! أنت محمى (الآن)، أنت الذى كنت قد غرقت فى حقول «أفروديتوبوليس»، فى ذلك اليوم.

كانت إساءة بالغة وعملاً خسيساً، لا مثيل له.

إن البقرة[٩٨] تبكى من أجلك، بصوتها،

لأنها تحبك حتى أطراف قلبها،

ويخفق قلبها عندما تشعر بالسرور وأنت بين أحضانها،

فى حين تعانق جسدك بساعديها.

تلك التى تأتى إليك مسرعة - أو: فى سلام[٩٩] -

فتحميك من الكائن الشرير،

ومن أجلك تعيد الإزدهار إلى لحمك فوق عظامك،

ومن أجلك تربط أنفك فوق وجهك،

ومن أجلك تُجمّع عظامك، لتكون كاملاً[١٠٠] (من جديد).

وإليك تأتى، أمك «نوت»، فى سلام،

* الوهق : حبل فى طرفه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة وغيرها حتى تؤخذ. (المترجم)

فتعيد بناءك بفضل الحياة التى هى ملك جسدها.

كن قوياً! كن قوياً! كن خالداً! كن خالداً!

فلتكن القدرة ملكاً لك، أيها الذكر، ياسيد النساء (ياحامل) مخروط الطيب فوق شعرك، متجهاً إلى الأرض المقدسة.

لقد صُنع المخروط الذى فوق شعرك من بخور يتجدد من ذاته[١٠١].

اخرج إذن! وتعال فى سلام! تعال فى سلام!

يا ملك الوجه البحرى، أيها العاهل الملكى، تعال فى سلام!

إن يدىّ «سيدة» (مدينة) «سايس»[١٠٢] فوقك.

إن قلب «شنتيت»[١٠٣] يلتف حولك،

لأنك إله منبثق من إله.

يا «مكاتى»[١٠٤]، لا يوجد شئ سواك!

شعرك من الفيروز... بينما أنت عائد من حقول الفيروز.

شعرك من اللازورد، فهو يخص اللازورد[١٠٥]،

اللازورد فوق شعرك.

إن لون أعضائك هو لون نحاس الوجه القبلى.

وعظامك من الفضة[١٠٦].

لأنك طفل جديد[١٠٧].

وفقراتك من الفيروز.

أو:[١٠٨] إن عطر شعرك هو عطر البخور الذى يتجدد من ذاته،

وما فوق شعرك هو من اللازورد،

إن «چب» يحمل القرابين من أجلك،

ويضع الإله الذى انجبه فى المقدمة.

(تلاوة ثناث

أيها الوريث الرئيسى، المنبثق من «رع»،

أيها الابن الأكبر، صاحب الوجه الجميل،

أيها لـ «با» الحى الذى تم ربطه،

الطفل المنبثق من ذاك الذى يرى ويسمع،

الابن الأكبر فى المحرابين، وريث «چب»،

الذى أعطاك كل ما يحيط بقرص الشمس،

تعال إذن إلى منزلك، يا «أوزيريس»، أيها القاضى الإلهى،

افتح عينيك لترى،

بدّد السحاب،

أعد النور إلى الأرض فى ظلماتها.

تعال إلى منزلك، يا«أوزيريس» الواقف على رأس أهل الغرب، تعال إلى منزلك.

أنت يا من خرجت من جسد (أمك ـ واضعاً منذ ذلك الوقت)الصلّ على جبينك،

فلتضئ عيناك الأرضين و الآلهة.

انتصب، انتصب، يا سيدنا!

هذا الذى تمرد عليك هو الآن على خشبة الإعدام، فلن يوجد أبداً.

كن خالداً، كن خالداً، خالد هو اسمك!

وأعضاؤك هى لك، (من جديد)، أيا «ونن ـ نفر»، فليكن حياً، ومزدهراً وفى صحة طيبة!،

إن بدنك هو لك (من جديد)، أنت يا من كان قلبك متعباً.

يا «أوزيريس» إن كل ما تتفوه به كامل،

فالإله «حو»[١٠٩] هو الذى على فمك،

ووالدك «تانن» يرفع السماء،

لتتمكن من التجول فيها عبر مناطقها الأربع.

إن «با»ك لا يطير نحو الغرب،

فأنت على صورة «رع».

أولئك الذين فى العالم السفلى يستقبلونك فى حبور،

بينما يفتح «چب»[١١٠] من أجلك على الرحب والسعة وما بداخله،

عندئذ يحضرون إليك، فى سلام.

وأنت، اذهب فى سلام إلى «بوزيريس»،[١١١]

انتصب، انتصب فى السلام!

إن «إيزيس»، سيدة الأفق، قادمة إليك، مثلما أتت إلى العالم «بالكائن» الأوحد، مرشد الآلهة.[١١٢]

سوف تحرسك،

سوف تحميك،

سوف تحمى «حورس»،

هى التى جلبت ذكراً من أجل أبيه،

سيدة الكون، المنبثقة من «عين» «حورس»،

السيدة النبيلة (التى) انجبها «رع»،

والتى خرجت من إنسان عين «آتوم»،

عندما أشرق «رع» «للمرة الأولى»،»

(هكذا وصلنا إلى نهاية النص).

إنه نص طويل واخراج مسرحي خُصّص للمراثي والتجديد الإلهي.

يشارك في التمثيل العديد من الأبطال: وعلى رأسهم «إيزيس» و«نفتيس»، وهما الشقيقتان الحزينتان اللتان تنشدان بمصاحبة الدف، انشاداً ثنائياً في بعض الأحيان، ولكن إيزيس في أغلب الأحوال تناجي بمفردها الإله المتوفي لبعثه حياً. هذه الأناشيد عبارة عن أنّات حب طويلة نتيجة الفراق الذي يعتصر المرء أسىً. كما تستعيد إلى الأذهان البحث الذي لا يكلّ من جانب الزوجة العاشقة فتعلن نداءً جياشاً لتجديد الحياة. ويوجد ممثل آخر، هو الكاهن المرتل، إنه الرجل الملم بالشعائر المقدسة وساحر المعابد: فالكلمات التي ينطق بها تربط الإله المتوفي بالحياة التي لا تعرف الكلل لنهر النيل وعالم النبات وتوحّد هذه الكلمات بين «أوزيريس» والشمس انطلاقاً من شكل آخر من أشكال الخلود الكوني. ومن ثم، وبفضل المناجاة المزدوجة القائمة على الحب البشري وعلى الشعائر السحرية التي تسعى إلى دمج «أوزيريس» في مجمل قوى الحياة في الكون، سوف يبعث «أوزيريس» حيا - في القسم الأخير من هذا النص.

وكلمة «خيّ» التي نترجمها بكلمة «طفل»، والتي تطلقها هذه الوثيقة في الغالب على «أوزيريس»، فمعناها الحرفي هو «المشيمي» أي «الذي ينسب إلى المشيمة» (والياء الموجودة في نهاية كلمت «خي» هي ياء النسب وهي واحدة كما نلاحظ في اللغتين المصرية القديمة والعربية - المترجم). ويمّر «أوزيريس» بفترة حمل جديدة، حمل تكتنفه الأسرار. وسوف يولد من جديد، خارج المشيمة - الأم، كطفل جديد. إنه طفل يرمز إلى الأرض الخصبة (وسوف يكون بلون الفيروز وهو لون عشب الحقول والقمح في فصل الربيع). إنه كائن سماوي وشمسي ويغطي رأسه اللازورد، بلون زرقة السماء وأعضاؤه من النحاس (وهو مادة النجوم) ومن الفضة (التي تشير إلى بياض أشعة النجم وشدة تألقه). إنه كائن خالد، رائحته هي رائحة البخور، فهو نبات الحياة.

إن ميلاد «أوزيريس» الجديد وبعثه حياً بعد آلامه، هو خلق جديد، على غرار خلق الطفل «الشمس» (اسم مذكر في المصرية القديمة - م) الذي يولد من جديد مع كل فجر عن جسد إلهة السماء. (سواء كان جسد امرأة أم جسد بقرة). إن مصير «أوزيريس» و«رع» مصير واحد بلا حدود، ولن يستطيع متمرد، كائنا من كان، ان

يعرقله فى كلتا الحالتين. إنهما إلهان متكاملان. ويندمجان أحياناً اندماجاً تاماً، فيعملان إلى الأحياء وإلى الكائنات الميتة موتاً مؤقتاً، درساً خالداً فى الحياة.

إن عمل «أوزيريس»، الإله القريب من البشر، سوف يستأنفه ابنه «حورس» أيضاً وتتواصل الأسطورة الأوزيرية فى إطار العائلة.

ب- ميلاد «حورس».[١١٣]

رعد وبرق ـ الآلهة خائفة. «إيزيس» ساهرة، إنها حبلى، حاملةً بذرة أخيها «أوزيريس»، وتنهض، هذه المرأة المهجورة، إن قلبها مبتهج ببذرة أخيها «أوزيريس». وتتحدث قائلة:«أيها الإله، أنا «إيزيس»، أخت «أوزيريس»، تلك التى تذرف الدموع على أبى الآلهة، «أوزيريس»، هذا الذى كان القاضى (خلال عصر) قلاقل القطرين.[١١٤] إن بذرته هى الآن فى جسدى. لقد جمّعت هيئة إله فى داخل بيضة، مثل ابن من يقف على رأس التاسوع. سوف يحكم هذا البلد. ويخلف «چب»، ويدافع عن أبيه ويذبح «ست»، عدو أبيه «أوزيريس». تعالَيْ يا أيتها الآلهة! أمّنى حمايته فى بطنى! اعترفى فى قلوبك بأنه حقاً هو سيدك ، هذا الإله الذى ما زال داخل بيضته أزرق هو مظهره، فهو سيد الآلهة، وأعظم منها وأجمل، ويهز ريشتيه (المصنوعتين) من اللازورد.»[١١٥]

- وقال«رع-آتوم» :«واه ! فليكن ابنك راضياً، ايتها المرأة ! ولكن من أين لك أن تعرفى بالفعل، أن الأمر يخصّ إلهاً، هو سيد، ووريث الآلهة الأولية، فى حين أنك تنشطين، داخل بيضة؟»

- «أنا «إيزيس» القديرة، المقدسة اكثر من سائر الآلهة. إن إلهاً موجود داخل جسدى، إنه بذرة« أوزيريس».

عندئذ قال (لها) «رع-آتوم »:«لقد حبلت فى الخفاء، بهذا الطفل الذى تحملينه،(ولكن) ستلدين بجوار الآلهة، لأنه بذرة «أوزيريس». والكائن العدوانى الذى قتل أباه، ليته لا يحضر ليكسر البيضه فى شبابها !ليته يتخوف من الإله، العظيم
قتل أباه، ليته لا يحضر ليكسر البيضه فى شبابها !ليته يتخوف من الإله، العظيم.

سحره !»

وقالت «إيزيس» استمعى إلى ذلك، أيتها الآلهة. لقد تحدث «رع-آتوم»، سيد قصر الصقور. لقد اصدر أوامره من أجلى، لحماية ابنى داخل جسدى. لقد حشد حرساً من حــوله فى بطنى، فــهــو يعــرف تمام المعــرفــة أن الأمــر مــرتبط بوريث«أوزيريس»ويتولى«رع-آتوم»سيد الآلهة، حماية الصقر الذى هو أنا.

تعال، اخرج إلى الأرض، لأهلل لك وامتدحك، ليلحق بك، رفقاء أبيك«أوزيريس». سوف أثبت اسمك بعد أن تكون قد وصلت إلى الأفق، متخطياً أسوار الإله صاحب الأسم الخفى. وتخرج قوة من بدنى، بعد ان قامت قدرة وهاجمت بطنى. وتبلغ هذه القدرة أوج عنفوانها عندما يبدأ المتألق رحلته.(١١٦) لقد حدد(حورس) مقره بنفسه، فجلس على رأس الآلهة، فى مجمع «الذى تقطعت أوصاله»(«أوزيريس»). «حورس»يا بنىّ، استقر إذن فى هذا البلد،من أجل أبيك«أوزيريس»، باسم الصقر هذا الذى يخصك والموجودعلى أسوار قصر الإله صاحب الاسم الخفى. إنى التمس بقاءك ضمن حاشية«رع-حور آختى»، عند قيدوم مركب (الكائن) الأولىّ، للزمن الأبدى والزمن اللانهائى.»

وتهبط «إيزيس» نحو«ذاك الذى تقطعت أوصاله»، مصطحبة«حورس» كى تطلب أن يبقى هو أيضاً معه، مثل صورة إلهية، للزمن الأبدى.

-تأملوا إذن«حورس»، أنت،يا أيتها الآلهة !»

-أنا«حورس»، (أنا) الصقر العظيم الذى فى أسوار قصر الإله صاحب الاسم الخفى. لقد بلغت انطلاقتى الأفق، وابتعدت عن آلهة السماء، واتخذت مقامى فى مكان أسمى من مكان (الآلهة) الأوليه. وحتى الإله«يا أو » ليس فى وسعه أن يبلغ طلعتى الأولى. إن مكانى بعيد عن (مكان) «ست»، عدو أبى«أوزيريس». لقد غزوت دروب الزمن الأبدى والنور. إنى ارتقى بفضل إنطلاقتى. وليس فى وسع إله (غيرى) أن ينجز ما انجزته. سوف أخوض حرباً ضد عدو أبى«أوزيريس»، وأضعه تحت نعلىّ باسمى«العنيف» هذا. فأنا «حورس»، الذى ولدته «إيزيس»، والذى أمّنت حمايته منذ كان داخل البيضة. إن أنفاس فمكم المتوهجة لا تستطيع أن تجرحنى، تماماً كما لا يصيبنى ما تقولونه فى حقى. أنا«حورس»، الذى يتخذ مكاناً بعيداً عن الآلهة وعن البشر. أنا«حورس»بن«إيزيس»،»

يكشف هذا النص عن نزعة تلفيقية مرهفة تجمع مختلف الآلهة التى تحمل اسم «حورس»، والتى سميت على اسم هيئتها الأصلية، اسم الصقر-«حورس»، الذى كان يطلق فى سابق الزمان على هذا الطائر. وفى المقام الأول نجد أن هذه النزعة التلفيقية تربط بين«حورس» بن«إيزيس» والصقر الشمسى المحلق فى السماء. وجدير بنا أن نلاحظ تداخل ظروف مولدهما وأوجه التماثل بينهما واختلاط خصائصهما، إلى جانب عداؤهما المشترك للكائنات الشريرة.

لقد ظل المصريون منذ قديم الزمان يسعون إلى مثل هذه الإتحادات الإلهية، فقد آلت أوجه الغموض المقصودة هذه، إلى شيء من الوحدة خلف مظاهر التعددية - الأمر الذى جعل الميثولوچيا المصريه واحدة من أكثر الميثولوچيات تعقيداً بالطبع، ولكنها أيضاً أكثر ميثولوچيات العالم القديم ثراء من الناحيه الروحية.

جـ- المعارك ضد «ست»

* المبارزة مع «حورس» ومحاكمة الآلهة.(١١٧)

المحكمة

[عندئذ انعقدت المحكمة] التى أنيط بها الفصل بين«حورس» و«ست»(١١٨)-الإلهين صاحبى الأشكال السرية، الباسلين، وهما أعظم (الآلهة) التى وجدت على الأطلاق.

غير أن صبياً إلهياً كان يجلس فى حضرة سيد الكون، مطالباً بمنصب أبيه «أوزيريس» (الإله) صاحب الإشراقات الجميله، ابن «تپاح»(١١٩) ، المتألق....من ضيائه. بينما كان«تحوت» يقدم العين «وچات» إلى الأمير العظيم الذى يقيم فى«هليوپوليس»(١٢٠).

عندئذ تحدّث «شو» بن «رع» أمام «آتوم»، الأمير العظيم الذى يقيم فى «هليوپوليس»، قائلا: «الحقيقه والعداله هما سيدتا القوة. [اعمل بهما] قائلاً: فليعط

المنصب لـ«حورس».» وقال «تحوت» للتاسوع أيضاً:«وهذا حقيقى ألف ألف مرة.» . وفى الحال،أطلقت «إيزيس» صرخه مدويه، وفرحت فرحاً شديداً..[وجاءت] إلى حضرة سيد الكون وقالت عندئذ:«سوف تتجه ريح الشمال، نحو الغرب وتلطف بالتالى قلب الملك«ونن نفر»(١٢١) – ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة !» وتحدث «شو» بن«رع» (إلى«تحوت») قائلاً : «قدّم إذن للتاسوع العين «وچات»،العادلة.»

ولكن سيد الكون تحدث قائلاً:«فما معنى إذن ان تتخذوا انتم قراراً بمفردكم؟(١٢٢)» فاجاب التاسوع:«فليجدد(«تحوت») إذن الألقاب الملكية لـ«حورس»، وليوضع التاج الأبيض على رأسه». ظل سيد الكون صامتاً لفترة طويلة. كان غاضباًعلى التاسوع. عندئذ، أخذ «ست»بن«نوت» الكلمه قائلاً : اطرحوه فى الخارج معى. وسوف أسعى ليتمكن القوم من مشاهدة يدى بينما تمسك يده، على مرأى من التاسوع، نظراً لعدم وجود كلمه (تستطيع) أن تحرمه.»(١٢٣) فأجاب عليه «تحوت»:«ألن نسعى (أولاً) لمعرفة من أخطأ؟ وهل سنعطى وظيفة «أوزيريس»إلى«ست» بينما ابنه«حورس» موجود هنا؟» وثار «رع-حور-آختى»، ثورة جارفة، جارفة جداً، لأن قلب«رع» كان يميل إلى إعطاء المنصب لـ«ست»(إله) القوة العظمى وابن «نوت». عندئذ أطلق«أونوريس» صيحة مدوية فى حضرة التاسوع قائلاً:«ما العمل، إذن؟» وأجاب «آتوم» الأمير العظيم الذى يقيم فى«هليوپوليس»:« فلنستدعِ «با-نب-چدت»،(١٢٤) إله الحياة العظيم، ليحاكم الشابين.»

فأتوا إذن بـ«با-نب=چدت» – الإله العظيم، المقيم فى جزيرة سهيل(١٢٥)– (فمثُل) فى حضرة«آتوم» ومعه فى نفس الوقت «پتاح-تاتنن». وقال لهما«آتوم»:«افصلا بين الشابين وضعا حداً لمشاجراتهما اليوميه !» ولكن(تحدث)«با-نب-چدت» إله الحياة العظيم ليرد على هذه الأقوال:« لا تسمح بأن نتخذ قراراً بسبب ما نحن عليه من جهل. ارسل(بالأحرى) خطاباً إلى«نيت » الأم الإلهية العظيمة. وما تمليه علينا، سنفعله.»ومع ذلك، قال التاسوع لـ«با-نب-چدت»، إله الحياة العظيم:«لقد سبق ان صدر حكم أولىّ، فى«قاعة العدل الكبرى».» وقال التاسوع عندئذ لـ«تحوت»، أمام سيد الكون:«أعدّ إذن خطاباً للأم الإلهية «نيت» العظيمة، باسم سيد الكون، الثور الذى يقيم فى «هليوپوليس».» وأجاب «تحوت»قائلاً: «سأعدّه، يقيناً ،سأعدّه، سأعدّه.» وهنا جلس لتحرير هذا الخطاب، وقال:«(من قِبَل) ملك الوجهين القبلى والبحرى،

«رع-آتوم»، محبوب «تحوت»، سيد القطرين، الهليوبوليتانى، القرص الذى ينير الأرضين بضيائه، النيل الفاتح العظيم، «رع-حور-آختى»،(إلى) الأم الإلهية «نيت» العظيمة، صاحبة الوجه المتألق التى تتحكم فى الحياة والصحة والشباب المتجدد. إن الـ«با»الحىّ لسيد الكون، الثور الذى يقيم فى «هليوبوليس»، الملك الكامل للبلد المحبوب (يكتب لك) ما يلى: خادمك[١٢٦] هذا يظل خاملاً بسبب «أوزيريس»، فيستشير يومياً القطرين (حول هذا الموضوع)- فى حين يقيم «سوبك» للزمن الأبدى، إقامة راسخة.[١٢٧] ترى ماذا سنفعل إذن من أجل هذين الرجلين، اللذين (يقفان) منذ ثمانين عاماً أمام هذه المحكمة، وما زلنا لا نعرف كيف نفصل بينهما؟ بلغينا إذن (برسالة منك) حول، ما ينبغى عمله.» ووجهت الأم الإلهية «نيت» العظيمة رسالة إلى التاسوع، قالت(فيها):«سلّموا وظيفة«أوزيريس» إلى ابنه «حورس»، لا ترتكبوا أفعالاً شنعاء ظالمة، ليس (هنا)مجالها. وإلا سوف تثور ثائرتى، فأجعل السماء تدنو من الأرض، قولوا إذن لسيد الكون، للثور الذى يقيم فى «هليوبوليس»: ضاعف أملاك«ست» واعطه ابنتيك «عنات»و«عشتار»،[١٢٨] وأقم «حورس» مكان أبيه «أوزيريس».»

وصل خطاب الأم الإلهية«نيت» العظيمة إلى التاسوع، بينما كان مجتمعاً فى القاعه الفسيحة(المسماة)«حورس-هو-الذى- يتولى-أمر-الأقواس». وسلّم الخطاب إلى يد«تحوت»، وقام هذا الأخير بقراءته بصوت مرتفع فى حضرة سيد الكون والتاسوع بأكمله. وبعد ذلك قالت الآلهة فى فم واحد:«هذه الإلهة على حق.»

وعلى ذلك، فقد احتدّ سيد الكون على «حورس» قائلاً:«أنت كائن ضعيف الجسد. وأهمية هذه الوظيفة فوق قدراتك، لأنك (لا تزال) غلاماً شقياً، تفوح من فمه رائحة (اللبن).» وثارت ثائرة «أونوريس»، لألف ألف مرة، والتاسوع بأكمله أيضاً، أى - الثلاثون.[١٢٩] ثم نهض «بابا»[١٣٠] ليقول لـ «رع - حور - آختى»:«معبدك مهجور». وتألم «رع - حور - آختى» من هذه الأجابة. واستلقى على ظهره، وكان قلبه حزيناً، إلى حدّ كبير. وخرجت آلهة التاسوع خارج (القاعة). وصاحت صيحة مدوية فى وجه الإله «بابا»، قائلةً له: «اخرج، أنت! فقد ارتكبت جريمة شنعاء.» ثم توجهت إلى مقارها. وقضى الإله العظيم يوماً وهو مستلق على ظهره، فى حجرته. وكان قلبه حزيناً إلى حدّ كبير. وكان وحيداً.

وبعد فترة طويلة، وصلت «حتحور» سيدة جمّيزة الجنوب،[١٣١]وظلت واقفة فى حضرة أبيها، سيد الكون، وكشفت أمامه عن أنوثتها. عندئذ، انفجر الإله العظيم ضحكاً بسبب ما فعلت . فنهض واجتمع(مجدداً) مع التاسوع العظيم. وقال لـ«حورس» وست»:«تحدثا إذن !»

عندئذ، قال «ست»(الإله) العظيم القوة، ابن«نوت»: «أمّافيما يخصنى، فأنا«ست«(الإله)العظيم القوه، فى وسط التاسوع.إنى أُبيد، عدو«رع»، يومياً، عندما أقف عند قيدوم السفينة المقدسة لملايين السنين. فلا نعلم (بوجود) إله (آخر) فى وسعه ان يفعل ذلك. فعلىّ إذن أن أحصل على وظيفة «أوزيريس».عندئذ،قالت الآلهة: «إن «ست» بن «نوت»، على حق.» ولكن «أونوريس» و«تحوت» أطلقا معاً صيحة مدوية وقالا: «اتعطى هذه الوظيفة لشقيق الأم، بينما يقف هنا الابن المولود من جسد هذه الأخيرة؟» وأردف «با ـ نب ـ جدت» إله الحياة العظيم قائلاً: «أتعطى هذه الوظيفة إلى هذا الغلام، بينما يقف هنا «ست»، الأخ الأكبر.» وأطلقت (أيضاً) آلهة التاسوع صيحة مدوية فى وجه سيد الكون، وقالت: «ماذا تعنى هذه الكلمات التى تفوهت بها؟[١٣٢] فهى غير جديرة بأن تسمع؟»

ثم تحدث «حورس» بن «أوزيريس» قائلاً: «لن يكون تصرفاً سليماً بالطبع، ان يتم تجريدى فى حضرة التاسوع وأن تنتزع منى وظيفة أبى «أوزيريس».» (وبدورها استشاطت «إيزيس» غضباً على التاسوع وأقسمت بالإله أمامه (التاسوع) قائلة: «حقاً، وكما أن أسى الإلهة «نيت» تحيا، وكما أن «پتاح ـ تاتن»، صاحب الريشيتين الطويلتين والذى يلوى قرون الآلهة يحيا، ففى الحقيقة أيضاً، لسوف تضع هذه الكلمات أمام «آتوم»، الأمير العظيم الذى يقيم فى «هليوپوليس». ويحدث الشئ نفسه مع «خپرى»[١٣٣] الموجود فى قلب سفينته المقدسة.» ورد عليها التاسوع قائلاً: «لايسوءك الأمر، فسوف يعاد الحق إلى صاحب الحق، ويكون العمل (حسب) كل ما قلته أنت.»

عندئذ ثارت ثائرة «ست» بن «نوت» على آلهة التاسوع، عندما وجهت هذه الكلمات إلى الأم الإلهية «إيزيس» العظيمة. وقال لها: «سوف أتناول صولجانى (الذى يزن) أربعة آلاف وخمسمائة «ننمس»[١٣٤] وأقتل كل يوم واحداً منكم .» ثم أقسم لسيد الكون قائلاً: «لن أظل فى هذه المحكمة طالما بقيت فيها «إيزيس».» عندئذ قال «رع ـ حور ـ آختى» لآلهة التاسوع : «اركبى البحر (يا أيتها الآلهة) إلى الجزيرة الوسطى

وهناك، سوف تحاكمينهما. ولكن سوف تخبرين العبّار «عنتى»[١٣٥] بألا يسمح بعبور أية امرأة تشبه «إيزيس».

الجزيرة الوسطى

عندئذ (أبحر) التاسوع على (متن) القارب فى طريقه إلى الجزيرة الوسطى. وكانت الآلهة جالسة وهى تأكل الخبز.

وجاءت«إيزيس» واقتربت من العبّار«عنتى». وكان هذا الأخير جالساً على مقربة من سفينته. وكانت («إيزيس») قد تحولت إلى امرأة عجوز وتتقدم منحنية تماماً وتمسك فى يدها حلقة صغيرة من الذهب. وقالت له: «لقد حضرت إليك لالتمس منك العون لأعبر إلى الجزيرة. الوسطى لقد جئت (وانا)أحمل وعاء من الدقيق من أجل غلامى الصغير الذى مضت عليه خمسة أيام، فى الجزيرة الوسطى، وهو يحرس بعض الماشية[١٣٦]، فلابد انه يتضور جوعاً.» وأجابها «عنتى»: «لقد أخبرونى بألا اسمح بعبور أية امرأة» ـ (قالت) «إيزيس»: «أليست «إيزيس» هى المعنية بذلك؟» ـ قال العبّار: «ماذا ستعطينى لأساعدك على العبور إلى الجزيرة الوسطى.»– (قالت) «إيزيس»: سأعطيك رغيفاً.» ـ (قال) العبّار: «ماذا أفعل برغيفك؟ فهل اصحبك فى قاربى حتى الجزيرة الوسطى فى حين أنه قد تم التنبيه علىّ بعدم السماح بعبور أية امرأة، وذلك مقابل رغيف؟» ـ(قالت) «إيزيس»: «سأعطيك هذه الحلقة الذهبية التى فى يدى.»– (قال) العبّار: «أعطنى هذه الحلقة الذهبية!» وعلى ذلك فقد اصطحبها فى القارب إلى الجزيرة الوسطى.

وبينما كانت تسير تحت الأشجار، تلفتت فرأت آلهة التاسوع، جالسة، وهى تأكل خبزها فى حضرة سيد الكون الذى كان يقيم فى جوسق. و«ست» الذى كان يلتفت هو أيضاً، رآها قادمة إلى هذا المكان بينما كانت لا تزال بعيدة. عندئذ تفوهت برقية سحرية فتحولت إلى فتاة، جسدها آية فى الجمال، لم يكن لها مثيل فى هذه البلاد بأسرها. فتحركت شهوة «ست» نحوها، حتى أمرضته، (مرضاً) اشتدت وطأته. فنهض بينما كان جالساً يتناول الخبز مع (غيره) من آلهة التاسوع. وسار نحوها، فى حين لم يرها أحد غيره. وظل واقفاً خلف شجرة وناداها بصوت مرتفع وقال لها:

«أودّ أن ابقى هنا معك، أيتها الفتاة الجميلة!» وأجابته: «واه! ماذا، ياسيدى العظيم، لقد كنت زوجة راعٍ، وانجبت له ابناً، ولكن مات زوجى وصار الصغير حارساً للقطعان التى كانت ملكا لأبيه. عندئذ جاء (رجل) غريب، واقام فى حظيرتى ووجه كلامه إلى ابنى الصغير على هذا النحو: سوف اضربك واستولى على ماشية أبيك وألقى بك فى الخارج. هكذا تحدث إليه. وإنى أرغب (الآن) ان تعمل لصالحه، نظراً (لما لك من) سلطان. وأجابها «ست»: «أتُعطى الماشية (للرجل) الأجنبى، بينما الابن موجود هنا؟»

عندئذ تحولت «إيزيس» إلى حدِأة، وحلقت لتحط فى أعلى شجرة ونادت على «ست» بصوت مرتفع قائلة له: «فلتذرف عيناك بسببك أنت. إن فمك هو الذى تحدث، إن حكمتك هى التى أدانتك. ماذا تريد إذن بعد ذلك؟» عندئذ وقف «ست» هناك، ثم توجه إلى «رع-حور-آختى» وبكى. فقال له «رع-حور-آختى»: ماذا تريد بعد ذلك؟» فأجابه «ست»: «لقد جاءت إلىّ هذه المرأة الشريرة من جديد، لتمثل علىّ حيلة خبيثة. فتحولت فى وجودى إلى فتاة جميلة وأخبرتنى: كنت زوجة راعٍ ولكنه مات. وكنت قد أنجبت له ابناً، الذى أصبح حارساً لبعض الماشية التى كانت ملكاً لأبيه. وجاء رجل غريب إلى حظيرتى بصحبة ابنى وأعطاه خبزاً. وبعد انقضاء عدة أيام، بعد ذلك، قال هذا الرجل لابنى: سوف أضربك وأستولى على ماشية أبيك فستصبح ملكى. هكذا تحدث إلى ابنى. وهكذا أخبرتنى به.» وأجاب «رع-حور-آختى»:«ماذا قلت لها إذن؟» - (قال) «ست»: لقد أخبرتها قائلاً: «أتُعطى الماشية (للرجل) الأجنبى، بينما الأبن موجود هنا؟ هكذا تحدثت إليها. سوف يضرب وجه الدخيل بالعصا، ويطرح خارجاً ويقام الابن مكان أبيه. هذا ما قلته لها.» وأجاب «رع-حور-آختى»: «انظر إذن، لقد حكمت بنفسك على نفسك. ماذا تريد أيضاً؟» عندئذ قال «ست»: «فليتم احضار العبّار «عنتى»، ولتوقع عليه عقوبة كبيرة، بقولنا: سوف يقال له: لماذا ساعدتها على العبور؟» عندئذ تم احضار العبّار «عنتى» فى حضرة آلهة التاسوع. وأنتزعت الأجزاء الأمامية من قدميه (١٣٧) وأقسم «عنتى» فى حضور التاسوع العظيم، بخصوص الذهب، اعتباراً من هذا اليوم، (اقسم) قائلاً: «فليكن الذهب من الآن ملعوناً لمدينتى بسببى!»

الإنتصار الأول لـ«حورس».

عبرت آلهة التاسوع إلى البر الغربي. وجلست على التل، في زمن الليل.(١٣٨) وهمّ «رع-حور-آختى» ومعه «آتوم»، سيد القطرين، «الهليوپوليتانى» وأرسلا، فى آن واحد، (رسالة) إلى التاسوع يقولان فيها: «أنتم تجلسون هناك، ولكن ماذا تفعلون؟ أما عن الفتيين، فهل تفعلون فعلكم بحيث يقضيان وقتهما فى المحكمة؟ عندما يصلكم خطابنا،(١٣٩) سوف تضعون التاج الأبيض على رأس «حورس» بن «إيزيس» ليتربع على عرش أبيه «أوزيريس».»

ثارت ثائرة «ست»، إلى أن أمرضته مرضاً شديداً. ولكن تحدث التاسوع إلى «ست» قائلاً: «لم أنت ثائر؟ ألا ينبغى أن تعمل طبقاً لما قال «آتوم»، سيد القطرين، الهليوپوليتانى، (وتحدث) معه«رع-حور-آختى» فى آن واحد؟». عندئذ ثُبّت التاج الأبيض على رأس «حورس» بن «إيزيس» وفى هذه اللحظه صاح«ست»صيحة مدوية فى وجه التاسوع. وإذ ساءه الأمر(إساءة بالغة)، قال:« ترى أيعطى المنصب لأخى الأصغر، بينما، أنا، الابن الأكبر موجود هنا؟ واقسم قائلاً:« سوف يخلَع التاج الأبيض من على رأس«حورس» بن«إيزيس» ثم يلُقى به(أى«حورس»)فى الماء. كما سوف أتشاجر معه بصدد هذه الوظيفة الملكية.» وفعل«رع-حور-آختى» نفس الشيء(١٤٠)

المبارزة الجديدة والصراعات السحرية

عندئذ قال«ست»لـ«حورس»:هيا، نتحول إلى فرسىّ نهر ثم نغُص فى المياه الدافقة فى قلب «الشديدة الإخضرار»(١٤١). ومن يطفو مناّ(على سطح الماء)، بعد فترة ثلاثة أشهر، لن يؤول إليه هذا المنصب.»وغاص الرجلان.

وعلى ذلك جلست«إيزيس» تبكى قائلة:«إن«ست» يريد قتل ابنى «حورس».» ثم انصرفت بحثا عن كُبَّة خيط، وجدلت حبلا. ثم احضرت«دبناً»(١٤٢) من النحاس وصهرته على هيئة سلاح مخصص للماء(١٤٣). وربطته بالحبل وألقت بالسلاح فى المياه، فى المكان الذى كان «حورس» و«ست»قد غاصا فيه.(١٤٤)ولكن الخطاف

النحاسى نشب فى جلالة ابنها«حورس»، فصرخ هذا الأخير صرخة مدوية قائلاً: «انجدينى يا أمى«إيزيس»، يا أماه. نادِ على خطافك النحاسى أن ينفصل عنى. فأنا«حورس» بن «إيزيس»!» عندئذ صدرت عن «إيزيس» (بدورها) صيحة مدوية وقالت لخطافها النحاسى: «انفصل عنه. انظر، إنه ابنى «حورس»، إنه ابنى.» عندئذ انفصل عنه الخطاف النحاسى. وألقت به«إيزيس» مرة ثانية فى الأمواه فنشب فى جلالة«ست».(وبدوره)صاح هذا الأخير(متألماً) وقال«ما الذى ارتكبته فى حقك،أيا أختى«إيزيس»؟ نادِ على خطافك النحاسى ان ينفصل عنى أيا «إيزيس». ألست، شقيقك، ونحن من بطن واحدة؟»عندئذ انتابها ألم عظيم والتفت قلبها نحوه. فناداها«ست» (من جديد): «اتبتغين البغضاء[١٤٥] مع شقيقك «ست» الذى أنت وهو من بطن واحدة؟» عندئذ نادت «إيزيس» على خطافها النحاسى:«انفصل عنه. انظر، فإنك تنشب فى شقيق«إيزيس» الذى أنا وهو من بطن واحدة.» وانفصل الخطاف النحاسى عنه.

ولكن «حورس» بن «إيزيس» استشاط غضباً على أمه «إيزيس». فخرج من (الماء)، ثائر الوجه كوجه فهد من الجنوب. وكان سكينه (الذى يزن) ستة عشر دبناً بيده، فقطع رأس أمه«إيزيس». وأخذه بين يديه وحمله فوق التل. وتحولت «إيزيس» إلى تمثال من الصوان بلا رأس. وقال «رع-حور-آختى» إلى «تحوت»: «تُرى من هى إذن تلك التى أتت وهى بلا رأس؟» فردّ «تحوت» على «رع-حور-آختى» قائلاً: «يا سيدى الكامل، إنها الام الإلهية، «إيزيس» العظيمة. فقد قطع ابنها «حورس» رأسها.» عندئذ صاح «رع-حور-آختى» صيحة مدوية وقال لآلهة التاسوع: «هياّ بنا نوقع عليه عقاباً صارماً !» وصعد التاسوع إلى التل بحثاً عن «حورس» بن «إيزيس». وكان «حورس» راقداً تحت شجرة فى بلد الواحة. واكتشفه «ست» فامسك به وطرحه على ظهره، عند قمة التل. ثم انتزع عينيه من مكانهما ودفنهما فوق التل، لينيرا الأرض[١٤٦]. عندئذ تحول إنسانا العين إلى برعمين، ونموا(ليصبحا) زهرتى لوتس. وعاد «ست» أدراجه ليخبر «رع-حور-آختى» هذه الفريه: «لم أعثر على «حورس»-» وإن كان قد وجده فى الحقيقة.

رحلت «حتحور» سيدة جميزة الجنوب وعثر مع «حورس» فى الصحراء، (فوجدته) راقداً وهو يبكى. عندئذ اقتنصت غزالةً، وحلبتها، وهى تقول لـ«حورس»: «افتح عينيك

لأضع فيهما هذا اللبن.» وفتح «حورس» عينيه، ووضعت («إيزيس») فيهما اللبن، وضعت منه فى العين اليمنى، ووضعت منه فى العين اليسرى، وقالت له (أيضاً): «افتح عينيك». ففتحهما، ونظرت إليهما ووجدت انهما قد شفيتا. وانصرفت إذن لتخبر«رع-حور-آختى» قائلة: «لقد عثرت على «حورس» و كان «ست» قد سمل عينيه، ولكنى عملت اللازم لينهض من جديد. انظر، إنه قادم!»

عندئذ قال التاسوع: «فليُستدع «حورس» ومعه «ست»، فى آن واحد. وليُحاكما! ومثلا أمام آلهة التاسوع، وتحدث سيد الكون إلى «حورس» و«ست» فى حضرة (التاسوع) قائلاً : «انصرفا، ولكن اسمعا(أولاً) ما أقوله لكما، فلتأكلا وتشربا، ولنعش أخيراً فى سلام.توقفا عن الشجار كل يوم على هذا النحو، توقفا عن الشجار، توقفا عن الشجار، توقفا عن الشجار!» عندئذ، قال«ست»لـ«حورس»:«تعال، نقض يوماً سعيداً فى منزلى». فأجابه حورس:«سأفعل ذلك، بالتأكيد، سأفعل ذلك.» وبعد فترة المساء، نُصب لهما سرير، ورقد الرفيقان. وأثناء الليل صلّب«ست» ذكره ووضعه بين فخذى«حورس». عندئذ وضع هذا الأخير يده بين فخذيه وتلقى على هذا النحو نطفة« ست»، ثم توجه إلى جوار أمه «إيزيس»: «تعالى إلىّ، يا «إيزيس» ياأمّاه، تعالى لترى ما فعل بى «ست»!» وفتح يديه وتصرف بحيث استطاعت ان ترى نطفة «ست».عندئذ صرخت «إيزيس» صرخه مدوية وتناولت سكينها النحاسى وبترت يد «حورس» وألقت بها فى الماء ، ثم انتشلتها(منه) وأعادتها له(١٤٧). ثم احضرت قليلاً من مرهم طرى ودلّكت به ذكر «حورس». وبعد أن تصلب (العضو) أُدخل فى وعاء وتصرف «حورس» بحيث سالت منه النطفة. وإذ حملت «إيزيس» هذه النطفه وتوجهت بها عند الفجر إلى حديقة «ست» وقالت لبستانى هذا الأخير:«ما هى الخضروات التى يأكلها «ست»معك؟» أجاب عليها البستانى (قائلاً): « إنه لا يأكل معى أى خضروات عدا الخص.» عندئذ وضعت على (الخص) نطفة «حورس» فلما حضر «ست» كعادته اليومية، أكل من الخص الذى اعتاد أن يأكله. وحمل من نطفة «حورس».

ثم أخذ «ست» يقول لـ «حورس»: «هيا، تعال لأجادلك (أيضاً) أمام المحكمة» وأجابه «حورس» قائلاً: «سأفعل، حقاً، سأفعل.» وتوجه الرفيقان إذن إلى المحكمة ووقفا فى حضرة التاسوع العظيم. فقيل لهما آنذاك: «تكلما إذن!»

تكلم «ست» قائلاً: «تصرفوا لتعطى لى وظيفة الملك - ليكن حياً ومزدهراً فى صحة طيبة! وفى واقع الأمر، ففيما يتعلق بـ«حورس»الماثل هنا، فقد تصرفت معه كذكر.»عندئذ صاحت آلهة التاسوع صيحة مدوية وأخذت تتقيأ وتبصق على وجه «حورس». وضحك هذا الأخير بسببهم واقسم (باسم) الإله، قائلاً: «كل ما قاله«ست» محض افتراء. فلنناد على نطفة «ست» وسنرى من أى مكان تجيب. ثم فلينادَ على نطفتى وسنرى أيضاً من أى مكان تجيب.» عندئذ (قام) «تحوت»، سيد الكلمات الإلهية وكاتب التاسوع العادل ومدّ يده فوق ساعد «حورس» قائلاً: «تعالَىْ إلى الخارج، يا نطفة «ست»!» وأجابت (النطفة) من أعماق الماء. ثم مدّ «تحوت» يده فوق ساعد«ست»قائلاً:«تعالَىْ إلى الخارج يا نطفة «حورس»!» فأجابت عليه:«من أى مكان علىّ أن أخرج؟» قال لها«تحوت»: اخرجى من أذنه» ولكنها اعترضت (قائلة): «هل علّى (حقاً) أن أخرج من أُذنه، أنا السائل الإلهى؟» فأجاب «تحوت» عليها: «بل،اخرجى من جبينه!» وخرجت على هيئة قرص ذهبى فوق رأس «ست». غضب هذا الأخير غضباً شديداً، غضباً شديداً. ومدّ يده للإمساك بالقرص الذهبى، ولكن«تحوت» استولى عليه ووضعه على رأسه وكأنه سلاح. وأعلن التاسوع: « «حورس» مصيب و«ست»آثم.» واشتد غضب هذا الأخير (من جديد)، اشتد غضبه، وأخذ يصيح غضباً عند ما قيل: «حورس مصيب وست آثم.»

ثم اقسم قسماً عظيماً(باسم) الإله قائلاً:« لا ينبغى تسليمه وظيفة(الملك)، مالم يوضع معى فى الخارج. عندئذ سوف نشيد بعض السفن من حجر. ونحن، الرفيقان سوف نتنافس فى السباق. ومن يفوز على الآخر، هو الذى تسلم له وظيفة الملك-ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!» وهكذا شيد «حورس» لنفسه سفينة من خشب الأرز، وغطاها بالجص وأنزلها إلى الماء، عند المساء. ولم يتمكن أى من أهل هذا البلد بأسره ان يراها . ورأى «ست» سفينة «حورس» واعتقد إنها مصنوعة من حجر. وعندئذ ذهب إلى التل وقطع قمته وصنع لنفسه سفينة من حجر (طولها) مائة وثمانية وثلاثون ذراعاً. ثم نزل كل منهما فى سفينته فى حضرة التاسوع. وغرقت سفينة «ست» فى الماء. وتحول «ست» آنذاك إلى فرس نهر وسعى حتى أغرق أيضاً سفينة «حورس» الذى أمسك بخطافه النحاسى وأراد ان يطعن جلاله «ست». ولكن آلهة التاسوع قالت له: «لا تطعنه».

إذ ذاك أحضر «حورس» الأشياء الضرورية للإبحار ووضعها فى سفينته. وابحر صاعداً النهر حتى مدينة «سايس»، ليبلغ الأم الإلهية «نيت» العظيمة: «اعملى بحيث يتم الفصل بينى وبين «ست»، فمنذ ثمانين سنة ونحن أمام المحكمة ولم يصل (أحد بعد) إلى كيفية الفصل فى أمرنا. ومع ذلك، لم يتوصل أحد إلى إقرار حقه ضدى، وفى المقابل، تم الإقرار يومياً ألف مرة بحقى ضده. ولكنه لا يأخذ بعين الاعتبار كل ما قاله التاسوع. لقد جادلته فى القاعة الكبرى الوحيدة للعدالة، وتم الإعتراف بحقى ضده. (كما) جادلته فى القاعة الكبرى (المسماة قاعة) «حورس» الذى على رأس الأقواس.[148] وتم الإعتراف بحقى ضده.. كما جادلته أيضاً فى القاعة الكبرى لحقل البوص، وتم الإعتراف (أيضاً) بحقى ضده. وجادلته فى القاعة الكبرى (المسماة قاعة) بحيرة الريف(؟) وتم الإعتراف بحقى ضده. وقال (أيضاً) التاسوع (للإله) «شو» بن «رع»: «الحقيقة والعدالة (واضحتان) فى كل ما قاله «حورس» بن «إيزيس».

(ومن جانبه) قال «تحوت» لسيد الكون: «مُر بإرسال خطاب إلى «أوزيريس»، ليفصل بين الفتيين.» عندئذ قال «شو» بن «رع»: «إن ما قاله «تحوت» لتوه للتاسوع هو (عين) الصواب، ألف ألف مرة.» وقال سيد الكون لهذا الأخير («تحوت»): «اجلس واكتب رسالة إلى «أوزيريس»، وسوف نستمع إلى ما يقوله.» جلس «تحوت» إذن ليصوغ خطاباً موجهاً إلى «أوزيريس»، (فكتب) يقول:»

«الثور»[149]-: «الأسد الذى يخرج للصيد من أجله.»

«السيدتان»-: «ذاك الذى يحمى الآلهة ويُخضع القطرين.»

«حورس الذهبى»-: «ذاك الذى اكتشف البشر فى المرات الأولى.»

«ملك الوجهين القبلى والبحرى»-: «الثور الذى يقيم فى «هليوبوليس»، ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!.»

«ابن بتاح»-: «ذاك الذى هو مبارك للشاطئين، الذى يتجلى ضياءً كأب للتاسوع ويتغذى على الذهب ومختلف أصناف الأحجار الكريمة البراقة والرائعة، ليكن حياً

ومزدهراً وفى صحة طيبة!».»

ارسل لنا (رسالة) بشأن هذه المسألة التى تخصنا: (مسألة) معرفة، ما ينبغى عمله بشأن «حورس» و«ست». فلم نتمكن من الوصول إلى قرار ولا ندرى (ما العمل).»

وفى أعقاب ذلك، بلغت رسالة الملك، ابن «رع» (ذاك الذى يخلق) الوفرة الفائقة، رب الأطعمة (وعند تسلمها)، صاح صيحة مدوية، وبعد أن قُرئت الرسالة أمامه بصوت مرتفع، كتب عنها رداً على جناح السرعة، على جناح السرعة، (موجهاً هذا الردّ) إلى المكان الذى يوجد فيه سيد الكون فى صحبة التاسوع، (فكتب) يقول: «لماذا الإضرار بابنى «حورس»؟ فأنا الذى صنعت منكم كائنات قوية. فأنا الذى خلقت الشعير والعلس لتعيش الآلهة، والماشية أيضاً فى حماية الآلهة. وما كان لإله أو لإلهة أن يفعل ذلك.» .

وصلت رسالة «أوزيريس» هذه إلى حيث كان يقيم «رع-حور-آختى» الذى كان يجلس فس صحبة التاسوع فى المرتع الأبيض الذى فى مدينة «أكسويس»(١٥٠) وقُرىء (الخطاب) بصوت مرتفع فى حضرته و(حضرة) التاسوع. وقال «رع-حور-آختى» لـ«تحوت»: «اكتب لى بسرعة رسالة موجهة إلى «أوزيريس». وأبلغه بشأن رسالته: ولو لم تكن قد أتيت إلى الوجود، ولو لم تكن قد ولدت، لوجد الشعير والعلس رغماً عن ذلك.»

ووصلت رسالة سيد الكون إلى «أوزيريس». وقُرئت أمامه. (ورداً عليها) كتب إلى «رع-حور-آختى» (رسالة) قال فيها: «كل ماخلقته هو آية فى الكمال، هو آية فى الكمال، يامبدع التاسوع! ولكن كل شئ تمّ بحيث تغوص العدالة فى بطن العالم السفلى.(١٥١) خذ أنت إذن الموقف بعين الإعتبار. هذا البلد الذى أنا فيه يكتظ بحملة الرسائل ذوى الوجوه الشرسه، الذين لا يخشون إلهاً وإلهة. ولو أمرت بخروجهم، لأحضروا لى قلب كل من ارتكبوا أفعالاً خسيسة، ولكنهم يظهرون هنا فى صحبتى. ولما أقضِ حياتى هنا، فى سلام فى الغرب، فى حين أنكم موجودون فى الخارج جميعاً، جميعاً؟ فمن منكم أقوى منى؟ ولكن انظر، لقد اخترعوا الكذب. و«پتاح» العظيم «ذاك-الذى-يوجد-جنوب-جداره»، سيد حياة القطرين، عندما خلق السماء، ألم يقل للنجوم التى كانت فيها: ستذهبون كل ليلة لتغربوا فى الغرب، حيث يقيم الملك

«أوزيريس»؟ وفيما بعد فإن الآلهة والأشراف والشعب سوف يغربون أيضاً حيثما أنت – هذا ما أخبرونى به.»

وفى أعقاب ذلك، وصلت رسالة «أوزيريس» إلى حيث كان يقيم سيد الكون مع التاسوع. وتناولها «تحوت» وقرأها بصوت مرتفع فى حضرة «رع–حور–آختى» وآلهة التاسوع. عندئذ قالت (الآلهة): «عادل وصادق، عادل وصادق، هو كل ما قاله سيد الوفرة وسيد الأطعمة – فليحى ويكن مزدهراً وفى صحة طيبة!»

«حورس» –ملكا.

عندئذ قال «ست»: «فلننتقل إلى الجزيرة الوسطى، لأجادله (أيضاً).» واتجه إذن إلى الجزيرة الوسطى، وتم إنصاف «حورس» على حسابه.

وبعث «آتوم» الهليوپوليتانى: سيد القطرين (برسالة) إلى «إيزيس» قال فيها: «احضرى «ست» مربوطاً فى وتد.» عندئذ قامت «إيزيس» بإحضار «ست» مربوطاً فى وتد، (وكان) أشبه بأسير. وقال له آتوم: لماذا تعوق حكمك وتسعى إلى الإستلاء على المنصب الذى يعود إلى «حورس؟» فأجاب عليه «ست»: «بل كلاّ، يا سيدى الكامل. مُر باستدعاء «حورس» بن «إيزيس» واعطه منصب أبيه «أوزيريس».

وتم استدعاء «حورس» بن «إيزيس» ووضع التاج الأبيض فوق رأسه ونصّب على عرش أبيه «أوزيريس». وقيل له: «أنت (الآن) الملك الكامل للبلد المحبوب، أنت رب الحياة والإزدهار والصحة والكمال للأرض قاطبة، للزمن الأبدى والزمن اللانهائى.» وعلى ذلك صاحت «إيزيس» جهراً فى اتجاه ابنها، قائلة: «أنت الملك الكامل. إن قلبى فرح، لأنك تنير البلاد بضيائك.»

(وتحدث) «پتاح» العظيم «الذى–يوجد–جنوب–جداره»، رب حياة القطرين، قائلاً: «ماذا سنفعل من أجل «ست»، الآن بعد تنصيب «حورس» على عرش أبيه! فأجاب «رع–حور–آختى»: «فليعط لى «ست» بن «نوت». فيكون مقره فى صحبتى، ويكون لى بمثابة الابن. سوف يزعق فى السماء فيخشاه الناس.»(١٥٢) عندئذ جاءوا يخبرون «رع–حور–آختى»: «أن «حورس» بن «إيزيس» قد أشرق كملك–فليحى وليكن مزدهراً

والسماء فى صحة طيبة!» وابتهج «رع»، للغاية. وقال لآلهة التاسوع: «تهللوا! إذن، انحنوا حتى الأرض، حيّوا «حورس» بن «إيزيس!» وقالت هذه الأخيرة: لقد أشرق «حورس» كملك، فليحى وليكن مزدهراً وفى صحة طيبة! عندئذ صارت آلهة التاسوع فى حبور فى فرح. وتناولت أكاليل الزهور، بينما كنت تتأمل «حورس» بن «إيزيس» الذى كن قد أشرق كملك لمصر - فليحى وليكن مزدهراً وفى صحة طيبة! إن قلبها راضٍ، والبلاد بأسرها فى ابتهاج، بينما ترى (الآلهة) «حورس» بن «إيزيس»، الذى نقل إليه منصب أبيه «أوزيريس»، سيد «بوزيريس».[١٥٣]

وصل ذلك (إلى نهايته) فى طيبة، مقر الحقيقة ،العدالة.

إنها اسطورة طويلة ذات حلقات عديدة. إن موضوع إرث «أوزيريس» هذا، والمعارك مع «ست» واعتراف الآلهة بالوريث «حورس»، كان مصدر إلهام للعديد من النصوص الأخرى، وفقاً لمقومات متنوعة. وكان يحلوا للمصريين ان يتخيلوا مغامرات إلهية رائعة.

المعارك الإلهية أو عمليات المسخ الحربية قبل المحاكمة.[١٥٤]

كان «چسر تپ»[١٥٥] يراقب «ديم إيب».[١٥٦] ولكن عندما حضر هذا الأخير أثناء الليل، نجح فى تجنب «چسر تپ» ونفذ إلى المغارة (*حيث كان يرقد جسد «أوزيريس»*). عندئذ سار «إيماو إن عنخ».[١٥٧] على رأس الآلهة التى تسهر على «أوزيريس»، والتقى بـ «ديم إيب» وقطع رأسه، بحيث تضرج تماماً بدمائه. وجاء «ست» فى أعقابه، بعد أن كان قد اتخذ هيئة «أنوبيس». ثم هرب بعد أن سرق عناصر(؟) الجسد الإلهى، هرب حاملاً معه، ما كان قد استولى عليه، لكن «حورس» و«أنوبيس» انطلقا يطاردانه. ولحقا به عند قمة هذا التل. ونطق «تحوت» ضده من

جديد بتعزيماته، وإذ طرحه أمامهما أرضاً، كان «أنوبيس» يوثق ساعديه وساقيه، ووضعه كمقعد تحت «أوزيريس». ثم قطّعته «إيزيس» إرباً إرباً، وهى تغرز أسنانها فى ظهره، بينما كان «تحوت» ينطق ضده بكلماته السحرية. عندئذ قال «رع» «فليمنح هذا المقعد (للإله) الكليل!(158) كم هو ثابت (من جديد)! كم هو جميل! فليوضع «ست» تحته، مثله كمثل مقعد. وسيبدو الأمر ممتعاً *(أو عادلاً ؟)* بالنظر إلى ما ألحقه من أذى بجسد «أوزيريس» بأكمله.» وشهد «إيسدس»(159) (ضد) «ست» بسبب ما ما اقترفه من شر. ولكن فرّ هذا الأخير إلى الصحراء فى الوادى الموجود شرقى «حوت رچو».(160) ثم تم العثور بعد ذلك على «ست» ورفاقه، وقد سقطوا على الأرض، فوق التل، وحقائبهم المصنوعة من الجلدكانت تحتهم *(وتضم أخلاط «أوزيريس»)*. وأجهز «إيسدس» عليهم، وبعد ان شاهد «حورس» الأخلاط (ملقاة) تحتهم، حملها وطار محلقاً صوب الإناء (الذى يحتوى) على أخلاط هذا الإله العظيم. ودُفنت (الأخلاط) فى هذا التل، فى القبو الموجوده هناك. وبجوارها وضع ثعبان (يدعى) «خمت إمبيا»...... لحمايتها. ومع ذلك أمكن لـ«ست» أى يتجنبهم(161) بعد أن اتخذ لنفسه هيئة فهد هذا الإقليم. ومع ذلك تمكّن «أنوبيس» منه، بينما عاد «تحوت» ينطق ضده بتعويذاته السحرية. عندئذ، سقط «ست» أمامهم على الأرض، وأوثق «أنوبيس» ساقيه، واحترق «ست» فى اللهب، شرقى القاعة العظمى، من الرأس إلى القدمين، وجسده بالكامل. وبلغت رائحة شحمه حتى السماء، وأحاطت بهذا المكان المقدس. واستحسنها «رع» وآلهة التاسوع. ثم قطع «أنوبيس» جلد «ست»، وقصّبه ووضع هذا الجلد فوق ظهره. ثم دخل إلى حجرة «أوزيريس» الطاهرة، ليسكب الماء الطاهر، من أجل أبيه، قائلاً: «إن «ست» موجود هنا». ولذلك (من الآن أصبح) يطلق (اسم) «ستم» على الكاهن الطاهر لهذا الإله.(162) ثم قام «أنوبيس» بعد ذلك، فوسم «ست» بعلامته بالحديد المحمّى،(163) التى ظلت باقية إلى يومنا هذا. ولهذا السبب يرتدى الكاهن «سم»(164) إلى يومنا هذا، جلد فهد. عندئذ، جاء حلفاء «ست» يبحثون عنه. وكانوا كثيرين جداً، جداً. وانتشروا فوق هذا التل الواقع جنوب «دونعاوى».(165) وانطلق «أنوبيس» يطاردهم ليلاً وأعمل فيهم ذبحاً. وقطع رؤوسهم فى حركة واحدة، ومن الآن، أصبح من غير الضرورى أبداً أن يظل اسم «ست» محبوباً. وتدفقت دماؤهم على التل. وهكذا ظهرت إلى الوجود، لهذا السبب وليومنا هذا، صخور «دونعاوى». المسماة «شسيت»..(166)

ومن جديد جمع «ست» حلفاءه- وتصدت لهم («إيزيس») هذه المرة، فاختفت (فى البداية) فوق التل القائم جنوب «دونعاوى»، واتخذت شكل والدتها «سخمت». عندئذ عملت على أن ينبعث لهب ضدهم جميعاً، بحيث احرقتهم ناره والتهمتهم. ولذلك يطلق عليها اسم «حتحور» سيدة الجمرتين. وهناك اتخذت لنفسها مكاناً، لتتعرف على ما ينويه «الشرير» وحلفاؤه. واطلق على هذا المكان «بيت سيدة الجمرتين». أما الكاهن الطاهر لهذه الإلهة، فصار (من الآن) يدعى «الملتهم العظيم».(١٦٧) أما «ست» فعندما رأى «إيزيس» فى هذا المكان، فقد تحول إلى ثور حتى يجرى وراءها. فاستحالت كلبة تحمل سكيناً فى أعلى ذنبها وأخذت تعدو أمامه، بحيث لم يتمكن من اللحاق بها. عندئذ أراق «ست» نطفته على الأرض فقالت هذه الإلهة: «إنه لأمر بغيض ان تقوم بإراقة نطفتك على هذا النحو، أيها الثور!» ونمت هذه النطفة فوق التل، فأنبتت النبات (الذى يدعى) «بدد-كاو»(١٦٨) (*أى البطيخ*). ودخلت الإلهة بعد ذلك إلى التل حيث استراحت. وأطلق على (هذا المكان) «قصر الراحة». ثم اتجهت صوب شمال الإقليم. واتخذت عندئذ لنفسها شكل ثعبان ودخلت إلى التل لمراقبة حلفاء «ست»، إذا ما حضروا عند بداية الليل. فاطلقوا عليها عندئذ (اسم) «حتحور» سيدة «چحسيت».(١٦٩) وشاهدت الإلهة حلفاء «ست» أثناء قدومهم من إقليم «أوكسيرنكوس»،(١٧٠) وبينما كانوا يعبرون البلد فى اتجاه التل الشرقى. عندئذ لُدغوا جميعاً، وانفذت سمها فى اجسادهم فهلكوا جميعاً على الفور. وسالت دماؤهم على التل. وهكذا أتى الـ «پرش»* إلى الوجود فى «چحسيت».

وبعد ذلك اقترب (أعداء «أوزيريس») عند الغسق. وبالفعل، فإن «ست» كان يعرف ان «أنوبيس» فى الخارج واتخذ عندئذ هيئة «أنوبيس»، حتى لا يتعرف عليه حرّاس البوابة. ودخل وسرق عناصر(؟) من الجسد الإلهى. فحملها وعبر بها النهر، متجها إلى الغرب. ولكن سرعان ما علم «أنوبيس» بالأمر. فطارده عندئذ ومعه آلهة حاشيته، ولحق به. واتخذ «ست» مظهر ثور. ومع ذلك، فقد ربط «أنوبيس» «ساعدى» وساقى هذا الأخير، وبتر ذكره وخصيتيه، وحمل على ظهره ما كان ست قد استولى عليه، وسَجَنَ «ست»، خشية الإعدام فى انتظاره، وأعاد ما كان «ست» قد استولى عليه، إلى مكانه. ولذلك أطلق عليه اسم «باتا» فى «ساكا».(١٧١) وأطلق اسم «ساكا» إلى

---

* اكسيد الرصاص الأحمر المعروف بالسلاقون.(المترجم)

يومنا هذا على المكان الذى سجن فيه. لذلك (أيضاً) كانت توجد فى هذا البلد حظيرة للبقرات....

وبعد ذلك، ولج «أنوبيس» إلى «الحجرة الطاهرة» للوقوف على (أحوال) أبيه «أوزيريس». وألفاه سالماً وفى صحة جيدة، وكان اللحم الإلهى متماسكاً وغضاً. واستحال صقراً ونشر جناحيه خلف أبيه «أوزيريس» وخلف الإناء الذى يضم أخلاط الإله. وأطلق عليه «دونعاوى».[١٧٢] وبسط جناحيه، وكأنه صقر، وحلق بحثاً عن عينه هو،[١٧٣] فأعادها سالمة إلى سيده فى هذا الإقليم. ولهذا السبب، ابتهجت الآلهة والآلهات ابتهاجاً عظيماً، عظيماً جداً. وكان قلب معبودات التاسوع مفعمة بالسعادة لمشاهدة اللحم الإلهى، سالماً وقد أعيد تكوينه، وأدركوا أن الإله استعاد شباباً نشطاً. وحرق «أنوبيس» عطراً، ومُسح «أوزيريس» وزين، ودثر جسده بشرائط «رننوت».[١٧٤] ونطق «تحوت» فى المعبد بصوت مرتفع العديد من الرقى السحرية واتم جميع الطقوس المخصصة لهذا الإله *(«أوزيريس»)*. ومن الآن، أخفى بيت الشرائط لحم «أوزيريس»، وحماه جلد الفهد،[١٧٥] وراقبه حراس الباب، وكُلّفت الثعابين الحية[١٧٦] بالسهر عليه وعلى الأخلاط الإلهية أيضاً. وهكذا جُمّعت فى هذا المكان، ولم تبتعد عنه أبداً، إلى يومنا هذا. وعمل «أنوبيس» بجوارها، يقدم لها القرابين يومياً، رافعاً صوته من أجلها، كما أنه يحميها. وحُفظ هذا المكان وتقدس بسبب ما كان يضمه. عندئذ نهضت «با»ءات الآلهة فى عالم الآلهةفى الغرب حيةً، بعد أن كان فى وسعها أن تتأمل يومياً ما كان فى هذا المكان، للزمن الأبدى وللزمن اللانهائى.[١٧٧]

....

إنه فى يوم التاسع عشر، من الشهر الأول، من فصل الفيضان،[١٧٨] تم الفصل بين «حورس» و«ست» بواسطة «تحوت»، فى حضرة الآلهة. وبالفعل فقد قدم كل من «إيزيس» و«حورس» فى آن واحد عريضة إلى «رع»، يخبران (فيها) هذا الإله بكل ما افترفه «ست» من أفعال سيئة ضد «حورس» ومن ثم قال «رع» لـ «تحوت»: «افصل بين «حورس» و«ست»، وجلس «تحوت» على حصيرة. وكانت الآلهة بجواره تشكل المحمة المكلفة بالفصل بين «حورس» و «ست». وسرد «تحوت» جميع أفعال «ست» فى حضرة التاسوع، ليتم محاكمة «حورس». وخرج «حورس» منتصراً على «ست». وأقرّ

«تحوت» بأن يؤول لـ «حورس» ميراث الوجه القبلي والوجه البحرى (وميراث) الأقاليم وكل ما هو كائن، وكل ما هو موجود، وكل ما تغلّه الأرض، وكتب كل ذلك، ووضع «المِكِس»(١٧٩) (بكسر الميم والكاف) فى قبضته ثم وجهت رسالة إلى «رع» قيل فيها: «اعمل على ان يُعطى «حورس» مصر وعرش أبيه وأن يرسل «ست» إلى الصحراء، وأصدر «رع» الأمر إلى الجمعية العامة للآلهة.

عندئذ احتشد «ست» وحلفاؤه (لشن) معركة كبرى وهمّ «ست» بالزحف، على «تحوت»... وحمل كتاباته وألقى بها فى النهر. ولكن «تحوت» نطق رقاه السحرية، وأعاد ما يخصه من قراطيس (البردى) إلى مكانها، بعد أن لونها بفرشاته، بحيث عادت إلى سابق عهدها ... واستحال «ست» كلباً أحمر واختبأ فى دغل. وهمّت الآلهة تطارده وعندما لحقت به، رشقت حرابها فى عنقه. وكل من رآه يصيح: «إنه هنا! إنه هنا!» فأجهزت عليه بأنفاسها وقتلته بـ (الأسلحة) التى كانت بيدها.

عندئذ أشرق «حورس» على عرش أبيه «أوزيريس» بصفته ملك القطرين. وكان «تحوت» ضمن حاشيته، كإله يعمل من أجله بصفته وزيراً. والتفت من حوله جميع الآلهة وجميع الآلهات، وانتظمت كرفاق له. وبعد أن أوقف المعركة وذبح المتمردين، صرع «حورس» «ست»وأباد حلفاءه، ودمّر مدنه وأقاليمه، وأبطل اسمه فى هذا البلد، وهشّم تماثيله فى جميع الأقاليم، وبتر ساعده. ثم سحبه إلى كبد السماء، حيث سيتكفل الجن بحراسته (من الآن): «إنه الدب الكبير فى السماء الشمالية. وأمسكت به «أنثى الخنزير الكبرى»، بحيث لن يستطيع أبداً أن يركب البحر وسط الآلهة. وخصص «تحوت» الشقاء لمن اقترفه، فى السماء والمدن والأقاليم، «سداداً» لما فعله فيها. لهذا السبب يقتل كلب أحمر، فى يوم عيد «تحوت»، ليظل العاهل الملكى والأحياء على دراية (بهذه الأحداث)–وذلك إلى يومنا هذا.(١٨٠)

ألف سنة تفصل بين النصين اللذين ترجمناها فيما تقدم. ويتعلق كلاهما بالمعارك التى احتدمت بين «حورس» و«ست»، من أجل وراثه «أوزيريس» ويعبّر الأول عن الفكر المصرى العميق الذى يرى أن «ست» ليس إله المعارك الظالمة والشرّ فحسب (كما كان الإغريق يعتقدون فادمجوه فى الههم «تيفون»). بل إنه يعاون أيضاً فى الملاحة الشمسية وهو بالتالى صديق «رع». وعند إجراء القسمة مع «حورس»، سيظل

هو فى السماء إلى جانب «الشمس»، كإله للعواصف والزوابع، وهما عنصران طبيعيان.

أما النص الثانى فيعرض – ربما تحت تأثير الإغريق – لفكر أسطورى «جامح»، أقل إنسانية، وفيه يجسد «ست» الشر، فقط، والذى يظل من نصيبه إلى الأبد. كما تشير عناصر هذا النص، بصيغها المختلفة إلى الصراع العتيق مع أبناء الضعف، متمردى الأرض. وظلت هذه الخرافات لآلاف السنين لتنصهر فى فكر زمن متأخر، أكثر ثراء وأكثر غموضاً.

كما ظهرت علاقات روحية بين عالم الآلهة الأسطورى وعالم البشر الطبيعى. ومن ثم كانت المحكمة التى كان يناط بها محاكمة «حورس»و«ست»، تنعقد فى تاريخ محدد، مع بداية فصل الفيضان بعد أن تخصب الأرض بطمى فيضان النيل، فتعود إلى الحياة. وتؤتى حصاداً جديداً. وفى نفس الوقت يولد «حورس» كملك جديد، يخلف أباه.

وجدير بالملاحظة أيضاً الإهتمام بتفسير عناصر الكون بالكلمات. وتنسب فى الغالب اشتقاقات أسطورية إلى الكلمات الدالة على الأماكن والصخور والنباتات والأشياء.

إن الأسطورة الأوزيرية وهى أسطورة شعبية وإنسانية، تعيد تجميع أعداداً ضخمة من صور الخيال الدينى فى مصر القديمة .

٣- البعث وحب الحياة.

ا- الأب والابن.[١٨١]

تحية من «حورس» إلى أبيه، عندما يدخل لمشاهدة أبيه «أوزيريس» وعندما يخرج من «الحجرة الطاهرة» الكبيرة ليراه «رع» بصفته «ونن نفر»، سيد الأرض المقدسة، عندئذ يعانق أحدهما الآخر، ليكون كائن نورانى فى الجبانة.

التعبد لـ «أوزيريس» الذى يقف على رأس أهل الغرب، الإله العظيم، سيد «أبيدوس»، ملك الزمن الأبدى، حاكم الزمن اللانهائى، المعبود المقدس فى «رو- ستاو».[١٨٢]

كلمات قالها ابنك «حورس»:«إنى أجزل لك المديح والتهليل، يا سيدالآلهة، أيها المعبود الأوحد الذى يحيا على الحقيقة والعدالة. إنى قادم إلى جانبك لأحميك.إنى أحضر لك«ماعت»[١٨٣]، إلى حيث يقيم تاسوعك. اسمح لى أن أتواجد معه، ضمن حاشيتك، للقضاء على أعدائك. لقد حدّدت بشكل قاطع أرغفة قرابينك على الأرض،للزمن اللانهائى، للزمن اللانهائى.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لحماية أبى«أوزيريس».

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم للأجهاز على جميع أعدائك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأطرد كل ما علق بك من شر.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأقضى من أجلك، على آلامك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأصد أعداءك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك «حورس»، إنى قادم وقد جئت بحلفاء«ست» مكبلين فى أصفادهم.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحضر لك الوجه القبلى الذى ربطته من أجلك بالوجه البحرى.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحدد بصفة دائمة، من أجلك القرابين الإلهية فى الوجه القبلى وفى الوجه البحرى.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأزرع حقولك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأروى شطآنك من أجلك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لحرث أراضيك لصالحك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأشق القنوات من أجلك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحفر الأبار من أجلك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم للقيام بمذبحة بين الذين تمردوا عليك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم للتضحية بالأغنام التى يتألف منها أعداؤك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأموّن هياكلك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحضر لك....

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأذبح لك...

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأكرس لك القطيع الداجن.(١٨٤)

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأذبح لك الأوز والطيور.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لوَهْق اعدائك، لصالحك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم للإمساك من أجلك بأعدائك بواسطة شبيكة صيد.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحضر لك الماء الطاهر المتدفق من إلفنتين(١٨٥) ليرطب قلبك.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحضر لك شتى النباتات الحديثة النضرة.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحدد على الأرض بصفه دائمه ارغفه

القرابين أسوة بـ«رع».

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعدّ فى مدينه«په»، أرغفتك المصنوعة من العلس الأحمر.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعدّ فى مدينة «دپ»(١٨٦) ما يخصك من الجعة المصنوعة من الحبوب البيضاء.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم لأفلح من أجلك الشعير والعلس فى «حقل البوص».

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحصدها،هناك، لصالحك.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأمجدك.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعيد لك قدرتك.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعيد لك قوتك.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعيد لك......

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعيد لك......

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعيد لك هيبتك.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعيد لك ما تثيره من رعب.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأعيد لك عينيك، والريشتين اللتين فوق رأسك.

يا«أوزيريس»، أنا ابنك «حورس»، إنى قادم لأعطيك «إيزيس» و «نفتيس» اللتين ستنصبانك بثبات.

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأملأ بالطيب عين«حورس»لصالحك(١٨٧).

يا«أوزيريس»،أنا ابنك«حورس»، إنى قادم لأحضرلك عين «حورس» لينعم بها وجهك.»

إنها ترينمة طويلة تعدد النعم، وتنهال الجمل «الرتيبة» من جديد على جسد

«أوزيريس» وكأنها قدر مماثل من الإفتتان السحرى فتستحثه على البعث وتقف شاهداً على البر بالوالدين الذى يحرك «حورس».

وبفضل هذه المناداة يعيد هذا الأخير الحياة لأبيه الذى تم حفظ جسده- ويشرف على حمايته ويؤمن وجوده. ويهب له الأطعمة الضرورية. ويخوض المعارك ضد أعدائه وينتصر عليهم. و«يعيد» له المقومات المتأصلة فى كل كائن، المعنوية فيها والمادية. ويستدعى إلى جانبه مساعدتيه، اللتين تلعبان دوراً بارزاً فى عمليه البعث: وهما«إيزيس»و«نفتيس». وحتى يكتمل هذا العمل الباعث للحياة، يقدم«عينه» إلى أبيه، وهى العين التى كان قد اقتلعها«ست» (١٨٨) والتى ستصبح بعد أن أعيدت إلى مكانها- عربون الروابط الجسديه والحسية التى تربط الابن بأبيه. فكل شىء يفضى لامحالة إلى البعث: وهو على صورة بعث مياه النيل وبعث النبات الجديد- الصورة ذات المعزى الرمزى العميق التى يهديها «حورس»أيضا إلى«أوزيريس».

ب- القدرات الجديدة

*يقول«أوزيرس»: «مرحباً يا بنى «حورس»! انظر إلىّ بتيجانى العظيمة«آتف»(١٨٩) التى وهبنى إياها(الإله) «رع»، ووضعها «آتوم» من أجلى. التاسوعان راضيان بسببها. انظر إلىّ، يا بنىّ«حورس»، الجالس أمام الهيكلين(١٩٠). وصلِّى (بكسر الصاد) على جبينى، وصولجانى فى يدى،وسيفى فى قبضتى. إن «ماعت»التى تخصنى هى بجانبى والأذى تحت قدمىّ. لقد حددّت الشارات بشكل دائم،وعملت على النهوض بمقار الوظائف، وسوف أدحر العدوّ الذى يقترب منى.إنى حاكم الأرض وملكها. لقد صُعق أعدائى خوفاً، عندما شاهدونى ممجداً، بتيجانى العظيمة«آتف» التى فى «هرقليوپوليس»(١٩١).

إنى والدك، يا وريثى على الأرض. حدد شاراتى بشكل دائم، اعمل على النهوض بسلطانى....اذبح وعاقب أعدائك وأعدائى.»

- وقال «آتوم»:«أيا«تحوت»توجه من أجلنا إلى «جزيرة التوهج».(١٩٢) وشاهد «أوزيريس» من أجلنا .سوف تلتقى فى«هرڤليوپوليس». لقد أعدت الخوف الذى يثيره، إلى سابق عهده، لقد(أعدت) خلق هيبته. وحتى يرضى قلبى،، ستجدد تاجه الأبيض العظيم- لأنك أعظم الحماة الإلهيين لـ«أوزيريس».

ويقول «تحوت» لـ«أوزيريس»: «انظر، لقد أتيت. لقد احضرت من أجلك«ماعت» والسعادة. واحضرت لك أيضاً «حو»(١٩٣) والنصر لكى تحقق النصر على أعدائك. إن حب (الناس) لك هو فى قارب الأعضاء، والذكرى الطيبة التى يكنها لك الناس باقية فى القصر. كما أعطيك مدة حياة «رع». إنى أضع هيبتك فى «هرڤليوپوليس»، على صورة (هيبة) «رع» الذى يقيم فى هذه المدينه، وامنح القرابين من أجلك فى«منف»، وأجدد أعيادك فى«هليوپوليس». ومن أجلك أيضاً افتح دروب الجبانة. وأقيم الخوف منك فى«بوزيريس»، واجدد تاجك الأبيض فى«أبيدوس»، كما (أجدد) تاج «رع» الأبيض فى الإقليم الثينى(١٩٤).*(من الآن سيكون لـ«أوزيريس» اليد العليا على أعدائه المحتملين على الأرض وفى السماء وفى جهات الأرض الأربع:)*

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى السماء، سوف يهاجمه تاجك.

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى الأرض، سوف تقضى عليه هيبتك.

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى الجنوب، سوف يدحره..إن«ساتيس»سيدة إلفتنين، هى التى ستضرب على الأعداء سهامها الرهيبة التى ستقضى عليهم.

«هذا الذى قد يأتى ضدك فى الشمال، سوف يصبح لـ - «ياكس».....وحپحپ».

«هذا الذى قد يأتى ضدك وسط أهل الشرق، سوف يصبح الإله، رب الشرق بالنسبه لـ«سوپد» ويطردهم وسكاكينك مرشوقة فيهم.

«هذا الذى قد يأتى ضدك وسط أهل الغرب، سوف يصبح رب الغرب بالنسبة لـ«حا».وهذا الأخير، سوف يصد أيضاً الأعداء عند وصول«آتوم» مع طلعاته فى الأفق.

هكذا اكبّل اعداءك بالأغلال والعقرب بالأصفاد»-(هذا ما قاله) «تحوت» لـ«أوزيريس» .«إنى أقدم لك «ماعت»، وبذلك أدخل السرور إلى قلبك من خلال ما تحبه. من أجلك، ضربت، من أجلك صرعت، من أجلك قلبت اعدائك، لقد طردت

خصوك من أجلك، فذبحتهم ذبحاً وتسببت في هلاكهم. وجددت في مواجهتكم تجليك المجيد. أعطيتك النصر في الهيكلين والسرور مع التاسوعين. لقد اودعت في القصر ذكراك الطيبة ووضعت ما تثيره من حب، في جزيرة التوهج - وفقاً لما أمر به«رع»،» هكذا تحدث«تحوت»[١٩٥].

* إني قادم إلى جوارك، يا ابن«نوت»يا«أوزيريس»، يا حاكم الزمن اللانهائي. إني ضمن حاشية«تحوت»و أسعد بكل ما صنعه. لقد جاء من أجلك بالنسمات العليلة لأجل انفك، والحياة والقوة من أجل وجهك الجميل، إن ريح الشمال المنبثقة من آتوم هي من أجل أنفك، يا سيد الأرض المقدسة. لقد عمل على تألق نور الفجر(من جديد) على صدرك، فمن أجلك أنار طريق الظلمات، ومن أجلك طرد الشر العالق بجسدك، بفضل التعويذات السحرية التي ينطق بها فمه. لقد هدّأ الشقيقين«حورس» و«حورس»[١٩٦] من أجلك، واستبعد النزاع والجلبة. وأعاد البهجة إلى الرفيقتين، الشقيقتين[١٩٧] فهما (من الآن) إلى جوارك في راحة وسلام، لأنه، من أجلك استبعد السخط من قلبيهما وتتآخيان(من جديد) الواحدة مع الأخرى. لقد انتصر ابنك «حورس»في حضرة التاسوع بأكمله. ووهبت له الملكية على الأرض، إذ كان صله في أرجاء البلاد. وخصص له عرش«چب»ووظيفة «آتوم» الخيرة- وهي(الوظيفة) التي تأسست كتابة في (نص) الميراث الذي نقش على كتلة من الكوارتزايت، بمقتضى أمر من أبيك«پتاح - تنن»، المتربع على العرش العظيم. [١٩٨] .وسمح(بإقامة) شقيقه(«ست») فوق ما رفعه«شو»(السماء)، رافعاً الماء فوق التلال[١٩٩]، ليعمل على انبات ما ينبت فيها، فضلاً عن الحبوب التي تنبت في التربة. كما أنه(«حورس»)يوزع المنتجات على الماءوعلى الأرض. إن ابنك«حورس»قد أثار آلهة السماء وآلهة الأرض، إنها تتبعه حتى منزله وتنفذ في الحال كل ما أمر به.[٢٠٠].

إن قلبك سعيد! قلبك، يا سيد الآلهة، الذي تكون بجواره كل السعادة. مصر والصحراء هما في سلام[٢٠١]إنهما يخدمان صلّك، والمحاريث راسخة في مكانها، والمدن والأقاليم قد أقيمت حسب أسمائها وتأتي لتمنحك هباتها الإلهية، فقدم باسمك القرابين للزمن اللانهائي، ومن أجل اسمك يترنم القوم بالمدائح. وتقدم لـ«كا»ـك سكيبة من الماء الرطب و(تقدم) القرابين الجنائزية للأبرار الذين في حاشيتك.(كما)

يراق الماء فوق أرغفة القرابين المخصصة للموتى الذين فى هذه الأرض. وتظل جميع مقاصدك مباركة، حسب عادات سالف الزمن.

أنك تظهر متألقاً، يا ابن«نوت»، مثل سيد الكون فى إشراقاته. أنت تحيا وتدوم وتستعيد شبابك وتتجدد. لقد جعل أبوك«رع» جسدك سالماً ومزدهراً. إن تاسوعك يجزل لك المديح والتهليل.إن«إيزيس»معك، ولن تفارقك أبداً. ولن يحتاج الأمر إلى الإجهاز على أعداء (يثورون) عليك.جميع البلدان تعبد جمالك، الشبيه بجمال«رع» عندما يشرق مع تباشير الفجر. إنك تظهر متألقاً، شامخاً فوق حاملك ويعلو شأن جمالك وينتشر.

أنت ذاك الذى أُعطى له ملك والدك«جب» الذى خلق كمالك. أمك هى التى أتت بجسدك إلى الوجود، (أمك) «نوت»التى ولدت الآلهة. لقد ولدتك بصفتك الأخ البكر (لأشقائك) الخمسة،(٢٠٢)، الذى نُصّب والتاج الأبيض على رأسه، بينما(كانت) قبضتك تمسك بالصولجان والسوط بينما كنت لا تزال فى بطنها ولم تكن قد خرجت بعد إلى الأرض.

إنك تظهر متألقاً، يا سيد الشاطئين وعلى جبهتك التاج«آتف» الخاص بـ ر«ع». وتأتى إليك الآلهة، منحنية، بسبب ما تثيره فيها من خوف،(الخوف)الذى يسرى فى أجسادها، عندما تراك بهيبة«رع»، إذ تستقر فى قلوبها الرهبة التى يشعر بها(الجميع) فى حضرة جلالتك. الحياة معك. والقرابين تلحق بك. وتُقدم «ماعت» هبةً لوجهك.(٢٠٣)

٤-إتحاد «رع» و«أوزيريس»
من أجل
درس«فريد» فى الخلود»

* تُسمع فى«هرقليوپوليس» أصوات تهليل، فالفرح (يعّم)«نارف»(٢٠٤). لقد ظهر «أوزيريس» (على هيئة) «رع»، لقد ورث عرشه و(الآن) فإنه يحكم الشاطئين متحدين. كان التاسوع راضياً بذلك، ولكن«ست»كان يندب حاله. ويقول «أوزيريس»:«يا سيد الكل، ليت «ست» يخشانى، بعد أن يشاهد هيئتى الشبيهة بهيئتك. ليت كل الناس وكل الأشراف وكل الشعب وكل البشريه،(ليتهم)يأتون إلىّ وقد انحنوا عند مشاهدتى، لأنك أوجدت الخوف منى وخلقت هيبتى.» وانجز«رع» من أجل«أوزيريس» كل ما سبق وقاله.

عندئذ جاء«ست»، خافضاً وجهه، حتى لامس الأرض، بعد أن رأى، ما فعله«رع» من أجل«أوزيريس». وسال الدم من أنفه، ودفن«رع» فى«هرقليوپوليس» الدم الذى كان قد انبعث.

ثم عانى«أوزيريس»من صداع بسبب حرارة التاج«آتف» الذى كان قد وضع على(رأسه) لتهابه الآلهة. وبينما كان«رع» عائداً فى سلام إلى «هرقليوپوليس» ليرى«أوزيريس» ألفاه جالساً فى منزله، منتفخ الرأس بسبب التاج،ففصد«رع» هذا الدم وأخلاط الخُرّاج، فصارت بركة. وقال «رع»لـ«أوزيريس»:انظر، لقد صنعت بركة من الدماء والأخلاط التى سالت من رأسك.» فكان ذلك هو أصل هذه البركة المقدسة فى«هرقليوپوليس».

عندئذ قال «أوزيريس» لـ«رع» :«ماأحسن أحوالى ما أنصع وجهى! ما أعمق راحتى!...» وقال «رع» لـ«أوزيريس»: «فليبق وجهك صارماً، ارفع صدرك! كم هوشديد ما تثيره من رهبة، (وكم هى) قيّمة (بتشديد الياء)هيبتك . لقد خرج اسمك

من فـمـى من أجلك. انظر، لقـد تحـدد (من الآن) لملايين السنين.» وهكذا جـاء إلى الوجود اسم «حرى شاف»[٢٠٥] الاسم الرفيع المقام فى «هرقليوپوليس».

إن التاج العظيم «آتف» فوق رأسه. ويقدمون له الأرغفة والجعة والثيران والطيور، ويقـدم له كل مـا هـو جـمـيل وطيب وطاهر بـالملايين، ومـئـات الآلاف وعشـرات الآلاف والآلاف، بالإضـافة إلى نطفة «كا»ه. ويقف أمـامـه، فالقدرة الإنجابية هـى التى تجلب له جميع القرابين.

وقـال له«رع»:« كم هـوكـامل مـا انجـزته!فلـم يحـدث أبداً، أن صُنع شئ ممـاثل.» وأجاب «أوزيريس»:«لقد صنعته بفضل الكلمة الصادرة عن فمى. فكم هـو كامل الملك الذى توجد الكلمة فى فمه.»[٢٠٦]

* تحـيـــة لك، يا من يقف على رأس أهل الغـرب،يا «ونـن نفـر»، يا رب الأرض المقدسة. إنك تتجلى وضّاءً، أسـوة بـ«رع». ولكن انظر، فقد جاء ليشـاهـدك، مسروراً إذ يتأمل جمالك.

إن قرصه الشـمـسى هو قرصك الشـمـسى، وأشعته هـى أشعتك، وتاجه العظيم هـو تاجك العظيم. وعظمـتـه هـى عظمـتك. وإشـراقـاته الوضّاءة هـى إشـراقـتك الوضـاءة. وجماله هـو جمالك. وهيبته هـى هيبتك. وعبيره هـو عبيرك. وامتداده هـو إمتدادك. ومقر إقامـته هـو مقرّ إقـامتك. وعرشـه هـو عرشك. وميراثه هـو مـيراثك. وحليّه هـو حليّك. وسـيطرته هـى سـيطرتك. ومنطقـتـه الخـفـيـة هـى منطقـتك الخـفـيـة. وممتلكاته هـى ممتلكاتك. وحكمته هـى حكمتك. وقدرته على التمييز هـى قدرتك على التمييز.

من يحـمـيه يحـمـيك، وبالعكس. ولن يمـوت (كـمـا) أنك لن تموت.لا حـاجـة به لأن ينتصر على أعدائه، ولاحاجة بك لان تنتصر على أعدائك[٢٠٧] لا يمكن أن يحـدث له مكروه، ولا يمكن أن يحدث لك مكروه- للزمن اللانهائى وللزمن الأبدى.

تحـية لك، يا«أوزيريس»يا ابن«نوت»، يا صـاحـب القـرنين[٢٠٨]، وصـاحـب (التـاج) «آتف» العـالى، والذى أعطى لك (أيضـاً) التـاج الأبيض[٢٠٩] والصولجان فـى حضـرة التاسـوع، الذى خلق له«آتوم» المهابة فـى قلب البشـر، والآلهـة والأبرار والموتى، الذى

سلّم له أيضاً الصولجان فى«هليوپوليس»،(الإله) صاحب الصور العظيمة فى «بوزيريس»، سيد الرهبة فى المنطقتين، الذى يبلغ ما يثيره من ذعر فى «رو – ستاو»، حداً كبيراً، (الإله) صاحب الذكرى الحميدة فى القصر، الذى تبرز تجلياته الوضّاءة فى «أبيدوس»، الذى وهب النصر فى حضرة التاسوع، (الكائن) الذى بسببه ينتاب الرعب القوى العظمى، بالنظر إلى مدى انتشار الخوف منه، فى ربوع الأرض، الذى من أجله يقف العظماء فوق حُصُرهم، ملك معبودات العالم السفلى، القوة العظمى فى السماء، حاكم الأحياء، ملك الموتى، الذى يمجده الآلاف فى «خِر-عحا»(٢١٠)، الذى من أجله يعّم الفرح البشرية، مالك اللحوم المنتقاة فى المساكن العلوية، الذى من أجله، أُعدّت فى«منف»، عراقيب الأبقار، الذى من أجله يُعدّ فى«ليتوپوليس»طعام المساء(٢١١)، فهو الصورة العظمى، ذات القدرة الرفيعة.

ابنك«حورس» هو حاميك. إنه يصدّ كل ما يخصك من شرور. هكذا رَبَطْتَ لحمك، وأَعَدت تشكيل أعضائك، لقد جَمّعت عظامك، وأحضرت.... انهض إذن، يا«أوزيريس»! إنى أعيد لك ساعدك، إنى أسعى لكى تنهض حياً، للزمن اللانهائى. «چب» يمسح فمك، وآلهة التاسوع العظيم تحييك... بينما تتقدم معك نحو مدخل العالم السفلى. وتضع أمك«نوت» ساعديها خلفك. إنها تحميك وتجدد (بلا هوادة) حمايتها لك، حتى تكون ولاداتك الجديدة مهيبة. وتأتى شقيقتاك، «إيزيس»و«نفتيس» وتنضمّان إليك، فى الحياة والإزدهار والصحة. وبجوارهما، يسعد قلبك. وهما تبتهجان بسبب ما تكنه لهما من حب. إنهما من أجلك، تضعان كل شئ بين ساعديك، جامعتين من أجلك جميع الآلهة والـ«كا»ءات. إنهما تتعبدان لك، للزمن اللانهائى.

ما أجملك، يا«أوزيريس»! إنك تشرق وضّاءً، قوياً ونورانياً. لقد ثبّت صورك بشكل دائم. أن وجهك هو وجه «أنوبيس». إن«رع» هو بسببك فى حبور ويتحد بكمالك. لقد تربعت على عرشه الطاهر الذى خلقه«چب» الذى ما فتىء يحبك. إنك تتلقى «رع» فى الغرب على ساعديك، عندما يبحر يومياً عبر السماء. ومعه تتقدم نحو أمه«نوت» عندما يغرب يومياً فى الغرب، في قاربه المقدس، فى صحبة«حورس» الذى ما فتىء يحبك. إن حماية«رع» هى وقايتك السحرية، إن رُقى«تحوت» تتعبوك،

و«إيزيس» تعيد الإزدهار إلى جسدك.[٢١٢]

تتداخل الأساطير والخرافات لتخلق وحدة إلهية عظمى لصالح البشر الذين سيسيرون على هدى هذا الدرس الجوهرى فى الخلود، من خلال تكرار الحركات الخلاقة وترديد أعمال السحر المخَلّصة.(بتشديد اللام).

شروح وهوامش الفصل الثالث من الباب الأول

(١) مستودع القدرات السحرية.

(٢) «خلط» متعمد مع «أوزيريس»، الإله الذى قطعت أوصاله. راجع فى هذا الفصل«مراثى إيزيس ونفتيس»

(٣) BUDGE, Book of the Dead, II, p. 173-174, 1.2-8.
(Chap. 133-pap. de Nou)

(٤) إلهة الحقيقة والعدالة- وهما صفتان أخلاقيتان لا تنفصلان وتتجسدان فى نفس الإلهة. إن«ماعت» هى الشرط الضرورى لنظام العالم. وكان«قربان ماعت» من اللحظات الهامة فى الشعائر الدينية التى كانت تقام يومياًفى معابد مصر.

(٥) BUDGE, Book of the Dead, II, p. 165, 1.2-4.
(Chap. 13-pap. de Nou)

(٦) مادة ذات إشعاع أقل من إشعاع الذهب وهى تشكل لحم السماء ولكنها تلون العديد من العناصر المضيئة فى السماء العليا وتشكل جسم النجوم.

(٧) يعادل الذراع٥٢سم.

(٨) BUDGE, op cit, II, pp. 270-271, 1.1-5.
(Chap. 149-pap. de Nou)

(٩) من تسميات الأفق الغربى.

(١٠) حول اتحاد «رع» و«أوزيريس» فى العالم السفلى راجع فى هذا الفصل: «اتحاد «رع» و«أوزيريس»، من أجل درس فريد فى الخلود».

(١١) إن لحظة مرور النور هى لحظة عابرة.

(١٢) اسم الآخرة السفلية، آنذاك.

(١٣) لسحب قارب الشمس من على الشاطئ.

(١٤) BUDGE, op cit, I, pp. 49-50, 1.13-24.
(Chap. 15. pap. de Dublin.)

(١٥) العقيق الأحمر(؟).

(١٦) لا شك أنها إشارة إلى الإحتقان الذى تسببه لدغة الثعبان.

(١٧) إله عنيف مزدوج الرمزية: انه يخوض معركة عادلة فى مقدمة قارب «رع» ولكنه أيضاً قاتل أخيه «أوزيريس».

(١٨) الثعابين جن الأرض

(١٩). BUDGE, op cit, II, pp. 89-91, 1.2-14
(Chap. 108. pap. de Nou).

(٢٠) بردية برمنر- ريند Bremner-Rhind (المتحف البريطانى no 10188)
النص المصرى: R.O. FAULKNER, the papyrus Bremner-Rhind,

Bruxelles, 1933, pp.42-93. (Bibliotheca Aegyptica, vol. III.)

(٢١) من أسماء «أوزيريس» ومعناه:«ذاك الذى يبقى كاملاً على الدوام». والاسم داخل خرطوش، نظرا إلى ان«أوزيريس» كان ملك الأرض، بعد«رع» وابنائه، حسب التصور الهليوبوليتانى-وأول ملوك الأرض حسب الأسطورة الأوزيرية.

(٢٢) إن فرعون القريب من«رع»، يناضل إلى جانب قوى الخير. ويميل النص إلى دمج شخصيتى الإله والملك.

(٢٣) يمكن أن نتخيل الكهنة فى غبش معبد الكرنك بملابسهم الكتانية وهم يرتلون الكلمات التى ستحافظ على نظام الكون ضد قوى الفوضى.

(٢٤) وهو الصقر الشمسى، فى هذا المقام. ويوجد«تجانس» روحى بينه وبين الإله«حورس» بن«أوزيريس»، الذى يمسك أيضاً بحربته لمعاقبة «ست». هذا النص على قدر كبير من التلفيقية.

(٢٥) المعبودات.

(٢٦) فى هذا النص تتتابع على ما يبدو الجمل، التى تستعرض ما يقام من شعائر (نذكر على سبيل المثال فرعون وهو يشعل النار فى جسد ثعبان- وكان فى وسع الكاهن ان يقوم بهذا الدور فى هذا«المسرح» الإيمائى) كما تتتابع الكلمات(وهى ضرب من الترانيم)التى يتلوها الكهنةكمجموعة واحدة فى الغالب أو بالتناوب بين مجموعات تخاطب الشمس أوالملك مباشرة.

(٢٧) مع الترديد بلا كلل للكلمات التى تعلن الإنتصار على الشرير، كان كهنة المعبد على هذا النحو، وبفعل قوة الكلمة، يقدمون العون والحماية لرحلة الشمس- فى نفس الوقت الذى كانوا يساندون فرعون وهو«صورة» الإله على الأرض.

(٢٨) شعيرة مهمة، حيث كان من الضرورى من الناحية العلمية، أن يُحرق تمثال صغير يمثل«أبوفيس»، وذلك فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار، وأن تتلى فى ذات الوقت الكلمات السحرية التى تحول دون ولادته من جديد.

(٢٩) تختلط الإرشادات الشعائرية والرقى.

(٣٠) العاصفة ذاتها. واللون الأحمر هو لون القوة المعادية،وهى إشارة إلى الرمال القانية للصحراء القاحلة.إن الغيوم والعواصف والأمطار، إذ تهدد رحلة الشمس وبالتالى نظام العالم، فإنها تصور هنا كمظاهر متنوعة لـ«أبوفيس»-الذى يتم قهره بالضرورة عن طريق الممارسات الشعائرية.

(٣١) يخلط الكاتب الناسخ ملحوظاته الخاصة بالشعائر.

(٣٢) كان النص السابق يشتمل على التعاويذ التمهيدية ويصف الإستعدادات الشعائرية.

(٣٣) بخصوص عين الشمس، راجع الفصل الثاني من هذا الباب: «الإله رع: رحمته وضعف همته»

(٣٤) «إيزيس» الساحرة العظيمة. راجع أسطورة«رع وإيزيس»، كما وردت في هذا الفصل. وهنا ستخوض الآلهة بأجمعها المعركة ضد الثعبان الشرير.

(٣٥) إنه عنصر مجنح من عناصر الكائن.

(٣٦) الـ«با»و«الظل» (وله أهمية في بلاد الشمس الساطعة) هما عنصران من عناصر الشخصية الإنسانية. وانفصالهما هو واحد من بين العديد من الأساليب التي تدل على الوفاة.

(٣٧) من المقومات الأخرى– الأساسية–لكل كائن.

(٣٨) راجع الفصل الثاني من هذا الباب:«الإله رع: رحمته وضعف همته.» ان هذا المقطع المخصص لشعائر«أبوفيس»، يشير بأكمله إلى تمرد البشر.

(٣٩) الإلهة–اللبؤة، المحاربة، المرعبة الجانب. ويتكون اسمها الذي يعني«القديرة» من الجذر«سخم»أي«لها القدرة على».

(٤٠) اشارة محتملة إلى النار التي تعمل على تفسخ الأجساد وكأنها«تنفتح».

(٤١) تقارب بين الجذر««سج»أي«يحطم»والكلمة«سجت» أي اللهب. إن مجمل هذا النص هو في الحقيقة، نداء موجه إلى النار. ويكفينا«النظر»إلى النص المصري: فكل كلمة من الكلمات يلحق بها«مخصص على صورة المجمرة الملتهبة، الذي يسبغ على كل كلمة معنى خاص، فيسهل أحياناً كما في هذه الحالة أن نفهم أصل هذه التسمية أو تلك.

(٤٢) تتساقط الكلمات على المتمردين وكأنها سيل من اللعنات، فلن يستطيع المتمردون الافلات من هذا الجحيم الكلامي.

(٤٣) من الواضح انه «رع».

(٤٤) مثال آخر على السعي وراء التوافق الصوتي، وان كان شكلياً محضا في هذه الحالة. ويدور حول الجذر «مري» أي «يرغب».

(٤٥) يفترض ان الكهنة كانوا يقولون هذه التعويذة التي تتكرر أربع مرات، وهم يولون وجوههم شطر كل جهة من الجهات الأصلية الأربع.

(٤٦) راجع الهامش رقم «٢» من الفصل الأول من الباب الأول.

(٤٧) إلهة محلية.

(٤٨) من مدن الوجه القبلي.

(٤٩) «حورس». و«بحدت» هو الاسم المصري لمدينة إدفو.

(٥٠) من مدن مصر الوسطى.

(٥١) إله إقليم أقصى شرق الدلتا.

(٥٢) من مدن الوجه القبلي.

(٥٣) من مدن الوجه القبلي.

(٥٤) المكان المقدس (لأوزيريس) في الوجه البحري- مدينة «بوتو».

(٥٥) راجع ص ٣٥

(٥٦) حرفياً: «القديرة»-إلهة منطقة طيبة، وهي مندمجة هنا مع اللهب.

(٥٧) الإله الشمسي في مدينة ليتوبوليس.

(٥٨) يتعين أن تبقى عناصر جسده مبعثرة ولا ترتبط بعضها ببعض كما هو الحال بالنسبة لجميع الكائنات الحية.

(٥٩) في الغرب وفي الشرق، على حد سواء، فالمقصود به هما صورتان للإله«رع».

(٦٠) النص المصري: Alan Gardiner, Hieratic Papyri, I, p.59

ويرجع النص إلى الأسرة التاسعة عشرة(حوالي عام١٢٥٠ق.م)

(٦١) اشارة إلى التعايش الأول على سطح الأرض، حيث كان«رع »يقيم في قصره.

(٦٢) تقوم المقابلة هنا بين الماء و«محت-ورت»التي قد يعني اسمها«الأمواه العظمى الدافقة».

(٦٣) تصور قديم، سبق أن ورد في متون الأهرام الملكية، حول عام ٢٤٠٠ق.م.

(٦٤) لقد ورد الدليل على هذه النزعة التلفيقية، في شعيرة كان يقيمها المصريون على نهاية فصل الفيضان، في النصف الثاني من شهر أكتوبر، خلال موسم البذر في التربة التي خصبها طمي النيل، وعلى لوح خشبي أو على قطعة من النسيج، كانت ترسم صورة ظلية(سيلويت) لجسد «أوزيريس» ممدداً، ثم تغطى بطبقة رقيقة من الطمي، وتنثر فوقها الحبوب. وفي موسم الإنبات، تظهر صورة ظلية خضراء لـ«أوزيريس» كرمز لتجديد الطبيعة وبعث الحياة. كما كانت المعابد وكهنتها تلعب دوراً نشطاً في هذا البعث للحياة.

(٦٥)نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، الجزء الأول ص ص ٢٣٨ - ٢٣٩

(٦٦) نص محفوظ مع بردية برمنر- ريند Bremner-Rhind (المتحف البريطاني no 10188)

ويرجع إلى القرن الرابع ق.م.

النص المصري: R.O. FAULKNER, the Bremner-Rhind, (Papyrus, p. 1-32 (Bibliotheca Aegyptica)

إن تقسيم المقاطع الشعرية إلى أبيات يرجع إلى المخطوط ذاته.

(٦٧) هذا النص هو إذن جزء من«أسرار أوزيريس» التي كانت تمثل في معبد«أبيدوس». وفي البداية يتم إعداد اثنين من الممثلين الرئيسيين.

(٦٨) كاهن يشغل رتبة رفيعة في التسلسل الهرمي للكهنة. ويعني اسمه المصري«ذاك الذي يحمل

القرطاس»– وهى البردية التى دونت عليها التعاويذ والشعائر التى يلم بها.

(٦٩) («بتاح»)–«تانن».

(٧٠) من الراجح إنه أحد أسماء «ست».

(٧١) من الأسماء المعتادة للثعبان، عدو الشمس. ويتم تدمير أو ابعاد جميع القوى الشريرة.

(٧٢) أى:«الذى كان يتزاوج وهو لا يزال صبياً».

(٧٣) أو:«البكر بين ورثة جب».

(٧٤) أحد أسماء «ست».

(٧٥) تعبير جسدى عن الأسى.

(٧٦) الأعداء.

(٧٧) مدينة فى الوجه القبلى.

(٧٨) من أسماء مصر.

(٧٩) كما تدل هذه التسمية(حرفياً: «الجاهل») على ثعبان عدائى.

(٨٠) تسميتان لعالم الموتى.

(٨١) حرفياً: «حلى الرأس».

(٨٢) إله – صقر فى الجبانة المنفية.

(٨٣) ربما الموتى الذين تحولوا إلى نجوم.

إن نطق«الكلمات» الواردة فى قائمة القرابين، بصوت مرتفع، كان يعنى تجسيد هذه القائمة.

(٨٤) إشارة إلى موميا«أوزيريس»المسجاة على سرير.

(٨٥) انها العين «السليمة» التى قدمها «حورس» لوالده عربوناً للبر بالوالدين. راجع أسطورة «القدرات الجديدة» فى هذا الفصل.

(٨٦) اندماج «أوزيريس» و«رع». راجع أسطورة «اتحاد «رع» و«أوزيريس» –» فى هذا الفصل.

(٨٧) ثعبان يرمز للشر.

(٨٨) الكاهن «إيمى سحتى»(؟) اسم أحد كهنة «أوزيريس».

(٨٩) بعد قطع أوصاله على يد «ست».

(٩٠) الإله ابن آوى لمدينة أسيوط، ذو الصلاحيات الجنائزية.

(٩١) الجملة هى فى سياق النص جملة وصفية: «إنها تجّمع..»

(٩٢) صفة من صفات«أوزيريس». ربما تعنى هذه الكلمة:«الصندوقىّ» نسبة إلى الصندوق الذى حبس فيه«ست»أخيه«أوزيريس»، قبل أن يلقيه فى نهر النيل.

(٩٣) من أسماء «ست». حرفياً «ذاك الذى يسقط».

(٩٤) الدائرة الحامية المشكلة من سواعدها.

(٩٥) سوف يصبح من الممكن أن يتسلم «اوزيريس» الكون إلى جانب شارات السلطة.

(٩٦) من بلاد الصومال، ومنه يجلب شجر البخور. راجع قصة الغريق: الفصل الأول من الباب الثانى.

(٩٧) المقبرة على الأرجح.

(٩٨) «إيزيس»، بقرة السماء.

(٩٩) تغيير في النص تحت تصرف الممثلين.

(١٠٠) بعد تقطيع الأوصال.

(١٠١) البخور هو نبات الحياة. راجع قصة الغريق: الفصل الأول من الباب الثانى.

(١٠٢) الإلهة «نيت».

(١٠٣) اسم الإلهة – البقرة المندمجة فى «إيزيس».

(١٠٤) أحد أسماء «أوزيريس». «الحامى»(؟).

(١٠٥) رمزية شمسية. غالبا ما تشبه السماء باللازورد، وحقول الأرض بالفيروز وضوء الشمس بالفضة أما النجوم فهى من النحاس. وهى طريقة أسطورية وغنية بالإستعارات لدمج «أوزيريس» فى «رع» من جديد.

(١٠٦) راجع الفصل الثانى من هذا الباب: «الإله رع: رحمته وضعف همته».

(١٠٧) اشارة جديدة إلى الأسطورة الشمسية.

(١٠٨) تغيير جديد فى النص تحت تصرف الممثلين.

(١٠٩) الإله الذى يرمز إلى الفعل المنطوق.

(١١٠) بصفته إله الأرض.

(١١١) حرفياً: «مقر أوزيريس». لا شك انه المكان الذى ينحدر منه الإله.

(١١٢) الشمس. ينظر هنا إلى «إيزيس» على أنها إلهة السماء، فى هيئتها كبقرة بفضلها يولد هذا النجم مع مطلع كل نهار.

(١١٣) النص المصرى: Textes des Sarcophages, 148

(١١٤) إشارة إلى تَمرد البشر ضد الشمس(؟).

(١١٥) خلط مقصود مع حورس الشمسى.

(١١٦) يولد «حورس» عند الفجر فى نفس الوقت الذى يولد فيه «الطفل الشمسى». انه انبعاث مختلف قوى الحياة مع كل صباح.

(١١٧) النص محفوظ على بردية شستر بيتى رقم Chester Beatty 1 ويرجع إلى عصر رعمسيس الخامس (الأسرة العشرين – حوالى عام ١١٦٠ق.م).

(٦٠) النص المصرى:- Alan H. GARDINER, Late Egyptian Stories, II. Brux-

elles, pp.37-,60 (Bibliotheca Aegyptica, VOL. I.)

(١١٨) إذ كان يطالب كلاهما بميراث «أوزيريس».

(١١٩) ترتبط هذه الرواية بالتقليد المنفى.

(١٢٠) «أتوم». «العين-وجات» هى عين «حورس» التى أنتزعتها منه «ست» فى خضم معركة شرسة. وبعد أن قام الإله الشاب باستعادتها سلّمها إلى والده عربوناً للبر بالوالدين. وبما تهدف هذه العين هنا ان تكون رمزاً لإنتصار «حورس» على «ست»، وبالتالى حقه البين فى الميراث. ويرى «جوستاف ليفيفر» (G.LEFEBVRE, Contes et Romans, p184, note17) ان العبارة قد تكون أيضاً «مرادفاً لتاج مصر»».

(١٢١) المعنى المضمر: «عند إبلاغه هذا النبأ السعيد»

(١٢٢) يبدو «أتوم» كتوماً ومتحفظاً جداً. كما يظهر فى أول الأمر عدم رغبته فى إصدار حكم لصالح «حورس».

(١٢٣) ينوى «ست» استخدام القوة فى معركة فريدة، لانه رغم ان «أتوم» كان مؤيداً له، فقد كان حكم الآلهة جمعاء لصالح «حورس».

(١٢٤) حرفياً: «الكبش سيد مندس»- إله الإنجاب.

(١٢٥) جزيرة الجندل الأول، حيث عبادة «خنوم»، وهو إله كبش «آخر. هنا تندمج الآلهة ذات المظهر الواحد، لتعطى مزيداً من الفاعلية لما يتخذ من قرار. وهكذا يتوفر التمثيل لقسمى مصر، الوجه البحرى (من خلال مندس) والجنوب.

(١٢٦) مجرد تعبير شائع، الغرض منه المجاملة والتوقير.

(١٢٧) طبقاً لبعض المفاهيم، يظهر «سوبك» فى صورة ابن الإلهة «نيت». وحسب أقوال «رع-أتوم»، كان اهتمام هذه الأخيرة بذريتها أقل منه هو شخصياً.

(١٢٨) يرجع تاليف هذا النص إلى عصر الرعامسة، عندما اصبحت النزعة التلفيقية مع الآلهة الأجنبية («عنات» و«عشتر» لهما أصول فينقية) لا تمليها أهداف روحية فحسب، بل أيضاً ضرورة سياسية: ضرورة ربط أقطار الإمبرطورية المصرية الشاسعة من خلال وحدة العبادات. من ناحية أخرى فإن «عنات» و«عشتر» وهما إلاهتان محاربتان تتفقان وأغراض «ست».

(١٢٩) هنا يتحد التاسوع والمحكمة التقليدية المصرية الكبرى، المكونة من ثلاثين عضواً.

(١٣٠) هامش : G.LEFEBVRE (Contes et Romans, p1187) :«كان «بابا» من الكائنات المرعبة التى تحيط بـ «أوزيريس» قاضى الموت. وقد شاع أنه يلتهم قلب المذنبين. ويطلق عليه بلوطارخ اسم «بيبون» وجعل منه صديقاً لـ «ست-تيفون» (De Iside, Chap 49) بل إن مانتون قد بلغ به الأمر إلى حدّ انه دمجه فى «ست».

(١٣١) شجرة مقدسة، ومأوى الإلهة، على ما كان يعتقد.

(١٣٢) لا شك ان الكاتب الناسخ قد أغفل بضعة سطور أو صيحة تعجب صدرت عن «رع-أتوم».

(١٣٣) «الإله–الجعران» وهو صورة الشمس عند الفجر.

(١٣٤) قد تعنى هذه الكلمة وحدة الموازين. إنه يتناول «صولجاناً» لتأكيد حقه فى الملكية التى ك «أوزيريس».

(١٣٥) حرفياً: «ذو المخالب»–الإله الصقر للإقليم الثانى عشر من أقاليم الوجه القبلى.

(١٣٦) تنطوى هذه الجملة على إشارات محببة لأى مصرى: فمن ناحية، تريد الأم أن ترى «غ الصغير». ومن ناحية أخرى يوجد «تلاعب» بالألفاظ بين كلمة «ياوت» اى «قطيع» وكلمة أى وظيفة (والفارق بين كتابة الكلمتين، ينحصر فى المخصص* المضاف إلى كل منهما)– وظيفة «أوزيريس» هى موضوع الصراع بين العم وابن أخيه.

(*المخصص: علامة تصويرية تضاف إلى نهاية الكلمة، ليس لها أى قيمة صوتية ؛ تحدد معنى الكلمة فحسب– المترجم)

(١٣٧) بعد انتزاع أصابع القدمين ستحل المخالب محلها. هكذا تسعى الأساطير إلى إيجاد تفسير الآلهة.

(١٣٨) يشكل الغرب والليل من الآن جزءاً من مملكة «أوزيريس». هذه «اللحظة» هى إذن لحظة مم «حورس».

(١٣٩) ان «رع–حور آختى» وآتوم» هما صورتان واسمان لإله واحد: الشمس. وهو ما يفسّر اسـ المفرد فى خطاب(ى). الأمر الذى يؤكد على وحدانية الشخصية الإلهية رغم ما يبدو مـ مظاهرها واسمائها.

(١٤٠) يتراجع إذن عن قراره السابق.

(١٤١) اسم البحر بصفة عامة (سواء أكان البحر المتوسط أم البحر الأحمر) إن أمواج البحر متجددة، مثل الزرع والنبات.

(١٤٢) وهو وزن يعادل ٩٢ جراماً تقريباً.

(١٤٣) وهكذا صنعت خطافاً.

(١٤٤) انها وسيلة شاع استخدامها لصيد فرس النهر. والشاهد على ذلك نقوش ورسومات المقابر

(١٤٥) تصحيح فى النص قام بإضافته G.LEFEBVRE, Op. cit.p 194, Note 69

(١٤٦) إشارة إلى عينى الصقر الشمسى–الشمس والقمر–اللتين تنيران الأرض. إنها محاولة لإيجاد تطابقات تلفيقية. وبالفعل، يطلق على العينين «وجات» وهما اسم العين «السليمـ سيعثر عليها «حورس» ليقدمها إلى إبيه. وتتداخل الأسطورة الشمسية والأسطورة الأوزير

(١٤٧) ربما بعد ان تطهرت.

(١٤٨) الأراضى الأجنبية.

(١٤٩) يبدأ الخطاب بالألقاب أسوةً بالرسائل الملكية. إن لقب سيد الكون جدير بالملاحظة: ا

الأول-اسم «الثور» يحلّ محل اسم «حورس»-والإسم الخامس وهو اسم «إبن رع» فى الألقاب الملكية يصبح «ابن پتاح»، الأمر الذى يكشف عن الأصول المنفية لهذا النص.

(١٥٠) من مدن الدلتا.

(١٥١) إشارة إلى محكمة «أوزيريس» التى تنعقد فى العالم السفلى.

(١٥٢) إله العواصف والزوابع وتقلبات العالم.

(١٥٣) حرفياً: «مدينة أوزيريس»-مدينه فى الدلتا ومنها انحدرت عبادة هذا الإله.

(١٥٤) نص بردية «جوميلاك»، المحفوظة فى الوقت الراهن فى متحف اللوفر ويرجع تاريخها على الأكثر إلى نهاية العصر البطلمى (القرن الأول قبل الميلاد). راجع Vandier, Papyrus Jumilhac, Paris, S.d

(١٥٥) حرفياً: «صاحب الرأس المقدس»- جن مكلف بحماية جسد «أوزيريس».

(١٥٦) حرفياً: «ذاك الذى يقطع القلب»- رئيس حلفاء «ست».

(١٥٧) حرفياً «ليت المبجل يكون حياً» - حامى «أوزيريس».

(١٥٨) «أوزيريس».

(١٥٩) كنية «تحوت» أو «أنوبيس».

(١٦٠) حرفياً: «قصر الأخلاط (الإلهية)»- اسم أسطورى مرتبط بتقطيع أوصال «أوزيريس»(؟).

(١٦١) «إيسدس» وحلفاؤه.

(١٦٢) كلمات اشتقاقية ناجمة عن تجانس صوتى معقد- بين «الحجرة الطاهرة» و«الكاهن الطاهر»، وبين الكلمة «ستم» والجملة المصرية التى تعنى «ست هو هنا» («ستش إيم»).

(١٦٣) وهو ما كان يصنع للماشية، لتحديد مالكها.

(١٦٤) «سم» و«ستم» هما تسميتان لنفس الموظف.

(١٦٥) حرفياً: «هذا الذى ينشر جناحيه»- إشارة إلى «حورس»، الإله الصقر وهو مكان أسطورى آخر(؟).

(١٦٦) هامش لعالم المصريات الفرنسى «ڤاندييه» VANDIER, Op Cit P148: من صخور النوبة، وكان يستخدم فى الطب، وأحد أنواع هذه الصخور كان لونه أخضر على ما يبدو. ونستنتج من هذا النص انه كان يوجد نوع لونه أحمر بما يسمح بمقارنته بدماء الأعداء.

(١٦٧) اشارة إلى اللهب «الذى يلتهم».

(١٦٨) حرفياً: «إبغاض الثور» يقول ڤاندييه فى هامشه:VANDIER, op cit p148 «لا شك ان الإسم الحديث «بطيخة» مشتق من الإسم القديم.»

(١٦٩) مكان أسطورى- ولكن يبدو انه كان له وجود حقيقى فى الإقليم الثامن عشر القديم فى الوجه القبلى

(١٧٠) من مدن مصر الوسطى.

(١٧١) «باتا: اى «البا الذى يأخذ»- «ساكا»: اى «ظهر الثور»(؟)».

(١٧٢) راجع الهامش ١٦٥.

(١٧٣) أندماج «أنوبيس» و«حورس».

(١٧٤) إلهة مرتبطة بالزراعة، ولها أيضا خصائص جنائزية.

(١٧٥) جلد فهد ويستخدم كرداء للكهنة.

(١٧٦) وفقاً لرمزية الثعبان جالب الخير. راجع ص ص ٢٢٥ -٢٢٦

(١٧٧) النص المصرى: VANDIER, Op Cit PI. I-IV.

(١٧٨) قرب نهاية شهر يوليو.

(١٧٩) من مقومات العاهل الملكى.

(١٨٠) VANDIER, Op Cit PI. xvi-xvii

(١٨١) نص الفصل ١٧٩ من «كتاب الموتى».

النص المصرى: Budge, Book Of the Dead, III, PP 61-67

(١٨٢) حرفياً: «فم الكهوف». ويشير إلى مدخل الجبانة المنفية.

(١٨٣) الإلهة التى تجسد الحقيقة والعدالة. كان قربان «ماعت» لحظة هامة تتضمنها الشعائر اليومية فى المعابد.

(١٨٤) حرفياً: «العجول المروضة» - خلافاً للقطيع الذى يجسد الأعداء، فى السطور السابقة.

(١٨٥) حيث منابع النيل، فى تصور المصريين.

(١٨٦) «په» و«دپ»: مكانان مرموقان للعبادة الأوزيرية فى مدينة «بوتو»، فى الوجه البحرى.

(١٨٧) رمز البر بالوالدين.

(١٨٨) راجع ص ١٣٠

(١٨٩) أحد الرموز الأوزيرية.

(١٩٠) مكانان مقدسان يرمزان للوجهين القبلى والبحرى.

(١٩١) تقع هذه المدينة عند مدخل الفيوم.

(١٩٢) جزيرة أسطورية.

(١٩٣) الإله الذى يجسد الكلمة المنطوقة.

(١٩٤) الإقليم الذى توجد فيه أبيدوس. هكذا يمكن المقارنة من جديد- كما حدث فى فقرة سابقة - بين قدرات «أوزيريس» وقدرات «رع».

(١٩٥) هذا النص مدون على تابوت فى الأسرة الثانية عشرة (حوالى عام ٢٠٠٠ق.م).

النص المصرى: Textes des Sarcophages, B5C

(١٩٦) «حورس» و«ست»، وهى طريقة تصويرية وشفهية لإبراز تفوق «حورس» على «ست».

(١٩٧) «إيزيس» و«نفتيس».

(١٩٨) ربما كان ذلك إشارة إلى النص الكبير كنموذج أيضاً للاهوت المنفى.راجع الفصل الأول من الباب الأول

(١٩٩) «ست» فى دوره كإله الزوابع والعواصف.

(٢٠٠) «حورس»، ملك الأرض، فى أعقاب أبيه، وهكذا فإن حورس ملك الأرض وأسوة بأبيه، سيصبح سيد الإنبات والنباتات الغذائية- بمساعدة «ست» صانع المطر. إنه توزيع متوازن للسلطات.

(٢٠١) «القطر الأسود والأرض الحمراء» وهما يرمزان إلى «حورس» و«ست»، وإلى الخصوبة والقحط، وهى شهادة أخرى على التصالح والتوازن الجديد للعالم.

(٢٠٢) راجع ص ٣١ وما يليها.

(٢٠٣) نص الفصل ١٨٣ من «كتاب الموتى»

النص المصرى: Budge, Book Of the Dead, III, PP 105-108

(٢٠٤) مكان «أوزيريس» المقدس.

(٢٠٥) الإله الكبش فى هرقليوبوليس. تجانس صوتى بين الإسم («حرى.شف») والكلمات التى نطق بها «رع» للتو («حر» اى وجه و«شفيت» اى هيبة).

(٢٠٦) نص الفصل ١٧٥ من كتاب الموتى.

النص المصرى

Budge, Book of the Dead, III, PP 75-77

راجع أيضا ترجمة پول بارجيه P.Barguet, PP 261-262 .

(٢٠٧) لأنه لم يعد للأعداء وجود

(٢٠٨) قرنا الكبش اللذان يكتنفان التاج «آتف».

(٢٠٩) تاج الوجه القبلى.

(٢١٠) حى يقع شمال هليوپوليس.

(٢١١) مدينة تقع عند رأس الدلتا على الشاطئ الأيسر من النيل. (أوسيم-حالياً.)

(٢١٢) نص الفصل ١٨١ من كتاب الموتى.

النص المصرى: Budge, Book Of the Dead, III, P99-101

الفصل الرابع

الشعر المقدس والترانيم إلى الآلهة*

من الصعب أن نحدد على وجه الدقة كيف كان الشعر المصرى، الذى كان يقوم، شأنه شأن، شعر الشعوب السامية، على الجمع بين الجناس والسجع، فتطرب له الأذن، الأمر الذى تعجز الترجمة عن التعبير عنه تعبيراً مرضياً. وهو شعر إيقاعى فى المقام الأولى. ونعلم بفضل علم العروض القبطى على وجه التحديد، الذى نشأ من علم العروض المصرى مباشرة، أن هذا الأخير لم يعرف على ما يرجح توزيعاً دقيقاً للأوزان الصوتية لمقاطع الكلمة، بل إنه اعتمد على تكرار النبرات الإيقاعية. أما عن التركيبات المحددة فإننا لا ندرى عنها شيئاً .فنظراً لأن كتابة كلمات اللغة المصرية كانت تهمل الحركات، فإننا نجهل نطقها الصحيح.

ومع ذلك فإننا نجد أن القيمة الشاعرية لهذه النصوص لها وقعها فى قلوبنا. إننا ندرك« جرس الكلمات»، ونستشعر إيقاعها. وإضافة إلى ذلك فإن الشعر المصرى غنى بالصور، التى تؤثر على المشاعر وعلى العقل، على حّد سواء.

وتصنف النصوص الشعرية بمعنى الكلمة إلى نوعين: الترانيم إلى الآلهة. وهى بأعداد لا تحصى وتشكل شعراً مقدساً ضخماً موغلاً فى القدم ـ وأناشيد الحب وهى شعر دنيوى[1] أخذ يزدهر على نطاق واسع فى الألف الثانية قبل الميلاد وصار فيما بعد مصدر إلهام عظيم للكلا سيكيين القدماء ولسليمان الحكيم الذى سيقوم فى أناشيده بالإشادة بمفاتن «الشولمية» على الطريقة المصرية.*

*الإشارة هنا إلى سفر« نشيد الانشاد» من العهد القديم من الكتاب المقدس وإلى الفصل السابع منه على وجه التحديد.(المترجم).

١- الترانيم الكبرى إلى الشمس•

أ - من عصر أمنحوتب الثانى. (٢)

التعبد لـ«آمون - رع»،
الثور فى قلب هليوپوليس، رئيس الآلهة جمعاء،
الإله الكامل والمحبوب،
الذى يهب الحياة لكل لهب وكل ماشية، على السواء،

تحية لك، يا«آمون - رع»، يا سيد عرشى القطرين،
الذى يتزعم الكرنك،ثور أمه(٣) الذى يهيمن على حقوله،
(الإله) صاحب الخطوة الواسعة الذى يتزعم مصر العليا،
سيد«المچايو»(٤) وأمير بلاد «پونت»،
إله السماء العظيم، أول الأولين فى الأرض،
سيد ما هو كائن، وسند الأشياء كلها،
إنه الواحد الأحد، فلا يوجد سواه بين الآلهة.

إنه الثور الكامل للتاسوع وزعيم الآلهة جمعاء،
إنه سيد الحقيقة والعدالة، ووالد الآلهة،
فهو الذى شكل البشر وخلق الأغنام.

سيد ما هو موجود وخالق نباتات الحياة،

(إنه) فاطر المراعى التى تُحى القطعان.

(إنه) القدرة الإلهية التى خلقها«پتاح»،

(إنه) الفتى الجميل والمحبوب

الذى لاتنفك الآلهة تهلل له،

فاطر العالم السفلى والعالم العلوى على السواء، مضيئاً بنوره القطرين

بينما يعبر السماء فى سلام.

الملك «رع»، (ملك) الوجهين القبلى والبحرى صاحب القول الصادق، زعيم الأرضين.

صاحب البسالة العظيمة، سيد المقام الرفيع ،

الكائن المرموق الذى صنع الأرض بأكملها،

الذى تميزت مقاصده عن (مقاصد) الآلهة الأخرى.

والآلهة فى فرح عظيم بسبب جماله.

فلا تنفك تغتبط من أجله، فى الـ«پر- ور»،

بينما أخذ فى الظهور فى الـ«پرنسر»[٥].

إنها تحب عطره،

عند عودته من «پونت»،

هو، حاكم الشذا الذى يهبط إلى بلاد «المچايو»،

الإله ذو الوجه الجميل الذى قفل عائداً من الأرض الإلهية[٦].

إنها تسرع عند أقدامه،

فقد اعترفت بجلالته سيداً عليها:

أيا رب الرهبة الذى يثير رعباً شديداً،

رفيع هو مجدك، قوية هى اشراقاتك،

(الإله) الذى «يعيد الإخضرار» إلى القرابين ويخلق الطعام.

فليتهلل القوم من أجلك، أنت الذى خلقت الأرباب الإلهية،

ورفعت السماء بعد أن أبعدت الأرض.

أيا «مين ـ آمون»، اليقظ المزدهر،

(يا) سيد الزمن الأبدى، وباعث الزمن اللانهائى،

(يا) صاحب المدائح والتهليل، الذى يتزعم فى الكرنك.

قرناك قويان وجميلة هى وجوهك.

(يا) التاج العظيم ذى الريشتين العاليتين،

جميلة هى أكاليلك، وعالٍ هو تاجك الأبيض.

على جبهته الثعبان«محن» والصلّان.

ولـ «پشنت» والـ«نمس» والخوذة«خپرش».

(الإله) صاحب الوجه الجميل الذى يستولى على التاج«آتف» محبوب تاج الجنوب وتاج الشمال

رب الـ«پشنت» الذى يمسك الصولجان«آميس»،

سيد الصولجان «معكس» والسوط.

الحاكم الجميل الذى يتجلى متألقاً لابساً التاج الأبيض،

رب الأشعة التى تجلب النور .

ولا تنفك الآلهة تقدم له المديح،

بينما يمد يديه نحو من يحبه،

مُجهزاً على عدوه النوبى، بواسطة اللهب،

بينما تجهز عينه على المتمردين.

تحية لك، يا«رع»، (يا) سيد الحقيقة والعدالة
وصاحب المحراب السرى، أيا سيد الآلهة،
يا «خپرى»، فى قلب القارب المقدس
الذى أتى بالآلهة إلى الوجود بواسطة الكلمات التى يتفوه بها.
يا «آتوم»، ياخالق البشر،
الذى يختار اشكالهم ويعطيهم الحياة،
مميزاً بشرة أحدهم عن بشرة الآخر(٧)
(الإله) المستجيب لصلاة من ألمت به الشدائد،
والقلب الرحوم مع من يبتهل إليه،
فيخلّص الخائف من من الوقح،
ويصد الفواجع عن المحزون
مالك المعرفة على فم من تكون له «الكلمة»،
و(نهر» النيل ينساب حسبما يريد،
هو، سيد الوداعة، الذى يثير الحب كل الحب،
الذى يهم راجعاً ليعيد الحياة للبشر،
ولا ينفك يمنح لكل كائن حرية الإنصراف.
وإذ ينشط فى الـ«نوو»،
فقد جاء إلى الوجود بنعم النور.
وتبتهج الآلهة بجماله،
وتحيا القلوب عندما تراه.
يا«رع»، (أيها) المبجل فى الكرنك،

صاحب الإشراقات العظمى فى قصر الـ«بن بن»،[8]
«الهليوپوليتانى»، سيد أعياد غرة الهلال،
فمن أجلك أيضاً تقام احتفالات الأيام الستة لعيد الربع الأخير.
أيها العاهل الملكى، يا سيد الآلهة جمعاء،
الذى يمكن للناس أن تتأمله فى قلب الأفق،
يا زعيم البشر.
إن اسمه مستور، أكثر من ولاداته بكثير،
باسمه «آمون»[9].

تحية لك، (أنت) الذى يقيم فى السلام،
يا سيد الفرح، صاحب التجليات القوية،
يا سيد التاج العظيم ذى الريشتين العاليتين،
يا صاحب الإكليل الجميل، والتاج الأبيض العالى.
إنه يحول للآلهة أن تتأملك،
بينما الـ«پشنت» ثابت فوق جبينك.
عندما ينتشر حبك عبر الأرضين
تضىء أشعتك العيون، فهى السعادة للبشر.
عندما تتألق، تفرح الأغنام فرحاً شديداً.
وعندما تسطع، يكون حبك فى سماء الجنوب ورقتك فى سماء الشمال.
إن جمالك يأخذ بمجامع القلوب،
والحب الذى يخصك يجعل السواعد واهنة،
وهيئتك الكاملة الجميلة تشلّ الأيدى،

وتسهو العقول عندما تراك.

«أيتها الهيئة الوحيدة» التى خلقت كل ما هو كائن،

الواحد الأحد بين الآحاد، الذى شكل كل ما هو موجود،

فمن عينيه انبثق البشر،(١٠)

وعلى فمه أتت الآلهة إلى الوجود.

أيا(أنت)، يا فاطر المراعى التى تحيا عليها الحيوانات،

يا(خالق) نبات الحياة الذى هيّأته للبشر،

أنت الذى تسهر على حياة أسماك النهر

أسوة بالعصافير التى تحلق فى السماء،

إنك تمنح النسمة لمن لايزال فى البيضة،

فتُحيِ العصافير والكائنات التى تطير،

والثعابين والحشرات أيضاً،

وتمدّ الفئران فى جحورها بما تحتاج إليه،

وتعطى الحياة للحشرات على كل غصن.

تحية لك، (يا) من صنعت ذلك فى إكتماله،

أيها الواحد الأحد بين الآحاد، صاحب السواعد المتعددة ـ الساهر على جميع البشر النائمين،

ويقضى وقته فى السعى وراء ما يمكن أن يفيد قطيعه.

يا«آمون» يا مثبت الأشياء كلها،

يا«آتوم»، «حور-آختى»،

الجميع يهللون له :

الثناء عليك لانك أُرهقت بسببنا !

السجود من أجلك، لأنك خلقتنا !

إن قطيعك بالكامل يحييك،

وكل منطقة أجنبية تسبح لك،

إلى عنان السماء وعلى اتساع الأرض،

وحتى أعماق «الشديدة الإخضرار»،

لقد حضرت الآلهة منحنية بسبب جلالتك

فتشيد بامجاد خالقها،

فرحة باقتراب ذاك الذى انجبها.

وتقول لك (الآلهة): مرحباً افى سلام !

يا أبا الآباء، للآلهة جمعاء،

الذى رفع السماء وابعد الأرض،

الذى صنع ما هو كائن، وشكل ما هو موجود.

أيها الملك، يا زعيم الآلهة،

اننا نعبد مجدك، لأنك خلقتنا،

لقد أبديت نشاطاً لتأتى بنا إلى الدنيا

إننا نغدق عليك الثناء، لانك أُرهقت بسببنا.

تحية لك، يا فاطر جميع الأشياء،

يا سيد الحقيقة والعدالة، يا أبا الآلهة،

يا صانع البشر، وخالق جميع القطعان،

يا سيد الحبوب، (يَا) من يُحيى أيضاً حيوانات الفيافى.

يا «آمون»، أيها الثور ذو الوجه الجميل،

المحبوب فى الكرنك،

(الإله) صاحب الإشراقات المتألقة فى الـ«بن بن»،

الذى تتجدد أكاليله فى هليوپوليس،

القاضى(الذى يفصل) بين الخصمين(١١) فى قاعة (العدل) الكبرى،

يا أنت الذى يتزعم التاسوع الأعظم، «الواحد الأحد بين الآحاد» الذى ليس كمثله أحد،

الذى يهيمن على الكرنك،

الهليوپوليتانى على رأس التاسوع الأعظم

الذى يحيا يومياً من الحقيقة والعدالة،

إله الأفقين، حورس الشرق،

أنت الذى خلقت الصحراء والفضة والذهب واللازورد الحرّ، بإرادتك.

وحبّات البخور وفيرة فى بلاد«المچايو»

وراتنج التربنتين المنعش، هو لفتحتى أنفك،

أيها(الآله) ذو الوجه الجميل الذى يذهب إلى«المچايو».

إن «آمون–رع» سيد عرشى القطرين،

على رأس الكارنك،

«الهليوپوليتانى»، على رأس حريمه،

الملك الأوحد بين الآلهة،

أسماؤه متعددة، وتفوق الحصر.

طالعاً فى الأفق الشرقى غارباً فى (أفق)الغرب،

ويتم الإجهاز على أعدائه عند مطلع فجر الميلاد اليومى.

وينشّط «تحوت» عينيه،

وعندما يركن فى نوره إلى الراحة،فإن الآلهة تهلل فرحاً بسبب جماله،

ومن هم فى حاشيته مغتبطون،

أيا سيد سفينة الليل وسفينة النهار،

اللتين تعبران الـ«نوو»، من أجلك،فى سلام ،

وبحّارتك هم فى فرح وبهجة،

عندما يتأملون سقوط المتمرد .

إن أعضاءه تنفذ إليها السكين،

واللهب يلتهمه،

وينفصل «با»ؤه عن جسده،

وتمحى آثار خطوات الثعبان «نيك»،

عندئذ تغدو الآلهة فرحة،

وبحارة «رع» مسرورة،

و«هليوپوليس» مغتبطة،

عندما يتم الإجهاز على أعداء آتوم،

إن الكرنك فى سلام،

ويهدأ قلب سيدة الحياة (الحية-الصل)،

لأن أعداء سيدهم قد أُجهز عليهم،

وآلهة«خِر عحا» مغتبطة،

ومن هم فى هياكلها يسجدون،

عندما يشاهدونه قوياً، فى قدرته،

أيا أقوى الآلهة،

ان «ماعت»هى سيدة الكرنك،

بهذا الأسم الخاص بك(اسم)خالق الحقيقة والعدالة.

أيا سيد الأطعمة،

يا ثور القرابين،

بهذا الاسم الخاص بك(اسم) ثور أمه.

يا خالق البشر،

جالباً إلى الوجود شكل كل شيء،

بهذا الاسم الخاص بك(اسم) «توم خپرى».

أيها الصقر العظيم، (يا) مقيم الأعياد للصدر،

(الإله) ذو الوجه الجميل، مانحاً الغبطة(للطفل الممسك)بالثدى، يا صاحب الأشكال اللطيفة ....

إن قلوب البشر تنطلق نحوه،

وإليه تلتفت البشرية.

أنت يا من يقيم الأعياد فى الأرضين عند تجلياتك،

تحية لك، أيا آمون-رع،(يا)رب عرشى القطرين.

ان مدينته تحبه عندما يشرق.

وتظهر تقوى دينية حميمة إزاء الشمس، وهو الشخصية الآلهية المنفردة، ذات الأسماء والأشكال المتنوعة. وتُعلن وحدانية الإله فى جو من التسامح. ويتم الإشادة بعالمية مُلكه وإنعاماته التى تصل إلى جميع المخلوقات، بل أقلها شأناً. وينتهى المؤمن فى أعماق إيمانه، إلى حالة من الوجد والنشوة الروحية. إننا نقف هنا أمام صور

ومواضيع تعود إلى أزمنة موغلة فى القدم، بل إننا نصادف بعضها فى النصوص التى نقشت فى الحجرات والجنائزية، داخل الأهرامات الملكية حوالى عام ٢٥٠٠ق.م. إن الخرافة التى تلقى رواجاً شعبياً، فى الوقت الراهن، على نطاق واسع، والتى تقول أن«أمنحوتپ» الرابع (الذى عاش بعد ما يقرب من قرن من الزمن على تأليف النص الذى سبق أن ترجمناه لتونا) قد استشرق التوحيد، فكان وراء «ثورة» دينية، سارت فى هذا الإتجاه، إن هذه الخرافة لا تصمد على الإطلاق وتتهافت، عند قراءة الوثائق المصرية ذاتها، بعيداً عن الشروح الحديثة. لقد كان كل إله، منذ الأزمنة الغابرة، هو الإله الأوحد، فى قلب وعقل كل من يؤمن به، الأمر الذى لا يستبعد احتمال اللجوء إلى غيره من الآلهة، بهدف الحصول على مزيد من الفاعلية السحرية. وإذ يتجسد جوهر إلهى أسمى فى أماكن مختلفة، داخل أشكال متنوعة، فيمثل كل شكل منها تفرداً نسبياً، ولكنه يندمج فى الكائن«نثر»-أى«الإله». إنه التوحيد من خلال التسامح - تلك هى الدلالة الأصلية للديانة المصرية على مرّ العصور. وحوالى عام١٦٥٠ق.م، كتب «آنى»فى«حكمه»قائلاً:«فى إستطاعة الإله ان يجعل قدرتة تحل فى مليون شكل». ولايمكن أن ينطبق على هذا التصور، أى من التعريفات الحديثة - وهى سطحية فى الغالب -التى تحاول أن تصنف فكر العالم القديم، فتتحدث عن الوحدانية Mono-theisme و تعدد الآلهةPolytheisme، لا بل تتحدث عن أحدث المصطلحات عن إله فوق الآلهة Henotheisme إن الوجود الإلهى الرحب المنتشر فى أرجاء الكون كان يتجسد فى شتى أشكال الخلق ويتخذ حسب المكان، أسماءً متنوعة.

ب - ترنيمة من عصر أمنحوتپ الرابع(١٢)

التعبد لـ«رع-حور-آختى» الذى يبتهج فى الأفق باسمه النور الذى يوجد فى القرص (*آتون*) (١٣)، الحى للزمن اللانهائى والزمن الأبدى. (التعبد) لـ«آتون»الحى العظيم (*الملك*)(١٤) فى أعياد يوبيله، سيد كل ما يحيط به القرص، رب السماء، ورب الأرض، سيد معبد «آتون» فى «آخت آتون»(١٥)، ملك الوجهين القبلى والبحرى الذى يحيا فى الحقيقة والعدالة، رب القطرين «جميلة - هى- صيرورات - رع - انه -

الوحيد – الذى – ينسب – إلى – رع»، ابن رع الذى يحيا فى الحقيقة والعدالة، سيد التجليات المتألقة «اخناتون»[١٦] صاحب الحياة المديدة،

(التعبد) للزوجة الملكية العظمى، محبوبته، سيدة القطرين «جميل–هو–جمال آتون–نفرتيتى»، فلتحى وتزدهر فى شباب دائم للزمن اللانهائى والزمن الأبدى !

حامل المروحة عن يمين الملك، المسئول عن كافة جياد جلالتة، الذى يُرضى البلاد بأسرها، أثير الإله الكامل، الأب الإلهى«آى» – إنه يقول :

«إنك تشرق برفق فى أفق السماء، أيها القرص الحى الذى يدبّر الحياة. وبينما تتجلى فى الأفق الشرقى، بعد أن ملأت بكمالك البلاد بأسرها، فأنت جميل وعظيم ومتألق، وعلىّ فوق الأرض فى جميع أرجائها. إن أشعتك تحيط البلاد حتى حدود كل ما خلقته. إنك «رع»، وتقرّب بين أطرافها، وتربطها من أجل ابنك المحبوب.إنك قصىّ، ولكن أشعتك على الأرض. إنك فى النظرات ويمكن للمرء أن يتأمل رحلتك. ولكن حين تغيب فى أفق الغرب،(تبيت) البلاد فى ظلام وكأنها ميتة. والناس ممددون فى حجراتهم، تكسوهم أغطية، وكل عين لا ترى حتى رفيقها. ولو تمّ الإستلاء على كل ثروتهم وإن وضعت تحت رؤسهم، لما تنبهوا إلى ذلك. كل أسد يخرج من عرينه، والثعابين كلها تلدغ، لأن الليل هو(بالنسبة لها) زمن النور. والأرض (يعمها) السكون، لأن خالقها موجود فى أفقه.

وعندما تبيضّ الأرض(من جديد)،عند ظهورك متألقاً فى الأفق، فإنك تتألقين[١٧](هكذا ! فى المؤنث–م.)، أيا«آتون»،مثل النهار. إنك تطردين الليل، وتهبين أشعتك، والقطران يهللون فرحاً. (ومن كانوا نائمين) يستيقظون، وينتصبون على أقدامهم، إنك تساعدهم على النهوض. ويغسلون أجسادهم ويتناولون ثيابهم، فى حين يقدمون بأ يديهم الثناء والتهليل لتجليك الساطع. والبلاد بأسرها تنجز أعمالها. والحيوانات من شتى الأنواع ترقد فوق كلأها. والأشجار والنبات تعود إليها النضرة. والعصافير تطير هنا وهناك فى أعشاشها، فى حين تبسط أجنحتها ثناءً وتهليلاً لـ«كا»ك. والأغنام تقفز على أقدامها. وكل ما يطير ويحط يحيا عندما تتجلى متألقاً. والسفن تصعد(ضد) التيار وتهبط معه أيضاً، وكل طريق ينفتح عندما تتجلى. وأسماك النهر تقفز صوب وجهك. وتنفذ أشعتك إلى أعماق« الشديدة الأخضرار». إنك تجعل النساء ولودة وتخلق النطفة فى الرجال، فتُحْيِ الابن فى أحشاء أمه،

وتسكّن من روعه، وتجفف دموعه، (فأنت)مرضعه وهو لايزال فى بطن(المرأة)، واهباً الهواء لتحيا المخلوقات كلها. عندما ينزل(الطفل) من بطن أمه، يوم ميلاده، فإنك تفتح فمه وترزقة باحتياجاته. الفرخ فى العش يزقزق داخل غلاف بيضته، لأنك تعطيه النسمات لتنشطه. وتشكل هيئته بالكامل، بحيث يتمكن من كسر البيضة. وعند خروجه معها يزقزق زقزقة قوية ويسير على قدميه.

ما أكثر أعمالك ! (إنك) تتوارى(أحياناً) عن الأنظار،أيها الإله الأوحد، فلا وجود بجوارك لآخر سواك[18]. لقد جلبت الأرض حسب رغبتك – فى حين كنت بفردك–والبشر أيضاً والأنعام كلها من ماشية وأغنام، وكل ما يمشى على الأرض،وكل ما يحلق فيطير بأجنحته، وبلاد سوريا وبلاد كوش[19]ومصر. وتعطى كل إنسان مكانته، وترزقه باحتياجاته. هكذا(ينال) كل امرىءٍ قوته، ويقدر له زمن حياته. ولغات(البشر) متعددة، وأشكالهم أيضاً، وألوان(بشرتهم)مختلفة،لأنك ميزّت الأجانب.[20]

وتخلق النيل فى العالم السفلى للعالم الآخر، وتأتى به، حسبما ترغب، لتُحيى الناس فى مصر كل الحماية، كما أنك صنعت هؤلاء من أجلك. إنك سيدهم أجمعين، فتعبت بسببهم، (أنت) سيد البلد الذى يسطع من أجلهم، يا«آتون»النهار، صاحب الهيبة العظمى، كما تُحيى أيضاً أبعد البلدان الأجنبية، لأنك تعطيها«نيلاً» يهبط إليها من السماء[21]، محدثاً أمواجاً فوق الجبال على غرار(أمواج) «الشديدة الإخضرار» ويفيض على حقولها فى مدنها[22]. فما أروع مقاصدك، ياسيد الزمن الأبدى !

النيل فى السماء، هو من أجل الأجانب، وسائرحيوانات كل بلد أجنبى، (الحيوانات) التى تسير على أقدامها. النيل القادم من العالم السفلى ينتمى إلى البلد المحبوب. ولكن أشعتك هى مرضعه جميع الحقول، فالحياة تعود إليها حينما تشرق، وهى خصبة بفضلك. لقد وضعت فصول(السنة) ليوجد كل ما خلقت: ففصل الإنبات[23] لتلطيف الجو والجو الحار، حتى يمكن التمتع بك. لقد فطرت السماء البعيدة لتسطع فيها ولمشاهدة جميع الخلائق. أنت الواحد الأحد، بينما تتألق فى أشكالك (المتنوعة) مثل الـ«آتون» الحى، الذى يتجلى متألقاً، الذى ينير، الذى يبتعد ثم يقترب (منجديد). إنك تصنع ملايين الأشكال الصادرة عنك وحدك، (تصنع)مدناً وقرىً وحقولاً ودروباً وأنهاراً. كل عين تشاهدك أمامها. أنت «آتون»النهار، الأسمى. إنك ترحل[24] لضمان وجود كل (كائن) من الكائنات التى خلقتها، أنت الذى فوقها

ولا تنفك ترى غبطتها.

أنت فى قلبى، ولايعرفك أحد سوى ابنك:«كاملة – هى – صيرورات –رع – إنه – الوحيد – الذى – ينتمى– إلى – رع»[٢٥] وقد أذنت أن يدرك مقاصدك ومقدرتك. على يدك أتت الأرض إلى الوجود، كما أنك صنعت البشر. وحالماتشرق يحيون من جديد ولكنهم يموتون عندما تغرب. أنت أمد النهار بسبب جسدك ذاته. وبك يحيا الناس. وتظل العيون تمعن النظر فى جمالك إلى أن تختفى،وعندما تستريح فى الغرب، يهجر الناس الأعمال. وجميع من يسعون على أقدامهم، منذ أن أسست الأرض، فإنك ترتقى بهم من أجل ابنك، المولود منصلبك، ملك الوجهين القبلى والبحرى... ابن «رع...«أخناتون» المديد الحياة، ومن أجل زوجته الملكية العظمى، محبوبته، سيدة القطرين....نفرتيتى .»

جـ – ترنيمة من عصر رعمسيس الثانى (٢٦)

الفصل السادس

كل منطقة تعانى من الرعب الذى تثيره،

وسكانها ينحنون بسبب هيبتك.

إن اسمك رفيع الشأن وقوى،

والمحيط العظيم والدائرة العظمى.[٢٧] ينحيان تحت وطأة الخوف منك...

والمناطق الجبلية تهبط إليك، فى انبهار،

ولكن [البلدان المتمردة] يتولاها الرعب.

وأهل «پونت» يتقدمون نحوك،

لأن البلد الإلهى يخضرّ ثانية من أجلك، بسبب الحب الذى تبعثه (فى النفوس).

وتبحر [السفن صوبك] بحمولتها من الراتنج،

فبعبيرها المبهج، تنشر الغبطة بين شعبك
بينما الأشجار تترك البخور ينساب.
إنك تستمتع بعطرها(؟) عندما يتحد بأنفك...
فمن أجلك تنمو شجرة الأرز،
التى منها بُنى قاربك المقدس، «ذو القيدوم القوى».[٢٨]
فمن أجلك أنت تنتج الجبال الأحجار بوفرة،
لتشاد أبواب [معبدك].
وتتقدم السفن فوق الماء وعلى امتداد الشطآن،
تنوء بما تحمله، مبحرة نحوك.
والنهر ينساب فى اتجاه الشمال، ونسيم الشمال يهبّ فى اتجاه الجنوب،
من أجل ان تقدم لـ «كا»ك كل ما يوجد من أشياء...

الفصل التاسع

التاسوع الإلهى المنبثق من الـ«نوو»،
يتجمع عندما يشاهدك، (أنت الإله) العظيم فى هيبته،
رب الأرباب، الذى شكل ذاته بذاته،
سيد المخلوقات، تلك التى كانت فى ظلمة (الليل)، فإنه يسطع فجأة من أجلها،
مضيئاً وجوهها بصيرورة أخرى.

إن عينيه تتألقان وأذنيه مفتوحتان،

وجميع الأجساد ترتدى (الذهب) عندما ينتشر نوره.

السماء من ذهب، والـ «نوو» من لازورد،

والأرض تُصاب بسهام من فيروز عندما يشرق فيها.

والإلهة تستعيد نظرها، وتُفتح معابدها.

وبوسع البشر بفضله أن يروا ثانية ويتأملوا.

والأشجار ترتعش عند مشاهدته.

وتلتفت إلى «الواحد الأحد»، بينما تنبسط أوراقها.

والأسماك فى الماء تثب وثبات،

وهى تقفز فى بحيراتها فى الهواء، حباً له.

وعند رؤيته، ترقص الماشية وتلوّح العصافير بأجنحتها،

لأنها تعرفه فى لحظته السعيدة

وتحيا إذ تراه طوال النهار.

جميع الكائنات هى فوق يده التى تحتويها كلها.

ولا يوجد إله سواه، فى وسعه ان يمنحها حرية الوجود،[٢٩] اللهم إلا جلالته («آمون»)،

فلا شئ يمكن أن يحدث بدونه،

(هو) الإله العظيم، حياة التاسوع.

الفصل العشرون.

أيا «حور-آختى»، إنك تبحر،

منجزاً على امتداد النهار، (نفس) مهمة الأمس.

إنك تخلق فصول (السنة) وتصل بين الشهور،[٣٠]

والأيام والليالى والساعات تسير على خطاك.

إنك تتجدد اليوم اكثر من الأمس.

وإذ تنفذ إلى الليل تصبح (منذ الآن) تابعاً للنهار،

أيها الساهر الأوحد، الذى لا يطيق النوم.

البشر هم راقدون ولكن عينيك تظلان ساهرتين،

أنت الذى تُظهر ملايين الكائنات بفضل وجهك الجميل.

لا يوجد طريق واحد على الأرض بدونك أنت.

إنك النجم السريع الخطى وسط كوكبة النجوم،

فتجتاز الأرض فى لحظة، بلا صعوبة

وتبحر فى السماء، وتعبد الآخرة السفلى.

النور الإلهى فوق كل درب، فيروح ويغدو فوق الوجوه،

لأن جميع البشر يلتفتون إليه.

والبشر والآلهة يقولون: مرحباً! مرحباً!

الفصل الثلاثون

الحربة النحاسية استقرت فى الثعبان «نيك»،[٣١] فليسقط ومعه رأس (الحربة).

المتمردون مآلهم الذبح،فيفرمون فرماً....

إن «آمون–رع» يقطّعهم تقطيعاً،

وكان همه توقيع العقوبة على الكائنات الخسيسة، وهو مسرور القلب، وتشهد المحاريب على قدرته أثناء عيد الشمس.

وعلى صوته، لم يعد للأعداء وجود.

والقارب المقدس، يبحر برفق لملايين السنين.
والبحارة مغتبطون وقلوبهم فرحة،
لأن عدوّ سيد الكون قد سقط.
ولم يعد للمتمردين موجود فى السماء أو على الأرض.
إن السماء وطيبة وهليوپوليس والآخرة السفلية
والذين يقيمون فيها يهللون فرحاً من أجل سيدهم،
عندما يتاح لهم ان يتأملوه قوياً فى تجلياته المتألقة،
موفور البسالة والقوة، متسيداً على أشكاله.
إنك تنتصر، يا «آمون-رع»!
لقد قهرت حربتك الكائن الفاسد القلب.

الفصل الأربعون.

(أيها الإله) الذى شكل ذاته بذاته ودون ان يتمكن أحد من معرفة اشكاله!
اللون الكامل، الآتى الى الوجود كانبثاق من «الكائن» المقدس!
(الإله) الذى شاد صوره وخلق ذاته بذاته!
القوة الإلهية الجميلة، (الإله) الذى جعل قلبه وروحه كاملين،
الذى ربط نطفته بجسده،
ليصنع بيضة فى أحشائه.
الشكل السرى، ذو الولادات الجديدة الجميلة!...

الفصل الخمسون

[لك التسبيح!] التعبد من أجل هيبتك!

إن أشعة القرص السماوى هى ملك الوجهك.
والنيل يتفجر من المغارة من أجل الآلهة الأولية التى خلقتها.
والأرض تأسست من أجل صورتك (الانسان).
ولك أنت وحدك ما ينميه «چب».
ان أسمك عظيم ومجدك له وزنه.
وحتى الجبال ليس فى امكانها أن تعرف آياتك..وقوتك.
أيها الصقر الإلهى الباسط جناحيه،
الذى ينقضّ على من يهاجمه ويمسك به فى ظرف لحظة.
أيها الأسد المحاط بالأسرار، (يا) صاحب الزئير القوى،
القابض بشدة على ما يقع بين مخالبه.
(إنك) لثور أمام مدينته، وأسد أمام رعاياه،
ضارباً (الأرض) بذيله فى مواجهة من يهاجمه.
الأرض ترتعد عندما يدوّى صوته،
وكل ما هو موجود يهاب مقامه.
(الإله) ذو القوة العظيمة، ودونه لا يوجد أحد سواه!
القدرة الإلهية ذات الولادات الجديدة الجميلة التى هى جزء من التاسوع!

الفصل الستون.

الوجهان القبلى والبحرى كانا راضيين،
عندما امسك بهما، الإله «الأوحد»، بواسطة قوته.
قديرة كانت حدوده عندما كان يقيم على الأرض،

منتشراً (فى طول الأرض) وعرضها وحتى أعلى السماء.
وكانت الآلهة تلتمس منه قِوامها.*
انه هو الذى كان يعطيهم ما فى حوزته من أطعمة،
هو سيد الحقول والشطآن والأراضى الجديدة.
ومرضياً كان الإشراف على القنوات،
باكملها.
وكان صِلاّنه الإلهيان يحددان البلاد كلها...
هو الذى كان قد أسس القطرين على قواعدهما والمعابد والمحاريب (أيضاً).
واستقرت كل مدينة فى ظلاله،
وكان قلبه يروح ويغدو إلى المكان الذى يعشقه.
ويسبّح له فى كل محراب،
وكل ناحية إدارية تحددت تحديداً قاطعاً، مغمورة بما يبعثه من حب.
فمن أجله تصنع الجعة، يوم العيد.
والظلام يمتد إلى قلب الليل،
ولكن اسمه ينتشر إلى قمم الأماكن المقدسة.
والمغنى يتباطأ فى ظلمة الليل،
وتتسلم الآلهة الطعام الوارد من «كا»ئه،
أيها الإله القدير الذى يؤمّن كفايته. (من الطعام).

الفصل السبعون

(وهو) يحلّ الشرور، ويطرد الهموم،
(إنه) الطبيب الذى يبعد الإبصار إلى العين بلا دواء،

---

*القِوام: بكسر القاف، هو ما يقيم الإنسان من القوت. (المترجم).

وفتح العيون ويعبد الأمراض...
معيناً من يريد حتى فى العالم الآخر،
مخلّصاً (أى شخص) من مصيره حسب رغبته.
وله عينان وأذنان،
ووجه على جميع الدروب، لمن يحبه.
يستجيب لابتهالات من يناديه،
ويحضر من بعيد فى لحظة، إلى جانب من يتضرع إليه.
وفى وسعه أن يمدد زمن الحياة أو ينقصه،
ويعطى لمن يعبده اكثر من قَدَره (بفتح الدال).
ان اسم «آمون» هو افتتان سحرى فوق أمواه الـ «نوو»،
والتمساح ذاته لا سلطان له عليه عندما ينطق به،
وتُصدّ الرياح (ألعاتية) وتتراجع الريح الشديدة.
وديع هو وجه الكائن الذى يتذكره،
مبارك هو اسمه فى زمن النزاعات.
انه نسيم عليل لمن يتضرع إليه،
انه ينجى الإنسان المجهد،
الإله الرحيم صاحب المقاصد المباركة.
إنه يخص الإنسان الذى ينحنى أمامه، فى زمنه (المشئوم).
إنه اكثر نفعاً من الملايين لمن يضعه فى قلبه.
وبسبب اسمه، فإن إنساناً واحداً هو أقوى من مئات الآلاف.
حقاً إنه الحامى الكامل،
مبارك هو فى أفعاله فهو الذى لا يمكن صدّه.

الفصل الثمانون.

جاءت الآلهة الثمانية إلى الوجود بوصفها شكلك الأول،[٣٢]

لتقودها وحيداً، إلى غايتها.

وجسدك وسط الآلهة العظمى تكتنفه الأسرار،

أيا «آمون»، الخفى، على رأس الآلهة.

لقد تحولت إلى «تاتنن»،[٣٣]

لتنجب الآلهة الأولية، فى زمنك الأول،

ويتم الإشادة بجمالك، أنت، (يا) ثور أمه،

أنت بعيد، أيها المقيم فى السماء، الثابت الراسخ أيها «الشمس»!*

مرحباً بك، (أيها) الآب الذى انجب الأبناء،

الذى أعد ورثة مباركين، جاءوا من نسلك،

لقد بدأت فى الظهور، عندما كان لا يوجد شئ بعد،

ولكن الأرض لم تُحرم منك، عند «المرة الأولى»،

عندما أتت جماعة الآلهة فى صحبتك إلى الوجود،

... إن آلهة التاسوع بأسره هى أعضاؤك،

إن كل إله متحد بجسدك يشكل صورتك،

لقد انبعثت الأول، لقد بدأت البداية،

يا «آمون»، الذى يخفى اسمه عن الآلهة (الأخرى)،

يا عظيم الأولين، المتميز عن هذه (الآلهة)،

«تاتنن» الذى شكلّ هيئته بنفسه ليكون «بتاح»،

إن أصابع جسده هى «الثمانية»،

وإذ يشرق كشمس فى الـ «نوو»،
فانه يجدد شبابه...
فيظهر متألقاً على عرشه، حسب رغبة قلبه.
إنه يحكم كل ما هو موجود، بفضل [قدرته].
ويربط مَلَكية (بفتح الميم واللام) الزمن الأزلى اللانهائى؛ (فهو) السيد الأوحد.
إن هيئته تفيض نوراً، منذ المرة الأولى
ويلتزم كل ما هو موجود الصمت بسبب هيبته.
وينقّ بصوته، فإنه «النقاق الأعظم»،[٣٤] فى مكان خلقه المنعزل،
عندما بدأ يتكلم فى قلب السكون.
إنه يفتح عيون البشر ويمكنهم من الإبصار.
ويدأ يصيح وسط صمت الأرض،
وتطوف زمجرته (بالكون). فهو الإله الذى لا مثيل له،
والذى ينجب الكائنات ويُحييها.
ويسمح لكل إنسان أن يتعرف على الطريق الذى عليه أن يسلكه،
وتعود قلوبهما إلى الحياة عندما يرونه.
وإليه ينتمى «النورانيون»، المقدسون والمرموقون.

الفصل المائة.

إذ استهل وجوده فى المرة الأصلية،
كان «آمون» هو أول من أتى إلى الوجود، دون ان يعرف أحد سواه هيئته المنبثقة.

---

*تذكر ان كلمة «شمس» مذكرة فى اللغة المصرية القديمة. (المترجم).

فمن قبله لم يوجد إله سواه،

لم يوجد معه أى إله فى استطاعته أن يخبرنا عن شكله،

لم تعُرف له أم ليتحدد اسمه من أجلها.

لم يُعرف له أب انجبه فيقول «ها أنا!»

(الاله) الذى شكل بيضته بنفسه،

القدرة الإلهية ذات الولادات السحرية، صانع كماله،

الإله الربانى، الذى اتى بنفسه إلى الوجود،

وقد ظهرت الآلهة الأخرى بعد أن بدأ هو فى الوجود.

الفصل المائتان.

(الكائن) صاحب الصيرورات السحرية، والأشكال المتألقة،

إله الأعاجيب، المتعدد الوجود،

جميع المعبودات تمتدحه،

لتعلى هى ذاتها من شأنها فى كماله، حسبما يكون إلهياً.

لقد اتحدّ «رع» ذاته بجسده،

إنه «الكبير» المقيم فى «هليوپوليس»،

هذا الذى يطلق عليه (أيضاً) «تاتنن»،

«آمون» المنبثق من «نوو»،

الذى يرشد البشرية،

و«الثامون» هو (أيضاً) من أشكاله الأخرى،

أيا منجب الآلهة الأولية، الذى ولد «رع»،

ثم اكتمل فى هيئة «آتوم»(٣٥) وهو أحد أعضاؤه،

إنه سيد الكون، وبداية ما يوجد.

إن «با»ه، حسبما يقال، هو الذى فى عالم الآلهة.

انه هو الموجود فى الآخرة السفلية، ويولى وجهه شطر الشرق.

وباؤه فى السماء، وجسده فى الغرب،

وصورته فى هليوپوليس الجنوب(٣٦) لتذكر تجلياته المتألقة.

«الواحد الأحد» هو «آمون»، (الإله) الذى يختفى بعيدا عنها،(٣٧)

ويتوارى عن (انظار) الآلهة، حتى لايتعرف الناس على كيانه.(٣٨)

الذى يبتعد إلى عالم الآلهة، إذ تُحرم منه الآخرة السفلية.

لا يوجد إله واحد يعرف شكله الحقيقى،

ولا تكشف الكتب عن صورته،

ولا يمكن أن يشهد أحد...

إنه أعمق سراً من أن يكشف النقاب عن هيبته،

وأعظم من أن يُسأل، وأكبر سلطاناً من أن يُعرف.

سوف يلحق الموت فى الحال، الموت (الذى هو فى المعتاد من نصيب) المقاتل،

(سوف يلحق) بمن يتفوه باسمه المحاط بالأسرار، (اسمه) الذى لا يمكن معرفته.

(بل) إنه لا يوجد إله واحد فى وسعه أن يتعرف عليه بهذه الوسيلة.

أيها الكائن المجيد، الذى يخفى اسمه، لأنه سرّ.

ثلاثة هى جميع الآلهة،

«آمون» و«رع» و«پتاح»: (وهى آلهة) ليس لها مثيل.(٣٩)

إن اسمه خفى بوصفه «آمون»،

ان وجهه هو (وجه) «رع»، وجسده هو (جسد) «پتاح».

لقد تأسست مدنهم على الأرض للزمن الأبدى،

طيبة و«هليوپوليس» ومنف (هى) للزمن اللانهائى.

إذا وجهت رسالة من السماء، فتسمع فى «هليوپوليس»،

وتتردد فى منف صاحبة الإله ذى الوجه الجميل،

ثم يُعد خطاب بعلامات «تحوت» *(العلامات الهيروغليفية)*

من أجل مدينة «آمون» التى تتولى شئونهما .

وفى المقابل توجه نصيحة قادمة من طيبة،

فيقال «اصعد، فهو ينتمى من الآن إلى التاسوع»،

جميع الأوامر تصدر عن «آمون»،

والآلهة راسخة بفضله، حسبما يأمر به،

والرسالة التى يوجهها فى وسعها ان تقتل أو تعيد الحياة.

الحياة والموت لجميع الكائنات رهن به،

وبدونه (لا يوجد شئ)، «فآمون» هو فى صحبة «رع»،

[وپتاح...]- سوياً: ثلاثة.

الفصل الأربعمائه

أربعاً كانت إلهات «المرة الأولى»،
إذ تُفرح [آمون] فى [هيبته] كثور كبير،
ثور إناث العجول الأسود...
... حتى يكتمل التاسوع،
وإذ خلق الفرج وأتى إلى الوجود بعضو التذكير،
فكان أول من جامع إناث العجول،
مخصبا ما وسعه أن يمسك به، بينما لم يكن الفرْج قد وجد،
وإذ يشرق متألقاً فى الـ «نوو»، خالقا كل شئ،
أبو الآباء وأم الأمهات،
ثور هذه الأمهات الأربع،

الفصل الخمسمائة.

لقد تم دحر من كانوا يتمردون عليه (وسقطوا) على وجوههم،
لا يستطيع أحد أن يلحق به،
والأرض مزودة بالسلاح مع اقتراب اعدائه،
ولا وجود أمامها أبداً لأولئك الذين كانوا يتآمرون عليه،
الأسد المتوحش ذو المخالب الضارية،
يبتلع فى ظرف لحظة، قوة ودماء من هاجمه،
إنه الثور ذو الظهر القوى والحوافر الثقيلة
على رقاب أعدائه، بينما يمزق صدورهم،

والتمساح الذى يقفز[٤٠] ويمسك بمن يلحق به،

فيعرف كيف يفصل لحمه عن عظامه.

عندما يخوض المعركة بـ (كل) قواه، فترتعد الجبال من تحته فى زمن غضبه، وتترنح الأرض عندما يثور. وكل ما يوجد يُضمر الخوف، مما يثيره من فزع. وكل من تصدوا له يأتون بسببه، بعد أن أوذوا من قرنيه، لأنه فاعل (أيضا) بفضل قرنيه.

الفصل الستمائة.

قلبه هو المعرفة. شفتاه هما الكلمة. ان «كا»ه وكل ما هو موجود يضمها فمه. عندما يدخل، يكون الكهفان[٤١] تحت قدميه والنيل يتفجر من المغارة التى تحت نعليه. إن «با»ه هو (الإله) «شو»، وصدره هو (الإلهة) «تفنوت». إنه «حور آختى»، مندوب عالم الآلهة. عينه اليمنى هى النهار وعينه اليسرى هى الليل. انه المرشد عبر جميع الدروب. وجسده هو الـ «نوو». ما بداخله هو النيل، منجباً كل الأشياء وواهباً الحياة لما يوجد. انه يوجه النسمة إلى كل أنف. ان القدر و(الإلهة) «رننوت».[٤٢] هما بجواره من أجل جميع البشر. زوجته هى الأرض الزراعية، فيخصبها. إن نطفته هى نبتة الحياة، وأخلاطه هى الحبوب... الإله العظيم الذى انجب الآلهة الأولية... ان وجوه جميع البشر تتجه إليه ويقول البشر والآلهة: «إنه هو المعرفة...»[٤٣]

٢- ترنيمة إلى «تحوت»[٤٤]

التعبد لـ «تحوت»، ابن «رع»، القمر، صاحب الإشراقات الجميلة، رب التجليات الساطعة، نور الآلهة – من الشريف، الأمير، حامل المروحة عن يمين الملك، القائد العظيم فى الجيش، الكاتب الملكى، «حور محب» –«الصادق القول».[٤٥] إنه يتحدث قائلاً:

«تحية لك، (أيه) القمر، (يا) «تحوت»، الثور فى «هرموپوليس»، الذى يقيم فى

«حرست»،[٤٦] الذى يفتح قصور الآلهة، الذى على علم بالأسرار ويحدد عباراتها، الذى (يعرف كيف) يميز بين خطاب ونظيره، إنه الحاكم على كل منّا، الإله صاحب النظرة الثاقبة فى قارب ملايين (السنين)، (رسول) البشرية السريع، الذى يعرف المرء من كلمته، الذى يدفع بالعمل (السئ) إلى الوقوف ضد صاحبه، الذى يُرضى «رع»، ويرفعك إلى جوار الرب الأوحد ويعينه على التعرف على الأحداث كلها. وعندما تبيض الأرض، فهو ينادى فى السماء: أنه لايهمل تقرير الغد.

(الاله) الذى يحافظ على ازدهار «سفينة» الليل والذى يهدئ «سفينة» النهار، وقد بسط ساعديه، ضد قيدوم «السفينة» المقدسة. (الإله) صاحب الوجه الطاهر الذى يمسك حبل كوثل (السفينة). عندئذ تفرح سفينة النهار، كما تفرح سفينة الليل، فى عيد عبور السماء. (الإله) الذى يجهز على المتمرد، ويفصل الأفق عن الغرب.

إن آلهة التاسوع فى قلب سفينة الليل تمتدح «تحوت» وتهلل له، قائلة له: «الثناء لك... المبارك من «رع»، وتجزل لك الآلهة من التهليل: وسوف تجدد ما انفك «كا»ؤك يشهيه، لانك تفتح الطريق (الضرورى) لمكان السفينة المقدسة وتنشط ضد «المتمرد»

الشهير.[٤٧] تقطع رأسه، وتهشم «با»ه، وتمسك بجسده، وللنار تسلّمه، فانت الإله الذى أتّم ذبحه. لاشئ يحدث بدونك، أيها العظيم، (يا) ابن العظيمة،[٤٨] المنبثق من جسدها، يا حامى «حور آختى»، الصديق الحكيم فى «هليوپوليس»، الذى يخلق مقامات الآلهة الرسمية، المطلع على الأسرار، الذى يفك عباراتها.

فلنسبح ونهلل لتحوت، المطمار العادل فى قلب الميزان، الذى يبعد الشر ويستقبل الإنسان الذى لا يتحمل ارتكاب الأفعال (الخسيسة)، الوزير[٤٩] الذى يزن الكلمات، الذى يهدئ العواصف و(يوفر) السلام، كاتب الحصيرة[٥٠] الذى يثبته قرطاس البردى، الذى يعاقب الجريمة، الذى يستقبل الإنسان المطيع،[٥١] (الإله) صاحب الساعد المزدهر، الحكيم فى قلب التاسوع، الذى يعمل على إعادة انبعاث ما وقع فى طى النسيان، مستشار الإنسان الشارد، الذى يتذكر اللحظة العابرة، الذى يروى ساعات الليل، الذى تدوم كلماته فى الزمن اللانهائى. انه يدخل إلى الآخرة أسفل الأرض عارفاً بما يوجد فيها فيضمه إلى قائمته.»

٣- الترنيمة إلى النيل. (٥٢)

فليحى الإله الكامل، محبوب «نوو»، «حعپى»،(٥٣) والد الآلهة وآلهة التاسوع الكائنة فى الأمواه، غذاء مصر وزادها ومخزونها من الطعام، الذى يوفر الحياة لكل شخص بفضل «كا»ئه. الوفرة فى طريقه، والطعام فوق أصابعه. وعندما يعود، يعمّ الفرح البشر أجمعين.

أنت «الواحد الأحد»، الذى خلق ذاته بذاته. ليس فى وسع أحد ان يعرف كل ما بداخلك. ويوم تتدفق من مغارتك، لا تفارق البهجة أى منّا.

أنت رب الأسماك، (أنت) غنى (أيضاً) بالحبوب، (أنت) الذى يوفّر لمصر صيد الماء. وآلهة التاسوع لا تعرف (كل) ما بداخلك، ولكن أنت حياتها، فعندما تعود تتضاعف قرابينها، وتتوفر الأطعمة لمذابحها. إنها تهلل فرحاً عندما تظهر، لأنك تعيدها إلى الحياة بلا إنقطاع.

إنك تبحث عن الوسائل التى يحيا بها البشر، على غرار «رع» عندما كان يحكم هذا البلد. إنك تهدئ الـ«نوو»، وتعيده فى سلام. إن جماعة آلهة الجنوب مغتبطة. لقد أرادت أن يقوم«حعپى» الأب، بأعمال خيّرة فى طول البلد المحبوب وعرضه، فتجعلهاأعمالاً من قلبه. إنه قوى ويقظ، ساع إلى إطعام الأحياء، مستكثر من الحبوب كالرمال، لتفيض بها الأهراء.

كان يريد جلالته أن ينجز أشياءً مفيدة ومرضية من أجل والد جميع الآلهة وجماعة آلهة الجنوب التى تتحكم فى أمواه (الفيضان). كان قلبه متعقلاً، مثل (قلب) «تحوت»، يفكر فى الخيرات التى قد يهواها. ومنذ زمن «رع» لم تعرف البلاد ملكاً، تصرف على هذا النحو.

عندئذ قال جلالته ما يلى: «إن «حعپى» هو الذى يُحيى القطرين. وتأتى الأطعمة والأغذيه إلى الوجود بعد أن تفيض (مياهه)، ويمتثل له البشر أجمعون. والناس يصبحون أثرياء، إذا ما أمر هو بذلك. إنى أعرف ما يوجد فى غرفة المدونات(٥٤) وما

تم إيداعه فى «بيت الكتب»، ويتفجر «حعبى» من المغارتين، لإمداد خبز الآلهة، وعندما تكون المياه طاهرة فى منطقة السلسلة، وهى بالطبع مكانه المقدس، يتم مضاعفة القرابين من أجله.

٤- ترنيمة إلى «حور - ور» و«سوبك». [٥٥]

أيا كل رجل (من الرجال)، كل«يعت»، كل«رخيت»، كل«حنممت». [٥٦] (أيا كل الرعايا، اعبدوا«حور - ور» الذى يتسيّد على الـ«وچات» الإثنتين، مجّدوا هذا الإله، فهو أعظم من الآلهة (الأخرى). إنه الـ«كا» الملكى الحى، ابن «رع» البكر، الصورة الجميلة لسيد الكون، نسمة الحياة لأنف جميع الكائنات. عندما يبتعد يحلّ موتها. إنه الإله صاحب النعم، الذى يرقد فى سلام مع ابنه، الوريث المتحد مع خالقه، إنه أيضاً شاب جميل، لا مثيل له. إن «چدت» هى معه فى صحبة «حات». [٥٧] إنهما هنا يذبحان الأعداء الخائرين، ويصدان من يسعى إلى الإضرار بمعبدهما. الآلهة فى السماء فرحة. الآلهة على الأرض مغتبطة، آلهة الآخرة السفلية فى عيد، عندما تراهما راقدين معاً فى سلام.

أيها الأحياء، (يا) أهل الأرض، فلنأت مهللين، سبحوا ربكم جميعكم فى آن واحد، بجّلوا صورته. لانه نسمة الحياة، إنه يجعلكم تحيون بـ «كا»«اتكم، قدموا التسبيح لـ «ذاك-الذى-ترقد-أرجله».(*«سوبك»*) إنه خالق الأرض، إنه يشكل الكائنات، إنه يجعلكم راسخين فوق ظهره (أنتم) وممتلكاتكم وقبر(كم) ووريث(كم)، بصفته سيد الـ«كا»«ات.

عسى ان يخصا لك الوجهين القبلى والبحرى، الحاكم المطلق بكل اعمالهما دفعة واحدة، حيث انه سيبحث، صباحاً ومساءً، فى معبدكما، دون هوادة، عما يفيده.

٥- ترانيم إلى «خنوم»[٥٨]

* التهليل لك،

أيها (الإله) الذى زُوُد بأربعة وجوه فوق عنق واحد،

(الإله) ذو الصوت القوى، ولكن ليس فى استطاعت أحد أن يراه،

صاحب المجد العظيم، والهيبة الرفيعة،

يارب عجلة (الفخارى) الذى يشكل على هواه،

«خنوم» الذى صنع أربعة «خنوم»،

(إله) القدر، (الإله) العائل،

الذى تتحقق أوامره،

و«كا»ؤه لها منزلة تفوق تلك التى تتمتع بها الآلهة والآلهات (الأخرى).

أنت «خنوم»،

الوحيد الأحد، الوحيد الأحد.

ومن عمله تخرج كل يوم ملايين الكائنات.

أنت «خنوم»،

التجلى المحسوس للنسيم،

المحاط بالأسرار، الذى من عنفه تتولد الرياح الأربع،[٥٩]

ويخرج كل منها من المكان الذى اختاره،

واحدة من الجنوب،

وأخرى من الشمال،

وغيرها، كل يوم، من الغرب ومن الشرق.

أنت «خنوم».

وتزدهر القرابين الإلهية التى تخص الآلهة والبشر،

بفضل الأمواه الدافقة التى تنبعث من عموده الفقرى،

بحيث يُقال «خنوم».(٦٠)

لان الرياح «تتحد » بالماء لتغمر البلاد بخيراتها، بهذا الإسم «كناف»، الذى هو اسمه،

إله العجلة، أوزيريس ذو القرنين.

أنت «خنوم».

الذكر الكثير النكاح

الذى يخصب النساء،

ويقطع الحيض فى الوقت المحدد.

أنت «خنوم»،

الذى يعطى ابناً لمن يتوسل إليه،

وزوجةً لمن يتضرع إليه.

هادياً خُطاهم فى طريق الظلمات،

مانحاً النسمة للمرأة الحامل ليخفف عبئها عبئها،

حافظاً نمو الطفل وسلامته فى بطنها،

باسمه كـ«آمون. يامك الـ«مامیزی».(٦١)

أنت «خنوم».

الذى يصنع النور فى الطريق المعتم،

ليعطى به الحياة للفرخ فى بيضته،

الذى يجعل النسيم العليل يرتفع إلى حنجرة المكتئب
والذى بعينيه ينير للجميع فى الأماكن المظلمة.
إن البشر والماشية والطيور والزواحف والقاطنين فى الماء، على السواء،
تجعلهم يتحركون فى جميع أجساد (الأمهات)،
ليأتى إلى الوجود كل (مخلوق) من خلاتقك، خارجاً من بطن (أمه).

ولذا، فالبلد المحبوب مغتبط بسببك.
حقاً، أنت سيده،
والكون بأسره يخضع لمقاصد جلالتك،
لأن روحك ونسمتك تختلطان بلحم (البشر).
ولو ابتعدت صورتك عنهم ولوللحظة،
ضمروا وانزووا فى الحال.
إنك تشكل على عجلتك فى السماء،
وعلى الأرض، فأنت الفخارى الذى يُحى الأطفال الصغار فى بطن (أمهاتهم)
إن قوة (حياتهم) تأتى من ساعديك.
لا وجود لمن هو أعظم منك
لا وجود لمن ظهر قبلك، من يستطيع أن يقصى ما خلقته بنفسك، للزمن اللانهائى.
وتتكاثر الأجيال الجديدة، التابعة لمسكنك...
المكان الجميل لإقامة هذا االذى انجب الآلهة، باسمه «خنوم»...
إن المقصورة الخاصة بـ «با »نّه،
مكان إقامة جلالته، المتألق، فمنه يومياً تهبّ النسمات.

أنت «خنوم»،

الذى يدوم عمله.

وبواسطة اسمه خُلقت جميع الأقاليم وسائر المدن.[٦٢]

إنه يتألق، إنه يتألق!

رب الكون، ابن رب الكون،

كما تتألق العينان عند خروجها من الـ «نوو»،

لينفذ بأشعته إلى الآلهة والآلهات،

باسمه «خنوم–النور».

إنه يتألق، إنه يتألق!

بكر «رع!، الذى بصقه و«آتوم»،

والذى سوف يجدد الولادات (من الآن).

إنه يتألق، إنه يتألق!

ابن «رع» المحبوب،

الذى يأتى فى معيته، ليتسلم وظيفته.

الكبش صاحب السرّ الأعظم، ذو الحب العظيم،

هو الكاسر الجبار الذى يقطع السماء (طولاً و)عرضاً.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الكبش العظيم الذى يزاوج «حريشف»[٦٣]المهيب ،

الذكر الناكح الذى يربط النطف.

إنه يتألق، إنه يتألق!

(قرص) «الشمس الذى يكرر ولاداته، («الشمس» اسم مذكر فى المصرية القديمةم.)

والذى يتألق بصفته عين آتوم اليسرى،

إنه يتألق، إنه يتألق!

(قرص) «الشمس» الذى يجددشبابه،

الإبن المقدس المنبثق من «نوو»،

فأمه هى البقرة، العظيمة، «إحت»،

إنه يتألق، إنه يتألق!

السلاّب العظيم، التمساح المقدس الذى سطع فى الـ «نوو»،

فأضاء الأرض عند ظهوره،

إنه يتألق، إنه يتألق!

التمساح المحاط بالأسرار

الكبش الذى أتى فى البدء إلى الوجود بنفسه،

والذى فتح الدروب فى الـ «نوو»،

إنه يتألق، إنه يتألق!

(قرص) الشمس الذى ينير الأرضين،

الشكل المقدس المنبثق من الـ «نوو»،

إنه يتألق، إنه يتألق!

الأسد الذى يأسر الألباب بزئيره

الذى يتجول فى الجبال فى قوة،

الذى تتسارع مشيته لذبح أعدائه،

إنه يتألق، إنه يتألق!

الكبش المقدس، العظيمة هيبته،

الثور الذى يصيب الثيران (الأخرى)،

اللهب الذى يحرق أعداءه،

إنه يتألق، إنه يتألق!

الكبش المقاتل الذى ينجب شكله

النور الإلهى، القوى الساعد، الثابت الكتفين،

الذى قدم أعداءه ذبيحة.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الابن الذى يصل القلوب والأرواح من جديد،

أنك، «حورس» الذكر المبارك، حامى أبيه.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الهليوپوليتانى الذى يتزعم الآلهة،

الذى استهل الوجود،

الذى شكل الآلهة والبشر وسائر الحيوانات فى (أكمل) صحة،

وخلق الحياة من أجل كل ما انبثق منه.

إنه يتألق، إنه يتألق!

(قرص) الشمس، رب الشموس،

سيد الكون وأبو الآلهة.

الذى أتت فى أعقابه إلى الدنيا جميع أشكال الوجود.

إنه يتألق، إنه يتألق!

القرص المجنح المقدس، القادم إلى الوجود فى القصر العظيم.

......

إنه يتألق، إنه يتألق!

(طائر) العنقاء المقدس الذى جال فى بلاد پونت،

الذى يستولى على القصر العظيم، ليرى والده.

إنه يتألق، إنه يتألق!

الصقر ذو الريش المبرقش

ويترأس جماعات الوجهين القبلى والبحرى.

أيها الإله العظيم، المنبثق من «نيت»، تحية لك (أنت) الذى يتألق كل يوم، (أنت) الابن المقدس، المولود (فى العالم) عندما تم النطق (باسمه)، الصبى المهيب، جالب الخير لأبيه. لك التسبيح والتهليل، أيا «خنوم»، (يا) سيد الآلهة والبشر. ولِّ وجهك الجميل شطر «انطونان-المحمىّ»، ملك الوجهين القبلى والبحرى. اعطه البلاد بأسرها، وقد انحنت بسبب قدرته، و(اعطه) هيبته تغطى كل ما تضيئه الشمس.[٦٤]

هذه الترانيم هى ترانيم تلفيقية، تجمع فى شخص الإله «خنوم» شتى الأشكال الشمسية وعناصر من الأسطورة الأوزيرية. إن قراءة هذه النصوص تؤكد من جديد الإستمرارية الروحية للأساطير والمعتقدات المصرية على امتداد ما يقرب من أربعة آلاف سنة، بل إلى ما بعد ظهور المسيحية بقرنين، أيضاً.

٦- ترنيمة إلى «نيت».[٦٥]

السماء مبتهجة،

الأرض فرحة،

المعابد غمرتها الغبطة،

السماوات تصيح، الإلهات تهلل،

والبشر يتعبدون لوجهها.

المعابد غمرتها الغبطة،

السماوات تصيح، الإلهات تهلل،

والبشر يتعبدون لوجهها.

إن «نيت» العظيمة. السامية، التى خلقت ما هو موجود،

تحيط مدينتها بفرحة الحياة،

فى حين تشرق فى قصرها، ولها الحياة والبقاء والقوة كلها.

«نيت» العظيمة، تطرد العاصفة وتصد الأمطار.

عندئذ تسطع السماء والأرض تُضاء،

ومن فوقها، تنتصب «نوت» كالقبة.

ويُقام العيد، مرة ثانية،

يوم عيد «رفع السماء».

و«تانن» يظهر مرة ثانية.

ويطلقون اسم «الزمن اللانهائى» على جلالتها («نيت») و«تانن».

إن ثلثى شخصها («نيت») ذكر،

والثلث أنثى.

إنها تخلق الأشعة المضيئة المتجددة،

فتطرد الظلمات،

ويتسربل قرص الشمس بسطوعها الخاص.[٦٦]

وتخفيه فى حبة عينها.

وعندما تشرق، فإنها تظهر نورها،

فتتيح لكل واحد أن يتعرف على رفيقه،

وعندما تظهر فى هيئتها كقمر،

فإنها تبعد (أيضا) الظلام.

إنها «نوت»، التى يشرق فيها إله الأفق ويغرب.(٦٧)

ولا حدود لها فى الفضاء، ولا يعرف أحد نهاياتها فى الزمان.

إنها تشرق كشمس، ثم تظهر فى هيئة قمر، فتشع على الشطآن بجمالها.

لقد صنعت ما هو كائن، فخلقت الكائنات، وانجبت كل ما هو حى.

ويطلقون على جلالتها: «السماء».

لقد دشّنت الأرض حسب مقاصدها،

لقد صنعت كل شئ فخلقته من قلبها.

عندما تقطع السماء على هواها، فإن ابنها «رع» يهلل أمامها فرحاً.

وساعداه تسبّحان لسيدة الآلهة وتهللان لها متعبدتين، لأمه المقتدرة.

طفلاً فى الصباح، فإن «رع» ذاته يهلل فرحاً لصالح «كا»ها.

وصبياً فى شرخ الشباب، إذ اجتاز مدة زمنية، فهو «رع-حور-آختى» الذى يكرم جمالها (من الآن).

ورجلاً طاعناً فى السن، إنه «آتوم»، الذى يسجد (بعد ذلك) أمام وجهها.

الآلهة والآلهات تجزل التسبيح!

الآلهة والآلهات تجزل التهليل!

وأوائل القادمين إلى الوجود ينحنون آمام مجدها،

والتاسوع الكبير بأسره والتاسوع الصغير، يُطأطئون الرأس،

ولا سحب على الإطلاق فى الأفق الكبير،

إن سيدة الرهبة قد أضاءت الأرضين.

وآلهة الجنوب منحنية وتلك (التى فى) الشمال تطأطئ الرأس،

وآلهة الغرب تعبدها وتلك (التى فى) الشرق تهلل لها،

آلهة الأفق تعبد جمالها وأرواح الشرق تصيح: «الأرض محمية!»

والآلهة العظمى مجتمعة ككل تتأمل أمها، الإله والإلهة فى ذات الوقت.

وكل واحد يقول لرفيقه:

فلنرفع التسابيح لملكة الآلهة،

فلنعظّم من هى عظيمة هيبتها،

فلنقم شعيرة التهليل فرحاً من أجل سيدة الحب،

فلنرض «الفائقة القدرة» فى قمرتها،(٦٨)

فلنحّى البقرة «أحت»،

فلنرفع من قدر قلب تلك التى تحكم السماء والأرض،

فلنلب رغبة أم رع الإلهية،

فلنسجد من أجل سيدة الجنوب والشمال،

فلنقدس التربة من أجل الإلهة المعظمة والقديرة، عندما تهل قادمة من أفق السماء،

هى التى يفوح عطرها ابتداء من «پونت» ورائحتها هى رائحة الكندر.

«الإلهة-الشمس»، الساطعة منذ ظهورها المتألق.

إن مساحيق التجميل التى تزينها هى اكثر لمعاناً(٦٩) من مساحيق الجنوب والشمال أو تلك (التى تتزين بها) السماء عندما يعود نورها فى أعقاب أمطار غزيرة.(٧٠)

فليس كمثلها شئ...

هى التى تنير السماء بضياء عينيها،

وتضئ الصحراء ببصرها.

قاربها من الذهب الخالص يتألق بزخارفه وشتى أنواع الأحجار الكريمة الحرة.

كل إله يتولى هنا عمله.

وطاقم قاربها يتهلل فرحاً، وقمرته المقدسة فى فرح،

بينما يتم سحب سيدته.

والآلهة المقيمة فيها مغتبطة

والآلهات الموسيقيات فى الجنوب والشمال تجزل التسبيح

والآلهات الموسيقيات فى الجنوب وفى الشمال تجزل التهليل.

إن أرواح «به» و«نخن»(٧١) تهلل فرحاً بسبب مجدها.

ويبحر قاربها دون صعوبة، مصعداً أو هابطاً، فى قصر «نيت».

إن البلد المحبوب بأسره فى عيد،

لأن سيدته، الإله والإلهة، تسطع فوقه،

وفى استطاعة جميع العيون أن تبصر بفضل أشعتها،

والبلاد بأسرها تتألق بضيائها.

إن مقصورتها تضئ أيضاً للذين يقيمون فى الآخرة السفلية،

وسكان الجبانة يهللون فرحاً لرؤيتها.

٧- أغنية رياح السماء الأربع.(٧٢)

حتى يكون (للمرء) سلطان على رياح السماء الأربع.

لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات.(٧٣) ها هى ريح الشمال التى تنتشر عند الـ «حاو-نبوت»،(٧٤) التى تبسط ساعديها حتى حدود الأرضين، ثم تنام بعد أن تكون قد حققت، كل يوم أمنية محبوبها. لأن ريح الشمال هى ريح الحياة. لقد منحت لى لأعيش منها.

لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات. ها هى ريح الشرق، التى تفتح باب السماء، وتطلق نسمات الشرق، وتعد طريقاً صالحاً من أجل «رع» عندما يخرج هذا الأخير ضمن صحبته. فليمسك «رع» بيدى، ويضعنى فوق «حقل البوص» الشهير الخاص به، حتى أجد فيه غذائى- وفقاً لعادة الثور «أبيس»، لأن ريح الشرق هى ريح الحياة. لقد منحت لى لأعيش منها.

لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات. ها هى ريح الغرب، شقيقة «حا»،(٧٥) ابنة «ياوو» الذى كان يعيش فى جسد الإلهة الوحيدة، فتآخى فى هذا البلد (مع الرياح الأخرى) ريح الجنوب وريح الشمال، ريح الغرب وريح الشرق. لقد منحت لى لأعيش منها.

لقد مُنحت لى هذه الرياح الأربع من قبل هذه الفتيات.ها هى ريح الجنوب، التى تهب مثلها مثل زنجى الظهيرة، الذى يحضر الماء ويساعد على تنمية الحياة. لأن ريح الجنوب هى ريح الحياة. لقد منحت لى لأعيش منها.

تحية لك، (أيتها) الرياح السماوية الأربع، (يا) ثيران السماء! إنى أخبرك باسمك، واسم من أقامها بجوارى وانجبنى فى الدنيا. لقد أتى اسمك إلى الوجود قبل أن يولد البشر، قبل ان توجد الآلهة، قبل أن تقع العصافير فى الشرك، وقبل اقتناص الأبقار بالوهق * وقبل ان ينضمّ فخذا «ماترت»، الإلهة ابنة الإله العظيم، وقبل اشباع رغبة أول الأقدمين، سيد السماء وسيد الأرض.

---

*الوهق: حبل فى طرفه أنشوطة يُطرح فى عنق الدابة وغيرها حتى تؤخذ. (المترجم)

لقد سبق أن طلبتها من رب القدرة، فهو الذى منحنى إياها. هيا إذن لترحلى معى. سأريك سفينتى، وسوف تهبطين إليها، وتبحرين بها.

إنها ترنيمات تسبيح واعتراف بالجميل، وترنيمات وصفية، وسلسلة طويلة من النعوت، ترنيمات للكلمة الفاعلة، وهى تشهد جميعها على ورع المصريين فى الزمن التليد، واستمرارية الصور الميثولوجية التى تتطور وتتداخل وعلى ثبات مقومات الإيمان.

شروح وهوامش الفصل الرابع من الباب الأول

(١) راجع الفصل الرابع من الباب الثانى.

(٢) هذه الترنيمة مدونة على بردية يحتفظ بها متحف القاهرة وترجع إلى عام ١٣٤٠ق.م.تقريباً.
النص المصرى: GREBAUT, Hymne a Ammon-RA,Paris,1874

(٣) إشارة إلى أسطورة الشمس (اسم مذكر فى اللغة المصرية القديمة م.) «الذى» يخصب أمه، فى سمت السماء، حتى تلد الشمس «الجديد» مع كل فجر.

(٤) قبائل ترجع أصولها إلى السهوب النوبية التى كثيرا ما جند أهلها فى قوات الشرطة المصرية.

(٥) اسم محرابى التطهير فى الوجهين القبلى والبحرى.

(٦) «بونت» – بلد منتج للبخور وهو النبات «الذى يجعل (الكائن) إلهياً».

(٧) ان عبارة «تحية لك»، هى ابتهال موجه إلى ثالوث مقدس، الإله الواحد على هيئة أشكال ثلاثة وأسماء ثلاثة.

(٨) محراب شمسى. الـ «بن بن» هو اسم المسلة، الحجر المقدس،الذى كان يتلقى اشعة الشمس الأولى عند الفجر.

(٩) الجذر «إمن» يعنى «يكون خفياً». وهو الأصل الإشتقاقى للاسم الإلهى.

(١٠) راجع الفصل الأول من الباب الأول: «بزوغ الشمس فى فجر البداية الأولى»

(١١) «حورس» و«ست».

(١٢) نص هذه «الترنيمة العظيمة» مدون فى مقبرة «آى» فى تل العمارنة، حوالى عام١٣٦٥ق.م.
النص المصرى: DAVIES, Amarna, VI, PI. XXVII =
SANDAM, Texts From the time of Akhenaten,PP.93-96.

(١٣) كلمة «آتون»، كانت فى الأصل هى الإسم الذى يدل على قرص الشمس.

(١٤) كان امنحوتپ الرابع يعتبر نفسه أحد أقانيم الشمس، وشكلاً للإله الحى على الأرض. والأمير الشاب الصوفى النزعة كان أيضاً يعانى من جنون العظمة.

(١٥) حرفياً: «أفق آتون» – وهو اسم العاصمة العابرة التى حاول امنحوتپ الرابع إقامتها على بعد ٣٢٥كم إلى الشمال من طيبة – وهى تل العمارنة حالياً.

(١٦) حرفياً: «ذاك الذى يكون مفيداً لآتون». من أسماء امنحوتپ الرابع، الأخرى.

(١٧) الضمير المستخدم هنا هو ضمير المؤنث - للتاكيد على ان «الشمس» يعتبر أبا وأم الخليقة بأسرها.

(نذكر مجدداً ان الشمس اسم مذكر فى المصرية القديمة، المترجم)

(١٨) تستخدم هذه الصيغة مع آلهة أخرى من قبل المؤمنين بها.

(١٩) منطقة تابعة للسودان فى الوقت الراهن وتقع بين الجندل الثانى والجندل الرابع من نهر النيل.

(٢٠) يظل الكبرياء المصرى العتيق باقياً.

(٢١) إشارة إلى أمطار بلدان آسيا التى تساعد على خصوبة التربة - على غرار نهر النيل المصرى، الذى خلقه الإله تحت الأرض ليتفجر من بين صخور جزيرة إلفنتين فيجلب الحياة للبلاد.

(٢٢) تتدرج هذه الفقرة فى التطور التاريخى للحظة الآنية. لقد فتح أسلاف أمنحوتپ الرابع قبل قرنين من الزمن إمبراطورية شاسعة امتدت من الجندل الرابع على نهر النيل وحتى نهر الفرات. وكانت طيبة العاصمة مركز عالمياً واسعاً متعدد الأجناس. ولكن امنحوتپ الرابع بنزعته كأمير متصوف أهمل الشئون السياسية هو وخلفاؤه الضعاف، وتخلى عن هذه الإمبراطورية التى كانت مصدر ثراء لمصر. فتفتت هذه الإمبراطورية إلى أن جاء الملوك الرعامسة المظفرين.

(٢٣) من ١٩ نوفمبر إلى ١٩ مارس.

(٢٤) ظلت الأساطير القديمة دون تغيير.

(٢٥) كبرياء الملك الذى يعانى من جنون العظمة. وتعبر بقية النص عن نفس هذا الشعور.

(٢٦)نص مدون على بردية محفوظة فى الوقت الراهن فى متحف مدينة ليدن (Pap.I,350) والتى تحتوى على عدد من الترانيم الموجهة إلى الإله آمون،حوالى عام ١٢٨٠ق.م.

النص المصري: J.ZANDEE, De hymmen aan Amon Van

papyrus Leiden I,350. Leiden, 1948,pl.I- vI

وللأسف فقد أصاب التلف البردية فى بعض الأجزاء. وسنكتفى هنا بترجمة نص الترانيم الكاملة أو شبه الكاملة.

(٢٧)المياه التى تلتف حول العالم وهى من مخلفات المحيط الأزلى، الذى طرد بعد عملية الخلق إلى أطراف الكون.

(٢٨)حرفياً:«ذات القيدوم القوى»، اسم القارب المقدس لآمون.

(٢٩)حرفياً: «يفتحها».

(٣٠)اثنا عشر شهراً، وثلاثون يوماً لكل شهر.

(٣١)منافس الثعبان «أبوفيس».

(٣٢) إشارة إلى لاهوت«هرموبوليس». راجع الفصل الأول من الباب الأول.

(٣٣) إشارة إلى اللاهوت المنفى. راجع الفصل الأول من الباب الأول. هذه الترنيمة هى عن قصد ترنيمة تلفيقية، فتستنبط جميع الأشكال الإلهية من أشكال آمون.

(٣٤) الأوزة إحدى صور آمون.

(٣٥) التأكد على الموازنة بين الجذر «تم» اى «يكون كاملاً أو مكتملاً» والجذر «إتم» اى «بلغ منتهاه».

(٣٦) اسم مدينة «هرمونتيس» وكانت قبل طيبة عاصمة الإقليم الرابع من أقاليم الوجه القبلى.

(٣٧) تلاعب بالألفاظ بالجذر «إمن» أى «يكون خفياً».

(٣٨) الكائن الإلهى السرّى الذى تحتويه الشمس.

(٣٩) الثالوث المقدس لعصر الرعامسة ومازال فى وسعنا أن نشاهد تماثيلها المكونة فى أعماق معبد «أبو» سمبل: «آمون-رع» «رع-حور-اختى» (وهما صورة أخرى من صور الإله الشمسى) و«بتاح».

(٤٠)الفعل المستخدم هنا هو فعل «يطير». وربما كانت تشير هذه الكلمة إلى وثبة التمساح خارج الماء لاختطاف عدوه(؟).

(٤١) وهما فى إلفنتين، ومنهما كان يتفجر نهر النيل على ما يفترض.

(٤٢) إلهة الحصاد.

(٤٣) ترنيمة تأخذ بمذهب وحدة الوجود Panthe'iste [القائل بوحدة الله والكائنات-المترجم] الذى يمزج جسد آمون بجميع العناصر الخيرة والحيوية فى الكون: الـ «نون» والنيل والتربة الخصبة والشمس. كما يمتزج الإله أيضاً بالعناصر الأساسية التى تقود العالم: المعرفة والكلمة.

أن «آمون» الوحيد الأوحد، هو هنا مختصر الخليقة الخيرة.

(٤٤) نص منقوش على تمثال حور محب جالساً على هيئة كاتب، ويحتفظ به حالياً متحف المتروبوليتان Metropolitan Museum فى نيويورك.وقد دونت الترنيمة على قرطاس البردى المفرود على ركبتى حور محب. ويتكون من ٢٢ عاموداً من النصوص.

النص المصرى: Urk. IV, 2091-2094

(٤٥) المقصود به هنا هو القائد «حور محب»، قائد الجيش فى ظل الملكين الضعيفين «توت.عنخ.آمون» و «آى»- والذى سيصبح فرعون مصر عند وفاة الملك آى. راجع «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية،

الجزء الأول ص ,44-81

(٤٦) إحدى مدن الوجه القبلي ومكان مقدس لتحوت.

(٤٧) الثعبان «أبوفيس»، وعدو «رع». راجع الفصل الثالث، من الباب الأول: «مآثر «أبوفيس» أو الهزيمة اليومية للشر».

(٤٨) البقرة السماوية، وأم «رع» وزوجته.

(٤٩) «حورس».

(٥٠) الحصيرة التي يجلس عليها.

(٥١) حرفياً: «ذاك الذي تحت الكورع».

(٥٢) ترنيمة نقشها على التوالي كل من سيتي الأول ورعمسيس الثاني ومرنبتاح ورعمسيس الثالث - في هيكلين متجاورين في جبل السلسلة بالنسبة لرعمسيس الثاني ومرنبتاح وعلى لوحتين حجريتين مستقلتين بالنسبة لسيتي الأول ورعمسيس الثالث. كانت هذه الترنيمة من كلاسيكيات عصر الرعامسة اعتباراً من ١٣١٠ق.م تقريباً.

النص المصري: Kitchen, Ramesside Inscriptions, I,pp.85-89

(٥٣) اسم النيل باللغة المصرية القديمة.

(٥٤) مكتب المحفوظات (الأرشيف).

(٥٥) في كوم أمبو كان يعبد الإله الصقر «حور- ور» (حرفياً: حورس الكبير) الذي صحفه الإغريق إلى «هارويريس»، إلى جانب الإله التمساح «سوبك». وكانت شعائرهما شعائر مشتركة ومتكاملة.

ويرجع النص إلى العصر البطلمي. A.Gutbub, Kom Ombo, P.287.

(٥٦) طبقات المجتمع المصرى.

(٥٧) إلهتان: «چدت»، وهو «عمود «چد» الأنثى» - و«حكات» - التي كان ينظر إليها أحياناً على إنها زوجة «چب».

(٥٨) هذه الترانيم المنقوشة في معبد إسنا، كانت تنشد دون شك خلال عروض مسرحية لأسرار الولادة الإلهية. وترجع إلى القرن الثاني الميلادي.

(٥٩) حورس الشمسي.

(٦٠) حرفياً: «ذاك الذي يوحد».

(٦١) مبنى ملحق بالمعبد حيث كانت تدور اسرار الولادة الإلهية.

(٦٢) النص المصرى: S.SAUNERON,Esna, III,PP.347-349 (DOC.377.)

(٦٣) «حرى-إش-إف» (حرفياً: ذاك الذى فوق بحيرته)، وقد صحفه الإغريق إلى Harsaphes، وهو إسم الكبش الذى كان يعبد عند مدخل الفيوم ويندمج هنا مع «خنوم».

(٦٤) **النص المصرى:** S.SAUNERON,Esna, III,PP.158-160 (DOC.262.)

(٦٥) كانت تنشد هذه الترنيمة فى معبد إسنا، فى أعقاب شعيرة الإتحاد مع القرص.

النص المصرى S.SAUNERON,Esna, III,PP.263-265 (DOC.331.)

(٦٦) سطوع «نيت».

(٦٧) نوت، إلهة السماء.

(٦٨) قمرة القارب المقدس.

(٦٩) حرفيا «أهَمّ».

(٧٠) حرفياً «جعلته صحياً».

(٧١) مكانان مقدسان فى الوجهين البحرى والقبلى.

(٧٢) نص كلاسيكى قديم، رسم على التوابيت اعتباراً من ٢٠٠٠ق.م.

النص المصرى: Textes des Sarcophages, 162.

(٧٣) كان النشيد يصاحب عرضاً مسرحياً تومئ به اربع فتيات.

راجــع Drioton, in Revue du The'âtre, 1954, PP. 42 SQ.

(٧٤) سكان جزر إيجه أو بلدان الشرق الأدنى الشمالى.

(٧٥) إله الغرب.

الباب الثانى

البشر والمغامرات.

قصص وروايات وقصائد.

ظل سكان وادى النيل - سواء كانوا مشاهير أم مغمورين، أثرياء أم فقراء، يعشقون على الدوام الحكايات وقصص المغامرات الجميلة. كانوا مغرمين بالصور، يحبون نقل المشاهد اليومية إلى عوالم الكون المجهولة التى تغذيها الأساطير الكبرى للفكر الدينى، فكانت «حكاياتهم» فى الغالب إنعكاساً «حياً» وإنسانياً للأفكار العميقة للوعى المصرى الحق. وفى حركة روحية معاكسة للحركة السابقة، كان هؤلاء الرجال ينقلون بعد ذلك المشهد الأسطورى الذى خلقوه إلى قصص ذات مواقف إنسانية، ولكن دلالتها الخفية دلالة عميقة. إن الآلهة والبشر، بعد أن توحدوا كما فى الأزمنة الأولى للعالم، يحيون معاً مغامرات خيالية.

كذلك شهدت مصر «طلوع صبح السحرة». فعلى امتداد ثلاثة آلاف سنة، ظل نسيج العديد من القصص موشّى بأعمال السحر الأسود والشعوذة وطرد الأرواح الشريرة، التى تتجاوز بمختلف مظاهرها حدود الواقع والمعقول. ومنذ الألف الثالثة، قبل الميلاد، كانت هذه القصص تروّح عن نفس الملك خوفو فى قصره. وفى وقت لاحق، كان الناس يندبون المصائر الثلاثة التى كتبتها الحتحورات السبع على ابن الملك عند ولادته. ويتابعون بشغف مغامرات التمثال الإلهى الذى غادر الكرنك إلى «بكتريان»(؟) لطرد الروح الشريرة من أميرة أجنبية بعد أن تملكها شيطان ماكر. وفى وقت لاحق أيضاً، احتفظت برديتان من العصر البطلمى والرومانى حتى أيامنا هذه، بقصة المحن العديدة والمذهلة التى مرّ بها الساحر المدعو «ستنى خع إم واس»، وهو الوجه الممسوخ، الذى ظهر بعد زمن طويل لأمير من بيت مُلك، هو الابن الأثير لـ «رعمسيس» الثانى.

لا يفتقر الأدب المصرى إلى روايات أبطالها من المتشردين أو إلى قصص الرحلات الطويلة التى تزخر بالمغامرات، سواء على اليابسة أو فى عرض البحر. كان القصاص المصرى لا يقتصر على وصف الأفعال الأسطورية والإشارة إلى براعة أشهر السحرة، ولكن كان يحلو له أيضاً أن يسترسل فى سرد الحلقات الطويلة المتعددة للرحلات البعيدة.

كانت القصص فى الأزمنة الغابرة عنصراً هاماً فى الإتصال بين البشر المنتمين إلى حضارات مختلفة. فبينما كان التجار وقواد القوافل والبحارة ينقلون سلعهم، كانوا يتبادلون أيضاً عبر العالم الأساطير الخاصة ببلادهم. وبدءاً من عام١٥٨٠ق.م، تشعبت العلاقات الدولية، الأمر الذى زاد أيضاً من ازدهار هذا الوعاء الأسطورى الضخم، فينهل منه كل شعب حسب ميوله الخاصة. وعندما نطالع الحكايات المصرية فى الوقت الراهن، نندهش فى الغالب، للتناظر الروحى الواضح الذى تكشف عنه هذه الحكايات، عندما نقارنها بعوالم أخرى: العالم الإفريقى وعالم ما بين النهرين والعالم العبرى، فيما بعد، واليونانى والرومانى أخيراً، فقد أثرت فيها تأثيراً بالغاً. وهكذا، فبوسعنا أن نعود إلى مصادر الأفكار ومنابعها أو ان نتتبع مسارها. وسوف نبذل ما فى وسعنا للوصول إلى جذور هذا الوعاء الأسطورى الضخم.

كانت القصص إذن، هى وسيلة الإنفلات الوحيدة المتاحة للعقل. وكانت فى الغالب، محملة بالأحلام. إن قراءة قصة مغامرات أو حكاية أسطورية، تعيننا على التعرف بشكل أفضل على البشر الذين عاشوا قبل خمسة آلاف سنة.

والمرأة هى واحدة من أهم مغامرات الإنسان فى حياته اليومية. وإذ تمهد قصائد الحب المصرية لأناشيد الملك سليمان الدنيوية، فهى من اكثر القصائد حرارة وأجملها، بفضل ما تزخر به من صور غنية بالإستعارات، وواقعية شديدة، فى أغلب الأحوال، وشاعرى مؤثرة، وحيوية ظاهرة، وإيقاع يدفع خطواتها.

إن قراءة القصص والروايات والقصائد المصرية، هى بالنسبة للعقل من أكثر المغامرات الغابرة ثراءً.

الفصل الأول

القصص الأسطورية
أو البشر فى مدرسة الآلهة.

الغريق فى الجزيرة.(١)

عندئذ قال الزميل الماهر :(٢) «ليطمئن قلبك، (أيها) الأمير. انظر، لقد وصلنا إلى المقر (الملكى). بل وأمسك البعض بالمطرقة، ودقوا وتد الرسوّ، فاستقر حبل القيدوم على اليابسة. إن التسابيح تُرفع، والإله يُعبد، وكل امرئ يعانق رفيقه. ان بحارتنا يعودون، سالمين معافين، دون أن تتكبد بعثتنا خسائر. لقد وصلنا إلى بلاد «واوات»،(٣) وتجاوزنا جزيرة «سنموت»،(٤) وإذا بنا نعود بسلام، فنحط الرحال فى وطننا. اصغ إلىّ إذن، (أيها) الأمير، لأننى إنسان أخلو من المبالغة. طهّر نفسك واسكب الماء على أصابعك، وأجب عندما تُسأل، تحدث إلى الملك، مع بقاء قلبك معك،(٥) وأجب دون أن ترتعش. فى وسع فم الإنسان ان ينقذه، فى وسع كلامه أن يجعل (الناس) يترفقون به.(٦) وأخيراً، تصرف كما ترى، فقد أصبح التحدث إليك أمراً مضنياً. ومع ذلك، فسأروى لك مغامرة شبيهة وقد حدثت لى شخصياً.

كنت قد خرجت فى حملة إلى «مناجم الأمير»،(٧) هابطاً عبر «الشديدة الإخضرار»(٨) فى سفينة تبلغ ١٢٠ذراعاً طولاً(٩) و٤٠ذراعاً عرضاً. وعلى متنها ١٢٠بحاراً،(١٠) تم اختيارهم من بين صفوة مصر. وسواء شاهدوا السماء (فقط) أم كانت الأرض فى مرمى بصرهم، فإن قلبهم كان اكثر تصميماً من قلب الأسد. كان فى وسعهم ان يتنبؤوا بالعواصف قبل وقوعها، أو بالزوابع قبل ظهورها. وتصادف أن هبّت عاصفة، بينما كنّا فوق «الشديدة الإخضرار»، ولم نكن بعد قد وصلنا إلى

اليابسة. كان علينا ان نتحمل هجمات الرياح التى ضاعفت من هيجانها، فرفعت الأمواج إلى ثمانية أذرع. وأصيبت السارية بدلاً منى.[11] ثم غرقت السفينة، ولم يبق أحد (على قيد الحياة) من الذين كانوا فيها. أما أنا فقد قذفتنى موجة من (موجات) «الشديدة الإخضرار» فوق جزيرة. وقضيت هناك بمفردى ثلاثة أيام، فكان قلبى هو رفيقى (الوحيد). استلقيت تحت شجرة محتمياً بها، محتضناً الفئ. ثم نهضت بحثاً عن طعام. فاكتشفت هناك تيناً وعنباً وخضروات ناضرة من شتى الأصناف وثمار الجميز وخياراً شبيهاً بذلك الذى نزرعه. كما أن الأسماك والطيور الداجنة كانت متوفرة أيضاً. فما من طعام إلا وكان موجوداً فى هذه الجزيرة. فاستطعت أن أشبع - ثم وضعت على الأرض (جانباً من) الكثير الذى كان يثقل ساعدىّ. وتناولت زناداً، وأوقدت ناراً وضحيت على المحرقة بذبيحة للآلهة.

وفجأة سمعت قصف الرعد، فظننت أنها موجة من (موجات) «الشديدة الإخضرار». ولكن الأشجار بدأت تهتز، والأرض تتزلزل. وعندما كشفت وجهى، لاحظت أن ثعباناً يتقدم نحوى. كان طوله ٣٠ ذراعاً، ولحيته تتجاوز الذراعين، وجسده مغشى بالذهب، وحاجباه من اللازورد.[12] كان يلتف حول نفسه بينما يتقدم، عندئذ، فتح فمه فى اتجاهى، أنا الذى كنت ساجداً على بطنى، فى حضرته. وقال لى: «من أتى بك (إلى هذا المكان)؟ من أتى بك أيها الرجل الصغير؟ من أتى بك إذن؟ ولو تأخرت فى الكشف عمن أتى بك إلى هذه الجزيرة، سوف أعمل على أن تعود إلى وعيك بذاتك، بينما تتحول أنت إلى رماد، فتصبح كشخص لم يعرفه أحد من قبل.» (فأجبته): «إنك تحدثنى، ولكن ليس فى وسعى أن اسمع كلماتك، لأننى أغيب فى حضرتك عن الوعى.» عندئذ حملنى فى فمه واصطحبنى إلى جحره، ووضعنى على الأرض، دون أن يُصيبنى بسوء، ووجدت نفسى سالماً معافى، دون ينتزع منى شيئاً.

ومن جديد فتح فمه فى اتجاهى، بينما كنت أسجد فى حضرته. وقال لى أيضاً: «من أتى بك؟ من أتى بك، أيها الرجل الصغير! من أتى بك إلى جزيرة «الشديدة الإخضرار» هذه، بشاطئيها اللذين تغمرهما المياه الدافقة؟» فأجبته وساعدىّ مثنيان أمامه، قائلاً: «كنت قد خرجت فى حملة إلى «مناجم الأمير» فى سفينة تبلغ ١٢٠ ذراعاً طولاً و٤٠ ذراعاً عرضاً، بعد أن كلفنى العاهل الملكى بمهمة. وكان على

متنها ١٢٠ بحاراً تم اختيارهم من بين صفوة مصر. وسواء كانوا يشاهدون السماء (فقط) أو كانت اليابسة فى مرمى بصرهم، كان قلبهم (على الدوام) أكثر تصميماً من قلب الأسد. كان فى وسعهم أن يتنبؤوا بالعواصف قبل وقوعها أو بالزوابع قبل ظهورها. وكان قلب كل واحد منهم، أكثر بسالة من (قلب) زميله وساعده أقوى (من ساعده). لم يكن بينهم عاجز. وتصادف ان هبّت عاصفة، بينما كنّا فوق «الشديدة الإخضرار»، ولم نكن بعد قد وصلنا إلى اليابسة. كان علينا أن نتحمل هجمات الرياح التى ضاعفت من هيجانها، فرُفعت الأمواج إلى ثمانية أذرع. وأصيبت السارية بدلاً منى - ثم غرقت السفينة، ولم يبق أحد (على قيد الحياة) من الذين كانوا فيها، سواى... انظر، فأنا الآن بجوارك، بعد أن دفعتنى إلى هذه الجزيرة موجة من «الشديدة الإخضرار». عندئذ قال لى: «لا تخف، لا تخف، أيها الرجل الصغير! ولا تجعل وجهك يضطرب! لقد جئت إلىّ والإله هو الذى سمح بأن تظل على قيد الحياة، فقادك إلى جزيرة الـ «كا» هذه،[١٣] التى لا يوجد شئ إلا وهو متوفر فيها فهى تفيض بكل ما لذّ وطاب. (هكذا) ستقضى شهراً بعد شهر، لتتمم شهورك الأربعة فى هذه الجزيرة. عندئذ ستصل سفينة، قادمة من المقر (الملكى). فتتعرف على الطاقم الذى على متنها، وتعود إلى المقرّ فى صحبة هؤلاء البحارة. (وفى وقت لاحق) سوف تقضى نحبك فى مدينتك. يالسعادة الرجل الذى فى امكانه أن يروى ما ألمّ به، بعد ان تكون المآسى قد ولّت وانقضت.

ولكنى سأروى لك، قصة مماثلة حدثت لى فى هذه الجزيرة. كنت أعيش هنا مع أشقائى ومن بينهم فتيان، كنا ٧٥ ثعباناً، هم أبنائى وأشقائى، آنذاك، دون أن أشير إلى فتاة صغيرة، قادها إلىّ القدر. وتصادف آنذاك، أن نزل نجم (من السماء)،[١٤] وبسببه، ارتفع جميعهم فى اللهب. حدث لهم ما حدث، فى لحظة كنت فيها بعيداً عنهم، فاحترقوا دون أن أكون فى صحبتهم. أُصبت بالشلل عندما عثرت عليهم (جميعاً)، فى كومة واحدة من الجثث (المتفحمة).

لو أن لك شجاعة، فسوف ينشط قلبك. وسوف تضم ابناءك بين ذراعيك (من جديد)، وتعانق زوجتك، وترى منزلك. هذا أفضل من أى شئ. وسوف تلحق بالمقر (الملكى) حيث كنت تعيش وسط أشقائك».

وهكذا وُجدت (من جديد)، فسجدت حتى لامست الأرض أمامه، وتحدثت إليه قائلاً: «سوف أخبر العاهل الملكى بقوتك المجيدة، سوف اعمل ليكون على دراية بعظمتك. وأوفر لك الـ «لادانوم»[١٥] والعطر «حكنو» وشذا «يوديتب»[١٦] والقرفة وراتنج التربنتين التى تخص المعابد والتى يرضى بها كل إله. سوف أروى ما حدث لى، وما لمسته من سلطانك. سوف يُعبد الإله فى المدينة من أجلك، فى حضرة أعيان البلاد بأسرها. ومن أجلك سوف أُقطّع الثيران وأحرق ذبيحة، ومن أجلك أيضاً، سوف اقصم رقبة الطيور، واعمل على ان تصل إليك السفن المحملّة بخيرات مصر كلها.[١٧] هذا ما يصنعه الناس من أجل إله، موجود فى بلد قصى، يُحب البشر، ولا زال هؤلاء يجهلونه» عندئذ، أخذ يضحك منى، لما قلته، فقد كان سخفاً فى نظره. وعلى هذا تحدّث إلىّ قائلاً: «إنك لا تمتلك من البخور الكثير، بينما أتيت إلى الوجود، وأنت تملك راتنج التربنتين.[١٨] وأنا فى الواقع حاكم لبلاد «پونت»،[١٩] والبخور ملكى. أما العطر «حكنو» الذى قلت للتو أنك ستجلبه إلىّ، فهو من أهم منتجات هذه الجزيرة. وبعد أن تحل اللحظة التى تغادر فيها هذا المكان، فلن ترى أبداً هذه الجزيرة التى ستغوص فى المياه الدافقة.»

ثم وصلت سفينة ما كما تنبأ هو بذلك. وذهبت (إلى الشاطئ)، وأذ أخذت مكانى فوق شجرة باسقة، فتعرفت على من كانوا على متنها. وفى الحال ذهبت لأبلغه بالخبر، فوجدت انه كان يعلم به. وقال لى: «ليتك تعود إلى بيتك سالماً، معافىً، أيها الرجل الصغير وتلتقى بأبنائك. اعمل على أن تكون لى سمعة محمودة فى مدينتك. فتلك هى المهمة التى اكلفك بها.» وسجدت من جديد، فى حضرته، وساعداى مثنيان. ومنحنى شحنة بخور وعطر «حكنو» وشذا «يوديتب» وقرفة و «تى شبسس»؟[٢٠] وكحل[٢١] وذيول زرافات، وكمية كبيرة من راتنج الترابنتين، وسن الفيل وكلاب سلوقى، وقرود ونسانيس، وكل ما لذّ وطاب من المنتجات التى حمّلت بها السفينة.

وحلّت اللحظة التى سجدت فيها أخيراً، متعبداً للإله لصالحه. وقال لى أيضاً: «انظر، سوف تصل - إلى المقر الملكى فى ظرف شهرين، فتعانق ابناءك. (وفى وقت لاحق) ستسترد شبابك وحيويتك، داخل تابوتك». ونزلت إلى الشاطئ، على مقربة من السفينة وناديت البحارة. وعلى الشاطىء أيضاً أجزلت التسبيح لرب هذه الجزيرة. ومن كانو على سفينة فعلوا الشىء نفسه. عندئذ سافرنا بحراً لمدة شهرين وفقاً لكل

ماقاله.(وجاء اليوم الذى) مثلت فيه أمام العاهل الملكى، وقدمت له هذه الهدايا التى جلبتها معى من هذه الجزيرة. وهنا، تعبّد الملك للإله من أجلى[٢٢]، فى حضرة أعيان البلاد بأسرها. ورقيت إلى منصب «زميل» وأُنعم علىّ بالخدم الذين خصصوا لهذا اللقب[٢٣].

والآن، تطلعّ إلىّ، بعد أن وصلت إلى البلد، وبعد أن تمعنت فى تجربتى. انصت إلىّ، لأنه من المفيد ان يُنصت البشر.» عندئذ اردف الأمير قائلاً :«لا تلعب يا صديقى، دور الرجل الحاذق، الذى يقدم عند الفجر ماءً لطائر ليذبح فى الصباح؟»[٢٤]

على هذا النحو، وصلنا هذا النص، من بدايته إلى نهايته، مطابقاً لما وجد فى مخطوط الكاتب ذى الأنامل البارعة[٢٥]«أمن عا» بن «أمينى» - فليحى ويزدهر ويظل فى صحة طيبة !

هذه القصه هى مجرد حكاية أسطورية. وهى تبرز بالطبع أوجه شبه شكلية مع غيرهامن النصوص التى ستظهر بعد زمن طويل: ونذكر فى هذا الصدد حادثة «الغرق» فى «الأوديسّا»، ووصول «أوليسيوس» عند «الفياكيين». كما نذكر أيضاً مغامرات السندباد البحرى. ولكن يبدو أن العبرة الروحية التى يمكن استخلاصها منها هى أعمق، وتقربها بدرجة أكبر على ما يبدو من ملحمة «جلجاميش». ونلتقى بأهم مواضيعها الدالة فى فكر شعوب حوض البحر المتوسط أو الشعوب الإفريقية.

إن موضوع الجزيرة، كمكان يقع بعيداً عن البشر، وموقع مأمون حيث يحيا إله أو كائن متميز، هو الناجى الوحيد من دمار شامل (فهى جزيرة الحكيم «أوپانافستيم» التى أراد الإله أن يحميها من الطوفان الذى سخره للقضاء على البشرية، وهى تجربة مماثلة لتلك التى عاشها «نوح» وإن سبقتها بفترة طويلة). أما الجزيرة التى كانت بديلاً إلهياً مؤقتاً، فسوف تختفى بعد رحيل «جلجاميش»، شأنها

شأن جزيرة الـ «كا» أو جزيرة «شريا».

أما موضوع نبات الحياة: فهو موضوع المساعى التى قام بها «جلجاميش» إلى جانب «أوپانافستيم». وتزخر جزيرة الـ «كا» (التى يوحى اسمها بوجود مخزون من الطاقة الحيوية) بالبخور، وهو النبات الذى لا غنى عنه لاستمرار حياة الآلهة ذاتها.

موضوع الثعبان: إنه رمز الخلود بالنسبة للقدماء والأفارقة، على السواء. ويبدو فى الواقع – أن الثعبان يعود إلى الحياة بعد كل مرة يغير فيه جلده ويتغذى من باطن الأرض على عصارة النباتات التى تتجدد خصوبتها على الدوام. فيشاركها بالتالى طبيعتها. والتزاماً منه بهذا الدور، فإن ثعبان جزيرة الـ «كا» هو مالك البخور. أما الثعبان الذى يصادفه للأسف «جلجاميش»، فسوف يبتلع نبات الحياة، بعد أن انتزعه خلسةً من البطل النصف إله.

ويرجح، أن قصة «الغريق» هى فى الأصل قصة بحارة سواحل البحر الأحمر، الذين يرتبطون بعلاقات متعددة بسكان بلاد ما بين النهريين الذين كانوا يصلونها من خلال القوافل. إنه نص مكتوب فى لغة كلاسيكية رصينة، تلتقى فيه الأساطير المتنوعة، ويكشف بوضوح عن التيارات الروحية التى امتزجت فى الألف الثانية قبل الميلاد على أرض الشرق.

مبارزة «الصدق» و «الكذب».[٢٦]

فى بداية النص – المفقودة – وإن وردت فيما بعد إشارات إلى وقائعها، يطالب «الكذبُ» شقيقه «الصدق» بأن يسترد منه سكيناً أعجوبة كان قد أعاره أياه. ولما كان «الصدق» قد فقده، رأى «الكذب» ان يحتكم إلى محكمة التاسوع الإلهى، لينال حقه.

..... قال «الكذب» لتاسوع الآلهة: «فليتم إحضار «الصدق» (إلى هنا)، فلتُعم عيناه ويصبح من الآن بوّاب منزلى». وتصرف التاسوع وفقاً لكل ما قاله. وبعد ذلك بعدة أيام، إذا بـ «الكذب» يرفع عينيه ليرى، فلاحظ سمات شقيقه «الصدق». حينئذ

قال لاثنين من خدم «الصدق»: «امسكا سيدكما، والقيا به إلى اسد مفترس وعديد من اللبؤات....». وإذ ذاك أمسكا به، ولكن بينما كانا يرفعانه [قال لهما] «الصدق»: «لا، لا تمسكا بى ...وا بحثاً عن شخص آخر ليحل محلي....*[من الراجح على ما يبدو أنه تم استبدال آخر به، وقد أصاب النص تلف بالغ.]*

بعد أن انقضت عدة أيام أيضاً، خرجت امرأة من دارها [مع خادمات] فشاهدت هذه (الخادمات) «الصدق» طريحاً (على الأرض) عند سفح تل. لم يكن فى البلاد بأسرها مَنْ فى مثل جماله.[٢٧] فذهبن إلى حيث توجد المرأة وقلن لها: «هيّا إذن احضرى معنا لمشاهدة (ضرير) ملقى عند سفح التل. فلنحضره ليصبح بواب منزلنا.» وعلى هذا قالت المرأة: «هيا إذن احضرنه لأراه.» وانطلقت خادمة واحضرته. وعندما شاهدته (المرأة)، تحرقت شوقاً إليه، إذ لا حظت مدى (جمال) جسده كله. وضاجعها ليلاً. وعرفها كما فى وسع أى رجل ذكر ان يعرف (امرأة). وفى هذه الليلة ذاتها حملت (منه) فى طفل صغير.

وبعد ذلك بعدة أيام، وضعت ابناً لم يكن له مثيل فى البلاد بأسرها. كان طويل (القامة).له أسلوب وهيئة إله. وأدخل المدرسة. وهناك تعلم الكتابة على أحسن وجه ومارس جميع تمارين الذكور، حتى تفوق على زملائه الأكبر منه سناً، والذين كانوا معه فى نفس المدرسة. وذات يوم قال له هؤلاء: «ابن مَن أنت؟ فلا نعرف لك أباً!» وكانوا يوقعونه فى الشقاء ويؤلمونه: «نحن لا نعرف لك أباً!» ومن ثم تحدث إلى أمه قائلاً: «ما اسم أبى إذن؟ أودّ أن أخبر به زملائى الذين يتحدثون إلىّ على النحو التالى: «أين أبوك؟ لأن هذه الكلمات تعذبنى.» فقالت له أمه: «أترى هذا الضرير الجالس على مقربة من الباب. هذا هو أبوك.» قالت ذلك وهى توجه إليه الحديث. عندئذ صاح قائلاً: «علينا أن نطلب (بعقد) إجتماع لأفراد العائلة ونستدعى أيضاً تمساحاً.»[٢٨]

ذهب الصبى وأحضر أباه، وأجلسه على مقعد، ووضع موطئاً لقدميه. ووضع أمامه خبزاً، ليستطيع أن ياكل، وساعده أيضاً على أن يرتوى. ثم تحدث إلى أبيه على النحو التالى: «من الذى أعماك، لأتولى أنا الرد عليه؟» فأجابه والده: «إن أخى الأصغر هو الذى أعمانى» - وروى على مسامع ابنه كل ما ألّم به. عندئذ انطلق (الابن) لينتقم لأبية.

حمل معه عشرة أرغفة وعصاً ونعلين وقربة وسيفاً. كما اصطحب معه ثوراً جميل المظهر. ورحل إلى حيث يوجد حارس قطيع «الكذب»، وقال للراعى: «تقبل منى هذه الأرغفة العشرة، ومعها هذه العصا وهذه القربة وهذا السيف وهذين النعلين. وحافظ على هذا الثور من أجلى لحين عودتى من المدينة.» وبعد انقضاء عدة أيام أيضاً، كان ثور (ابن «الصدق») قد امضى عدة أشهر مع راعى «الكذب»، وحضر هذا الأخير إلى الحقول لتفقد قطيع ثيرانه. فشاهد الثور (الذى تركه) الصبى، وهو ثور مظهره جميل، جميل جداً. وقال لراعيه: «أعطنى هذا الثور لآكله.» ولكن قال له الراعى: «إنى لا أملكه، فليس فى وسعى إذن أن أعطيك إياه.» عندئذ قال «الكذب»: «انظر، إن جميع ثيرانى، فى حوزتك، فاعط أحدها لمالك هذا (الثور). ونما إلى علم الشاب أن «الكذب» قد استولى على ثوره، فحضر على الفور إلى المكان الذى يمكث فيه الراعى وقال له: «أين ثورى؟ لم أعد أراه وسط ما لك (من ثيران)». فأجابه الراعى: «جميع الثيران، هى لك، جميعها. فلك أن تأخذ الثور الذى ترغبه». (واردف) الشاب (قائلاً): «أيوجد ثور بضخامة ثورى؟ فعندما كان يقف فى «جزيرة آمون»[٢٩] («پايوآمن») كانت خصلة شعر ذيله، تستقر وسط نبات بردى، وبينما كان أحد قرنيه فوق تل الغرب، كان الآخر فوق تل الشرق، وكان النيل فى زمن الفيضان مكاناً لراحته،[٣٠] ومن أجله يولد يومياً سبعون عجلاً». قال له الراعى: «أيوجد ثور بضخامة هذا الذى نتحدث عنه؟» عندئذ، أمسك به الشاب واقتاده إلى مكان إقامة «الكذب»، ثم اصطحب هذا الأخير إلى المحكمة فى حضرة التاسوع الإلهى. وقالت الآلهة للشاب: «لا يمكن أن يكون ذلك هو الحقيقة، فإننا لم نر أبداً ثوراً فى مثل حجم ذاك الذى تتحدث عنه.» وأجاب الصبى «ولكن أيوجد سكين بطول (السكين) الذى نحن بصدده؟ سكين تشكل ربوة «إيار»(؟) نصله، وأشجار «كوپتوس» مقبضه، وتكون مقبرة الإله غمده، وماشية «كاروى»[٣١] هى الزُنّار». وأردف قائلاً التاسوع الإلهى: «افصلوا (بحكمكم بين) «الصدق» و«الكذب». فأنا ابن «الصدق» وقد جئت طلباً للإنتقام.

عندئذ اقسم «الكذب» للملك - فليحى ويكن مزدهراً وفى صحة طيبة - (أقسم) قائلاً: «حقاً، وبقدر ما لـ «آمون» البقاء، حقا، وبقدر ما للحاكم الملكى البقاء، ليتنا نعثر على «الصدق» حياً.» - ولكن سوف تُسمل عينا «الكذب» ويعين بواباً فى منزل

«الصدق».[٣٢] وبدوره أقسم الشاب للملك - فليحىَ ويكن مزدهراً وفى صحة طيبة - (أقسم) قائلاً: «حقاً، وبقدر مال «آمون» البقاء، حقاً وبقدر ما للحاكم الملكى البقاء،ليتنا نعثر على «الصدق» حياً ...»[٣٣] وسوف يُضرب الكذب مائة ضربة، و(يُجرح) خمسة جروح. وتُسمل عيناه ويعين بواباً فى منزل «الصدق».[٣٤]

وهكذا انتقم الابن لأبيه وحُسم النزاع بين «الصدق» و «الكذب»....

يُعلى هذا النص من شأن فضيلتين أساسيتين فى نظر المصرى: البرّ بالوالدين وحب الحقيقة. تبدو هذه القصة على نحو خاص، كنسخة ممسوخة، بمقياس البشر، للأسطورة الأوزيرية. إنها انعكاس فى وعى البشر للمبارزة المقدسة العظمى التى دارت بين «حورس» و«ست».[٣٥] كما إنها تقدم حكاية ذات مغزى أخلاقى، فهى خرافة فى وسعها ان تصور حكمة الشعوب السامية: العين بالعين، والسن بالسنّ. كما يوضح حقيقة انه من الصعب أحياناً التمييز بين الصدق والكذب، وإن الصدق هو الذى ينتصر فى نهاية المطاف.

والشئ الجديد بالملاحظة هو إحلال الكائنات الواقيعة بدلاً من المجاز. إنه حقاً، أمر نادر جداً فى الأدب المصرى.

حكاية الأخوين «أنوپ» و«باتا».[٣٦]

زوجة «أنوپ».

كان يا ما كان، على ما يقال، أخوان مولودان من نفس الأب ومن نفس الأم. اكبرهما يدعى «أنوپ»،[٣٧] والأصغر «باتا». كان «أنوپ» مسئولاً عن بيت وعن زوجة. وكان أخوه الصغير يعيش معه وكان فى منزلة ابنه، فكان هو الذى يعد الملابس للأخ الأكبر ويتجول فى الحقول خلف البهائم. وهو الذى يحرث الأرض ويحصد لأخيه

ويتولى كل أعمال الحقل. حقاً لقد كان هذا الأخ الأصغر رجلاً جميلاً، ليس له مثيل فى البلاد بأسرها، وفيه قوة إله.

ومرّت أيام وأيام. والأخ الأصغر (لايزال) خلف بهائمه، حسب عادته اليومية. وبحلول المساء كان يتوقف عن العمل ويتوجه إلى داره حاملاً مختلف أنواع النباتات الحقلية واللبن والأغصان وكل منتجات الحقول الطيبة. كان يضعها أمام أخيه الأكبر، الجالس فى صحبة زوجته. ثم يطفئ ظمأه ويتناول شيئاً من الطعام... ثم [يذهب ليرقد] فى حظيرته، بين البهائم. وبعد ان تبيض الأرض[٣٨] من جديد ويطلع نهار آخر، كان يعدّ [الطعام] الذى يضعه أمام أخيه الأكبر. ويعطيه هذا الأخير خبزاً ليحمله معه إلى الحقل، ويسوق إليه «باتا» أبقاره، لتأكل هى (بدورها). وفيما كان يسير خلفها، كانت تقول له: «إن العشب طيب فى المكان كذا». وكان ينصت إلى كل ما تقوله،فيسوقها إلى حيث المرعى الخصب حيث كانت ترغب ان تذهب. وعليه فقد اصبحت الأبقار المسئولة منه، على قدر كبير من الجمال وكانت تضاعف مرات ولادتها وكانت فى أحسن حال.

وإذ جاء فصل الحرث[٣٩] قال له أخوه الأكبر: جهز ثورين[٤٠] للحرث، لأن الحقول بدأت تبرز (خارج الماء) وصار الوقت مناسباً للحرث. وفى نفس الوقت، احضر إلى الحقل ومعك البذور وغداً سوف نقوم بالحرث. تحدث على هذا النحو، وانجز الأخ الأصغر جميع الأعمال التى كلفه بها أخوه الأكبر. وبعد ان ابيضت الأرض وحل يوم آخر، ذهبا (سوياً) إلى الحقل ومعهما البذور وأخذا يحرثان (الأرض). وكان قلبهما منعماً بسعادة عارمة، وهما يؤديان عملهما، وذلك منذ أن بدءا نشاطهما.

وبعد ذلك بعدة أيام، بينما كانا فى الحقل، حدث ان نقصت البذور. عندئذ أوفد الأخ الأكبر أخاه الأصغر بسرعة قائلاً: «اذهب إلى القرية واحضر بذوراً...» ووجد هذا الأخير زوجة أخيه الأكبر جالسة تمشط شعرها، وقال لها: «انهض واعطنى بذوراً لأحملها إلى الحقل حيث ينتظر أخى عودتى. هيا! بلا إبطاء.» وقالت له: «اذهب (أنت بنفسك)، وافتح مخزن الغلال وخذ منه ماتريد، حتى لا اضطر ان أترك تصفيف شعرى أثناء تزيينه.» عندئذ، دخل الشاب إلى مخزن الغلال واحضر جرة كبرى، لأنه اراد نقل كمية كبيرة من البذور وحمّل الشعير والعلس. وخرج حاملاً كل ذلك. فقالت له المرأة: «ما وزن ما تحمله على كتفك؟» فأجابها: «(زنته) ثلاثة أكياس من العلس

وكيسان من الشعير، فيكون المجموع خمسة (أكياس) أحملها على كتفى.» هكذا تكلم (الشاب).[كما وجهت إليه الكلام] قائلة: «لك قوة عظيمة، فإنى ألاحظ حيوتك كل يوم». فاشتهت ان تعرفه معرفة المرأة لذكورة الرجل.فنهضت وأمسكت به قائلة: «هيا! فلنمض ساعة مضطجعين (معاً). سوف يفيدك الأمر. وسوف أنسج لك ثياباً جميلة.» عندئذ تحول الصبى إلى مايشبه فهد الجنوب الهائج، بسبب الأحاديث الشريرة التى قالتها بشأنه. فتولاها آنذاك رعب شديد، فيما كان هو يتحدث على النحو التالى: «انظرى اذن، فأنت بمنزلة الأم لى وزوجك بمنزلة الأب لى. فهو أخى الأكبر الذى ربّانى وقد يكون ما حدثتينى عنه جريمة شنعاء. فلا تكرريه. وأنا، لن أخبر أحداً وسأحول دون أن يصدر شئ من فمى بشأنه، لكائن من كان.» ثم رفع حمله وانصرف إلى الحقل. وانضم إلى أخيه الأكبر وواصلا عملهما.

ولمّا أرخى الليل سدوله، توقف الابن الأكبر (عن العمل) واتجه إلى بيته. كان الابن الأصغر خلف بهائمه، محملاً بشتى أنواع المنتجات الحقلية، ويسوق أمامه القطيع عائداً به إلى القرية ليقضى الليل فى الحظيرة. غير ان زوجة الأخ الأكبر كانت خائفة بسبب الكلام الذى قالته. فأحضرت دهناً وشحماً، لتبدو بالباطل كشخص ضرب ضرباً مبرحاً، إذ كان فى نيتها ان تقول لزوجها: «إن أخاك الأصغر هو الذى أوسعنى ضرباً» وهكذا عندما عاد زوجها إلى منزله مع حلول المساء بعد أن ترك عمله حسب عادته اليومية، وجد زوجته راقدة، تدّعى المرض. ولم تصب الماء على يديه كما تعودت ولم (يتم اشعال) النور لاستقباله، فكان منزله فى ظلام. كانت راقدة، تتقيأ. قال لها زوجها: «من تحدث إليك؟» فاردفت قائلة: «لم يحدثنى أحد، عدا أخاك الأصغر فعندما أتى لإحضار ما تريده من بذور، وجدنى جالسة بمفردى فقال لى: هيا، فلنمض ساعة مضطجعين (معاً). فى هذه اللحظة، كنت انتهى من زينة شعرى. كان يوجه إلىّ الحديث، ولكن أبيْت أن أعيره أى اهتمام فقلت له: «ألست أمك؟ وأخوك الأكبر إليس فى منزلة أبيك؟» وخاف عندئذ وضربنى ليمنعنى من إخبارك بذلك. ولكن اذا سمحت له من الآن ان يحيا، فسوف أقتل نفسى. انظر، فعند عودته... لاننى أخشى أن يفترى حديثاً دنيئا حول ما أراد ان يقترفة لتوه.» حينئذ تحول الرجل إلى ما يشبه فهد الجنوب. وشحذ حربته، وامسكها فى يده، وظل واقفاً خلف باب الحظيرة ليقتل أخاه الأصغر عند عودته، مع حلول المساء، وهو يقوم

بادخال بهائمه. وقام هذا الأخير، كعادته اليومية، عند غروب الشمس، فعاد محملاً بمختلف أنواع النباتات الحقلية. ولكن عندما دخلت البقرة التى كانت تتقدم القطيع إلى الحظيرة قالت للراعى: «التزم جانب الحذر! إن أخاك الأكبر واقف هنا، أمامك، حاملاً حربته ليقتلك. اهرب بعيداً عن متناوله.» فهم الرجل هذه الكلمات. وعندما دخلت البقرة الأخرى (بدورها) إلى الحظيرة وجهت إليه نفس الكلام، عندئذ نظر أسفل الباب، فلمح قدميّ أخيه الأكبر، واقفاً خلف هذا الباب والحربة فى يده. فوضع على الأرض الحمل الذى كان يحمله، وانطلق يعدو هارباً. أما أخوه الأكبر، وإذ كانت الحربة لاتزال فى يده فقد انطلق يطارده.

عندئذ، استغاث الابن الأصغر بعدالة الإله «رع-حور آختى»،(٤١) قائلاً: «أيها الرب الكامل، أنت تصدر الأحكام، فتفرق بين المجرم وصاحب الحق.» سمع «رع-حور آختى» هذا التوسّل. وأظهر «رع» إلى الوجود مُسطحاً شاسعاً من الماء، ليفصل بينه وبين أخيه الأكبر، وكان الماء يعج بالتماسيح. كان كل منهما موجوداً إذن، على هذا الجانب أو ذاك من المسطح. وضرب الأخ الأكبر يده مرتين (من شدة الغيظ) لانه لم يتمكن من قتل أخيه الأصغر، كما كان يريد. ثم ناداه الشاب من على الشاطئ قائلاً: . «ابق فى هذا المكان حتى تبيض الأرض. وعندما ينبلج نور قرص الشمس، سوف أمثل أنا للمحاكمة، فى حضرته، وتكون أنت فى صحبتى. وسوف يتولى هو تسليم المجرم لصاحب الحق. فمن الآن لن أعيش معك أبداً، لن أعيش حيثما تكون. وسوف اتوجه إلى «وادى شجرة الصنوبر».(٤٢)

وفى اليوم التالى، وعندما أضيئت الأرض، وتألق «رع-حور آختى» كان فى وسع كل منهما أن يرى الآخر. فقال الأخ الأصغر لأخيه الأكبر: «لماذا طاردتنى لتقتلنى غدراً، دون أن تستمع مجرد (الاستماع) إلى ما قد يقوله لك فمى؟ فأنا أيضاً أخوك الأصغر. وكنت لى فى منزلة الأب، وزوجتك (فى منزلة) الأم. أليس كل ذلك «قصة مختلقة»؟ فعندما أرسلتنى لاحضار البذور (اللازمة) لأعمالنا، حدثتنى زوجتك قائلة: «هيا! فلنقض ساعة مضطجعين (معاً)! لاحظ ما يلى، فقد صورت لك الوقائع بعد أن قلبتها رأساً على عقب». ثم أحاط أخاه علماً بكل ما حدث مع زوجته. وأقسم بـ«رع-حور آختى»، قائلاً (بالتحديد): «كنت تريد أن تقتلنى غدراً، وقد تسلحت بحربة، مدفوعاً من عاهرة.» وذهب واحضر غصناً بتاراً وقطع عضو تذكيره. وألق به

فى الماء فابتلعته سمكة الشّال[٤٣] وأصابه الوهن وصار بائساً. وكان قلب أخيه الأكبر يعتصره الألم (من جراء كل ذلك)، يعتصره عصراً. وأخذ يبكى بكاءً مراً. ولكن لم يعرف كيف يعبر إلى جوار اخيه الأصغر، خوفاً من ان تمسك به التماسيح.

وناداه الشاب قائلاً: «لماذا ذهبت ظنونك إلى عمل سئ (ارتكبته)؟ الم يكن فى وسعك ان تتذكر شيئا طيباً أو أحد الأشياء التى صنعتها من أجلك؟ سوف تعود إلى، منزلك، ومن الآن، ستتولى أنت العناية بالبهائم. ولن أُوجد أبداً حيثما تكون. سوف اتوجه إلى «وادى شجرة الصنوبر». والشئ الذى ما زال فى وسعك ان تفعله من أجلى، هو أن تهبّ لنجدتى إذا علمت ان مكروهاً نزل بى. فهناك، سأنتزع قلبى، واضعه فى أعلى زهرة الصنوبر. وإذا قُطعت شجرة الصنوبر طُرح قلبى، أرضاً، (فعليك) أنت، ان تأتى للبحث عنه، وان قضيت فى ذلك سنوات سبع، وعلى قلبك ألاّ يضيق ذرعاً (بهذا البحث). وإذا عثرت عليه، ضعه فى إناء ماء رطب، وعلى هذا، سأحيا من جديد، وأنتقم ممن أساء إلىّ. وستعلم أن مكروهاً نزل بى، متى وضعت قدحاً من الجعة فى يدك، ففاض. وإذا ما حدث ذلك فلا تبق هنا أبداً.»

عندئذ، توجه إلى «وادى شجرة الصنوبر»، بينما توجه أخوه الأكبر إلى منزله. وكان يضع يده على رأسه ويغطيه التراب[٤٤]. وعندما رحل إلى منزله، قتل زوجته وألقى بها للكلاب. ثم جلس، ينوح على أخيه الصغير.

الخوارق الأسطورية من أجل «باتا».

مرت أيام عديدة، والشاب موجود فى «وادى شجرة الصنوبر» يقضى يومه وحيداً فى صيد حيوانات البرية. ثم يعود ليرقد طوال الليل تحت شجرة الصنوبر، بينما قلبه فى أعلى زهرة الشجرة.

وبعد ان انقضت أيام أخرى أيضاً، شيد لنفسه، بيديه قصراً فى «وادى شجرة الصنوبر» هذا، قصراً سرعان، ما امتلأ بشتى أصناف ما هو جميل وطيب، لانه أراد تأسيس بيت خاص به. وفى ذات يوم، بينما كان يهمّ بالخروج من القصر، وجد نفسه فى حضرة التاسوع الإلهى الذى كان مسافراً لتفقد شئون البلاد بأسرها. وتبادلت الآلهة فى البداية أطراف الحديث فيما بينها، ثم قالت لـ «باتا»: «إيه، يا

«باتا»، يا ثور التاسوع الإلهى، فانت هنا فى الحقيقة، وحيد بعد ان تركت المدينة، بعيد عن زوجة «أنوپ»، أخيك الأكبر. انظر، لقد قتل (أخوك) الآن هذه (الزوجة) وبالتالى فقد تم الإنتقام لك ممن أساء إليك.» كان قلب الآلهة يتألم ألماً شديداً بسبب «باتا». وعلى هذا قال «رع-حور آختى» لـ «خنوم»:[٤٥] «شكل امرأة من أجل «باتا» وهكذا لن يبقى وحيداً.» وصنع له «خنوم» رفيقة. كانت جميلة الجسد، اكثر من أى امرأة أخرى فى انحاء البلاد، فكان فيها جزء صغير(؟) من كل إله. وجاءت الحتحورات السبع[٤٦] لمشاهدتها وقلن بفم واحد: «سوف تموت بالسكين». واشتهاها «باتا» شهوة بلا حدود. وكانت تبقى فى بيتها، فى حين يمضى هو يومه فى صيد حيوانات البرية، ثم يعود بعد ذلك (بغنائمه) ويضعها أمامها. ويقول لها: «لاتبارحى منزلنا فتبتعدى عنه، حتى لا يختطفك «يعم»[٤٧] فلن أتمكن عندئذ من أنقاذك منه، فانا أيضاً أشبه «بامرأة». إن قلبى موضوع فى أعلى زهرة شجرة الصنوبر. ولكن إذا وجده شخص آخر فسوف أقاتله.» وفتح لها قلبه تماماً.[٤٨]

وبعد فترة قصيرة من ذلك، ذهب «باتا» ليصطاد، كعادته اليومية بينما، خرجت المرأة الشابة لتتنزه تحت شجرة الصنوبر، بجوار منزلها. ولمحت فجأة «يعم» الذى كان يدفع مياهه الدافقة لتطاردها. فاخذت تجرى أمامه حتى دخلت بيتها. وهنا نادى «يعم» على شجرة الصنوبر قائلاً: «اختطفيها.» ولكن لم تأخذ شجرة الصنوبر سوى خصلة من شعرها.» وحملها «يعم» إلى مصر ووضعها حيثما يوجد الغسالون (التابعون) لفرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! وكان «أحدهم»[٤٩] يتشاجر مع الغسالين (التابعين) لفرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! قائلاً: «ان ملابس فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة-(تفوح منها) رائحة الطيب». وتواصلت يومياً المشاجرات على هذا النحو، دون أن يدرى كل منهم كيف يتصرف. وتوجه ذات يوم رئيس الغسالين (التابعين) لفرعون - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة - إلى شاطئ النهر. وبالفعل فقد كان قلبه تسوء أحواله (شيئا فشيئا)، بسبب المشاجرات التى التى تنشب يومياً. ووقف هنا، على الرمال، فوجد نفسه بالضبط أمام خصلة الشعر الملقاة فى الماء فكلف شخصاً بالنزول (إلى النهر) لاحضارها. وإذا وجد أن رائحتها عطرة إلى حد كبير، سلمها بعد ذلك لفرعون- فليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! ثم تم استدعاء كتبة وحكماء[٥٠] فرعون- ليكن حياً

ومزدهراً وفى صحة طيبة! -وقال هؤلاء: «هذه الخصلة هى خصلة ابنة لـ«رع-حور آختى»، وبها نطفة إلهية. حقاً إنها هبة أتت إليك من بلد أجنبى. أوفد إذن الرسل إلى كل بلد من هذه البلدان بحثاً عنها. ولكن راع ان يرافق الذين سيتجهون إلى «وادى شجرة الصنوبر» جمع غفير ليتمكن من اعاداتها.» وتحدث جلالته-ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! قائلاً: «التوفيق، كل التوفيق فيما أخبرتمونى به». ورحل الرسل.

ومضت عدة أيام على ذلك وعاد القوم الذين اوفدوا إلى البلدان الأجنبية ليقدموا تقاريرهم إلى جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!- اما الذين أوفدوا إلى «وادى شجرة الصنوبر» فلم يعودوا، لأن «باتا» قتلهم، وأبقى على حياة أحدهم، ليروى الأحداث على مسامع جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! وفى هذه المرة أوفد هذا الأخير قوة ضخمة، بالأضافة إلى جنود المركبات[٥١] فكان عليهم أن يحضروا (المرأة) عند عودتهم. وعلى كل حال انضمت امرأة إلى هذه البعثة، وسلموها حلياً لزينة المرأة، (حليًا) جميلة ومن مختلف الأنواع. وعادت هذه المرأة إلى مصر وهى تسهر على شريكة حياة «باتا»، وبسببها عمت البهجة فى ربوع البلاد. وأحبها- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة. (أحبها) حباً لاحدود له. ونُصّبت «سيدة عظيمة».

وحملوها على الكلام لتتحدث (عن حقيقة) أحوال زوجها. وعلى هذا قالت لجلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!-: «مُر بقطع شجرة الصنوبر، حتى يتم تدميره.» وأُرسلت قوة معها آلات نحاسية لقطع شجرة الصنوبر. وعندما وصلت على مقربة منها، قطعوا الزهرة التى استقر فيها قلب «باتا». عندئذ، وفى لحظة قصيرة سقط هذا الأخير ميتاً.

ولما ابيضت الأرض من جديد، وحلّ يوم آخر، وبعد أن كانت شجرة الصنوبر قد قطعت، دخل «آنوپ» شقيق «باتا» الأكبر، إلى منزله وجلس ليصب ماءً على يديه. ولكن إذ قدم له أحدهم قدحاً من الجعة، فاض (القدح)، وقدم له أحدهم قدحاً مملوءً بالنبيذ، فصار (النبيذ) عكراً. وعلى هذا، حمل «آنوپ» عصاه ونعليه وثيابه أيضاً وأسلحته. ورحل إلى «وادى شجرة الصنوبر». فدخل قصر أخيه الأصغر، فوجده

ممدداً على سريره وقد فارق الحياة. عندئذ ولما رأى أخاه مسجىً بلا حياة، أخذ يبكى. وذهب يبحث عن قلب أخيه الأصغر، تحت شجرة الصنوبر. وهى شجرة الصنوبر التى اعتاد «باتا» أن يرقد تحتها أثناء النهار. وبعد بحث استمر ثلاث سنوات لم يتمكن «أنوپ» من العثور على قلب أخيه. ولما بدأت السنة الرابعة، شعر فجأة برغبة شديدة فى العودة إلى مصر. وقال: «سوف أرحل غداً». هكذا تحدث فى قلبه.

وعندما ابيضت الأرض من جديد، ومع حلول يوم آخر،[52] واصل سيره تحت شجرة الصنوبر. وقضى اليوم فى هذا البحث. وفى المساء، عندما أراد أن يتوقف، ظل مع ذلك يواصل البحث. وإذا به يعثر على حبة، فتوقف آنذاك وحملها، فقد كانت قلب أخيه الأصغر. وأحضر قصعة ماء رطب ووضعه فيها وجلس كعادته اليومية.

وبعد أن أرخى الليل سدوله وبعد ان تشرّب القلب بالماء، أخذ «باتا» ينتفض بكل جسده. وحدث آنذاك، انه تمكن من مشاهدة أخيه الأكبر، بينما كان قلبه لا يزال فى القصعة. وتناول «أنوپ» قصعة الماء البارد التى استقر فيها قلب أخيه الأصغر، وساعده على أن يشربه. فأخذ القلب مكانه (من جديد). وعاد «باتا» كما كان. وضم كل منهما الآخر بين ذراعيه وتحدث إلى رفيقه.

وعلى هذا فقد قال «باتا» لأخيه الأكبر: «انظر، سوف اتحول إلى ثور ضخم، له ألوان جميلة من مختلف الأنواع،[53] لم ير أحد حتى الآن ثوراً فى شكله. أما أنت فستجلس على ظهرى، إلى أن يتألق النور الإلهى. وعندما نصبح فى المكان الذى توجد فيه زوجتى، سوف أنتقم، ثم سوف تصطحبنى إلى حيث يقيم «أحدهم»، فتكافأ بشتى الأشياء الجميلة الطيبة. سوف تقدم لك الفضة والذهب، لأنك اصطحبتنى حتى فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! وستعّم البهجة الناس بسببى، فى أنحاء البلاد. أما أنت فستعود إلى قريتك.»

وبعد أن ابيضت الأرض من جديد، وبحلول يوم آخر، كان «باتا» قد اتخذ الشكل الذى أخبر به أخاه الأكبر. وجلس «أنوپ» فوق ظهره إلى أن ابيضت الأرض (من جديد). وعندما وصلا إلى مكان وجود «أحدهم»، تم فى الحال ابلاغ جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!-بوجوده. وعندما رآه هذا الأخير، فرح فرحاً عظيماً. وقدم من أجله قرابين وفيرة،[54] قائلاً: «لقد حدثت لنا أعجوبة عظيمة.» وعمّت البهجة

بسببه أنحاء البلاد. وأحضر له «أحدهم» ذهباً وفضة لأخية الأكبر الذى (عاد) ليقيم فى قريته. ووهبه «أحدهم» أناساً كثيرين والعديد من الخيرات لان جلالته - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! - كان يحبه حباً لا حدود له، وأكثر من أى شخص آخر، فى أنحاء البلاد.

وبعد عدة أيام، دخل إلى الأجنحة الخاصة ووقف بجوار «السيدة العظيمة» (زوجته *السابقة*) فحدثها قائلاً: «انظرى، فما زالت حياً». قالت له: «فمن أنت، إذن؟» أجابها: «أنا، «باتا». وإنى أعرف تماماً أنه عندما سعيت لتقطعى شجرة الصنوبر باسم فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! - كان ذلك (فى واقع الأمر) بسببى، لانك كنت تريدين حرمانى من الحياة. حسناً! انظرى، فما زلت أحيا، وأنا ثور.»

وتولى «السيدة العظيمة» رعب شديد بعد ما قاله زوجها على مسامعها. وغادرت الأجنحة الخاصة. عندئذ استراح جلالته - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!- وأمضى معها يوماً سعيداً، (وهو) بجوارها. فقالت له: «عاهدنى بمايلى: كل ما تقولينه، سأوافق عليه»، وعلى هذا فقد استمع إلى كل ما قالته له: «فليُسمح لى بأن آكل كبد هذا الثور، لأنه لن يفعل (من الآن) أدنى شئ»- هكذا تحدثت إليه. وتولى «أحدهم» حزن شديد من جراء هذا الكلام وتألّم قلب فرعون - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة - (تألم) ألماً شديداً بسبب هذا الثور.

وبعد أن ابيضت الأرض من جديد، وبحلول يوم آخر، أعلن عن إقامة احتفال كبير للقرابين، مع التضحية بالثور وأرسل «أحدهم» رئيس قصابى جلالته- - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! - ليذبح الثور، وهذا ما حدث.

ولكن بينما كان لايزال فوق اكتاف الناس، ضربه القصاب فى عنقه. فتدفقت نقطتا دم (سقطتا) على جانبى دعامتى أبواب جلالته. وهكذا فقد استقرت إحداها على أحد جانبى باب فرعون الكبير ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!- والأخرى على الجانب الأخر، وإذا بالنشاط يدب فيهما على هيئة شجرة برساء، فكانتا أجمل شجرتى برساء. وذهب من يخبر جلالته - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة-!(٥٥) قائلاً: «لقد نبتت شجرتا برساء خلال الليل بجوار الباب الكبير لجلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة- فقد (صنعت) من أجله معجزة كبرى» وكانت البلاد بأسرها مبتهجة بسببهما وقدم لهما «أحدهم» قرباناً.

وبعد مرور عدة أيام على ذلك، ظهر جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة- ممجداً فى نافذة اجتماعات (القصر)، وهى نافذة من اللازورد، وقد أحاط بعنقه إكليل من الزهور متنوع العبير. ثم ركب مركبته (المصنوعة) من الذهب الخالص وخرج من القصر الملكى- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة- ليشاهد شجرتى البرساء. وخرجت «السيدة العظيمة» أيضاً فى مركبتها، فى صحبة فرعون. وجلس جلالته تحت إحدى شجرتى البرساء التى تحدثت عندئذ إلى زوجته قائلة: «واهاً! ايتها المرأة الكاذبة، أنا «باتا»، فما زلت حياً رغم انك حاولت القضاء علىّ. واعرف تمام المعرفة أنه إذا كانت شجرة الصنوبر قد قطعت بأمر من فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!- فقد كان ذلك (فى الواقع) بسببى. عندئذ تحولت أنا إلى ثور ففعلت ما فعلت حتى تم ذبحه.»

وبعد مرور عدة أيام أيضاً، كانت «السيدة» واقفة تصب شراباً لفرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! كان «أحدهم» سعيداً معها. وقالت لجلالته: «عاهدنى بمايلى: كل ماتقولينه، سأوافق عليه». وانصت إلى كا ما قالته: فلتقطع شجرتا البرساء ومر ان يصنع منهما أثاث جميل. وانصت أيضاً إلى كل ما قالته. وبعد برهة قصيرة، استدعى جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!-(استدعى) حرفيين حاذقين وقُطعت شجرتا البرساء اللتان لفرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة. وكانت الزوجة الملكية، «السيدة العظيمة» تشاهد ذلك، عندما تطايرت شظية، ودخلت فى فمها، فابتلعتها. وهكذا، وخلال لحظة قصيرة صارت حبلى وصُنع من الشجرتين كل ما أرادته.

وبعد عدة أيام على ذلك، وضعت طفلاً. وأُبلغ جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!-:«لقد رزقت ابناً». وأُحضر هذا (الإبن) وخصصت له مرضعة وخادمات. وعمت البهجة ربوع البلاد. وجلس «أحدهم» وأمضى يوماً سعيداً، وكان «أحدهم» يطعم (الطفل)، لأن جلالته أحبه فى الحال حباً لا حدود له. ونصّبه «أحدهم» ابناً ملكياً فى «كوش».(٥٦)

وفيما بعد، وبعد عدة أيام، أقامه جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!-بصفته ولياً للعهد على البلاد بأسرها.

ثم بعد عدة أيام أيضاً، وبعد أن قضى هذا الأخير سنوات عديدة كوريث للعرش، ارتفع جلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة- إلى السماء.(٥٧) حينئذ قال «أحدهم»:(٥٨) «ليمثل أمامى الأعيان التابعون لجلالته- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة

طيبة! – لاحيطهم علما بكل المغامرات التى وقعت لى.»

ثم احضروا له زوجته، وحاكمها أمام البلاط، ونال موافقتهم. كما قَدِم إليه أيضاً أخوه الأكبر الذى أقيم كولى للعهد على البلاد بأسرها. وهكذا قضى «باتا» ثلاثين سنة كملك على مصر، ثم «ابحر» إلى الحياة.(٥٩) واشرق أخوه على العرش، فى نفس يوم النزول إلى الشاطئ.(٦٠)

لقد بلغ هذا النص نهايته السعيدة فى سلام، تحت اشراف كاتب الخزينة «كاجابو» التابع لخزينة فرعون- ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة!- والكاتب «حورى» والكاتب «مريميپت». لقد سطره الكاتب «اينّانا»،(٦١) صاحب قرطاس البردى هذا. ومن سيتكلم فى حقه، كائنا من كان، يصير «تحوت» عدواً له.

***

إذا كان الموضوع الرئيسى للقسم الأول من هذه القصة يتطابق مع حكاية سيدنا يوسف وفوطيفار، وقد اضحت من الكلاسيكيات أو «فيدرا» و«هيپوليت»**، فإن القسم الثانى من القصة يختلف كل الإختلاف، لأنه يعتمد على الأساطير المصرية الكبرى عن الحياة والموت والبعث، ونسج من حولها.*

والثور والشجرة هما الشكلان اللذان اتخذهما الإلهان العظميان فى عالم الأساطير المصرية. إنهما نموذجان لحياة لها استمرارية مضمونة: «رع» (النجم الذى يولد على الدوام مع كل فجر جديد) و«أوزيريس» (المتحد مع القوة المتجددة على الدوام، قوى الإنبات ومياه النيل الخصبة التى تعود بصفة دورية كل عام فى منتصف شهر يوليو).

وفى وسع قلب «باتا» أن يحيا إذا وضع داخل كأس زهرة: وهو وضع «الابن-الشمس»، فى زهرة اللوتس قبل مولده.(٦٢) كما يجد نفسه هكذا على علاقة بقوى الإنبات وحيويتها المتجددة دائما. وإذا حدث وانفصل عنها، فإن الماء وحده وهو

---

* راجع سفر التكوين الاصحاح : ٣٩ (المترجم)

** جاء فى الأساطير اليونانية القديمة أن «فيدرا» وقعت فى غرام «هيپوليت» ابن زوجها. ولما لم يستجب لمحاولاتها اتهمته أنه راودها عن نفسها. ثم مات فى حادث بعد ان طرده والده. وتتكشف الحقيقة وتنتحر «فيدرا» وتعيد الآلهة الحياة إلى «هيپوليت». (المترجم)

عنصر الإخصاب (الأوزيرى) يستطيع أن يعيد إليه الحياة. ويتعين فى هذه اللحظة، ان يتدخل «أنوپ» (وهو الاسم المصرى الذى صفحه الإغريق إلى «أنوبيس» الذى يعرف كيف يعيد الحياة إلى جسد أخيه، مثلما فعل سَمَيّه الإلهى مع «أوزيريس». واخيراً سيعود «باتا» إلى الحياة من تلقاء ذاته أو بأعماله الخاصة، كما ان شمس كل فجر جديد تنجبها شمس اليوم السابق.

تتكون الحياة الأبدية من سلسلة من الأشكال المترابطة، إنها مجموعة من التحولات المتتالية. انها امتلاك الإنسان لأشكال الكون.فبعد ان تحرر الإنسان من القيود الأرضية، يعود ليحيا فى عالم الصيرورات الحرة والسحرية.

ويكشف التحليل أيضاً عن جوانب أسطورية اكثر عمقاً. إن المرأة ذات الجمال الأخاذ، هى ابنة الآلهة، التى تطلق العنان لكل الشرور، إنها تعيد إلى أذهاننا اسطورة «بندورا».[*]

ان الحياة الإلهية الأبدية والذى يرمز إليها القلب، فى وسعها ان تنعزل عن حياة الجسد اليومية وان تستقل عنه. ويحضرنا فى هذا المقام، بعض المواضيع الفيثاغورية.

ونص هذه القصة على قدر كبير من الثراء، سواء من ناحية المضمون أو من ناحية الدروس الروحية التى ينطوى عليها.

---

* من الأساطير اليونانية : «پندورا» هى أول امرأة خلقتها الآلهة، وكان لها مواهب متعددة. وامدتها الآلهة علبة، ولما تزوجها الرجل الأول دفعه فضوله إلى فتح هذه العلبة، فخرجت منها ألوان الخير والشرولم يبق فى العلبة سوى الأمل. (المترجم)

شروح وهوامش الفصل الأول من الباب الثانى

(١) هذا النص مدون على مخطوط واحد فقط:البردية رقم pap 1115 المحفوظة فى متحف الإرميتاج L'Ermitage فى سان بطرسبرج (لينجراد) ويرجع تاريخها على مايعتقدإلى الأسرة الثانية عشرة(١٩٠٠ق.م).

النص المصري A.M.BLACKMAN; Middle-Egyptian Stories, Bruxelles, 1932,PP.41-43.(Bibliotheca Aegyptiaca, VOI. II.)

(٢) بداية القصة يكتنفها شيئاً من الغموض، ويبدو كما لو أن متحاورين يواجهان بعضهما البعض: أحدهما كان عائداًمن رحلة، وكان يلوم نفسه على ما يظن على بعض الأخطاء التى ارتكبها وكان «أميراً»، أى من كبار الموظفين. أما الآخر فهو«الزميل»(وهومن ألقاب البلاط الملكى وكان يمنح أيضاً إلى الشخصيات البارزة) وكان يطيب خاطر الشخص الأول، فيروى له مغامراته – والتى تشكل صلب القصة.

(٣) منطقة نوبية تمتد من الجندل الأول وحتى الجندل الثانى على نهر النيل وكانت خاضعة للإدارة المصرية.

(٤) اسم جزيرة بيجه، الواقعة أمام جزيرة فيله.

(٥) اى دون أن تفقد الوعى بذاتك – تحت تأثير الخوف.

(٦) يرتبط الأمر بالإعتقاد فى السحر الخلاّق الفعال للكلمة – وهو اعتقاد عام شمل العالم القديم الأفريقى والسامىّ على حدٍّ سواء.

(٧) من الراجح أنها مناجم النحاس فى سيناء.

(٨) يطلق هذا الإسم على البحر ولأن مياهه وأمواجه على غرار النبات تتجدد بلا انقطاع وإلى الأبد. والمقصود به هنا، هو البحر الأحمر.

(٩) يعادل الذراع٥٢سم.

(١٠) ليس فى وسعنا فى هذا المقام ان نغفل تسجيل بعض أوجه الشبه – وإن كانت مادية تماماً–مع قصة جلجاميش السومرية(ثم البابلية). إن السفينة التى سمحت للحكيم«أوبا نافستيم» ان ينجو من الطوفان الذى ارسلته الآلهة على الأرض كان يبلغ طولها ١٢٠ذراعاً. والسفينة التى ابحر على متنها جلجاميش لينضم إلى الحكيم فى الجزيرة كانت مصنوعة من١٢٠جذع شجرة. كما ستظهر أيضاً أوجه شبه عميقة وأسطورية – بين الروايتين.

(١١) حرفياً:«ان الخشب(من المحتمل أنها السارية أو قطعة خشب من السفينة المتصدعة) هو الذى ضربها من أجلى.»

(١٢) إن رمزية هذا الحيوان الإلهى هى بالتاكيد رمزية شمسية. فحسب المعتقدات المصرية كانت الشمس من ذهب والسماء من اللازورد. واللحية هى لحية مستعارة إلهية أو ملكية.

(١٣) الـ«كا» من العناصر المكونة لكل فرد. انه القوة المحركة، الطاقة الحيوية للكائن.

(١٤) إشارة إلى الشهب، الكثيرة العدد فى سماء مصر.

(١٥) نوع من البخور، كان يستخدم فى القرابين المعطرة مصدرها السواحل الشرقيه للبحر المتوسط وجزيرة كريت وقبرص واليونان.

(١٦) مادة عطريه مصدرها الساحل الأفريقى من البحر الأحمر، على نحو خاص.

(١٧) يعبر هذا الخطاب الحماسى عن فرحة الإنسان العارف بالجميل بعد نجاته من الموت.

(١٨) ان مصر هى بالطبع المعنية هنا، فهى مسقط رأس «الغريق» .

(١٩) منطقة صومالية منتجة لأشجار البخور.

(٢٠) منتج عطرى ناتج من ريزومات عشب الأكورس.

(٢١) مسحوق تجميل اسود يستخدم كفسول للعين .

(٢٢) يمكن أن تقام شعيرة التعبد لإله، لصالح شخص آخر خلاف المصلّى ذاته، كعرفان بالجميل لهذا الشخص.

(٢٣) هنا تنتهى قصة مغامرة الزميل – الذى يواصل حديثه مع الأمير الذى بدأه فى مستهل النص .

(٢٤) كلمات متشائمة لانسان يخشى القدر الذى ينتظره رغم تشجيع صديقه.

(٢٥) صيغة يستخدمها النسّاخ وهى ان صح التعبير بمثابة التوقيع على عملهم.

(٢٦) النص مسطور على بردية يحتفظ بها المتحف البريطانيBritish Museum (رقم 10682) : بردية شيستر بيتى رقم ٢ Chester Beatty noII . والصفحات الأولى مليئة بالفجوات. ويرجع تاريخ البردية إلى الأسرة التاسعة عشرة. (١٢٠٠ ق.م. تقريباً)

النص المصري : Alan H. Gardiner, Late Egyptian stories, I, Bruxelles, 1931, PP. 30-36
(Bibliotheca. Aegyptiaca, Vol. I.)

(٢٧) حرفياً : «شكلها.»

(٢٨) لمعاقبة هذه المرأة بالإعدام.

(٢٩) عاصمة الإقليم السابع عشر من أقاليم الوجة البحرى، البلمون، حالياً.

(٣٠) طبقاً لهذا الوصف المهيب : قد تكون مؤخرة الثور فى الدلتا، وجسمه هو محور وادى النيل، ويشكل قرناه همزة الوصل بين سلسلة جبال الصحراء الشرقية وسلسة جبال الصحراء الغربية. وإذ يتجه

إلى الجنوب، فهو يعتبر صورة لمصر، بطولها وعرضها.

(٣١) منطقة فى النوبة تقع إلى الشمال من الجندل الثالث.

(٣٢) لاشك إنه الحكم الصادر عن المحكمة الإلهية، والنص المصرى غير واضح.

(٣٣) تعويذة سحرية للقسم – تربط بفضل فاعلية الكلمة، أبدية وجود آمون والملك بحياة الإنسان.

(٣٤) نهاية النص (سطر واحد ونصف السطر) مليئة بالفجوات.

(٣٥) راجع الفصل الثالث من الباب الأول : «المعارك ضد «ست».»

(٣٦) النص مدون على بردية «أوربينى» Orbiney، ويحتفظ بها فى الوقت الراهن المتحف البريطانى British Museum (رقم 10183) ويرجع تاريخ البردية إلى نهاية الأسرة التاسعة عشرة (حوالى عام ١٢١٠ ق.م).

النص المصري : Alan H. Gardiner, late Egyptian stories, I, Bruxelles, 1931, PP. 9-30 (Bibliotheca Agyptiaca, Vol. I.)

(٣٧) اسم مصرى، صحفه الإغريقية إلى «أنوبيس».

(٣٨) الأبيض هو لون نور الشمس.

(٣٩) فى زمن انحسار الفيضان عندما تنسحب مياه النيل من التربة التى خصبها الطمى، أى قرب نهاية شهر اكتوبر.

(٤٠) كان المحراث تجره بقرتان يتولى الفلاح توجيهما من الخلف.

(٤١) إله شمسى – «رع حورس الأفقين».

(٤٢) كان ساحل فينقيا يضم بلدة تحمل هذا الاسم.

(٤٣) نقل موضوع من مواضيع الأسطورة الأوزيزية.

(٤٤) هذان العنصران هما من علامات الحداد، وهو الوضع الذى تتخذه النائحات المصاحبات للتابوت إلى «دار الأبدية».

(٤٥) «إله – كبش» كان يعتبر فى إسنا، بصعيد مصر، بمثابة خالق العالم: راجع : الفصل الأول من الباب الأول، وهو أيضاً الذى يشكل جسد البشر على عجلة الفخارى الخاص به.

(٤٦) الربات التى تتحكم فى مصير المولود الجديد.

(٤٧) إله البحر وينحدر من أصول فينقية .

(٤٨) يكشف النقاب عن سرّه ومغامراته.

(٤٩) لما كان الضمير المبهم Pronom indéfini قد جاء مقترناً بالمخصص الدال على الأفكار الملكية والإلهية، لذلك فإنه يشير فى هذه الحالة إلى الملك ذاته لتجنب ذكر اسمه بشكل مباشر على الدوام،

وهو أسلوب لم يكن قاصراً على اللغة المصرية، وسوف نكتب هذه الكلمة فى ترجمتنا (الفرنسية) بحرف كبير On . (ونترجمها إلى العربية بكلمة «أحدهم» .م.).

(٥٠) حرفياً : «أولئك الذين يعرفون الأشياء»

(٥١) هؤلاء الجنود هم صفوة الجيش المصرى ومدربون على المعارك الصدامية.

(٥٢) اليوم اللاحق لليوم الذى تروى فيها الأحداث هو دائماً عند المصريين اليوم «الثانى»

(٥٣) مثل الثيران المقدسة. فالثور هو الحيوان الشمسى بالدرجة الأولى.

(٥٤) وكأنه يقدمها لكائن الهى، كان فرعون قد تعرف فى الحال على طبيعته المقدسة.

(٥٥) إن تكرار هذه التمنيات دون كلل قد يبدو لنا أمراً رتيباً، ولكنهم كانوا يتوقعون ان يكون مؤثراً من خلال السحر الفعال للكلمة المنطوقة. انها سلسلة طلبات للـ «محافظة» على الحياة.

(٥٦) من الألقـاب الشـائعة لنواب الملك فى النوبة، بدءًا من عـصـر تحـوتمس الرابع.انه منصب شـرفى بالطبع. ان الأحداث الواردة فى هذه القصة تهدف إلى التاكيد على سطوة مصر على الأراضى المجاورة أو علاقاتها الوثيقة معها. الأراضى التى تمتد من سواحل فينقيا (حيث يوجد «وادى شجرة الصنوبر»، على ما يرجح، وحتى قلب إفريقيا (و«كوش» هو الإسم الذى أطلق على الأراضى الواقعة، بين الجندلين الثانى والرابع على وجه التحديد)، وهى أيضاً قصة «إمبراطورية»، وتشهد على التوسع العظيم لامبراطورية الرعامسة.

(٥٧) اى انه لحق «بأخوته الآلهة»، بعد وفاته على الأرض.

(٥٨) الملك الجديد – «باتا» ذاته.

(٥٩) الحياة الأبدية – بعد الوفاة على الأرض.

(٦٠) شواطئ الأبدية.

(٦١) هامش چورچ ليفيڤر :

«إن كاتب هذا المخطوط هو الكاتب «إينّانا» الذى كان يعيش فى عهد مرنپتاح سيپتاح» وفى عهد «سيتى» الثانى. وإلى جانب هذه النسخة، فهو أيضاً كاتب برديات «انستاسى» Anastasi IVA و Anastasi VI (وهى مجموعة خطابات) وAnastasi VII وسالبية٢، Sallier II (اعمال أدبية). لقد انجز عمله بناء على أوامر سيده كاتب الخزينة الملكية، «كاجابو» وتحت إشرافه. وإلى جانب هذا الأسم المحترم، أضاف «إينأنا» إسمى كاتبين من زملائه تكريماً لهما وهما «حورى» و«مريميبت» (اللذان لم يشتركا حقيقة فى اى عمل.» (Contes et Romans, P158, note 88).

(٦٢) راجع الفصل الأول من الباب الأول : «الآلهة الثمانية فوق التل فى هرموپوليس».

الفصل الثانى

قصص الخوارق وعالم السحر.

١- الترفيه عن الملك خوفو.

تضم بردية وحيدة، قصصاً عديدة، (البردية رقم 3033 فى متحف برلين، المعروفة ببردية «وستكار» Westcar) وهى للأسف مهشمة فى بعض أجزائها. وإذا كانت بداية البردية مفقودة فإن سياق النص يسمح لنا بفهم الحبكة التى تربط بين مختلف الحكايات التى تُروى لنا.

ذات يوم كان الملل يحاصر الملك «خوفو» فى قصره، فطلب من أبنائه—وكان عددهم تسعة، بلا شك—أن يمثلوا بين يديه ليرووا له بعض القصص. نفس ما فعلته شهرزاد فى زمن لاحق مع السلطان شهريار على امتداد ألف ليلة وليلة. إن ضجر الملوك والترفيه عنهم هو موضوع شرقى وفرصة سانحة للاستماع إلى قصص جميلة فيها العجب العجاب. والمخطوط الذى وصلنا يعود تاريخه، كما هو واضح إلى الأسرة الخامسة عشرة، عام ١٧٠٠ق.م—تقريباً، أى بعد مرور حوالى ألف سنة على الأحداث التى يرويها—الأمر الذى يبرز مدى استمرارية هذه الخرافات.

إن القصص التى وصلت نصوصها كاملة، أو شبه كاملة، هى التى التزمنا فقط بترجمتها(١)

أ- المرأة الزانية

(القصة الثانية)(٢)

عندئذ نهض «خعفرع» ابن الملك ليتحدث [قائلاً: «سوف أروى على مسامع جلالتك] قصة فيها العجب العجاب، حدثت فى زمن أبيك الملك «نب كا» - «الصادق - القول»(٣) - بينما كان ذاهباً، ذات يوم - إلى معبد «پتاح» فى «عنخ تاوى»(٤) وكان من عادة جلالته عندما يتوجه إلى هذا المكان، أن يصطحب معه «وباونر»(٥) رئيس الكنهة المرتلين.(٦) غير أن زوجة هذا الأخير...*[اختفى سطران، من الراجح انهما كانا يصفان كيف أن رجلاً خسيساً أخذ يراودها عن نفسها]*. وطلبت ان يُقدم (لهذا الرجل) صندوق ملئ بالملابس... فهمّ وجاء بصحبة الخادمة. وبعد انقضاء عدة أيام، ونظراً لأنه كان [فى حديقة] «وباونر» جوسق (للترويح) قال «الخسيس» لزوجة هذا الأخير: «ألا يوجد جوسق؟... هيا! إذن نقض فيه لحظة.» فتحدثت المرأة إلى مدير البيت المكلف بالإشراف على الحديقة (قائلة): «مُرْ بتجهيز جوسق الترويح.» ثم توجهت إليه حيث أمضت يوماً تشرب... وبعد ذلك نزل الرجل الخسيس إلى البركة...(٧)

وبعد أن أضيئت الأرض من جديد، ومع حلول يوم ثان... *[فقرة جديدة مهمشة إلى حد كبير. ويفهم ان مدير البيت قد أخطر سيده «وباونر» بما حدث]*. [وقال له] هذا الأخير: «احضر لى صندوقى الصغير المصنوع من خشب الأبنوس ومن الذهب،» و[شكل] تمساحاً [من الشمع] طوله سبع بوصات.(٨) وقرأ [عليه تعويذة سحرية] (قائلاً): «كل من سيأتى ليستحم فى بركتى، [امسك به... وعلى وجه التحديد] هذا الرجل الخسيس.» ثم أعطاه للخادم قائلاً: «بعد أن ينزل هذا الرجل الحقير إلى البركة، حسب عادته اليومية ألقِ التمساح خلفه.» وقفل الخادم عائداً، حاملاً معه التمساح (المصنوع) من الشمع.

(ثم كان ان) قالت زوجة «وباونر» لمدير المنزل المكلف بالإشراف على الحديقة: «مُر بتجهيز جوسق الترويح المجاور للبركة، فإننى أنوى الذهاب لأستريح فيه.» ومن ثم تم تزويد الجوسق بكل الأشياء الجميلة والطيبة. وذهب «كلاهما» إليه وأمضيا فيه يوماً

سعيداً – وذلك فى صحبة الرجل الخسيس . وعندما أقبل الليل، عمل هذا الأخيرما اعتاد عليه (ونزل إلى البركة).عندئذ ألقى الخادم خلفه فى الماء التمساح الشمع. وفجأة صار الحيوان تمساحاً (طوله) سبعة أذرع،[٩] فأمسك بالخسيس.

ظل «وباونر» مع جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى، «نب كا»[«صادق – القول»] سبعة أيام، بينما الخسيس فى أعماق [البركة لا يستطيع] أن يتنفس، وبعد هذه الأيام السبعة رحل ملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا»، «صادق القول»... وأخذ رئيس الكهنة المرتلين مكانه أمامه وقال له : «فليحضر لمشاهدة أعجوبة حدثت فى زمانها!» (وذهب الملك مع) «وباونر». فنادى هذا الأخير على التمساح قائلاً : «احضر الخسيس (أمامى)... عندئذ قال جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «صادق – القول» : «طبعاً، إن هذا التمساح (حيوان) مرعب.» وانحنى «وباونر» ، وامسك بالحيوان الذى صار فى يده من جديد تمساحاً من شمع. عندئذ قصّ رئيس الكهنة المرتلين على ملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا» – «صادق – القول» ما اقترفة هذا الرجل الخسيس مع زوجته فى منزله الخاص، وقال جلالتة للتمساح : «اذهب بما أصبح ملكك (من الآن) !» عاد التمساح إلى اعماق البركة، ولم يعرف ابداً أين ذهب بمغنمه.

ثم أن جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا» – «صادق– القول» أمر بالقبض على زوجة «وباونر»،التى اقتيدت إلى أرض تقع إلى الشمال من المقر الملكى . وتم إحراقها وألقى رمادها فى النهر.

انظر، هذه هى حكاية فيها العجب العجاب حدثت فى عصر والدك، «نب كا» ملك الوجهين القبلى والبحرى وقد وقت لرئيس الكهنة المرتلين، «وباونر».»

عندئذ قال جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى، «خوفو» – «صادق – القول» : «فلتقدم قرابين من ألف رغيف ومائة إبريق جعة وعجل ومكيالى بخور لملك الوجهين القبلى والبحرى «نب كا» «صادق – القول»، وليقدم فى نفس الوقت، رغيف وإبريق جعة وقطعة لحم ومكيال بخور لرئيس الكهنة المرتلين «وباونر»، لأننى استطعت أن أقف على مثال لمعرفته (السحرية) .» وتم تنفيذ كل ما أمر به جلالته.

ب- قرط المرأة التى تقوم بالتجديف

(القصة الثالثة)[10]

عندئذ نهض «باو – إف – رع» ليتحدث قائلاً : «سأعمل لإطلاع جلالتك على حكاية (أخرى) فيها العجب العجاب، حدثت فى زمن أبيك الملك «سنفرو» – «الصادق – القول» ووقعت لرئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ»[11]،... وهو أمر لم يسبق أن حدث قط ...

ذات يوم ، (كان الملك «سنفرو» يطوف) فى مختلف حجرات قصره الملكى، بحثاً عن شئ يروّح به عن نفسه[12] فلا يجد شيئاً. عندئذ قال : «هيا احضروا رئيس الكهنة المرتلين، ناسخ الأسفار (المقدسة)، «چاچا إم عنخ»، ليمثل (أمامى)، فأحضروه له فى الحال. وقال له جلالته آنذاك :«لقد طفت بمختلف حجرات القصر الملكى – فليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة[13]!–بحثاً عن بعض الترفيه فلم أجده. (هنا) أردف «چاچا إم عنخ» قائلاً «فليتجه جلالته إلى بركة القصر الملكى[14] وهناك، سيجهّز من أجلك قارب بجميع الفتيات الجميلات من الأجنحة الخاصة فى قصرك، عندئذ، لن يتوقف قلب جلالتك عن الترويح عن نفسه، فيما أنت تتأملهن وهنّ يجدفنّ، من هنا لهناك، كما سيكون فى وسعك أن ترى هناء الأعشاش التى تضمها بركتك، وترى الحقول التى تحف بها وآجامها السعيدة. وستروح عن قلبك بكل ذلك» –(الملك):«إنى أنوى بالتأكيد أن أنظم لنفسى رحلة (على متن) مركب. احضروا لى عشرين مجدافاً مصنوعة من خشب الأبنوس ومغشاة بالذهب. ومقابضها من خشب الصندل المغشى بالذهب الخالص أيضاً. احضروا لى أيضاً عشرين أمرأة تكون أجسادهن هى الأجمل، وتكون نهودهن ايضاً جميلة ، وشعرهن مجدولاً جدلاً حسناً، نساء لم يفتضضهن الإنجاب بعد. وليعطين فى نفس الوقت عشرين شبكة، بعد أن يخلعن ملابسهن . وتم تنفيذ كل الأوامر التى أصدرها جلالته.

ها هن إذن يجدّفْن، من هنا لهناك، وقلب جلالته مفعم بالسعادة لمشاهدتهن على هذا النحو : وفجأة، أخذت إحداهن فى مؤخرة المركب تجدل جديلتها. وسقط (منها) فى الماء قرط من الفيروز الجديد على هيئة سمكة، عندئذ لم تعد الفتاة تتحرك، بل إنها توقفت عن التجديف، وزميلاتها فى ذات الصف[15]، فعلن نفس الشئ. وقال

جلالته : «لم لا تجدفن؟» قلن : «لأن «قائدتنا» توقفت.» عندئذ قال جلالته لهذه الأخيرة : «لم لا تريدين أن تجدفى؟» فأجابت : «إن قرطى المصنوع من الفيروز الجديد سقط فى الماء ... (قال) جلالته :« سأعطيك بدلاً منه.» (قالت) الفتاة: « إنى أحب هذا وليس شبيهه.» عندئذ قال جلالته: «فليحضر أمامى رئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ».» ومثل فى الحال بين يديه. فقال له جلالته : «ياأخى[١٦] چاچا إم عنخ»، لقد تصرفت حسب كلامك، وتم ترويح قلب جلالتى وأنا أتأمل هؤلاء المجدّفات.. ولكن قرط الفيروز الجديد الذى يخص «القائدة» سقط فى الماء. وعندئذ، توقفت هذه الأخيرة، لا تريد التجديف، وأصاب الإضطراب زميلاتها فى نفس الصف، وقلت لها : «لماذ لا تريدين التجديف؟» فأجابتنى قائلة :«لأن قرطى المصنوع من الفيروز الجديد قد سقط فى الماء» فقلت لها «جدفى إذن، وسوف أعطيك بدلاً منه» لكنها أخبرتنى بأنها تفضل هذا القرط على (آخر) شبيه به.»

عندئذ نطق رئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ» بالتعاويذ السحرية التى كان على علم بها[١٧]، فصار فى وسعه ان يضع نصف ماء البركة فوق النصف الآخر، فعثر على القرط موضوعاً فوق قطعة صخر، وتناوله وأعاده إلى صاحبته. أما ماء البركة الذى كان يبلغ عمقه (أصلاً) إثنى عشر ذراعاً عند مركزها[١٨]، فقد اصبح عمقه أربعة وعشرين ذراعاً بعد قلبه. (ووضع نصفه فوق النصف الآخر). ثم نطق «چاچا إم عنخ» من جديد بالتعاويذ السحرية التى كان على علم بها وأعاد ماء البركة إلى وضعه (السابق).

ثم قضى جلالته يوماً سعيداً فى صحبة البيت الملكى كله – ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! – وكافأ رئيس الكهنة المرتلين «چاچا إم عنخ»، بكل الأشياء الجميلة والطيبة.

انظر، هذه هى حكاية فيها العجب العجاب وقد حدثت فى زمن أبيك، «سنفرو» – «الصادق – القول» – ملك الوجهين القبلى والبحرى، وقد وقعت لرئيس الكهنة المرتلين محرر الأسفار (المقدسة)، «چاچا إم عنخ».

عندئذ تحدث جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى «خوفو» – «الصادق – القول» قائلاً: فلتقدم قرابين لجلاة ملك الوجهين القبلى والبحرى «سنفرو» – «الصادق – القول»، (قرابين) من ألف رغيف، ومائة إبريق جعة وعجل ومكيالى بخور. وفى نفس

الوقت فليقدم لرئيس الكهنة المرتلين، محرر الأسفار (المقدسة) «چاچا إم عنخ»، رغيف وإبريق جعة ومكيال بخور، لأننى استطعت أن أقف على مثال لمعرفته (السحرية).» وتم تنفيذ كل ما أمر به جلالته.

جـ- الساحر «چدى»•

(القصة الرابعة)(١٩)

عندئذ نهض «چدف حور» ابن الملك ليتحدث قائلاً: «(لقد) استمعت لنماذج لما كان فى وسع من ينتمون (الآن) إلى الماضى، أن يفعلوه بفضل معارفهم، ولا يمكن أن يميز فيها المرء الحق من الباطل. ولكن فى عهد جلالتك، فى زمنك أنت ، رجل لا تعرفه [وأن كان ساحراً غزير العلم].» قال جلالته :«من هو إذن، يا «چدف حور»، يابنىّ ؟.» فأجاب «چدف حور» ابن الملك : «يوجد عجوز(٢٠) اسمه «چدى» يقيم فى (مدينته) «چد سنفرو»(٢١) - «سنفرو» - «صادق - القول». إنه عجوز بلغ من العمر مائة وعشر سنوات، ومازال إلى يومنا هذا يأكل خمسمائة رغيف وطعامه من اللحم نصف عجل ويشرب فى نفس الوقت مائة إبريق جعة. ويعرف كيف يعيد رأساً إلى مكانه بعد قطعه، ويعرف أيضاً كيف يجعل أسداً يسير خلفه، ورسنه ملقى على الأرض، ويعرف أسرار معبد «تحوت».» غير أن «خوفو» - «الصادق - القول» - ملك الوجهين القبلى والبحرى، كان يقضى أيامه يبحث لنفسه عن أسرار معبد «تحوت»، ليأمر بأن يصنع شئ مماثل لأفقه.(٢٢)

عندئذ قال جلالته : «هيا اذهب بنفسك لاحضار هذا الرجل، يابنىّ «چدف حور».» جُهزت سفن لابن الملك، «چدف حور» وصعد هذا الأخير النيل(٢٣) فى اتجاه «چد سنفرو» - «سنفرو» الصادق القول. وبعد أن رست هذه السفن عند الشاطئ، واصل الأمير (الرحلة) عبر الطريق، بعد أن جلس على كرسى من خشب الأبنوس محمول

(على الأكتاف)، محفة من خشب «سيسينم» (٢٤) المغشى بالذهب. وعندما وصل على مقربة من «چدى» أنزل (الحمّالون) المحفة ونهض الأمير ليتحدث إلى الرجل. ووجد «چدى» راقداً على حصيرة، أمام عتبة منزله. وكان خادم ممسكاً برأسه، يدلكها بدهون الطيب. وكان آخر يدلك قدميه وساقيه. عندئذ قال «چدف حور» ابن الملك : «إن حالك هو حال رجل يحيا قبل ان تحل به الشيخوخة بزمن طويل،- فالشيخوخة هى زمن «الرسوّ» زمن الوضع فى التابوت، زمن الدفن - أما أنت فإنك تستريح، فى انتظار اليوم، بلا آلام وبلا نوبة سعال. وهكذا تقدم التحية لرجل مبجل.

لقد حضرت إلى هنا مناشداً إياك، ومعى رسالة من إبى، الملك «خوفو» - «الصادق - القول». سوف يكون فى وسعك أن تأكل أطعمة فاخرة، من تلك التى يقدمها الملك، والغذاء المخصص لمن فى حاشيته. وسوف يعمل على ان تنتقل فى الأيام الهنية، إلى ابائك الذين فى الجبانة». وتحدث «چدى» على النحو التالى : السلام عليك ! السلام عليك! (أيا) «چدف حور»، يا ابن الملك، المحبوب من أبيه. فليُثن عليك أبوك، الملك «خوفو» - «الصادق - القول »! فليجعل وظيفتك مرموقة بين الأقدمين، فليطرد «كا»ؤك الأفعال (الشريرة) التى يدبرها لك عدوك ! ليت «با»ءك(٢٥) يتعرف على الدروب التى تقود الى الباب الذى يحرسه «حبس باج»(٢٦). وهكذا تؤدى التحية لابن الملك!» عندئذ إليه الأمير الملكى «چدف حور» ساعديه وساعده على النهوض. ثم اتجه معه عندئذ مّد إليه إلى الشاطئ وقد أخذ بيده. وتحدث «چدى» قائلاً :« امدونى بمركب، لتنقل معى أولادى وكتبى(٢٧).» وأُعطى قاربين وطاقمهما، وانصرف «چدى»، هابطاً النهر، فى نفس القارب الذى كان على متنه «چدف حور» ، ابن الملك.

وبعد أن وصل الأمير «چدف حور» إلى المقر الملكى، دخل لإبلاغ النبأ لصاحب الجلالة «خوفو» - «الصادق - القول» ، ملك الوجهين القبلى والبحرى. وقال : «أيها العاهل الملكى - ليحى وزدهر ويكن فى صحة طيبة! - ياسيدى، لقد احضرت «چدى».» فأردف جلالته قائلاً : «هيّا احضره أمامى.» ودلف إلى قاعة إستقبال «البيت الكبير»- ليحى وزدهر ويكن فى صحة طيبة! عندئذ مثل «چدى» بين يديه، فقال له جلالته : «لما إذاً يا «چدى» لم يتيسر لى حتى الآن أن أراك؟» فأردف هذا الأخير قائلاً : «أيها العاهل الملكى - ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة ! فإن من

يُستدعى هو الذى يحضر، فحضرت عندما استدعيت.» – جلالته:« أيقال عنك الحقيقة، بمعنى انك تعرف كيف تعيد الرأس المقطوع؟» «چدى» : « نعم، إنى أعرف ذلك، ياسيدى، أيها العاهل الملكى- ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة ! – جلالته : « علىّ هنا بالمسجون الذى فى زنزانته، بعد أن يقطع رأسه.» عندئذ تحدث «چدى» : «لا! (فلا يمكن) فى الحقيقة (أن نفعل ذلك) بكائن بشرى، يا سيدى ، ايها العاهل الملكى- ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة – انظر لا يسعنا أن نأمر بعمل مثل هذه الأمور فى قطيع الإله المقدس(٢٨).» عندئذ احضروا له أوزة، كانت قد قطعت رأسها، ووضعت هذه الأوزة فى الجانب الغربى من قاعة الإستقبال، فى حين وضع رأسها فى الجانب الشرقى. ونطق «چدى» التعاويذ السحرية التى يعرفها، فانتصبت الأوزة وهى تتمايل ورأسها أيضاً. وبعد أن التقت الأولى بالآخر، وبعد أن وقفت الأوزة أخذت تصيح. وأمر «چدى» بإحضار أوزة (أخرى) (معروفة باسم) «الخشب الكبير» وفعل بها نفس الشئ. ثم أمر جلالته باحضار عجل (وسرعان)، سقط رأسه على الأرض. (ومن جديد) نطق «چدى» التعاويذ السحرية التى يعرفها، فانتصب *العجل*... *(فجوة. وفى وسعنا أن نفترض ان العملية ذاتها قد تمت مع أسد(٢٩).)* .وأخذ الأسد يمشى خلفه بينما رسنه يتجرجر على الأرض.

عندئذ نطق [جلالة] الملك «خوفو» – «الصادق القول» – هذه الكلمات: «أتعرف عدد أسرار معبد «تحوت» ؟ «فأجاب «چدى» : «ياصاحب الحمد! إنى لا أعرف عددها، ياسيدى، إيها العاهل الملكى – ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! ولكنى أعرف مكان وجودها.» – جلالته : «فأين هى؟» – «چدى» : «يوجد صندوق من الصوّان، فى حجرة تعرف بـ«حجرة الجرد» فى «هليوپوليس»(٣٠) هناك تجد (الإجابة).»

– جلالته:«اذهب وعلىّ به». ولكن «چدى» أردف قائلاً : «أيها العاهل الملكى ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة ! – انظر، ياسيدى، لن أتولى أنا إحضاره.» – جلالته: «من إذن يحضره لى؟» – «چدى» : «إن أكبر الأطفال الثلاثة الذين فى بطن «ردچدت»، هو الذى سيحضره لك.» – جلالته : «أرجو ذلك بكل تاكيد. ولكن أخبرنى بصدد ما قلته، فمن هى هذه (المدعوة) «ردچدت»؟.» – «چدى» : «إنها زوجة كاهن «وعب»(٣١) (فى خدمة) «رع»، سيد «ساخبو»(٣٢). إنها حامل من «رع». سيد

«ساخبو» بثلاثة أطفال. وقد قال بصددهم إنهم سيشغلون هذه الوظيفة المرموقة المباركة فى ربوع البلاد[٣٣]، كما سيصبح اكبرهم «كبير الرائين»[٣٤] فى «هيلوپوليس».» أدرك الحزن عندئذ قلب جلالته[٣٥]، بسبب ذلك. ولكن «چدى» تحدث قائلاً : «ما هو إذن هذا المزاج، ياسيدى، أيها العاهل الملكى- ليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! أَمَرَدّ ذلك إلى ما قلته لتوّى؟ ولكن ابنك، ثم ابن هذا الأخير ثم أحد أبناء («ردچدت»)؟ - (سوف يتولون العرش على التوالى).» قال جلالته: « فى أى وقت ستضع «ردچدت»؟» چدى : «سوف تضع فى اليوم الخامس عشر من الشهر الأول من فصل الإنبات.»[٣٦] - جلالته : «سيحدث ذلك إذن فى الأيام التى تجف فيها الشطوط الرملية «لقناة السمكتين». وإلا لكنت قد عبرتها لأشاهد معبد «رع»، سيد «ساخبو».» - «چدى» : «سأعمل بحيث تظهر أربعة أذرع من الماء فوق الشطوط الرملية «لقناة السمكتين».»

عندئذ توجه جلالته إلى قصره وقال : «فليُؤمر «چدى» بأن يذهب إلى منزل الابن الملكى، «چدف حور»، ليقيم من الآن فى صحبته. ولتحدد أنصبته فى المأكل وهى كما يلى : ألف رغيف ومائة إبريق جعة، وعجل ومائة حزمة خضار.» وتم تنفيذ كل ما أمر به جلالته.

لقد قدمنا سلسلة من القصص المتنوعة والبارعة، خصصت للترويح عن نفس الملك. وتظهر فيها الروح المصرية مولعة بالأعاجيب وعلى درجة كبيرة من الإنسانية، وحريصة أيضاً على إنصاف كل حياة.

إن السحر الذى يلعب دوراً كبيراً فى الفكر المصرى، يحتل مكانة بارزة فى هذه القصص التى تتداخل فيها ألاعيب السحرة وبراعتهم. وتسخر القصة الأولى السحر الأسود أو الشعوذة لأغراض شخصية. وإذا كانت حبكة ثانى هذه القصص هزيلة إلى حدّ ما، فإن نهايتها جديرة بالملاحظة: إن «براعة» چاچا إم عنخ» تلح علينا لتذكرنا بالطريقة التى لجأ إليها موسى ليتمكن من عبور البحر الأحمر . ولكن موسى الذى حصل على تنشئة فى بلاط مصر، وهى التنشئة التى جاد بها كرم*

* راجع سفر الخروج - ١٤ : ١٥ - ٣١. (المترجم)

فرعون، كان على دراية بهذه القصص الحافلة بالعجب العجاب و«بمهارة» الكهنة السحرة الذين فى خدمة فرعون. وكان «چدى» اكثرهم علماً، فيعرف كيف يعيد صياغة عمل الخالق بعد أن تقوض بصفة مؤقتة، بل فى وسعه أن يعدل من إيقاع فصول السنة المتحكمة فى الكون - وكان أيضاً أكثرهم إنسانية فهو يأبى ان يضحّى «بإنسان»، إرضاءً لفضول الملك، وإن كان هذا الإنسان مسجوناً.

٢- الأمير وأقدراه الثلاثة المكتوبة (٣٧)

كان ويا ما كان، على ما يحكى أن ملكاً (من ملوك مصر) لم يكن قد رزق مولوداً ذكراً ... عندئذ، تضرع إلى الآلهة من حوله لترزقه ابناً. فقضت هذه الأخيرة بأن يولد له (ولد). وخلال هذه الليلة ذاتها، حملت زوجته منه ، بينما كان يباشرها. وبعد أن أتمت عدة الشهور اللازمة للولادة، وضعت مولوداً ذكراً. وهمت آنذاك، الحتحورات السبع(٣٨) بالحضور لابلاغ قدره المكتوب قائلة : «سيلقى حتفه على يد تمساح أوثعبان أو كلب أيضاً..» سمع (هذا الكلام) من كانوا بجوار الطفل فنقلوه إلى جلالته - فليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! عندئذ تملك الحزن قلب جلالته، بما يفوق كل تعبير. فأمر جلالته - فليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة! - بأن يشيد للطفل منزل من حجر فى الصحراء، وجُهزّ بطاقم من الخدم وكل الأشياء الجميلة والطيبة، الخاصةبالقصر الملكى - فليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة !... ولكن كان على الطفل ألاّ يبارح المنزل.

ولما شب وترعرع، صعد ذات يوم إلى السطح، فشاهد كلباً يسير على الطريق وهو يتعقب رجلاً. وقال للخادم الواقف بجواره «ماهذا الذى يسير إذن خلف هذا الرجل الذى يتقدم على الطريق؟» فأجابه : «إنه كلب». عندئذ قال له الصبى : «مُر بإعطائى كلباً مماثلاً.» وذهب الخادم إلى جلالته - فليحى ويزدهر ويكن فى صحة طيبة ! - ليخبره بذلك، فقال جلالته: «احضروا له إذن جرواً يقفز ويتفجر حياة ،

فتتبدد أحزان قلبه.» وأُحضر الكلب للأمير الصغير.

وبعد أن مرت الأيام واشتد عود الطفل، اوفد (رسولاً) إلى أبيه ليقول له : «ترى ماذا سيحدث لو مكثت على هذا النحو؟ أنظر أنا أسير قدرى. اسمح إذن أن أتمكن من التصرف كما يهواه قلبى. وماسيفعله الإله إنما هى مشيئته» وهكذا، أُعدت له مركبة، جهزت بمختلف أنواع أسلحة الحرب وخصص خادم ليتبعه كرفيق، وتم نقله إلى البر الشرقى (من النهر). وقيل له : «واصل الآن طريقك حسب هواك.» وكان كلبه معه. ورحل فى اتجاه الشمال، فى الصحراء، حسبما كان يريد. وكان يأكل من أفضل صيد الصحراء.

ووصل ذات يوم عند أمير «نهارينا»(٣٩). ولم يكن هذا الأمير قد رزق أولاداً ما عدا فتاة واحدة. ومن أجل هذه الأخيرة، شيد منزلاً كانت نافذته تبعد عن الأرض سبعين ذراعاً(٤٠) وكان أمير «نهارينا» قد عمل على أن يحضر جميع أبناء كافة زعماء البلاد السورية واخبرهم قائلاً: « من منكم (إذا قفز) وصل إلى نافذة ابنتى (فهو الذى) سيتزوجها.»

وبعد أن مرت، أيام عديدة، وبينما كان يمارس هؤلاء تمرينهم اليومى(٤١) مرّ بهم الأمير. فاصطحبوه حتى منزلهم وساعدوه على الإغتسال، وقدموا الطعام لفرسيه(٤٢)، وصنعوا من أجله كل ما هو طيب: مسحوه بالطيب، وضمدوا قدميه، وقدموا لرفيقه الطعام. ثم قالوا له وهم يتبادلون أطراف الحديث: «من أين جئت أيها الفتى الجميل؟» فأجاب : «أنا ابن ضابط من أرض مصر(٤٣) ولما توفيت والدتى، تزوج أبى من أمرأة أخرى، صارت زوجة أبى، وأخذت تكرهنى شيئاً فشيئاً ، فرحلت هرباً منها.» عندئذ احتضنوه وقبلوه على جسده كله.

وبعد أيام عديدة أخرى، قال للفتية: «ولكن ماذا تفعلون إذن؟ (فأردفوا قائلين) : «منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر ونحن نمضى وقتنا كل يوم فى القفز.(٤٤) لأن من منّا سيصل إلى نافذة أبنة أمير «نهارينا»، ستوهب هذه الأميرة زوجة له.» قال لهم : «آها! لو كانت قدماى لا تؤلمانى، لذهبت أنا أيضاً لأقفز معكم.» وهنا انصرفوا ليقفزوا حسبما اعتادوا عليه كل يوم، بينما كان الأمير الشاب، يقف بعيداً وينظر إليهم. عندئذ، ولت ابنة أمير «نهارينا» وجهها نحوه.

وبعد زمن قصير، همّ الأمير الشاب وجاء ليقفز مع أبناء الأمراء، وقفز إذن،

ووصل إلى نافذة أبنة أمير «نهارينا». فقبّلته وعانقت جسده كله. وعلى ذلك، ذهب بعضهم ليخبروا والدها قائلين : «لقد وصل أحد الشبان إلى نافذة ابنتك.» واستفسر الأمير على النحو التالي : «ابن مَن مِن الزعماء هو؟» فأجابوه قائلين : « إنه ابن ضابط، وقد جاء من أرض مصر، هرباً من زوجة أبيه.» عندئذ استشاط أمير «نهارينا» غضباً شديداً وقال :» وهل أهب ابنتى لهذا الطريد المصرى؟ اعملوا على أن يعود أدراجه.» فذهبوا ليخبروا هذا الأمير قائلين : «عُد إذن من حيث أتيت.» ولكن الفتاة أمسكت به، وأقسمت باسم الإله قائلة : «حقاً وكما أن الدوام هو لـ «رع – حور – آختى» (٤٥)، فلو أنتزع (هذا الشاب) بعيداً عنى، فلن آكل أبداً، ولن أشرب أبداً، حتى أموت لساعتى.» وانصرف الرسول ليبلغ أباها بكل الكلمات التى نطقت بها. عندئذ أرسل هذا الأخير (الأب) البعض ليقتلوا الصبى، فى مكان إقامته. ولكن الفتاة قالت : «حقاً، وكما ان الدوام هو لـ «رع»، فلو أن البعض قتلوه، لسوف أموت مع غروب النور الإلهى.(٤٦) فلن تمر علىّ ساعة واحدة، من بعده، وانا على قيد الحياة، (لن تمر ساعة واحدة). وذهبوا ليبلغوا هذه الأقوال لأبيها. فأمر هذا الأخير، عندئذ ، بأن يمثل الصبى بين يديه (هو) وابنته معاً... وكان لكرامة الشاب وقع فى قلب الأمير(٤٧). فاحتضنه هذا الأخير بين ساعديه وقبّله فى جسده كله وقال له : «حدثنى عن ظروفك، لأنه كما ترى ، فأنت من الآن فى منزلة الأبن بالنسبة لى.» فأجابه الصبى :« أنا ابن ضابط فى أرض مصر. ولما توفيت والدتى، تزوج أبى من أمرأة أخرى، صارت زوجة أبى. وأخذت تكرهنى شيئاً فشيئاً، فرحلت هرباً منها.» عندئذ، وهبه الأمير ابنته. وأعطاه منزلاً وأراضى منزرعة، (كما أعطاه) فى نفس الوقت، ماشية وكل ما هو جميل وطيب.

وبعد ذلك بفترة، قال الشاب لزوجتة : « لقد كتبت علىّ أقدار ثلاثة : التمساح والثعبان والكلب.» فقالت له (على الفور) : «مُر بقتل الكلب الذى يتبعك». ولكنه أجاب قائلاً : «قد يكون ذلك (تصرفاً) أرعن فلن أسمح بقتل كلبى، الذى ربيته منذ أن كان جرواً.» وعلى ذلك، فقد اشتدت، إلى حد بعيد ، يقظتها على زوجها. وكانت لا تسمح له بأن يخرج بمفرده وأن يبتعد.(٤٨).

غير أنه، كان قد حدث فى ذلك اليوم الذى جاء فيه الصبى من أراضى مصر،

هائماً على وجهه(٤٩)، أن التمساح الذى كتبه القدر عليه.. [كان يتعقبه؟] لقد حلّ فى المدينة التى كان يقيم فيها الشاب قبل (وصوله) فقط ... وظل باقياً فى الماء. بيد أن روحاً إلهية، شديدة البأس، كانت موجودة فى هذه المياه. فلا تسمح للتمساح بالخروج منها، ولا يسمح التمساح للروح الإلهية، الشديدة البأس، ان تخرج للتنزة. (وعند الفجر) وبينما النور الإلهى يتألق، كان الغريمان، ينهضان منذ ثلاثة أشهر، كل يوم للقتال.(٥٠).

ثم بعد ذلك بفترة، حدث ذات يوم، أن جلس الشاب فى منزله ليقضى نهاراً سعيداً. وبعد أن (هبت) نسمة الليل العليلة، رقد فوق مخدعه وغلب النعاس جسمه. وملأت زوجته قصعة[بالنبيذ] وأخرى بالجعة. عندئذ خرج ثعبان من جحره، وكان هدفه أن يلدغ الشاب. كانت زوجة (الشاب) جالسة بجواره ولكنها لم تكن نائمة. وجذبت القصعتان الثعبان الذى شرب فدبّ فيه الشراب وأثمله. ثم تمدد، وبطنه إلى أعلى. عندئذ، أمرت الزوجة أن يقطّع ببلطتها، إرباً إرباً. وأيقظ البعض زوجها.... وقالت له : «انظر ، لقد وضع إلهك قدراً من أقدارك فى يدك. وسوف يسهر أيضاً عليك...» وأخذ من الأن يقدم القرابين لـ «رع»، متعبداً له، مسبحاً لمجده، كل يوم ، وعلى مدار (اليوم).

خرج الشاب بعد ذلك بعدة أيام ليتنزه ويروّح عن نفسه فى وسط أملاكه. ولم تخرج [معه زوجته] ولكن كان كلبه يرافقه. عندئذ أخذ هذا الأخير يتحدث [قائلاً: «إنى قدرك»(٥١)]. وعلى ذلك، فقد أخذ الشاب يجرى أمامه، حتى وصل إلى الماء وقفز فيه... فامسك به التمساح (وحمله) حتى المكان الذى (اعتادت) أن تتواجد فيه الروح الإلهية، الشديدة البأس. [ولكن هذه الأخيرة لم تكن موجودة هناك]. فقال التمساح للشاب : «أنا قدرك الذى تعقبك (إلى هنا). وطوال الأشهر الثلاثة الماضية، وحتى اليوم، حاربت الروح الإلهية الشديدة البأس. ولكننى مستعد مع ذلك، أن أطلق سراحك، حتى إذا [حضرت] هذه الروح لمحاربتى، مددت لى يد العون وقتلتها...» وعندما ابيضت الأرض، ومع حلول يوم ثان همّت [الروح الإلهية، الشديدة البأس] عائدة...

(هنا يتوقف المخطوط)

والأمر المؤسف بالطبع، أن نهاية المخطوط ليست فى حوزتنا، وهكذا، لا نستطيع معرفة ما إذا كان الرجل الذى بدا تحت رحمة، لعبة الأقدار، فى وسعه ان يردها بعون من الإله والتعضيد الخير من زوجته ساهرة، على غرار «إيزيس». وهذا أمر محتمل جداً، لأن «مخزون» الخوارق والسحر مع مخزون لا ينضبب النسبة للروح المصرية – ولأن الإنسان يظل فى الفكر القديم ملاصقاً للآلهة التى تعايش معها خلال الأزمنة الأولى للكون(٥٢). وفى هذا العالم المسحور ، تمتزج الخوارق والأساطير فيصبح فى وسع جميع المخلوقات ان تتصل بعضها ببعض من خلال الكلمة، وهى هبة جوهرية وفاعلة. اننا نعيش فى عالم مسحور : فكان لابد ان يتعرف الأمير على أساليب السحر ليستطيع أن يقفز حتى نافذة الجميلة الموعودة. ويقارن «جوستاف ليفيفر»(٥٣) بين هذه الواقعة وأحداث أخرى مماثلة تذكر فى قصص حديثة «روسية وبولندية وفنلندية وهندية : إذ يتعين أن يقفز البطل حتى الدور الثالث من القصر الذى تقيم فيه ابنة الملك. وفى قصة من إقليم «التيرول»*، على البطل أن يخطف زهرة من يد الفتاة الصغيرة الجالسة فوق عامود . وفى قصة من منطقة «أفاريس» فى القوقاز، عليه ان يقفز فوق برج». ومن المحتمل أنه قد حدث خلال تحركات الشعوب فى الألف الثانى قبل الميلاد، وهى شعوب قدمت فى قسم منها من مناطق قوقازية واستقرت فى اسيا الصغرى وفى أعالى وادى دجلة ووادى الفرات – من الراجح ان بعضها قد واصل زحفه جنوباً – وربما نقل بعض «المهاجرين» والتجار والجنود شيئاً من هذه الخرافات. إن مصر التى كان أهلها يحبون القصص حباً شديداً، مصر التى لم تكن أبداً بلداً معزولاً ولكنها كانت على الدوام منفتحة على مصراعيها لمختلف الأفكار، ربما اضحت مستودعاً وصدىً لألوان «السحر» المختلفة والغابرة. كما ان مصر هى ايضاً بلد إفريقى، بلد نموذجى للسحرة.

---

* يقع هذا الإقليم فى وسط أوروبا ويتبع جزء منه إيطاليا والآخر النمسا. (المترجم)

٣- الأميرة القصية
المصابة بمسّ من الشيطان (٥٤)

«حورس» :-(٥٥) الثور الشديد البأس، العطرة إشراقاته المجيدة.
«السيدتان» :- ذلك الذى مُلكه على غرار (ملك) الإله «آتوم.
«حورس الذهبى» :- ذو الحسام القوى عندما يصدّ الأقواس التسعة.
ملك الوجهين القبلى والبحرى» :- سيدالقطرين، «أوسر. ماعت . رع-ستپ.إن.رع».(٥٦)
«ابن رع»:- الذى ينتسب إلى جسده، «رعمسيس - محبوب - آمون».(٥٧)

محبوب «آمون - رع» ، رب عروش القطرين وتاسوع الآلهة سادة طيبة. الإله الكامل، ابن «آمون»، سليل «رع - حور آختى»، نطفة رب الكون النورانية، الذى انجبه «كاموت إف»(٥٨). ملك مصر، حاكم الصحراء، العاهل الملكى الذى يستولى على الأقواس التسعة.(٥٩) ذلك الذى من أجله أعلنت الإنتصارات، وهو لايزال فى بطن أمه، ذلك الذى اختص بالبطولة، وهو لا يزال فى البيضة. الثور الثابت القلب عندما يضرب أرض الحلبة، الملك الإلهى الذى يخرج يوم النصر، مثل «مونتو»(٦٠)، بقوة بأسه، مثل ابن «نوت».(٦١) كان جلالته موجوداً فى بلاد «نهارينا»(٦٢)، كعادته كل سنة.(٦٣) وكان زعماء سائر البلدان الأجنبية، يأتون إليه وهم ينحنون، فى سلام، بسبب مجد جلالته الذى يمتد بعيداً، بُعد منطقة المستنقعات(٦٤). كانوا يحملون على ظهورهم جزيتهم، ذهباً وفضة ولازوردا وفيروزاً، وشتى أنواع العطور الطيبة الوافدة من «أرض الإله».(٦٥) كان كل (زعيم) يسعى إلى التفوق على جاره. وأمر أيضاً أمير «بختان»(٦٦) باحضار الهدايا التى انتقاها، ووضع ابنته الكبرى على رأسها. وكان يبغى بذلك ان يكرم جلالته، فيلتمس الحياة بجواره . بدت الفتاة لقلب جلالته، آيه فى الجمال، (بل) أجمل من أى شئ. (وهكذا) تحددت ألقابها : «الزوجة الملكية العظمى، «نفرو رع».(٦٧). ولما وصلت جلالتها إلى مصر، اضطلعت آنذاك، بكل ما يناط بزوجة ملكية.

فى العـام الخامس عشر مـن (سنوات) الحكم، وفى اليـوم الثانى والعشـرين، من الشهر الثانى، من فصل الجفاف(٦٨)، بينما كـان جلالتـه فى طيبـة، أم المدائن، وقد إنصرف يقيم مراسم الشعائر الخاصة بأبيه، «آمون – رع» ، رب عرشى القطرين فى عيده الجميل (عيد) «الأوبت»(٦٩)، (وطيبـة) هى مكانه المختـار عند «المرة الأولى»(٧٠) – حدث أن جاء من يقول لجلالته : «يقف هناك، رسول من لدن أمير «بختان»، محمل بالهدايا للزوجة الملكية .» وأُدخل الرسول ليمثل فى حضرة العاهل الملكى ومعه هداياه. وقال وهو يقدم الإجلال للملك : «التسبيح لك ، يا شمس الأقواس التسعة(٧١)، أعطنا الحياة التى هى من صنعك.» وقال أيضاً وهو يخرّ ساجداً أمام جلالته، مردداً هذه الكلمات : «لقد حضرت إليك، أيها العاهل الملكى، ياسيدى، بشأن «بنتريش»، الشقيقة الصغرى للزوجة الملكية «نفرو رع». لقد تغلغل المرض فى أعضائها. فليأمر جلالتك بأن يحضر عالم (من العلماء) لزيارتها.» .فأجاب جلالته: «فلتمثل أمامى هيئة موظفى «بيت الحياة»(٧٢) وموظفو مجلس المقر الملكى.» ودخلوا فى الحال ليمثلوا بين يديه : «انظروا، لقد استدعيتم لتستمعوا لهذا الخطاب. علىّ إذن برجل فطن، (ماهر) الأنامل فى (فن) الكتابة، رجل (مختار) من بينكم». عندئذ جاء الكاتب «چحوتى إم حب»(٧٣) ليقف أمام جلالته الذى أصدر الأوامر بأن يسافر إلى أرض «بختان» فى صحبة الرسول.

هكذا وصل رجل العلم إلى أرض «بختان»، ووجد (أن حالة) «بنتريش» هى حالة شخص مسّته روح. وأدرك ان هذه (الروح) هى عدو ينبغى محاربتها. عندئذ كرر أمير «بختان» رسالته إلى جلالته قائلاً : «أيها العاهل الملكى، يا سيدى، ليت جلالتك يأمر باحضار إله(٧٤) [إلى «بختان»...] ووصلت [الرسالة] إلى جلالته فى العام السادس والعشرين من (سنوات) حكمه(٧٥) فى الشهر الأول، من فصل الجفاف، أثناء عيد «آمون»، بينما كان جلالته فى طيبة.

عندئذ وجه جلالته هذه الكلمات إلى «خونسو – فى طيبة – نفروحوتپ»(٧٦)، قائلاً: «ياسيدى الكامل، اتضرع إليك، بشأن ابنة أمير «بختان». ثم نُقل «خونسو – فى – طيبة – نفرحوتپ» إلى «خونسو – المستشار»، الإله العظيم، طارد الشياطين الجوالة. وعلى هذا، قال جلالته، فى حضرة «خونسو فى طيبة– نفرحوتپ» : «ياسيدى الكامل، إذا ولّيت وجهك شطر «خونسو – المستشار» ، الإله العظيم طارد

الشـيـاطين الجـوالة، لكان ذلك يعنى أنك تسـمح بذهابه إلى أرض بخـتـان.» بكل وضـوح، حنى الإله رأسه مرتين وقـال جلالته : «راعٍ أن يكون سيّالك السحرى معه. وعلى هذا ، سوف أعمل على إرسـال «خونسـو - المستشار»، إلى «بختان» ، ليشفى ابنة الأمـيـر. وبكل وضـوح ، حنى «خـونسـو - فى طيـبـة - نفـرحـوتب» رأسـه، (من جديد). ثم ، نقل السيّال السـحرى، أربع مرات، إلى «خونسو - المستشار- فى - طيبة».

وأمر جلالته بمصاحبة «خونسو - المستشار - فى طيبة»، إلى القارب المقدس (الذى سترافقه) خمس سفن نقل كبيرة والمركبات والعديد من الجياد، يميناً ويساراً. ووصل هذا الإله أرض «بختان»[٧٧] فى نهاية (رحلة استغرقت) سنة وخمسة أشـهر. عندئذ تقدم أمـيـر «بخـتـان» مع جنوده وأعيانه، أمـام «خـونسـو - المسـتشـار» وخرّ ساجداً قـائلاً : « لقـد أتيت إلينا، معلناً رحـمتك علينا، حسب أوامـر ملك الوجـهـين القبلى والبحرى «أوسر ماعت رع - ستپ إن رع».»

عندئذ توجة الإله إلى حيث كانت تقيم «بنتريش»، وقام بنقل السيّال السحرى إلى ابنة الأمير، وفى الحال أصبحت على ما يرام. وتحدثت الروح التى كانت قد مسّتها إلى «خونسو - المستشار - فى - طيبة» قائلة : مرحباً بك، فى سلام، أيها الإله العظيم، يا طارد الشياطين الجوالة لقد اصبحت «بختان» من الآن، مدينتك، وأهلها هم خـدمك، وأنا أيضاً خـادمك. وسوف أعـود الآن، من حـيث أتيت ، لأتيح بالتـالى لقلبك أن يهدأ بشأن ما دفعك إلى القيام بهذه الرحلة، وليأمر جلالتك (الإلهى) بقضاء يوم سعيد فى صحبتى و(صحبة) أمير أرض «بختان». عندئذ أحنى هذا الإله رأسه ناحية كاهنه وقال: «وليُقدم أمير «بختـان» قرباناً عظيماً من أجل هذه الروح.» وفى غضون هذه الوقائع (التى كانت تدور بين) «خونسو-المستشار-فى-طيبة» والروح، كان أمير أرض «بختان» يقف هناك مع جنوده، وقد تولاه رعب شـديد. عندئذ، قدم قرباناً عظيمـاً أمـام «خونسو-المستشار-فى-طيبة»، وأمام الروح، ثم قضى أمير «بختان» يوماً سعيداً فى حضرتهما وبعد ذلك، انصرفت الروح فى سلام إلى مكان الذى اختارته، تنفيذاً لأوامر «خونسو-المستشار-فى-طيبة». وكان أمير «بختـان» مبتهجاً إلى حدّ كبير، وكذلك جميع الأهالى المقيمين فى هذا البلد.

ثم أخذ يفكر فى صحبة قلبه[٧٨] وجال فى خاطره: «سوف أسعى ليتجلى هذا

الإله هنا من الآن، لصالح أرض بختان، ولن أسمح بعودته إلى مصر». وبقى إذن هذا الإله فى بختان لمدة ثلاث سنوات وتسعة أشهر.

ولكن، بينما كان الأمير راقداً، ذات يوم، فوق سريره، رأى (فى المنام) هذا الإله الذى كان قد غادر هيكله. وقد أصبح صقراً ذهبياً[٧٩] وانطلق محلقاً فى السماء متجهاً إلى مصر. واستيقظ وهو فى غاية الإضطراب. عندئذ تحدث الكاهن «خونسو-المستشار-فى-طيبة» قائلاً: «مازال هذا الإله يقيم هنا معنا، ولكن عليه أن يعود الآن إلى مصر. لذا اعمل على عودة مركبته إلى هذا البلد.» وسمح أمير «بختان بأن ينتقل هذا الإله إلى مصر. ووهبه هدايا كثيرة جداً، كل ما هو جميل وطيب، وجنوداً وجياداً باعداد كبيرة.

وهكذا، وصلوا فى سلام إلى طيبة. وتوجه «خونسو-المستشار-فى-طيبة» إلى معبد «خونسو-فى-طيبة-نفرحوتپ»، ليسلمه الهدايا التى وهبه أمير «بختان»، كل ما هو جميل وطيب، فى حضرة «خونسو-فى-طيبة-نفر حوتپ»، دون أن يحتجز منها شيئاً لمعبده الخاص. ثم انضم «خونسو-المستشار-فى-طيبة» إلى محرابه فى سلام-فى اليوم التاسع عشر، من الشهر الثانى، من فصل الإنبات،[٨٠] من العام الثالث والثلاثين (من حكم) الملك «أوسرماعت رع-ستپ إن رع»، فليعمل موهوب الحياة، مثل «رع» للزمن اللانهائى.

تلك هى سلسلة من المغامرات الساحرة، حيث ينتهى الأمر إلى تفاهم الآلهة والأفراد والشياطين الذين أصابوا البشر بمسّ منهم، فيتعايشون تعايشاً سلمياً-ونشاهد الأقدار التى تحددت عند الميلاد وقد اصبحت مصدر مناقشات يحتدم بينهم وحلول وسط محتملة. ولكن هذه القصة هى أيضاً حكاية تصور الشياطين على خلفية تاريخية، فتعيد إلى الأذهان هيمنة مصر على الأراضى الأسيوية القصيه. إنها قصة خرافية، تولدت بلا شك فى المخيلة الشعبية فى أعقاب حدث تاريخى معروف: ألا وهو زواج رعمسيس الثانى، فى العام الرابع والثلاثين من حكمه من أميرة حيثية-وهو القران الذى استهدف تدعيم الميثاق السياسى الذى أبرم بين القوتين العظميين فى الشرق القديم. فأسوة، بـ «نفرو رع» ولكنها قبلها بفترة طويلة كانت «ما أت-حور-نفرو-رع»،[٨١] قد وصلت إلى بلاط مصر قادمة من شمال

آسيا الصغرى، قاطعة رحلتها التى استمرت عاماً كاملاً عبر الجبال والصحارى لتتزوج من خطيبها الألمعى وتصبح هكذا الزوجة الملكية الكبرى فى طيبة.

إن الخرافات تغالب الأيام وتدوم. ونلتقى بأحدث الوجوه الممسوخة لقصة هذه الفتاة القصية التى جاءت لتتزوج فرعون، نلتقى بها فى فرنسا، عند الشعراء «البرناسيين»* Poètes Parnassiens فى القرن التاسع عشر. فنرى الشاعر الفرنسى «ليكونت دى ليل» Leconte de Lisle يهدى إحدى قصائد ديوانه «القصائد الهمجية» Poèmes barbares إلى «نفرو رع» التى جعل منها ابنة لـ«رعمسيس» الثانى، ويتناول مختلف الروايات التى نسجت حبكة هذا الموضوع ليدمجها دمجاً غريباً. يقول الشاعر الفرنسى:

بالأمس كانت «نفرو رع» تجرى وسط الورود،
ووجنتها وجبهتها صافيتان وناعمتان كالذهب الخالص،
كان قلبها لا يزال وادعاً وهى تبتسم
لمشاهدة أبى منجل الوردى اللون محلقاً فى السماء الزرقاء.

وإذ بها تبكى فى حلم متوهج،
مُرٍ، تكتنفه الأسرار، يحترق كالحياة!
فأى شيطان مسّها أو أى إله دعاها؟
أيتها الزهرة النورانية، أتموتين عشقاً؟

*الشعراء البرناسيون : هم مجموعة من الشعراء الذين ظهروا فى فرنسا فى منتصف القرن التاسع عشر كرد فعل للإغراق فى الرومانسية، واهتموا بتجويد الأسلوب وتنميقه. (المترجم)

٤- النوازل السحرية
التى حلّت بـ «ستنى- خع - إم - واس»[٨٢]
وابنه «سا - أوزير».

أ – القصة الأولى: البحث عن كتاب السحر الأعظم.

بداية القصة مفقودة. وبالنسبة لنا تبدأ القصة مع السطر الأول من المخطوط كما عثر عليه. ولكن فى وسعنا تصور هذه البداية استناداً إلى تسلسل الوقائع التى نعرفها.

كان الأمير «ستنى–خع–إم–واس» ابن «رعمسيس» الثانى رجلاً علاّمة، على دراية ثاقبة بأمور السحر، ويمضى وقته فى جبانة «منف» فى قراءة النصوص المقدسة المدونة فى الكتب، وعلى اللوحات الحجرية أو على جدران المعابد. وعلم ذات يوم، بينما كان يتبادل أطراف الحديث مع أحد الأشخاص فى باحة معبد الإله «پتاح»[٨٣] عن وجود كتاب فى السحر كتبه الإله «تحوت» ذاته ومحفوظ فى مقبرة «نا–نفر–كا–پتاح»، الذى عاش فى الماضى وكان مدفوناً فى مكان ما فى الجبانة المنفية. وبعد بحث استغرق ثلاثة أيام، تعرّف «ستنى–خع–إم–واس» و«إيناروس» شقيقه بالرضاعة على مقبرة، «نا–نفر–كا–پتاح» وبينما كانا ينفذان إلى داخل المقبرة، أبصرا الكتاب، وهو يشع نوراً. ولكن عندما أرادا الإمساك به، اعترضهما «نا–نفر–كا–پتاح» وزوجته «أحورع» وابنهما «مير إيب». وفى الحقيقة كان «أحورع» و«مير إيب» قد دُفنا فى مدينة «كوپتوس» حيث فارقا الحياة، ولكن «كا»يهما كانا قد لحقا بـ «نا–نفر–كا–پتاح»، فى «منف».

وتروى «أحورع» قصتها على مسامع «ستنى–خع–إم–واس». فهى ابنة الملك «مير نب پتاح»، وكانت شقيقة «نا–نفر–كا–پتاح». وكانا يتبادلان الحب ويودان أن يتزوجا.

ورغم تدخل والدتهما، كان فرعون يرغب فى أن يُزوج ابنه ابنة أحد القواد العسكريين ويزوج ابنته ابن أحد القواد العسكريين.

«.... إنك تقلقينى. فلو كان لى ابنان فقط، فهل من الصواب أن أزوجهما معاً؟ سوف أزوج «نا-نفر-كا-پتاح»، ابنة قائد عسكرى و(أزوج) «أحورع»، ابن قائد عسكرى آخر. وهكذا سوف تتسع عائلتنا.»

ومع حلول ميعاد العيد أمام فرعون، جاء من يبحث عنى[٨٤] ويصطحبنى إلى هذا العيد، ولكن قلبى كان حزيناً، فى غاية الحزن. ولم أعد كسابق عهدى. فقال لى فرعون: «يا «أحورع»، أأنت حقاً التى أوفدت إلىّ (رسولاً)، (ليبلغنى) بهذه الكلمات الرعناء: اسمح لى أن أتزوج أخى الأكبر «نا-نفر-كا-پتاح»؟ فكان ردى عليه: هيا إذن، فلأتزوج، ابن قائد عسكرى وليتزوج «نا-نفر-كا-پتاح» ابنة قائد عسكرى آخر، وهكذا سوف تتسع عائلتنا!» عندئذ انفجرت ضحكاً، وضحك فرعون أيضاً. [وعندما وصل رئيس حجاب القصر] وقال له: «يارئيس الحجاب، فليتم احضار «أحورع» هذه الليلة إلى منزل «نا-نفر-كا-پتاح»، واحضروا معها كل أنواع الأشياء الجميلة والطيبة.» وهكذا اصطحبونى كزوجة [فى هذه الليلة] إلى منزل «نا-نفر-كا-پتاح». وأرسل لى [فرعون] هدية من فضة وذهب. وجميع افراد البيت الملكى قدموا لى الهدايا. عندئذ أمضى «نا-نفر-كا-پتاح» معى يوماً سعيداً. واستقبل جميع أفراد البيت الملكى. ثم ضاجعنى، ليلاً ووجدنى... أيضاً وأيضاً، وتبادلنا الحب.

وعندما جاء وقت تطهرى،[٨٥] لم أكن فى حاجة إلى تطّهر. وتمّ ابلاغ فرعون بذلك، وغمرت قلبه سعادة فائقة. واقتطع فرعون شتى الأشياء من [خيرات خزينة العاهل الملكى] وأرسل لى هدايا، آية فى الجمال، فضة وذهبا وأرق انواع الكتان. وآن أوان الوضع، وانجبت طفلاً هو أمامك (الآن). واسميناه «مير إيب» وقيد فى سجلات «بيت الحياة».[٨٦]

[وبعد انقضاء أيام طويلة]، كان يبدو أن أخى «نا-نفر-كا-پتاح» لا يشغله سوى التجول فى جبانة «منف»، فيقرأ المدونات التى كانت (منحوتة) فى مقابر الفراعنة، أو على اللوحات الحجرية لكتبة «بيت الحياة»، والمدونات المسطورة على [العمائر

الأخرى] لأنه كان يهتم اهتماماً كبيراً بكل ما كان مكتوباً.

وبعد ذلك نظم موكباً دينياً تكريماً للإله «پتاح»، وولج «نا-نفر-كا-پتاح» إلى المعبد ليعبد (الإله). ولكن بينما كان يتقدم خلف الموكب، وهو يقرأ المدونات (المنحوتة) على هياكل الآلهة، شاهد [كاهن مسن] (ما كان يفعله) فانفجر ضحكاً. قال له «نا-نفر-كا-پتاح»: «لم تسخر منى؟» فأجاب الكاهن: «أنا لا أسخر منك. أنا أضحك لانك تقرأ نصوصاً ليست على [جانب كبير من الأهمية]. إذا أردت حقاً أن تقرأ نصوصاً (مثيرة للإهتمام)، هيا معى، وسوف أصطحبك إلى حيث يوجد كتاب كتبه «تحوت» بذات يده، عندما أتى إلى هذه الدنيا، فى صحبة الآلهة الأخرى.(٨٧) وقد دُونت فيه كتابةً تعويذتان. فإذا [تلوت الأولى] سوف تَسحر السماء والأرض والعالم الآخر والجبال والمياه، وتفهم ما تقوله كافة طيور السماء والزواحف. وترى الأسماك فى أعماق البحار [وإن كان فوقها واحد وعشرون ذراعاً إلهياً](٨٨) من المياه. وإذا تلوت التعويذة الثانية، ولو كنت فى المقبرة، فسوف تستعيد صورتك، كما كانت عليها على الأرض. سوف تبصر الشمس وهى تشرق فى السماء، مع تاسوع آلهتها و(ترى) القمر فى الشكل الذى يتخذه عند ظهوره.»

[قال «نا-نفر-كا-پتاح» للكاهن]: «حقاً وكما ان الملك يحيا، اخبرنى، بشئ سعيد، ترغبه، فافعله من أجلك، وتصطحبنى حتى المكان الذى يوجد فيه هذا الكتاب.» وردّ الكاهن على «نا-نفر-كا-پتاح» (قائلاً): «إذا أردت أن أصطحبك إلى المكان الذى يوجد فيه هذا الكتاب، فعليك إذن أن تعطينى مائة «دبن»(٨٩) من فضة من أجل دفنتى، وسوف تمنحنى أيضاً تابوتين نفيسين، من أجل كاهن.» واستدعى «نا-نفر-كا-پتاح» خادماً وعمل على أن يعطى الكاهن المائة «دبن» فضة. وأضاف إليها التابوتين النفيسين، اللذين انعم عليه بهما. عندئذ، قال الكاهن لـ«نا-نفر-كا-پتاح»: إن الكتاب المعنى موجود وسط مياه «كوپتوس»، فى صندوق من حديد، وداخل هذا الصندوق الحديدى يوجد صندوق [من النحاس] وداخل الصندوق النحاسى يوجد صندوق من خشب شجر القرفة. وداخل هذا الصندوق المصنوع من خشب القرفة يوجد صندوق من العاج والأبنوس. وداخل هذا الصندوق المصنوع من العاج والأبنوس يوجد صندوق من الفضة. وداخل هذا الصندوق الفضى يوجد صندوق من الذهب يحتوى على الكتاب. وحول هذا الصندوق الذى يحتوى على

الكتاب، ثلاثة «إيتر»ات[٩٠] من الثعابين والعقارب والزواحف من مختلف الأنواع ويلتف حول (نفس) هذا الصندوق ثعبان أبدى.

وعندما ختم الكاهن كلامه هذا إلى «نا-نفر-كا-پتاح»، لم يدر هذا الأخير فى أى مكان على سطح الأرض، كان يقف. فخرج من المعبد، وقصّ علىّ [مغامراته بالكامل] قائلاً: «سوف أذهب إلى «كوپتوس»، وأعود منها بهذا الكتاب، قاصداً الشمال (شمال مصر)[٩١] على وجه السرعة.» عندئذ احتددت على الكاهن قائلاً: «فليعاقبك الإله «آمون»، بسبب هذه الأمور الرهيبة التى كشفت النقاب عنها. لأنك هكذا كنت لى سبب خصام، وجلبت لى أيضا الشقاء. وأرى من الآن أن أرض طيبة مليئة بالفظائع.»[٩٢] ولا مست يد «نا-نفر-كا-پتاح»، وحاولت منعه من التوجه إلى «كوپتوس». ولكنه لم يصغ إلىّ. ومثل بين يدى فرعون ونقل إليه كل الكلام الذى قاله الكاهن. فردّ عليه فرعون قائلاً: «ماذا تبغى؟ «-(قال) «نا-نفر-كا-پتاح»: «فلتوضع تحت تصرفى السفينة التى يسافر الملك على متنها، ومجهزة بطاقمها: وسوف أصطحب معى إلى الجنوب «أحورع» وابنها «مير إيب»، لأخرج، على الفور للبحث عن هذا الكتاب.»

وأعطى السفينة الملكية بطاقمها. وصعدنا على متنها وأبحرنا ورسونا عند «كوپتوس». ولما تمّ ابلاغ كهنة «إيزيس» فى «كوپتوس» وكبير الكهنة (بقدومنا)، همّوا لاستقبالنا. وفى الحال، تقدموا للترحيب بـ «نا-نفر-كا-پتاح» وجاءت زوجاتهم للترحيب بى. وانتقلنا إلى الشاطئ وتوجهنا إلى معبد «إيزيس» و«حورس-الطفل». وأمر «نا-نفر-كا-پتاح» باحضار عجل وأوزة ونبيذاً. وقدّم قرباناً وسكب ماءً طهوراً أمام «إيزيس» فى «كوپتوس» و«حورس-الطفل». ثم اصطحبونا إلى منزل آية فى الجمال، تتوفر فيه كافة أصناف الأشياء الجميلة والطيبة. ومضى «نا-نفر-كا-پتاح» أربعة أيام مبتهجاً وهو فى صحبة كهنة «إيزيس» (إلهة) «كوپتوس»، فى حين فعلت معى زوجاتهم الشئ نفسه. وعندما طلع فجر اليوم التالى، أمر «نا-نفر-كا-پتاح» بإحضار كمية كبيرة من الشمع النقى: «ثم (بهذا الشمع) صنع قارباً مجهزاً بطاقمه من المجدفين والبحارة. وتلا عليهم تعويذة (سحرية وهكذا أعطاهم الحياة، كما أعطاهم النسمة، ثم ألقى بهم فى الماء. وملأ سفينة فرعون بالرمال.[٩٣] وأخيراً إستأذن منى فى الإنصراف وصعد على متن (السفينة). وجلست على شاطئ مياه

«كوپتوس» وجال فى خاطرى: «هكذا، سأعلم ما يحدث له».

قال «نا-نفر-كا-پتاح» للمجدفين: «اصطحبونى إلى حيث يوجد هذا الكتاب!» فظلوا يجدفون له دون هوادة، ليل نهار. ووصلوا فى ظرف ثلاثة أيام إلى المكان الذى يبحث عنه.(٩٤) وألقى أمامه رملاً، فظهرت حفرة فى النهر وعثر فى بداية الأمر على ثلاثة «إيتر»ات من الثعابين والعقارب والزواحف من مختلف الأنواع حول الصندوق (الذى فيه الكتاب). ثم التقى بثعبان أبدى حول هذا الصندوق ذاته. عندئذ، تلا تعويذة سحرية على الثعابين والعقارب والزواحف من شتى الأنواع، فمنعها بالتالى من النهوض. ثم توجه إلى حيث يوجد الثعبان الأبدى: ونازله فصرعه. ولكن عاد الحيوان إلى الحياة واسترد هيئته من جديد ونازله للمرة الثانية وصرعه. وعاد أيضاً الحيوان إلى الحياة. ونازله «نا-نفر-كا-پتاح» للمرة الثالثة، وبتره إلى نصفين، ووضع بينهما رمالاً. وهنا مات الثعبان لانه لم يتمكن من استعادة شكله القديم. وهكذا وصل «نا-نفر-كا-پتاح» إلى المكان الذى يرقد فيه الصندوق واكتشف ان الصندوق المعنى هو صندوق من الحديد. فتحه فوجد صندوقاً من النحاس. وفتح هذا الأخير فوجد صندوقاً من خشب القرفة. وفتحه فوجد صندوقاً من العاج وخشب الأبنوس. وفتح هذا الأخير فوجد صندوقاً من الفضة. وفتحه فوجد صندوقاً من الذهب. وعندما فتح هذا الأخير وجد الكتاب، فأخرجه من صندوقه الذهبى.وتلا تعويذة كانت مدونة فيه: فسحر [السماء والأرض والعالم الآخر] والجبال والمياه. وفهم ما كانت تقوله طيور السماء وأسماك الأعماق وحيوانات البرية.وتلا تعويذة أخرى. عندئذ رأى «رع» يشرق فى السماء مع تاسوعه من الآلهة، ورأى أيضاً شروق القمر و(شروق جميع) نجوم السماء بأشكالها. فشاهد الأسماك فى أعماق البحار وإن كان فوقها واحد وعشرون ذراعاً إلهياً من المياه. وتلا أيضاً تعويذة فوق الماء فاستعاد شكله الأول.

وصعد «نا-نفر-كا-پتاح» إلى متن السفينة وقال للمجدفين: «اعيدونى من حيث أتيت.» (ومن جديد) ظلوا يجدفون، دون هوادة، ليل نهار.وهكذا عاد إلى المكان الذى كنت أقف فيه. فوجدنى جالسة عند (شاطئ) مياه «كوپتوس». لم أكن قد شربت ولا أكلت، إذ لم أفعل شيئا على الأرض، كنت أشبه بأحد الذين وصلوا إلى «البيت الحسن».(٩٥) وقلت لـ «نا-نفر-كا-پتاح»: «أرجوك، دعنى أشاهد هذا الكتاب بين

يدىّ، وتلوت تعويذة كانت مدونة فيه: فسحرت السماء والأرض والعالم الآخر، والجبال والمياه. وفهمت ما كانت تقوله طيور السماء وأسماك الأعماق والحيوانات. وتلوت التعويذة الأخرى: عندئذ رأيت «رع» يشرق فى السماء مع تاسوعه من الآلهة، ورأيت أيضاً شروق القمر (وشروق) جميع نجوم السماء بأشكالها. وشاهدت الأسماك فى أعماق البحار وإن كان فوقها واحد وعشرون ذراعاً إلهياً من المياه.

كنت لا أعرف الكتابة-وإنى أقول ذلك إذا قارنت نفسى بشقيقى الأكبر «نا-نفر-كا-پتاح» الذى كان كاتباً ذا موهبة فذة وإنساناً موقور العلم. عندئذ أمر بإحضار ورقة بردى بيضاء. وسطر على سطحها جميع الكلمات التى يضمها الكتاب، وبلّلها بالجعة وأذابها فى الماء. ثم شرب (السائل الذى حصل عليه) وعرف كل ما كان يحتويه الكتاب.(٩٦)

وصلنا إلى «كوپتوس» فى نفس اليوم. واحتفلنا بالعيد أمام «إيزيس» (إلهة «كوپتوس» و«حورس-الطفل»، ثم صعدنا على متن (السفينة) مبحرين شمالاً. وهكذا وصلنا إلى مكان يقع على بعد «إيتر» واحد (من المدينة). وفى غضون ذلك، كان الإله «تحوت» قد اكتشف كل ما حدث لـ «نا-نفر-كا-پتاح» بشأن الكتاب. وهمّ ليخبر «رع» بالأمر قائلاً: «سلّم بحقى وبعدالة الشجار (الذى يترتب على ذلك) من أجلى مع «نا-نفر-كا-پتاح»، ابن الفرعون «ميرنب پتاح». لقد نفذ إلى خبيئتى وسطا عليها. واستولى على صندوقى والوثيقة التى يحتويها. لقد قتل الحارس الذى أقمته والذى كان يحرسها وقيل له: «إنه ملك لك هو وكل فرد من ذويه أيضاً.» وأُنزلت من السماء قوة إلهية، وقيل: «لاتسمحوا لـ «نا-نفر-كا-پتاح» أو لأى فرد من ذويه أن يصل سالماً إلى «منف»». وفى نفس هذه اللحظة، خرج الطفل «مير إيب» من خيمة السفينة الملكية وسقط فى النهر، لتتحقق مشيئة «رع». أخذ جميع من كانوا على متن السفينة يصرخون. وخرج «نا-نفر-كا-پتاح» من قمرته، وتلا تعويذة على الطفل فرفعه (إلى السفينة) رغم ان واحداً وعشرين ذراعاً إلهياً من المياه كانت تغمره. ثم تلا تعويذة (أخرى) على جسد الطفل وفعل ما يجعل هذا الأخير يحكى له كل ما حدث و(لاسيما) طبيعة الإتهام الذى وجهه «تحوت» (إليه) فى حضرة «رع».

وعدنا معه إلى «كوپتوس». وأَمَرْنا أن يُسَلَّم إلى «البيت الحسن». كما أمرنا بالسهر عليه وأن يحنط كما (لو كان) أميراً أو شخصية عظيمة.ثم وضعناه داخل

تابوته فى جبانه «كوپتوس». حينئذ أخبرنى شقيقى «نا-نفر-كا-پتاح» قائلاً: «فلنبحر شمالاً، بلا تأخير، حتى لايحاط فرعون علماً (قبل وصولنا) بما حدث وحتى لا يتكدر قلبه فى هذا الصدد.» وصعدنا إلى السفينة واقلعنا فى اتجاه الشمال.

وعلى بعد «إيتر» واحد من مدينة «كوپتوس» فى (نفس) المكان الذى كان الطفل قد سقط فيه فى النهر، خرجت خارج السفينة الملكية، وهويت فى النهر، فتحققت إرادة «رع». وأخذ جميع من كانوا على متن السفينة يصرخون وأخبروا «نا-نفر-كا-پتاح» بذلك. خرج هذا الأخير من قمرة السفينة الملكية، وتلا علىّ تعويذة وهكذا رفعنى (إلى السفينة) رغم ان واحداً وعشرين ذراعاً إلهياً من المياه كانت تغمرنى. وبعد أن رفعنى على هذا النحو، تلا علىّ تعويذة (أخرى) وفعل بحيث استطيع أن أحكى له ما كان قد حدث (ولاسيما) طبيعية الإتهام الذى وجهه (إليه) «تحوت» فى حضرة «رع». وعاد معى إلى «كوپتوس».وأمر بتوصيلى إلى «البيت الحسن». كما أمر بالسهر علىّ وأن أحنط كما (لوكنت) أمير(ة) أو شخصية عظيمة. ثم وضعنى داخل المقبرة حيث كان يرقد من قبل الطفل «مير إيب». (ومن جديد) ركب السفينة وأقلع بلا تأخير فى اتجاه الشمال.

وعندما وصل إلى مسافة «إيتر» واحد من مدينة «كوپتوس» وفى المكان الذى كناً قد سقطنا فيه فى النهر تحدث مع قلبه قائلاً: «ألا ينبغى أن أعود إلى «كوپتوس» لأستقر فيها؟ فلو عدت الآن إلى «منف»، فترى ماذا أقول لو أن فرعون سألنى عن مصير أبنائه. وهل فى وسعى أن أقوله له: «لقد اصطحبت أبناءك إلى أرض طيبة وقتلتهم. ومازلت أنا باقياً على قيد الحياة، فهل أعود أنا إذن إلى مدينة «منف» ومازلت حياً؟» عندئذ أمر «نا-نفر-كا-پتاح» باحضار قطعة نسيج من الكتان الملكى الرقيق الذى يخصه، وجعلها حزاماً ربط فيه الكتاب الذى وضعه على جسده وثبته تماماً. ثم خرج من خيمة السفينة الملكية وهوى فى الماء وهكذا حقق مشيئة «رع». وأخذ جميع من كانوا على متن السفينة يصيحون، قائلين: «يالشدّة الآسى! بالقسوة أرَحَل عنا الكاتب الفائق الكمال، رجل العلم الذى ليس له مثيل؟» وواصلت سفينة فرعون رحلتها ناحية الشمال، دون أن يعلم أحد على وجه الأرض أين كان «نا-نفر-كا-پتاح» موجوداً.

وعندما وصل القوم إلى «منف»، أحيط فرعون علماً، وجاء هذا الأخير لاستقبال

السفينة، مرتدياً ملابس الحداد. وجميع شعب المدينة كان يرتدى أيضاً ملابس الحداد، وكهنة «پتاح» أيضاً وكبير كهنة الإله، وكبار الموظفين وبلاط العاهل الملكى. عندئذ شاهدوا «نا-نفر-كا-پتاح» مربوطاً فى مجدافى دفة السفينة الملكية - وذلك بفضل معارفه السحرية ككاتب فائق الكمال. فأخرجوه حينئذ من الماء ورأوا عندئذ الكتاب الذى كان مستقراً على جسده. قال فرعون: «هذا الكتاب الذى على جسده ينبغى أن يظل سراً». ثم تحدث كبار الموظفين وكهنة «پتاح» وكبير كهنة الإله فى آن واحد (تحدثوا) على النحو التالى فى حضرة العاهل الملكى (قائلين): «ياسيدنا الطيب، ليت «نا-نفر-كا-پتاح» يكون له الدوام (كما تدوم) حياة «رع». لقد كان كاتباً فائق الكمال ورجل علم فذاً.» وأمر فرعون بأن يذهبوا به إلى «البيت الحسن»، لمدة ستة عشر يوماً، وأن يضمد بالأشرطة بعد اليوم الخامس والثلاثين وأن يدفن فى اليوم السبعين. ووضعوه فى تابوته فى مكان راحته.

تلك هى الأحداث المفجعة التى نزلت بنا من جراء هذا الكتاب الذى تقول بشأنه: «اعطنا إياه! فلا حق لك عليه، هذا الذى بسببه بُترت الحيوات (التى كانت من نصيبنا) على الأرض.»

عندئذ قال «سنتى»: «اسمحى لى يا «أحورع» أن آخذ هذا الكتاب الذى أراه بينك وبين «نا-نفر-كا-پتاح» وإلاّ سوف استولى عليه عنوةً». وهنا نهض «نا-نفر-كا-پتاح». خارج تابوته وردّ قائلاً: «ألست أنت، «ستنى» الذى تحدثت معه هذه المرأة عن مغامراتها القاسية، ولكن لايبدو انك أخذت العبرة منها؟ ترى، أتستولى على هذا الكتاب بفضل قدرات(ك) ككاتب بارع، أم بفضل ما سوف تبديه من مهارة عندما تلعب معى لعبة الـ«داما»؟ فلترتب إذن اثنين وخمسين قطعة على رقعة الـ«داما».» قال «ستنى»: «أنا مستعد».

ووضعا أمامهما رقعة اللعب وقطعها. وبدأ الإثنان يلعبان. فاز «نا-نفر-كا-پتاح» على «ستنى» فى الدور الأول. عندئذ تلا تعويذة على هذا الأخير وضربه برقعة الـ«داما» التى كانت أمامه وهكذا جعله ينغرس فى الأرض حتى ساقيه. وفعل نفس الشئ فى الدور الثانى الذى فاز فيه على «ستنى» وجعله ينغرس فى الأرض حتى

الردفين. وفعل الشئ أيضا فى الدور الثالث، وجعله ينغرس فى الأرض حتى الأذنين، فى هذه اللحظة سدّد «ستنى» ضربة شديدة على يدى «نا-نفر-كا-پتاح»، ثم استدعى «إيناروس» شقيقه فى الرضاعة، قائلاً له: «اذهب بسرعة على سطح الأرض، واخبر فرعون بكل ما ألم بى، ثم احضر لى تميمة أبى «پتاح» وكتبى فى السحر.» وهمّ «إيناروس» بالصعود على سطح الأرض وقصّ على فرعون كل ما ألمّ بـ«ستنى»، وقال له فرعون: «خذ من أجله تميمة الإله «پتاح» وكتبه فى السحر!» ثم عاد «إيناروس» ليهبط فى المقبرة ووضع التميمة على جسد «ستنى» وخلال برهة قصيرة، انطلق هذا الأخير خارج الأرض، عندئذ مدّ «ستنى» يده إلى الكتاب وامسكه. ولما خرج من المقبرة، كان النور يسير أمامه، فى حين كان الظلام يزحف وراءه، غير ان «آحورع» كانت تبكى خلفه قائلةً: «تحية لك، (أيتها) الظلمات وداعاً للنور! لقد رحلت الآن كل القوة التى كانت فى مقبرتنا.» وقال «نا-نفر-كا-پتاح» لـ«أحورع»: «لا تكدرى قلبك، لسوف أرغمه أن يعيد إلىّ هنا هذا الكتاب، وأنا ممسك فى يدى عصاً متشبعة وفوق رأسى جمر مشتعل.(٩٧)

صعد إذن «ستنى» ثانية خارج المقبرة وأوصدها وراءه، كما كانت من قبل، ثم توجه إلى فرعون وقصّ عليه، ما صادفه من أحداث، بخصوص هذا الكتاب وقال له فرعون: «أعد هذا الكتاب إلى مقبرة «نا-نفر-كا-پتاح» (فيكون تصرفك) تصرف إنسان حكيم، وإلاّ سيجبرك على إعادته، وهو يمسك فى يده عصاً متشعبة وفوق رأسه جمر مشتعل.» ولكن لم ينصت إليه «ستنى»، فكان من الآن لايشغله شاغل وهو على وجه الأرض سوى بسط الكتاب وقراءته على جميع.

وبعد ذلك، حدث ذات يوم، بينما كان «ستنى» يتنزه، يروح ويغدو فى باحة معبد «پتاح» أن شاهد فجأة [امرأة] آية فى الجمال، لا يوجد مثل جمالها. كانت جميلة وتتزين بالعديد من الحلىّ الذهبية، وتسير خلفها فتيات، ويلتف من حولها أثنان وخمسون شخصاً من أهل بيتها، ويشكلون موكبها.(٩٨) وفى نفس اللحظة التى شاهدها فيها «ستنى»، لم يدر فى أى مكان على سطح الأرض كان يقف. فنادى على خادمه وقال له: «هيا اسرع إلى حيث توجد هذه المرأة، واستعلم عن منزلتها.» واسرع الخادم إلي حيث توجد هذه المرأة، ونادى على وصيفتها الواقفة خلفها قائلاً:

«من هى هذه السيدة؟» فأجابته قائلة: «إنها «تابوبو»، ابنة كاهن(٩٩) الإلهة «باستت»، سيدة «عنخ تاوى.»(١٠٠) لقد جاءت إلى هنا للتعبد للإله العظيم «بتاح».» وعاد الخادم إلى «ستنى» ونقل إليه كل كلمة قالتها الوصيفة. وأجاب «ستنى»: «اذهب وأخبر الوصيفة ما يلى: «إن «ستنى-خع-إم-واس» ابن الفرعون «أوسر-ماعت-رع» هو الذى ارسلنى لأقوال لك: سأعطيك عشر قطع ذهبية، لو أمضيت معى ساعة من الزمن. أو، لو كنت محل شكوى من إثم ارتكبته، فسوف أسوّى المشكلة من أجلك واصطحبك إلى مكان لن يكون فى وسع أى مخلوق على وجه الأرض ان يصل إليك.» عاد الخادم أدراجه إلى حيث توجد «تابوبو»، ونادى على الوصيفة وتحدث إليها. فأطلقت صرخة، كما لو أن هذه الكلمات كانت سباً. وقالت «تابوبو» للخادم: «توقف عن الكلام مع هذه الفتاة، تعال لتتحدث معى.» وتوجه الفتى مسرعاً إلى «تابوبو» وقال لها: «سأعطيك عشر طقع ذهبية، لو امضيت مع «ستنى-خع-إم-واس»، ابن الفرعون «أوسر-ماعت-رع»، أو لو كنت محل شكوى من إثم (ارتكبته)، فسوف يسوّى المشكلة من أجلك، ويصطحبك إلى مكان لن يكون فى وسع أى مخلوق على وجه الأرض ان يصل إليك.» وأجابت «تابوبو»: «اذهب وأخبر «ستنى» أننى صاحبة منزلة مقدسة، ولست امرأة مبتذلة. إذا أردت ان تفعل معى ما ترغب فيه، فعليك الحضور إلى منزلى فى «بوباستس». وهو (منزل) مجهز بكل شئ وسيكون فى وسعك ان تفعل معى ما تشتهيه، دون ان يكتشف أمرى، كائن من كان، على وجه الأرض، ودون ان اتصرف كبغى.» وعاد الخادم إلى جوار «ستنى» ونقل إليه هذه الكلمات. وردّ هذا الأخير قائلاً: «هكذا فإن الأمر على ما يرام.» ولكن استنكر الأمر جميع أفراد بطانة «ستنى».

وأمر «ستنى» بإحضار سفينة، وصعد على متنها وأمر بالإقلاع علي جناح السرعة متجهاً إلى «بوباستس». وعندما وصل إلى القسم الغربى من المدينة، صادف منزلاً مرتفعاً، محاطاً بسور. وفى الشمال حديقة، فى مقدمتها فناء فسيح للإستقبالات. واستفسر «ستنى» قائلاً: «من صاحب هذا المنزل؟.» وردوا عليه قائلين: «هذا منزل «تابوبو».» عندئذ اجتاز «ستنى» سور الحديقة وبينما كان يتأمل الجوسق،(١٠١) أعلن عن وجود «تابوبو». ونزلت وامسكت بيد «ستنى» وقالت له: «حقاً وكما أن هذا المنزل الذى وصلت إليه، وهو منزل كاهن «باستت» سيدة «عنخ تاوى» (منزل) مزدهر، فإن ذلك يروقنى. اصعد إذن الآن معى!» وصعد «ستنى» درج المنزل

في صحبة «تابوبو». ووجد الطابق العلوى وقد تم تنظيفه للتوّ ويزدان باللازورد الخالص والفيروز الخالص. وكان هناك عدد من الأسرّة. غطيت جميعها بكتان ملكى رقيق، والعديد من الكؤوس الذهبية موضوعة فوق المائدة. وملأوا واحدة من هذه الكؤوس نبيذاً ووضعوها فى يدى «ستنى». وقالت المرأة لهذا الأخير: «أيروق لك ان نتناول وجبة؟» فأجاب ليس ذلك ممكناً.» عندئذ وضعوا بخوراً فى مبخرة واحضروا دهون الطيب لـ«ستنى»، وهو نفس النوع الذى يستخدمه فرعون. وقضى «ستنى» مع «تابوبو» يوماً سعيداً. فلم يحدث له من قبل ان التقى بامرأة مثلها. وقال لها: «فلنفعل الآن ما جئنا من أجله.» وأجابت: « سوف تعود إلى منزلك، حيث تعيش. إننى ذات منزلة مقدسة، فأنا لست بغياً. فإذا كنت تودّ أن تفعل معى، ما تشتهيه، عليك ان تحرر لصالحى إقرار إعاشة واقرار تعويض (على هيئة) فضة من كل ما تملكه من أشياء وممتلكات.»[١٠٢] وقال لها: «مُرى ليحضر كاتب «المدرسة».» فدخل فى الحال وحرر لصالح المرأة إقرار إعاشة وإقرار تعويض (على هيئة) فضه من كل ما يملكه من أشياء وممتلكات.

وبعد قليل، جاء من يقول لـ«ستنى»: «أبناؤك فى (الطابق) السفلى» فأجاب: «مُروا بأن يصعدوا!» عندئذ نهضت «تابوبو». وارتدت نسيجاً ناعماً من أرق أنواع الكتان الملكى. وكان فى وسع «ستنى» أن يشاهد من خلاله جسدها بالكامل. فتحرق شوقاً إليها أكثر من ذى قبل. وقال لها: «يا «تابوبو» دعينى أفعل ما جئت من أجله.» وأجابت: «سوف تعود إلى منزلك، حيث تعيش. اننى ذات منزلة مقدسة وأنا لست بغياً. فإذا كنت تود ان تفعل معى ما تشتهيه، عليك أن تجعل أبناءك يوقعون أيضا على الوثيقة، حتى لا يتحرشوا بأبنائى بشأن ممتلكاتك: وأمر «ستنى» بأن يصعد ابناؤه وجعلهم يصدقون على الوثيقة، ثم قال لـ«تابوبو»: «دعينى أفعل أخيراً، ما جئت من أجله!» فقالت له: «سوف تعود إلى منزلك، حيث تعيش. اننى ذات منزلة مقدسة وأنا لست بغياً. إذا كنت ترغب ان تفعل معى ما تشتهيه، فعليك ان تأمر بقتل ابنائك، حتى لا يتحرشوا بأبنائى بشأن ممتلكاتك.» وقال «ستنى»: «فلتنفذ هذه الفعلة البغيضة التى فكر فيها قلبك.» وأمرت بقتل ابنائه أمامه وألقت بهم من النافذة للكلاب والقطط فاكلت هذه الأخيرة لحمهم وسمع «ستنى» (ما صدر منهم من أصوات) بينما كان يشرب مع «تابوبو».

عندئذ قال «ستنى»: «يا «تابوبو» دعينى أخيراً افعل ما جئت من أجله! لقد نفذت من أجلك، كل ما طلبته منى.» فقالت له أيضاً: «اذهب إلى هذا الجوسق.» ودخل «ستني» إلي الجوسق، ورقد فوق سرير من العاج وخشب الأبنوس، حتى يتمكن من تحقيق شهوته. ورقدت «تابوبو» بجوار «ستنى». ومدّ يده ليلمسها. عندئذ فتحت فمها واسعاً وأطلقت صرخة مدوية.

وعندما استعاد «ستنى» وعيه، شعر بحرارة شديدة. كانت شهوته قد هدأت وكان عارياً تماماً. وبعد قليل، أبصر رجلاً مهيب الطلعة (جالساً) على محفة (يحملها) الحاملون. والعديد من الناس يركضون عند أقدامه. كان يشبه فرعوناً. وعندئذ أراد «ستنى» أن ينهض، ولكنه لم يستطع، نظراً للخجل الذى اعتراه، لانه كان بلا ملابس تستره. وتحدث فرعون: «يا«ستنى»، كيف وصلت إذن إلى ما أنت عليه من حال؟» وأجاب «ستنى»: «إن «نا-نفر-كا-پتاح» هو الذى ارتكب فى حقى كل ذلك.» (قال) فرعون: «أذهب إلى «منف»، فأبناؤك فى انتظارك، وهم يقفون كعادتهم أمام فرعون.» (قال) «ستنى»: «ياسيدى القدير، ياملكى-لتكن له مدة حياة «رع»!-كيف لى أن أعود إلى «منف» وأنا مجرد من ملابس؟» ونادى فرعون خادماً كان يقف بجواره وطلب منه إحضار ثوب لـ«ستني». واستطرد قائلاً: «اذهب إذن، يا «ستنى» إلى «منف» فابناؤك مازالوا على قيد الحياة ويقفون حسب عادتهم، أمام فرعون.»

وتوجه إذن «ستنى» إلى «منف». وأخذ بين يديه أبناءه الذين وجدهم أحياءً. قال فرعون: «أوُجِدْت فى حالة من السكر؟» عندئذ روى «ستني» كل ما حدث له مع «تابوبو» و«نا-نفر-كا-پتاح». قال فرعون: «يا «ستنى»، لقد سبق لى وحققت من أجلك كل ما كان فى مقدورى، عندما أخبرتك قائلاً: لسوف تقتل لو أنك لم تُعد هذا الكتاب إلى المكان الذى أخذته منه. ولكنك حتى الآن لم تصغ إلىّ. أعد هذا الكتاب إلى «نا-نفر-كا-پتاح» الذى يمسك فى يده عصاً متشعبة وفوق رأسه جمر مشتعل.»

عندما خرج «ستنى» من حضرة فرعون، كان يمسك فى يده عصاً متشعبة وفوق رأسه جمر مشتعل. وهبط إلى المقبرة التى يوجد فيها «نا-نفر-كا-پتاح». وقالت له «أحورع»: «يا «ستنى» إن الإله العظيم «پتاح» هو الذى يعيدك إلى هنا سالماً معافى.» وانفجر «نا-نفر-كا-پتاح» ضاحكاً وقال: «ألم أقل لك ذلك من قبل». عندئذ،

حيى «ستنى» «نا-نفر-كا-پتاح» وكان فى وسع الناس أن يظنوا ان الإله «رع» قد (عاد) الآن إلى داخل المقبرة[١٠٣] وحيى «أحورع» و«نا- نفر- كا- پتاح» (بدورهما) «ستنى» تحية حارة.

وقال هذا الأخير: «أيوجد شئ، يا «نا-نفر-كا-پتاح»، كائنناً ما كان، لا يتفق وما تبتغيه؟» أجاب «نا-نفر-كا-پتاح»: «أنت تعرف يا «ستنى» ان «أحورع» وابنها «مير إيب» موجودان فى «كوپتوس»،[١٠٤] وهما موجودان هنا فى هذه المقبرة بفضل البراعة السحرية لكاتب جهبذ.[١٠٥] فهل نطمع بمطالبتك بأن تهتم من (صميم) قلبك وأن تأخذ على عاتقك مهمة الذهاب إلى «كوپتوس» لإحضارهما؟»

ولما خرج «ستنى» من المقبرة، ذهب إلى فرعون ونقل إليه كل ما أخبره به «نا-نفر-كا-پتاح». وقال له العاهل الملكى: «اذهب يا «ستنى» إلى «كوپتوس» واحضر معك «أحورع» وابنها «مير إيب».» قال «ستنى»: «أعطنى سفينة فرعون وطاقمها. وركب السفينة وأقلع فى الحال ووصل إلى «كوپتوس»، بلا تأخير. وأبلغ كهنة «إيزيس» (الإلهة) في «كوپتوس» وكبير الكهنة (بوجود)ه. فنزلوا لاستقباله وامسكوه من يده ليصعد إلى (أعلى) الشاطئ.[١٠٦] فصعد حينذاك معهم وتوجه إلى معبد «إيزيس» (الإلهة) فى «كوپتوس» و«حورس-الطفل». وأمر بإحضار عجل وأوزة ونبيذ، وأقام محرقة وسكب ماءً طهوراً أمام «إيزيس» (الإلهة) فى «كوپتوس» و«حورس-الطفل». ثم ذهب إلى جبانة «كوپتوس» فى صحبة كهنة «إيزيس» وكبير الكهنة. وأمضوا ثلاثة أيام وثلاثة ليالٍ، يبحثون وسط المقابر، ويقلبون اللوحات الحجرية الخاصة بكتبة «بيت الحياة» ليقرأوا ما تحمله عن مدونات. ولكنهم لم يتوصلوا إلى المكان الذى كانت ترقد فيه «أحورع» وابنها «مير إيب».

ولما علم «نا-نفر-كا-پتاح» انهم لم يعثروا على المكان الذى كان «أحورع» وابنها «مير إيب» يرقدان فيه، اتخذ هيئة، كاهن شيخ طاعن فى السن وجاء ليلتقى بـ«ستنى». ولما رآه هذا الأخير، قال له: «إن مظهرك هو (مظهر) عجوز. ترى ألا تعرف المكان الذى ترقد فيه «أحورع» وابنها «مير إيب»؟» وأجاب الرجل: «إن جدى الأعلى قد قال: «إن مرقد «أحورع» وابنها «مير إيب» موجود فى الركن الجنوبى من منزل مدير الشرطة، الكاهن....» عندئذ قال «ستنى» للعجوز: «ترى هل ارتكب مدير الشرطة هذا، فعلة سيئة فى حقك، بحيث تسعى الآن إلى هدم منزله؟» ورد العجوز

على «ستنى»: «راقبنى، واعمل على ان يهُدم منزل مدير الشرطة. وإذا لم يعثر على «أحورع» و«مير إيب» تحت الركن الجنوبى للمنزل فلتعاقبونى إذن...» حينئذ جرت مراقبة العجوز ووجدوا بالفعل «أحورع» وابنها «مير إيب» فى الموقع الذى حدده.

عندئذ أمر «ستنى» بنقل الشخصيتين النبيلتين إلى متن السفينة الملكية وأمر بإعادة بناء منزل مدير الشرطة على النحو الذى كان عليه فى السابق.

(ثم أن) «نا-نفر-كا-پتاح» أحاط «ستنى» علماً انه هو الذى كان قد أتى إلى «كوپتوس» ليساعده على العثور على المكان الذى كانت ترقد فيه «أحورع» وابنها «مير إيب». وصعد «ستنى» عندئذ ظهر السفينة الملكية، وأقلع فى اتجاه الشمال، بلا تأخير، ووصل إلى «منف» مع كل من كانوا يرافقونه. ولما تم ابلاغ ذلك إلى فرعون، هبط هذا الأخير، لاستقبال السفينة. وسمح بأن تدفن الشخصيتان النبيلتان فى المقبرة التى (سبق) ان دفن فيها «نا-نفر-كا-پتاح» وأغلق المقبرة التى أصبحوا يرقدون فيها معاً من الآن.

هكذا ينتهى نص قصة «ستنى-خع-إم-واس» و«نا-نفر-كا-پتاح» وزوجته «أحورع» وابنه «مير إيب». لقد كتبه... فى العام الخامس عشر، خلال الشهر الأول من فصل الإنبات.(١٠٧)

هذه المغامرة الأولى من مغامرات «ستنى-خع-إم-واس» و«نا-نفر-كا-پتاح»، تستعيد إلى الأذهان، المواضيع الرئيسية لمغامرات البشر التى عرفتها أزمنة أخرى وحضارات أخرى، فهى مواضيع أزلية.

وبادئ ذى بدء نجد سعى الإنسان وراء المعرفة والأسرار الإلهية فى الكون، فتملكّها بعد الحصول عليها، يجلب إماّ ضياع الفردوس الأصلى، أو كوارث شخصية لا مناص منها. فلا تقبل الآلهة ان تسلب منها ممتلكاتها الخاصة الخفية والتى تخص جوهرها العميق. ومع ذلك فإن الأسطورة المصرية رحيمة: صحيح ان «نا-نفر-كا-پتاح» وأسرته سيفارقون الحياة على الأرض ولكن «ستنى-خع-إم-واس» سيُغفر له إذا أعاد الكتاب المسروق وأودعه فى مكان خفىّ. فى حين مازلنا نعانى فى الغرب من النتائج المفجعة لمعصية حواء. ومن الجدير*

بالملاحظة أيضاً فى مصر ان الرجل (وليس المرأة–التى تظهر هنا متزنة ومتعقلة على غرار «إيزيس») هو الذى يفجر هذه الشرور.

كما أن تجربة الأهواء وضلالها هى التى تستحوذ على الإنسان مثل الشيطان. فإرضاءً لشهوته وافق «ستنى» على قتل ابنائه، فى مشهد مروع، يصعب تحمله. إنه يدمرّ نفسه كما يدمرّ ذريته فى ذات الوقت. كما أن الآلهة لايسعها أيضاً ان تسلّم بأن يختل نظام الكون وينقلب نتيجة قتل كائنات بريئة. وسيعود الصبية إلى الحياة بجوار فرعون–الإله، الذى سيظهر لـ«ستنى» – مجرداً من كل شئ، ولكن بعد أن طردت منه الروح الشريرة–ويسمح له بالولوج إلى عالم التوازن العادل. ان فرعون الإلهى هو ضامن الـ«ماعت»، الحقيقة والعدالة.

كما يضم النص فى حقيقة الأمر مواضيع يبرز طابعها المصرى بشكل أكثر وضوحاً. ونتابع سلسلة من المغامرات التى تجرى فى عالم «شبه شفاف» حيث الملوك والبشر، والأحياء والأموات، يعيشون معاً حياة واحدة، ويتبادلون أطراف الحديث فى يسر وسهولة–إنه عالم يسهل فيه الإنتقال من العالم الأرضي إلى العالم السفلى – والعودة منه – عالم يلتقى فيه الأقارب فى القبور، من أجل حياة أبدية «أسرية» – إنه عالم شاسع بلا حدود. فى هذا العالم الفتّان، بما فيه من تناظرات سحرية، يتحرك أبطال القصة وقد بسطوا فى الغالب سلطانهم على قوى الأرض. ومن هنا، نجد العديد من المواضيع المصرية، وإن كان بعضها معروفاً من قبل:

–إمكانية الفصل بين عناصر الكائن. فى قصة الأخوين «أنوپ» و «باتا».(١٠٨) كان «باتا» يواصل حياة الجسد، رغم انه قد وضع قلبه بصفة مؤقتة داخل زهرة، فى أعلى شجرة صنوبر. وفى هذه الحالة، نجد أن فى وسع الـ«كا»، وهو مخزون الطاقة الحيوية والحركة، الكامنة فى كل فرد، أن يحيا مستقلاً عن الجسد. ومع «فيثاغورث» على ما يظن، سيعود الفكر اليونانى إلى الأخذ بهذه الإمكانية فى الفصل بين العناصر المكونة للإنسان واحتمال إستقلال كلها منها عن الآخر.(١٠٩)

– موضوع تحول مظهر الكائنات métamorphoses : فى وسع الإنسان الحاذق والكاتب المثقف والكاهن العالم أن يتجسدوا فى أى شكل من الأشكال، حياً كان أم

* الإشارة هنا إلى الخطيئة الأولى كما تؤمن بها الكنائس المسيحية ، راجع فى هذا الصدد الفصل الثالث من سفر التكوين من الكتاب المقدس. (المترجم)

غير حى. وهو ذات الهدف من «كتاب الموتى»، هذا السفر العظيم الشأن الشعائر السحرية، الذى يوفر للمتوفى التعاويذ التى تسمح له بتقمص أى مظهر يختاره. ويشبه الأمر العقائد الشامانية الإفريقية، القائلة بأنه فى استطاعة الإنسان ان يتخذ لنفسه على التوالى أشكالاً مختلف.

-رمزية الثعبان الأبدى والحارس المخيف والتى سبق ان التقينا بها فى قصة «الغريق»(١١٠) والتى نجدها أيضاً فى العالم الكلاسيكى القديم. وكما التف الثعبان حول «سفر المعرفة» فإنه سيلتف أيضاً حول الهياكل المنزلية فى جزيرة «ديلوس» ومدينة «پومپى» لحماية أرواح الموتى من أفراد الأسرة. ولكن فى النص السابق، كان فى وسع السحر أن يستحوذ على الثعبان فى زمن لا حدود.

وبالفعل فإننا نعيش من خلال هذه القصة فى عالم «غير معقول» على الإطلاق، عالم يسيطر عليه السحرة. وكان السحرة فى مصر القديمة هم الكتبة والكهنة العارفون بالكلمات وأشكالها ودلالاتها والأقوال السحرية، التى تخلق الواقع الذى تعبّر عنه والتى كانت تعطى لكل «عارف» إمكانية إعادة تشكيل العالم، تماماً كما فعل الإله الخالق أو إمكانية السيطرة عليه.

ب- القصة الثانية: الهبوط إلي مثوي الأموات.

مطلع هذا المخطوط الثانى مفقود. وفى إمكاننا استعادة مضمونه من خلال باقى النص: فإذ لم يُرزق «ستنى-خع-إم-واس» وزوجته «محو سخت» أولاداً، فقد طلبا من الآلهة ان تعطيهما ابناً.(١١١)

... وإذ حدث ذات يوم، أن رأت «محو سخت» حلماً (فى المنام)، رأت من يقول لها: «ألست «محو سخت»، زوجة «ستنى» الذى يرقد (هذه الليلة) فى هذا المعبد لينال الشفاء(١١٢) على يدى الإله؟ عندما يطلع الغد توجهى إلى المكان الذى يستحم فيه

زوجك «ستنى»، وهناك ستجدين بطيخة تنمو فيه. عندئذ ستكسرين ساقاً بما (تحمله) من ثمار وتسحقينها، لتصنعى منها دواءً تضيفينه إلى الماء وتشربين. وخلال نفس هذه الليلة، ستحملين من زوجك طفلاً.»

وأفاقت «محو سخت» من المنام الذى رأت خلاله هذه الأمور. ونفذّت كل ما قيل لها فى الحلم. ونامت بجوار زوجها «ستنى»، وحملت منه طفلاً. وبالفعل، لما حل وقت تطهرها،(١١٣) لاحظت ان علامات المرأة الحامل قد ظهرت عليها . أما «ستني» الذي كان قلبه سعيداً جداً جداً، فقد قام في الحال ليبلغ فرعون النبأ. ثم وضع تميمة (فوق زوجته) وقرأ تعويذة سحرية.

وذات ليلة، بينما كان «ستنى» نائماً. رأى من يحدثه فى المنام قائلاً: «لقد حملت «محو سخت» منك طفلاً. والغلام الذى سيولد سيسمّى «سا-أوزير»(١١٤) والمعجزات التى سيصنعها فى مصر ستكون كثيرة.» أفاق «ستنى» من الحلم الذى رأى خلاله كل هذه الأمور وصار قلبه (من جديد) سعيداً جداً جداً. وبعد أن أتمت «محو سخت» شهور حملها، آن أوان ولادتها. فوضعت مولوداً ذكراً. وبمجرد أن أُبلغ «ستنى» بذلك أسماه «سا-أوزير»، حسبما قيل له فى المنام... وهدهده (القوم) وأرضعوه.

ولما بلغ الطفل «سا - أوزير» السنة الأولى من عمره، كان يقال عنه منذ ذلك الوقت: : «بل إنه بلغ السنتين!» وعندما بلغ السنتين، كان يقال: «بل الثلاث سنوات!» وكان «ستنى» لا يترك ساعة تمر دون أن يأتى ليراه، لأنه كان يكن له حباً عظيماً، يفوق كل شئ. ولماّ شب الطفل وترعرع واشتد عوده، ألحق بالمدرسة. وكان بعد فترة قصيرة، يعرف كل شئ أفضل من الكاتب الذى كُلّف بتعليمه. عندئذ بدأ الصبى «سا-أوزير» يُلقى، عن ظهر قلب، النصوص المقدسة على كتبة «بيت الحياة»، فى معبد «پتاح».(١١٥) وكل من كانوا يستمعون إليه كانوا يعتبرونه بمثابة معجزة البلاد. وكان «ستنى» يرغب رغبة شديدة فى أن توجه إليه الدعوة، عند إقامة وليمة بحضور فرعون وأن يواجه كافة حكماء مصر.

وذات يوم كان «ستنى» يتطهر استعداداً لوليمة حسب عادة منزله، وليمة كان سيحضرها فى صحبته الصبى «سا - أوزير». فى هذه اللحظة، سمع «ستنى» جلبة مناحات جنائزية. فأطلّ من نافذة منزله فشاهد «تابوت» رجل ثرى ينقلونه إلى الجبانة، ترافقه صيحات حزن عالية جداً، مع بالغ التكريم... ومرة أخرى، بينما كان

يطلّ من النافذة، شاهد (جثمان) رجل فقير، ينقل إلى الصحراء، وهو مدثر في حصيرة متواضعة، وكان بمفرده، لا يرافقه أحد. عندئذ قال «ستنى»: «قسماً بـ«پتاح»، الإله العظيم، فما أسعد الإنسان الثرى، إنه يُدفن وسط مناحات مدوية، فهو أسعد من الفقير الذى ينقل إلى الصحراء بكل بساطة!» ولكن الصبى «سا - أوزير» قال لوالده: «عسى أن يحدث لك فى عالم الأموات نفس ما حدث لهذا الرجل الفقير! وعسى ألا يحدث لك ما سوف يحدث للرجل الثرى فى عالم الأموات!» وعندما سمع «ستنى» كلمات «سا - أوزير» تولاّه حزن شديد وقال: «هل الصوت الذى اسمعه هو صوت ابنى؟» وعليه فقد أجاب الصبى «سا - أوزير» قائلاً: «متى رغبت فى ذلك، فسوف أريك الرجل الفقير الذى لم يبكه أحد والرجل الثرى الذى اقيمت من أجله المناحات الجنائزية.» وقال «ستنى»: «وكيف لك أن تفعل ذلك؟»

عندئذ أمسك «سا - أوزير» بيد أبيه وصحبه إلى موقع فى صحراء الغرب لم يكن «ستنى» يعرفه. وعثرا على مبنىً يضم سبع قاعات فسيحة، مزدحمة بالناس. وولجا إلى القاعة الأولى وعثرا ... وعندما دخالاً القاعة الرابعة،[116] شاهد «ستنى» رجالاً إنهمكوا فى جَدْل الحبال، بينما كانت الحمير من خلفهم تمزقها لتاكلها. وكان هناك غيرهم من الناس علق فوقهم زادهم من ماء وخبز. كلما أرادوا أن يمسكوا به وانزاله، كان آخرون يحفرون حفراً تحت أقدامهم للحيلولة دون وصولهم (إلى مرادهم).

ودخلا القاعة الخامسة وشاهد «ستنى» الأرواح[117] البهية واقفة حسب مكانة (كل) منها. ولكن من كانت متهمة بأفعال سيئة، كانت تقف عند الباب، متوسلة. وكان محور الباب مثبتاً فى العين اليمنى لرجل كان يتوسّل ويتأوه بشدة.

ثم دخل «ستنى» وابنه القاعة السادسة وشاهد «ستنى» الآلهة التابعة لمحكمة سكان عالم الأموات والتى كانت تقف حسب مكانة كل منها، فى حين كان خدم العالم الآخر يقفون وهم يحملون (قائمة) الإتهامات.

ثم ولجا إلى القاعة السابعة، فكان فى وسع «ستنى» أن يتأمل الهيئة الخفية للإله العظيم «أوزيريس»، المتربع على عرش من الذهب الخالص والمتوج (بتاج) «الأتف».[118] وعن يساره كان (يقف) الإله العظيم، «أنوبيس»، وعن يمينه الإله العظيم، «تحوت». والآلهة التى تشكل محكمة سكان عالم الأموات، كانت تقف (على

الجانبين) على اليسار وعلى اليمين. وكان الميزان قائماً أمامهم وسط (القاعة). وكانوا يزنون السيئات فى مقابل الحسنات. والإله العظيم، «تحوت» يمسك سجلاً بها، بينما يبلغ «أنوبيس» زميله. والإنسان الذى وجدت سيئاته أكثر من حسناتّه كان يُسلّم للـ«ملتهمة»(١١٩) التابعة لسيد الآخرة. فينتزع «با»ؤه(١٢٠) من جسده، إلى الأبد، ولايُسمح له على الإطلاق أن يتنفس. أما من وجدت حسناته أكثر من سيئاته، فكان يقبل فى عداد الآلهة التى تشكل محكمة سيد الآخرة، فى حين يصعد «با»ؤه إلى السماء فى صحبة الأرواح البهية. أما من وجد أنه قد أتى بنفس القدر من الحسنات والسيئات، فكان يوضع مع الأرواح المُطَوّبة التى تخدم الإله «سوكر - أوزيريس».(١٢١)

ثم شاهد «ستنى» رجلاً مهيب الطلعة، يرتدى ثوباً من أرقّ (أنواع) الكتان الملكى، وكان يقف بجوار «أوزيريس». وهكذا كان يحتلّ مكانة رفيعة جداً. وكان «ستنى» فى قمة الدهشة من جراء كل ما كان يشاهده فى عالم الآخرة. وذهب «سا - أوزير» لملاقاة هذا الرجل وقال: «يا «ستنى»، يا أبتاه، أترى هذا الرجل، المهيب الطلعة، الذى يرتدى ثوباً من أرق (أنواع) الكتان الملكى، ويقف بجوار «أوزيريس»؟ إنه الرجل الفقير الذى كانوا ينقلونه خارج «منف» دون أن يرافقه أحد. وكان مدثراً فى حصيرة متواضعة. وعندما وصل إلى عالم الآخرة وزنوا سيئاته فى مقابل الحسنات التى فعلها على الأرض، فلا حظوا أن حسناته أكثر من سيئاته بالنظر إلى مدة حياته كما حددها له «تحوت» كتابة، عند ميلاده، وبالمقارنة مع ثروته على الأرض. ومن ثم أمر «أوزيريس» أن يعطى لهذا الرجل الفقير المتاع الجنائزى الذى يخص الرجل الذى شاهدته ينقلونه من «منف» وسط نحيب مدو، وأن يأخذ مكانه وسط الأرواح البهية، كرجل من رجال الإله وخادم لـ «سوكر - أوزيريس»، على أن يستقر قرب المكان الذى يقيم فيه «أوزيريس».

أما بالنسبة لهذا الرجل الثرى الذى شاهدته، فلما وصل إلى العالم الآخر، فقد قاموا أيضاً بوزن سيئاته فى مقابل حسناته، ولاحظوا أن سيئاته أكثر من الحسنات التى فعلها على الأرض. فصدرت الأوامر بأن يسجن فى الآخرة. وهو (الآن) الرجل الذى ثبّت محور باب عالم الآخرة فى عينه اليمنى، بحيث يفتح وينغلق على عينه، بينما يبقى فاغر الفم يئن أنآت مدوية. قسما بـ «أوزيريس» الإله العظيم، فعندما أخبرتك على الأرض: «عسى أن يحدث لك ما سيحدث لهذا الرجل الفقير، وعسى ألاّ

يحدث لك ما سوف يحدث للرجل الثرى، فقد كنت أعلم ما سوف يحدث له.»

عندئذ قال «ستنى»: «يا «سا ـ أوزير»، يابنىّ، ان ما شاهدته من أمور عجيبة، فى عالم الآخرة كثير. والآن اسمح لى أن أفهم ما يحدث لهؤلاء الذين رأيتهم يجدلون الحبال، فى حين كانت الحمير تمضغها من خلفهم. وهؤلاء الذين كانوا يحاولون (دون جدوى) أن يصلوا إلى مؤن الماء والخبز المعلقة فوقهم، فى حين كان آخرون يحفرون الحفر تحت أقدامهم ليمنعوهم من تناولها.». وأجاب «سا ـ أوزير»: «فى الحقيقة، يا «ستنى»، يا أبتى، ان هؤلاء الأشخاص الذين رأيتهم يجدلون الحبال التى كانت الحمير تلتهمها من خلفهم، هم أشخاص حلّت بهم لعنة إلهية لما كانوا على الأرض. هكذا كانوا يعملون ليل نهار، من أجل معيشتهم فى حين كانت نساؤهم يسرقنهم من وراء ظهرهم (ولهذا السبب) كانوا لا يجدون خبزاً لطعامهم. ولما وصلوا إلى عالم الآخرة، تأكد أن سيئاتهم أكثر من حسناتهم. ومن ثم صدرت الأوامر، ليظل يحدث لهم فى عالم الآخرة، ما كان يحدث لهم على الأرض. وحدث شئ مماثل لهؤلاء الذين شاهدتهم يحاولون (دون جدوى) أن يصلوا إلى زاد الماء والخبز، المعلق فوق رؤوسهم، فى حين كان آخرون يحفرون حفراً تحت أقدامهم لمنعهم من الإمساك بها. هؤلاء هم قوم، كانت سنوات حياتهم أمامهم، وهم على الأرض، ولكن كانت الآلهة تحفر حفرةً تحت أقدامهم فتحول دون استفادتهم منها. وعندما وصلوا إلى عالم الآخرة، ظل يحدث لهم ما حدث لهم على الأرض. ولكن «با»اتهم كانت قد قبلت فى العالم السفلى.

اعرف هذا فى قلبك، يا أبتى «ستنى»: «من هو خيرٌ على الأرض، سيعامل أيضاً معاملة خيرّة، فى العالم الآخر. ولكن من هو شرير على الأرض، سيعامل إلى الأبد معاملة شريرة. وهذا هو الوضع القائم الذى سيدوم للزمن اللانهائى. وما رأيته من أمور فى العالم الآخر للمنطقة المنفية، يحدث (أيضاً) فى الأقاليم الإثنين والأربعين، التى بها قضاة «أوزيريس»، الإله العظيم...»[١٢١]

هكذا انتهى الخطاب الذى القاه «سا ـ أوزير» من أجل أبيه «ستنى». وهبطا من جديد من صحراء منف، وكان أبوه «ستنى» يحتضنه، ويسيران يداً فى يد. واستفسر «ستنى» قائلاً: «يا «سا ـ أوزير»، يا بنىّ، هل يختلف الطريق الذى نسلكه عند الهبوط عن الذى سلكناه عند الصعود؟» ولكن «سا ـ أوزير»، لم ينبس بكلمة واحدة.

وكان «ستنى» فى غاية الدهشة من أمره، من جراء هذه التجربة التى عايشها. وكان يدور فى خلده (ما يلى): «سيكون فى وسعى[١٢٣] أن أكون أحد هذه الأرواح البهية وأن أكون خادم الإله، ويمكننى أن اصطحبه قائلاً: «هذا هو ابنى!»

وبعد ذلك تلا «ستنى» تعويذة من الكتاب لطرد الأرواح، وكان لا يزال هائماً فيما رآه من عجب فى العالم الآخر. وكانت هذه الأمور ترزخ بثقلها على قلبه، فما كان فى وسعه أن يحكيها لكائن من كان على وجه الأرض.

مصر موجودة فى قلب الفكر القديم، إنها بوتقته الرئيسية.

ولا ريب، أن موضوع الهبوط إلى مثوى الأموات، ليس موضوعاً فريداً. ولكن التجارب التى مرّ بها «ستنى - خع - إم واس»، فى صحبة ابنه الساحر، كان لها تفريعات متنوعة. ومن الواضح ان هذه الخرافات وهذه الرموز ذات أصول مصرية: فبادئ ذى بدء، نلاحظ وجود محكمة «أوزيريس» فى القاعة السابعة من قاعات مثوى الأموات - وهو معتقد يرجع إلى أكثر من ألفى سنة - إنها عملية إلهية لوزن القلب تتحكم فيها أكثر الموازين عدالة وإنصافاً. إن قصة الفقير الخيرّ والثرى الشرير، وهى من أمثلة العهد الجديد (قصة «لعازر» - فى إنجيل لوقا - الإصحاح السادس عشر: ١٩ - ٢٦) هى فكرة شائعة فى مصر منذ أقدم العصور. وقد سبق أن وردت فى حكم «بتاح حوتب»[١٢٤] (عام ٢٤٠٠ق.م تقريباً). وتسير جنباً إلى جنب مع ولع المصرى القديم بالحقيقة والعدالة وهو الولع الذى يشكل جزءاً لا يتجزأ من عقليته. وهكذا نطالع فى حكم «أمنموبى» (وترجع إلى ألف سنة قبل الميلاد): «لا تقبل هدية من إنسان قوى لتحرم رجلاً ضعيفاً من الإحترام الذى يستحقه. إن الحق والعدل هبة من الله... أنقذ المحتاج ممن ينغص عليه حياته.» - «ثناء الناس وحبهم أفضل بكثير من الثروة التى تملأ الأهراء. والخبز الذى يأكله المرء وقلبه مفعم بالسعادة أفضل من بحبوحة يعيشها المرء فى عزلة. إن الإله يفضل فضيلة الإنسان البار على ثور الإنسان الشرير.»

لقد أثرت هذه الحكم المصرية القديمة تأثيراً عميقاً فى أسفار الحِكَم فى الكتاب

المقدس ولا سيما سفر الأمثال بالأضافة إلى أناجيل العهد الجديد. كما يسمح لنا النص أحياناً أن نفهم أصل أسطورة من الأساطير الكلاسيكية: فنذكر على سبيل المثال أسطورة صاحب الحبال «أوكنوس» وهو شخصية رمزية كان يصور فى مثوى الأموات وهو يجدل حبلاً كانت أتان (أنثى الحمار) تلتهمه أولاً بأول - وانتشر تأويل يفسر هذا الرمز علي أن «أوكنوس» كان رجلاً محباً للعمل، ولكنه تزوج من امرأة مبذرة.(١٢٥) والخرافة المصرية مماثلة تقريباً، تفسر بوضوح تام هذا الرمز وشروحه التى تعود إلى العصر الكلاسيكى القديم.*

*أما «تنتالوس»،** فإن موقفه قريب الشبه من الأشخاص الملعونين الذين لايستطيعون أن يشربوا أو يأكلوا رغم أن الأطعمة التى يريدونها هى على مقربة منهم.*

ان موضوع الكائنات التى لعنها الإله منذ ميلادها، ليشدّ اهتمامنا، وهو ما يؤكد وجود قدر مكتوب لكل كائن، ياتى معه عند ولادته فى الدنيا، وحسب ما لديه من معارف سحرية سيكون فى وسعه أن يقاومه أو لا يستطيع .

جـ ـ القصة الثالثة: حرب السحرة.

ولما بلغ الصبى «سا ـ أوزير» الثانية عشرة من عمره،(١٢٦) كان يتصرف بحيث لم يكن فى وسع كائن من كان من الكتبة أو الشخصيات النبيلة فى منف أنا يقارن به فى (فن) القراءة أو كتابة التعويذات السحرية.

---

* تتكون أسفار الحكَم فى العهد القديم من الكتاب المقدس من خمسة أسفار هى : سفر أيوب – وسفر الأمثال – وسفر الجامعة – وسفر الحكمة – وسفر يشوع بن سيراخ. (المترجم)

* ملك «ليديا»، عاقبته الآلهة على ما ارتكبه من شرور، بأن يبقى إلى الأبد فريسة عطش وجوع لا يمكن اشباعهما، رغم ان الماء والطعام فى متناول يده. (المترجم)

وحدث ذات يوم أن جاء الفرعون «أوسر.ماعت.رع» إلى قاعة القصر فى «منف»، وكان مجلس الأشراف منعقداً وقواد الجيش وأعيان مصر يقفون فيه، كل حسب مكانته. وتقدم آنذاك أحدهم وقال لجلالته: «هناك رسالة مبلغة من زعيم نوبى وهى (مدونة) فى خطاب مربوط على جسده.» عندئذ أُدخل الزعيم النوبى (ليمثل) بين يدى فرعون. وعندما دخل إلى البلاط، قدم (تحية) إجلال وقال: «أيوجد من هو قادر على قراءة هذا الخطاب الذى جئت به إلى مصر أمام فرعون، دون أن يفض خاتمه، أى من فى وسعه أن يقرأ النص الذى يحتويه دون فتحه؟ وإذا كان لا يوجد كاتب حاذق أو انسان عالم فى إمكانه أن يقرأ (هذا الخطاب) دون فتحه، فسوف أبلغ خزى مصر إلى وطنى، بلاد النوبة»

وعندما استمع فرعون وأعيان (البلاط)، إلى ذلك، باتوا لا يدرون فى أى مكان من الأرض كانوا يقفون. وقالوا: «بحق «پتاح» الإله العظيم، هل فى وسع أفضل الكتبة أو أى إنسان (على قدر كبير من العلم ان يقرأ خطاباً لا يرى منه سوى خارجه؟ هل فى الإمكان قراءة خطاب دون فتحه؟ وتحدث فرعون آنذاك قائلاً: «فلتأتوا بابنى، «ستنى - خع إم واس»، واسرعوا واحضروه فى الحال. انحنى «ستنى» حتى الأرض وحىّ فرعون. وبعد أن نهض وقف على قدميه لينطق به بعبارة التعبد لفرعون. وقال له هذا الأخير: «يابنىّ «ستنى»، أسمعت الكلمات التى قالها أمامى هذا الزعيم النوبى: أيوجد فى مصر كاتب كفء أو رجل علامة فى مقدوره أن يقرأ هذا الخطاب الذى أمسك به فى يدى، دون أن يفض الختم، وان يتعرف علي ما يحتويه دون أن يفتحه؟» وعندما سمع «ستنى» هذه الكلمات، لم يدر فى أى مكان على سطح الأرض كان يقف وقال: «يا سيدى الشديد البأس من فى استطاعته ان يقرأ خطاباً دون أن يفتحه؟ ومع ذلك، امهلونى فترة عشرة أيام، ابحث خلالها عما عسانى أفعله للحيلولة دون إبلاغ خزى مصر إلى بلاد النوبة، وطن أكلة الصمغ.» قال فرعون: «اننا نوافقك على ذلك، يابنى يا ستنى.»

وخصصت للنوبى حجرات، طوال (فتره) إقامته، وأُعدت له القاذورات على عادة أهل النوبة.(١٢٧) ونهض فرعون تاركاًالبلاط، وقلبه مفعم بالأسى، ونام دون أن يشرب أو يأكل. وعاد «ستنى» إلى منزله، دون أن يدرى أين هو ذاهب على الأرض، وتدثر فى ملابسه من (قمة) رأسه إلى (أخمص) قدميه وخلد إلى النوم دون أن يدرى أين

يقف على سطح الأرض. وعندما علمت زوجته «محو سخت» بذلك، جاءت إلى حيث يوجد «ستنى». ودسّت يدها داخل ملابسه فلم تشعر بأية حرارة، فكان راقداً، بلا حركة. فقالت له: «يا أخى «ستنى»، صدرك لا حرارة فيه، وبذلك لا حياة فيه، ولكن ليس ما فى قلبك، حزن وأسى، فحسب.» قال لها: «دعينى وشأنى، يا أختى «محو سخت»، ان السبب الذى يؤلم قلبى ليس بالأمر الذى يمكن البوح به لامرأة.»

وهنا، دخل الصبى «سا - أوزير» ووقف أمام أبيه «ستنى» وقال له: «ستنى»، يا أبى، لماذا ترقد وقلبك حزين. أخبرنى، بما تخفيه فى قلبك من أمور، لأتمكن من طردها.» قال ستنى: «دعنى وشأنى، يابنىّ «سا - أوزير» فما زلت شاباً، حدثاً، لـ(تنصت) لما فى قلبى، فليس لك من العمر ما يؤهلك لمجرد أن تحفل بذلك.» ولكن «سا - أوزير» أجاب قائلاً: «أخبرنى بهذه الأمور، لأهون على قلبك.» وقال «ستنى»: يا بنى «سا - أوزير»، لقد نزل زعيم نوبى(١٢٨) إلى مصر ومعه خطاب مختوم، (مثبت) على جسده. وتكلم قائلاً: «أيوجد من هو قادر على قراءة هذا الخطاب دون أن يفتحه؟ وإن كان لا يوجد كاتب كفء أو إنسان عالم فى امكانه ان يقرأه هكذا، فسوف أبلغ إذن خزى مصر إلى بلاد النوبة، وطنى». ولذا، فانى ارقد، لأن قلبى يعتصره الأسى، بسبب ذلك، يابنى «سا - أوزير».» لما سمع هذا الأخير هذه الكلمات، ضحك لفترة طويلة «ستنى»: «ترى لم تضحك إذن؟» - «سا - أوزير»: «إنى أضحك، لأنك ترقد، حزين القلب لأمر بهذه البساطة. انهض، يا أبى «ستنى»! ففى وسعى فى الحال أن أقرأ الخطاب الوارد إلى مصر، دون فتحه وأعرف النص المكتوب الذى يحتويه، دون فض الختم!»

ولما سمع «ستنى» هذه الكلمات، نهض فى لحظة واحدة وقال: «ما برهانك على هذه الأقوال، يابنى «سا - أوزير»؟» فأجاب هذا الأخير: «يا أبى «ستنى»، إذهب إلى حجرات الطابق السفلى من منزلك. وكل كتاب تخرجه من صندوقه(١٢٩) سوف يكون فى وسعى ان أخبرك مضمونه، وفى استطاعتى ان اقرأه دون أن أراه، وأنا واقف فوق حجرات الطابق السفلى.» نهض «ستنى» على قدميه وفعل حسبما قال له «سا - أوزير». وتمكن «سا - أوزير» من قراءة كل الكتب التى كان يضعها «ستنى» أمامه ودون أن يفتحها. وعلى صعد «ستنى» من حجرات الطابق السفلى لمنزله وهو فى غاية الإبتهاج وهمّ مسرعاً فتوجه إلى مكان إقامة فرعون، ونقل إليه بالكامل حديث

«سا ـ أوزير» معه، وكان قلبه مفعماً بالسعادة من جراء ذلك. وفى الحال تطهّر فرعون للإعداد لوليمة مع «ستنى»، وقد دعا إليها أيضاً «سا ـ أوزير».

ومع طلوع صباح اليوم التالى، ظهر فرعون فى بلاطه وسط أعيانه. وطلب ان يستدعى الزعيم النوبى الذى دخل ومعه الخطاب المختوم (مثبتاً) على جسده. ووقف وسط البلاط. وعلى ذلك، سار الصبى «سا ـ أوزير» أيضا إلى هذا المكان، وأخذ مكانه على مقربة من الزعيم النوبى ووجه إليه هذه الكلمات: «الويل (لك)، أيها النوبى الحقير، الذى يتعين على الإله «آمون» ان ينزل به العقاب! انت يا من نزلت إلى مصر، حديقة «أوزيريس» الجميلة، مكان الراحة لـ «رع ـ حور آختى»، الأفق الجميل «للقدر السعيد»، وكان قصدك هو: سأبلغ خزى مصر إلى بلاد النوبة. لينزل غضب إلهك «آمون»[١٣٠] بك العقاب! ان الكلمات التى سأقولها الآن هى بالفعل تلك المدونة فى الخطاب. ولا تتحدث بالكذب حول هذا الموضوع فى حضرة فرعون، سيدك!» وعندما شاهد الزعيم النوبى الصبى «سا ـ أوزير»، واقفاً فى البلاط، أحنى رأسه حتى الأرض وقال: «لن أتحدث البتة بالكذب بشأن ما ستنطق به من أقوال.»

هنا تبدأ القصة التى سردها «سا ـ أوزير» فى حضور فرعون وأعيانه، فى حين كان شعب مصر يستمع لصوته. وقال: «إليكم ما هو مكتوب فى خطاب الزعيم النوبى الذى يقف هنا وسط (البلاط):

يحكي أنه، فى يوم من أيام، زمن الفرعون «منخ ـ پا ـ رع»،[١٣١] ابن آمون، الذى كان ملكاً مباركاً علي البلاد بأسرها،[١٣٢] فكانت مصر في عهده تفيض بالخيرات. كان كريماً فى منح الهدايا، مقداماً إلى أبعد الحدود فيما يتعلق بالأعمال (الجارية) فى معابد البلاد. وحدث ذات يوم، لما كان حاكم بلاد النوبة يستريح فى جوسق (قائم) فى حدائق «آمون»، حدث آنذاك، ان سمع أصوات ثلاثة زعماء نوبيين صادرة من منزل يقع إلى الوراء. كان أحدهم يتحدث بصوت مرتفع ومن جملة ما قاله ما يلى: «لو لم أخَف ان يأخذ علىّ «آمون» بعض المثالب وأن ينفذ سيد مصر ضدى شيئاً بشعاً لسلطّت على مصر أعمالى السحرية، وأفعل ما أفعل بحيث يمضى شعب هذا البلد ثلاثة أيام وثلاث ليال دون أن يرى ضوءاً غير ضوء المسارج.» ومن جملة ما قاله زعيم نوبى آخر، الكلمات التالية: «لو لم أخف أن ينزل بى «آمون» نكبة وان ينفذ

سيد مصر ضدى شيئاً بشعاً لسلطت على مصر أعمالى السحرية وفعلت ما أفعل بحيث يتم إحضار فرعون إلى بلاد النوبة. وعلى ذلك سآمر بأن يضرب علناً بالسوط خمسمائة سوط، فى حضور الحاكم، ثم آمر بعودته - وكل ذلك فى ظرف ست ساعات.» ومن جملة ما قاله الزعيم النوبى الثالث، ما يلى: «لو لم أخف أن يأخذ علىّ «آمون» بعض المثالب وان ينفذ سيد مصر ضدى شيئاً بشعاً، لسلطت على مصر أعمالى السحرية، وأفعل ما أفعل بحيث تظل البلاد جدباء لمدة ثلاث سنوات.»

وعندما بلغ حاكم النوبة الخطابات التى ألقاها الزعماء النوبيون الثلاثة، أمرهم بالمثول بين يديه وقال لهم: «من (منكم) قال: «سأسلط على أهل مصر أعمالى السحرية ولن أسمح لهم لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ان يروا الضوء؟ وأجابوا قائلين: «إنه «حورس» بن «ساو».» ثم استطرد قائلاً: من (منكم) قال: سأسلط على مصر أعمالى السحرية وأفعل ما أفعل بحيث يتم إحضار فرعون إلى بلاد النوبة. وعلي ذلك سآمر بأن يضرب علناً بالسوط خمسمائة سوط، فى حضور الحاكم، ثم آمر بعودته إلى مصر، وكل ذلك فى ظرف ست ساعات؟» فاجابوا قائلين: «إنه «حورس» بن «نوبية» واستفسر الحاكم قائلاً: «من (منكم) قال: «سأسلط على مصر أعمالى السحرية وأفعل ما أفعل بحيث تظل البلاد جدباء لمدة ثلاث سنوات؟» وقالوا: «إنه «حورس»، ابن الأميرة».(١٣٢) وعلى ذلك فقد وجه الحاكم الحديث إلى «حورس - بن - نوبية»: «قل إذن تعويذتك السحرية. وحياة «آمون»، ثور «مروى»،(١٣٤) يا إلهي، لو توّج عمل يديك بالنجاح، لفعلت من أجلك الكثير من الأشياء الطيبة. عندئذ شكل «حورس - بن - نوبية» من الشمع محفة مزودة بأربعة حمالين. وقرأ عليهم تعويذة سحرية، ومنحهم النسمة وأحياهم. ثم اصدر إليهم الأوامر التالية: «سوف تتوجهون إلى مصر، لتأتوا بفرعون وترافقوه إلى حيث يوجد الحاكم. وعندئذ، وفى حضور هذا الأخير، سيُضرب فرعون علناً بالسوط خمسمائة سوط، ثم تعودون إلى مصر - وكل ذلك فى ظرف ست ساعات. وأجابوا: بالتأكيد، ولن نغفل شيئاً.»

وطارت مخلوقات النوبى السحرية ليلاً إلى مصر واختطفت الفرعون «منخ - پا - رع»، ابن آمون، وأقتادته إلى بلاد النوبة إلى حيث كان يوجد الحاكم. وضربوه علنا بالسوط فى حضور هذا الأخير خمسمائة سوط. ثم اقتادته إلى مصر، وكل ذلك فى ظرف ست ساعات.»

تلك هى الأحداث التى رواها «سا ـ أوزير» أمام الجمهور، فى حضور فرعون وأعيانه، فى حين كان شعب مصر يستمع لصوته. وقال أيضاً: «عسى غضب «آمون»، إلهك، ان ينزل بك ـ العقاب! أليست الكلمات التى نطقت بها هى تلك المكتوبة فى الخطاب الذى بين يدك؟» وأجاب الزعيم النوبى قائلاً: «واصل القراءة. إن ما قلته من كلمات مطابق (لتلك التى بالخطاب). وعلى ذلك، استطرد «سا ـ أوزير» فى حضور فرعون:

«وبعد أن قام سحرة النوبة بإعادة فرعون، ابن آمون، إلى مصر، كان ظهره يحمل آثار جروح غائرة. ورقد فى حجرة معتمة (من حجرات) القصر، وقد جُلد ظهره. وعندما انبلج صبح اليوم التالى، قال فرعون لرجال البلاط: «ماذا حدث فى مصر، بينما (استبقيت) أنا بعيداً عنها؟ وإذ خجلوا من الفكرة (التى اختمرت) فى قلبهم: لقد فقد فرعون رشده، فأجابوا قائلين: بالعافية! بالعافية! أيها الفرعون، ياسيدنا الشديد البأس. إن «إيزيس»، الإلهة العظيمة، ستطرد آلامك. ما هو إذن معنى الكلمات التى ذكرتها لنا، يا فرعون، ياسيدنا الشديد البأس؟ انت ترقد فى حجرة معتمة (من حجرات) القصر والآلهة تحميك. وعلى ذلك فقد نهض فرعون وجعل رجال البلاط يرون ما يحمله ظهره من آثار جروح غائرة وقال: وحق «بتاح» الإله العظيم، هناك من اصطحبنى أثناء الليل إلى بلاد النوبة. وهناك فى حضور الحاكم، ضربونى علناً بالسوط خمسمائة سوط ثم اعادونى إلى مصر ـ وكل ذلك فى ظرف ست ساعات. وعندما رأوا آثار الجلد على ظهر فرعون، فتحوا فاههم واطلقوا صرخات أنين مدوية.

عندئذ استدعى «منخ ـ پا ـ رع»، ابن «آمون»، ساحراً يدعى «حورس ـ بن ـ پا ـ نسحى»،(١٣٥) وهو رجل علامة. وحضر إلى جانب فرعون، وأطلق صرخة مدوية، وقال: «ياسيدى الشديد البأس، إنها الأعمال السحرية للنوبيين. وحياة... لسوف.... واستطرد فرعون قائلاً: تصرف بسرعة من أجلى، ولا تسمح بأن يصطحبونى إلى بلاد النوبة، خلال ليلة أخرى. وعلى جناح السرعة، عاده الساحر «حورس ـ بن ـ پا نسحى» إلى جوار فرعون ممسكاً كتبه وتمائمه. وقرأ تعويذة (سحرية) وثبت عليه

تميمة للحيلولة بشكل قاطع دون تسلط سحرة النوبة عليه. ثم ابتعد عن فرعون، وأخذ معه الموائد المقدسة للنار وأوانى الماء الطهور وصعد على متن سفينة واتجه مسرعاً إلى «هرموبوليس». وهناك توجه إلى معبد المدينة، وقدّم للإله «تحوت» قرابينه وماءه الطهور - (قدمها للإله) «تحوت»، العظيم ثمانى مرات،(١٣٦) («تحوت») سيد «هرموبوليس»، الإله العظيم. وتلا صلاة فى حضرته، قائلاً بصوت مرتفع: حوّل وجهك إلىّ، أيا سيدى «تحوت»! لا تسمح ان يبلغ النوبيون خزى مصر إلى بلادهم! فإنت هو الذى خلقت التعويذات السحرية. انت الذى رفعت السماء، وأسست الأرض، وعالم الآخرة واقمت الآلهة ومحاريبها فى محل إقامتها. يا (أنت)، اسمح ان (أحصل على) المعرفة (الضرورية) لحماية فرعون من هؤلاء السحرة النوبيين!

واستراح «حورس - بن - پا نسحى» فى المعبد. فى هذه الليلة، رأى حلماً، ومن خلاله تحدث إليه طيف الإله العظيم تحوت قائلاً: أأنت حقًا«حورس - بن - پا نسحى»، ساحر الفرعون «منخ - پا - رع»، ابن «آمون»؟ ومع بزوغ صباح اليوم التالى، سوف تتوجه إلى مكتبة معبد «هرموبوليس». فتجد فيها صندوقاً مغلقاً ومختوماً. افتحه! وستجد داخل هذا الصندوق، صندوقاً صغيراً يحتوى على لفافة بردى، كتبت عليه. أنا شخصاً بخط يدى. اخرجها، وانسخ من النص نسخة ثم أعد اللفافة إلى مكانها. إن اسمه هو «كتاب السحر». لقد حمانى من الطوالع الإلهية (النحس)، كما سيحمى فرعون من هؤلاء السحرة النوبيين.

ولما أفاق «حورس - بن - پا- نسحى» من الحلم الذى رأى خلاله هذه الأمور، ادرك أن ما حدث له كان مرسلاً إليه من الإله. وعلى ذلك، تصرف وفقاً لكل كلمة من الكلمات التى أوحيت إليه فى الحلم. وهم مسرعاً إلى حضرة فرعون. وحماه بواسطة رقية مكتوبة. ومع طلوع اليوم الثانى، عادت ليلاً إلى مصر مخلوقات «حورس - بن - نوبية السحرية»، إلى حيث يوجد فرعون. ولكنها اضطرت ان تعود للتو إلى جوار الحاكم. فلم يعد فى مقدورها أن تؤكد تسلطها على فرعون، بسبب تمائم الحماية التى ثبتها عليه الساحر «حورس - بن - پا- نسحى». وفى صباح اليوم التالى، روى فرعون لهذا الأخير كل ما كان قد رآه أثناء الليل، وكيف اضطرت المخلوقات السحرية للنوبيين ان ترحل، بعد ان استحال عليها ان تؤكد تسلطها عليه.

وعلى ذلك، أمر «حورس - بن - پا نسحى» بإحضار كمية كبيرة من الشمع النقى.

وشكل محفة وأربعة حمالين. وتلا عليها تعويذة، ومنحهم النسمة وأحياهم. ثم اصدر لهم الأوامر التالية: «اذهبوا هذه الليلة إلى بلاد النوبة. وتعودون منها ومعكم الحاكم وتذهبون به إلى حيث يوجد فرعون. وعندئذ سيضرب علنا بالسوط خمسمائة سوط في حضور هذا الأخير. ثم تعودون إلى النوبة - وكل ذلك فى ظرف ست ساعات.»

تلك هى الأحداث التى رواها «سا - أوزير» علنا، فى حضور فرعون وأعيانه، فى حين كان شعب مصر يستمع لصوته. وقال أيضاً: «عسى غضب آمون، إلهك، ينزل بك العقاب، أيها النوبى الشقى. أليست الكلمات التى نطقت بها هى تلك المكتوبة فى الخطاب الذى بين يديك؟» وأجاب النوبى، مطأطئاً رأسه حتي الأرض :واصل القراءة. إن كل ما قلته من كلمات مدونة بالفعل فى هذا االخطاب.» ومع ذلك فقد واصل «سا - أوزير» قائلاً:

فى أعقاب هذه الأحداث وبمجرد عودة الحاكم إلى بلاد النوبة، فى ظرف ست ساعات، وضع فى مكانه وظل راقداً هناك. ولما طلع النهار نهض مصاباً بإصابات بالغة من جراء الضربات التى تلقاها فى مصر. وقال للشخصيات البارزة (فى قبيلته): «لقد ضربت علناً بالسوط خمسمائة سوط فى حضور فرعون مصر، ثم أعدت إلى النوبة». وكشف عن ظهره للشخصيات المذكورة التى فتحت فمها وأطلقت صرخة أنين مدوية. واستدعى الحاكم «حورس - بن - نوبية» وقال: «عسى، إلهك، «آمون»، ثور «مروى»، يلعنك! عليك الآن أن تذهب إلى هذا المصرى. وابحث عن الكيفية التى تنقذنى بها من يد «حورس - بن - پا- نسحى».

عندئذ صنع مخلوقات سحرية وربطها فى (جسد) الحاكم حماية له من تلك التى كان قد صنعها «حورس - پا نسحى» وعند حلول ليل اليوم التالى، طارت مخلوقات «حورس - بن - پا- نسحى» إلى بلاد النوبة. واصطحبت الحاكم إلى مصر، وضربوه علنا بالسوط فى حضور فرعون خمسمائة سوط، وأعادوه إلى النوبة - وذلك فى ظرف ست ساعات.

وعلى امتداد ثلاثة أيام، حدث نفس الشئ للحاكم، فقد عجزت مخلوقات النوبيين

السحرية عن حماية هذا الأخير من يد «حورس - بن - پا- نسحى». ويئس الحاكم يأساً. واستدعى «حورس - بن - نوبية» وقال له: «الويل لك! أيها النوبى الحقير، بسببك أهنت على أيدى المصريين وليس فى وسعك أن تحمينى منهم. وإلهى «آمون»، ثور «مروى»، لئن عجزت عن حمايتى من سفن السماء التابعة لهم(١٣٧) لأقتلنك قتلاً بشعاً. واجاب «حورس - بن - نوبية» قائلاً: ياسيدى، أيها الحاكم، دعنى أنزل إلى مصر لأشاهد من يمارس (هناك) هذه الأعمال السحرية، فأدعوه إلى القتال فيستشعر مدى الإحتقار الذى أكنه له فى قلبى. وعلى ذلك، فقد أوفد «حورس - بن - نوبية» (إلى مصر) من قبل الحاكم. وتوجه (أولاً) إلى حيث تقيم أمه، «نوبية».[وقصّ عليها كل ما ألّم به وعلى ذلك فقد قالت له]: لو نزلت إلى مصر، لممارسة أعمالك السحرية، فاحترس من المصريين، فلن يكون فى استطاعتك منافستهم. التزم جانب الحذر حتى لا تقع فى أيديهم، لأنك لن تعود أبداً إلى بلاد النوبة!. وأجاب: لن يفيد ما تقولين شيئاً. فليس فى وسعى أن اتجنب الذهاب إلى مصر، لو أردت أن أنشر فيها مخلوقاتى السحرية. عندئذ قالت له أمه، المرأة النوبية: لو لم يكن هناك مفر من ان تذهب إلى مصر، فلنتفق على أمارة بينى وبينك، فإذا هزمت، أمكننى التوجه إليك، وأنظر فى امكانية أنقاذك. فأجاب: لو هزمت، فعندما تشربين أو تأكلين، سيتحول أمامك الماء إلى لون الدم والخبز إلى لون اللحم وتصبح السماء أمامك بلون الدم.

وبعد ان اتفق هكذا «حورس - بن - نوبية»، على هذه الأمارات بينه وبين والدته، همّ مسرعاً إلى مصر، مزوداً بأعماله السحرية. واجتاز البلد الذى كان «آمون» قد خلقه، حتى «منف»، فى المكان الذى يقيم فيه فرعون، بحثاً عن ذاك الذى يصنع فى مصر المخلوقات السحرية. وقدم إلى البلاط، قدّام العاهل الملكى وقال: الويل لك يا من تمارس ضدى أعمالك السحرية، فى المكان الذى يوجد فيه فرعون، تحت نظر شعب مصر. وأنتما أيضاً يا كاتبى «بيت الحياة»، وأنت بصفة خاصة، يا كاتب «بيت الحياة» يا من مارست سحرك ضد الحاكم، الشئ الذى دفعه على الرغم منى (بالذهاب) إلى مصر. وبينما كان يقول هذه الكلمات، كان «حورس - بن - پا- نسحى» واقفاً فى البلاط، قدام فرعون. وقال: الويل لك، ايها النوبى الحقير! الست أنت «حورس - بن - نوبية» الذى أنقذت حياته ذات يوم فى حدائق «رع» عندما أشرفت أنت ورفيقك النوبى على الغرق فى الماء، اثرسقوطكما من التل، إلى الشرق من هليوپوليس؟ ألا تندم لأنك اصطحبت سيدنا، فرعون(١٣٨) وجلدته على ظهره فى

حضور الحاكم؟ وتحضر الآن إلى مصر قائلاً: أهو هنا ذاك الذى مارس أعماله السحرية ضدى؟ وحق «آتوم»، سيد «هليوبوليس»، ان آلهة مصر هى التى جاءت بك إلى هنا لنرد لك صاعاً بصاع. امسك قلبك، فإنى قادم!»

وبعد أن نطق «حورس - بن - پا- نسحى» بهذه الكلمات، رد عليه «حورس - بن - پا- نسحى» قائلاً: «ترى، أيقوم ذاك الذى علمته لغة الذئاب، بأعمال السحر ضدى؟»

عندئذ استخدم الزعيم النوبى تعويذة سحرية فشبت نار فى البلاط. وأطلق فرعون وأعيان مصر صرخة مدوية قائلين: تعال الينا بسرعة، يا إيها الساحر «حورس - بن - پا- نسحى!». عندئذ نطق هذا الأخير تعويذة أقوى بحيث صبت السماء على النار مطراً مدراراً .فانطفأت النار فى الحال.

وعلى ذلك، استخدم النوبى تعويذة سحرية أخرى، فهيأ الأمر، بحيث تغطى سحابة كثيفة البلاط، حتى ان كل شخص لم يكن يميز أخاه أوجاره. ولكن «حورس - بن - پا- نسحى» قرأ تعويذة فى أتجاه السماء، حتى انقشعت السحابة وتلاشت الريح العاتية التى أتت بها.

واستخدم «حورس - بن - نوبية» تعويذة سحرية جديدة فهيأ الأمر، بحيث ترتفع فوق فرعون وأعيانه قبة شامخة من الحجر، طولها مائتا ذراع وعرضها خمسون ذراعاً(١٣٩) فاصبحت مصر منفصلة عن مليكها وحرمت البلاد من سيدها. ونظر فرعون ناحية السماء، فلم ير فوقه سوى قبة من حجر. عندئذ فتح فمه وانطلقت صرخة مدوية، ونفس الشئ فعله الناس الواقفون فى البلاط. ولكن «حورس-بن-پا نسحي» نطق تعويذة أقوى، وهكذا خلق فى السماء سفينة من البردى، قامت بنقل القبة الحجرية. وهكذا ابحرت السفينة حتى البحيرة العظمى، المسطح المائى العظيم فى مصر.(١٤٠)

عندئذ أدرك الزعيم النوبى أنه لا يستطيع أن يبارى المصرى. فقال تعويذة سحرية تجعله غير مرئى فى البلاط ليتمكن من الفرار إلى بلده النوبة. ولكن «حورس - بن - پا نسحى» قرأ ضده تعويذة، تكشف أعمال النوبى السحرية، وتجعله مرئياً من جديد لفرعون ولشعب مصر الواقف فى البلاط. كان قد اتخذ هيئة ذكر الأوز البرى. بل كان مستعداً للرحيل. وقال «حورس - بن - پا نسحى» ضده تعويذة جعلته ينقلب على ظهره، فى حين يقف من فوقه صائد طيور، وفى يده سكين حاد، متأهب للإجهاز عليه.(١٤١)

وفى غضون هذه الأحداث، كانت الأمارات التى اتفق عليها «حورس - بن - نوبية» مع أمه قد ظهرت أمام هذه الأخيرة. فهمت مسرعة ونزلت إلى مصر، على هيئة أوزة برية.(١٤٢) وحوّمت فوق قصر فرعون، وأطلقت باتجاه ابنها صرخات حادة - إذ كان ابنها قد أخذ هيئة ذكر الأوز الذى كان صائد الطيور فوقه. ونظر «حورس - بن - پا نسحى» إلى السماء، فشاهد نوبية فى الهيئة التى كانت قد تنكرت فيها وتعرّف عليها . ونطق ضدها تعويذة، كانت فاعليتها كافية لتقلبها على ظهرها، فى حين يقف من فوقها صائد طيور، وفى يده سكين، متأهب لقتلها . واستطاعت ان تبدل الهيئة التى كانت عليها واستعادت هيئة المرأة النوبية وتوسلت قائلة: لا تقتلنا، يا «حورس - بن - پانسحى»، اغفر لنا جرائمنا . وإذا وهبت لنا سفينة سماء، فلن نعود أبدا إلى مصر. عندئذ أقسم «حورس - بن - پانسحى» باسم فرعون وبآلهة مصر قائلاً: لن أرفع سحرى إلى أن تقسمى أيضاً بألا تعودى أبداً إلى مصر لأى سبب كان. وعلى ذلك رفعت يدها (وهكذا اقسمت) بألا تعود أبداً إلى مصر. وأقسم أيضاً «حورس - بن - نوبية» قائلاً : لن أعود إلي مصر قبل ألف وخمسمأة سنة. وعلي ذلك خلصهما «حورس – بن – پا نسحي» من سحره، وأعطي حورس – بن – نوبية» و«النوبية» سفينة سماء واتجها إلى منزلهما فى بلاد النوبة.»

تلك هى القصة التى رواها «سا - أوزير» أمام فرعون، بينما كان شعب مصر يسمع صوته، وكان فى وسع أبوه «ستنى» أن يشاهد كل هذه الأشياء وكان الزعيم النوبى ينبطح أرضاً. كما قال: «وحياتك، ياسيدى الشديد البأس، ان هذا الرجل (الواقف) أمامك هو «حورس - بن - نوبية» الذي رويت لك سقطته والذي لم يندم علي (الجرائم) التى سبق وارتكبها . ها هو قد عاد إلى مصر بعد انقضاء الف وخمسمائة سنة، ليطلق (من جديد) أعماله السحرية فى هذا البلد. وحق «أوزيريس»، الإله العظيم، سيد الآخرة، الذى بجواره مرقدي، إننى أنا، «حورس - بن - پانسحى»، أنا القائم الآن قدام فرعون، لما علمت وأنا فى العالم الآخر ان النوبى الحقير يزمع ان يطلق على مصر أعماله السحرية، بينما لا يوجد فى البلاد فى الوقت الراهن كاتب واحد (على قدر كاف) من الكفاءة ولا شخص عالم فى وسعه أن يباريه، فقد طلبت

من «أوزيريس» فى العالم الآخر، ان يتركني أعود إلى الأرض لمنع (هذا الحقير) ان ينقل إلى النوبة خزى مصر. وأصدر «أوزيريس» أمره بأن يسمح لى بالعودة إلى الأرض.

وأفقت آنذاك، وكنت أصعد أثناء طيرانى، بحثاً عن «ستنى»، ابن فرعون، فى تلال صحراء «هليوبوليس» أو فى هذه (التلال) بصحراء منف. وعلى ذلك فقد باشرت نموى بصفتى بطيخة، بغية أن أعود فى هيئة جسد إنسان فأولد على الأرض من جديد وأقوم بأعمال السحر ضد هذا النوبى الحقير، الذى يقف الآن فى البلاط.» عندئذ نطق «حورس - بن - پانسحى»، وهو على هيئة «سا - أوزير»، تعويذة سحرية ضد الزعيم النوبى. فأحاطه بنار وهكذا فقد أحرقه وسط البلاط، بينما كان فرعون هو وأعيانه وشعب مصر يتأملون فى نفس الوقت هذا المشهد.

وبعد ذلك، اختفى «سا - أوزير»، من أمام فرعون ومن أمام أبيه «ستنى» وكأنه طيف ولم يروه أبداً. وكان فرعون وكبراؤه قد بهرتهم كل هذه الأشياء التى استطاعوا ان يروها فى البلاط. وقالوا: «لا يوجد كاتب أكثر كفاءة من «حورس - بن - پانسحى»، ولا أكثر علماً منه! لن يتاح لنا أبداً من يضاهيه (لن يتاح) أبداً !»

وفتح «ستنى» فمه وصرخ صرخة مدوية، لان «سا - أوزير» كان قد أختفى، وكأنه طيف ولم يعد فى وسعه أن يراه. ونهض فرعون فى قاعة المقابلات الرسمية، وقلبه يعتصر من شدة الإنفعال لما شاهده. وأمر بتوفير الإستعدادات لصالح «ستنى»، حتى يتمكن من رؤية ابنه «سا - أوزير» من جديد، فيُطَيِّبُ قلبه.

ولما هبط الليل، توجه «ستنى» إلى حجرته وكان الحزن الشديد يعتصر قلبه، اعتصاراً. وكانت «محو سخت» ترقد بجواره، وحبلت منه (طفلاً) فى نفس الليلة. ولما آن الأوان، وضعت طفلاً سُمِّىَ «أوزير - حورس».(١٤٣)

ولم يتخلف «ستنى» أبداً عن إحراق الإضاحى وتقيم الماء الطهور لروح «حورس - بن - پانسحى» - فى كل المناسبات.

هذه هى نهاية الكتاب الذى كتبه....

*

صيغت هذه القصة الثالثة وكأنها مسرحية حقيقية. إننا موجودون في عالم من التوافقات والمطابقات السحرية. أن السماء والأرض والعالم الآخر وكما كان شأنها فى الأزمنة الأولى للكون لا تفصلها حواجز منيعة. ان الآلهة والبشر والموتى على اتصال بعضهم ببعض بفضل سحر نشط وفعال، بفضل ما يمارسه السحرة من أعمال سحرية لها تأثير عظيم.

يتألف «الفصل» الأول من عرض للشخصيات والحبكة الدرامية وينتهى بعقاب فرعون وانتصار الشر. فإذا كان «آمون» قد خلق عالماً عادلاً وسعيداً، فإن سحرة النوبة يسعون إلى تدميره علي مراحل ثلاث: بحرمانه من النور وجَدْب التربة وإذلال الملك ـ الإله. إنها العودة إلى الخواء الأصلى، والعالم العديم الشكل غير الخصب الذى سبق الخلق الإلهى وسبق أيضاً، تنصيب الملوك، فهم حماة النظام والعدالة والحق، إلى الأبد. ان الضربات التى تجلد بدن فرعون غايتها نفى سلطانه وألوهيته. وهى أيضاً المدخل إلى الخواء. وفى وجه السعادة المتوازنة فى مصر تقف الأعمال السحرية الشريرة القادمة من النوبة. إنه صراع الشر والخير.

أما «الفصل» الثانى فيقدم لنا وصْفاً لانتقام فرعون الخيِّر، والثأر من الشر الذى ارتكبه.

و«الفصل» الثالث ـ هو الذروة، فهو الحرب التى تقوم بين السحرة الأخيار والسحرة الأشرار. ويعرف «حورس ـ بن ـ پانسحى» كيف يحارب النار (التى تُدمّر) بالماء، وهو عنصر الخصوبة للتربة ويحارب الظلام (الذى يشل) بالنور، واهب الحياة. وعلى غرار الفصل الأول، فإننا نجد هنا، العناصر الأساسية المكونة للكون المخلوق والذى يجيد الساحر ردّها إلى البشر شأنه شأن الإله الخالق فى الأزمنة الأولى. إن قارباً خفيفاً مصنوعاً من البردى سيوفق وهو موجه توجيهاً سحرياً ناجحاً، فى سحب القبة الحجرية الثقيلة. التى لجأ إليها السحرة الأشرار بفضل المخلوقات عن الخلق وعزل الملك والكائنات البشرية فى عالم مغلق يسجنون فيه.

وينتصر الخير انتصاراً مبيناً خلال «الفصل» الرابع، الذى يمثل الإنفراج الذى تصل إليه الأحداث مع إعتراف السحرة ـ الذين تم عزلهم قبل ألف وخمسمائة سنة ثم عادوا إلى الأرض ـ والتضحية بالشيطان حرقاً.

وتتشابك مع هذه الحبكة مواضيع متنوعة تقف فى مقدمتها الأساطير المصرية:

علم الإله «تحوت»، سيد السحر، والنشاط الخيّر لـ «أوزيريس» الساعى إلى حماية المخلوقات فيوفد إلى الأرض رجلاً، وقع عليه الإختيار بسبب علمه الغزير، لإنقاذ البشر من الشر (وهو موضوع كان بوجه عام أكثر شيوعاً فى الحضارات السامية).

ولكن هذا النص يؤكد بوضوح وجود جذور افريقية للحضارة المصرية: أهمية السحرة، ومعرفتهم بالعالم الذى يتسلطون عليه بفضل «ألاعيبهم» المتنوعة، وقدرتهم علي بث الحياة فى تماثيل من شمع حسب هواهم، ومكانتهم فى اطلاق الأمارات التى تسمح بالإتصال عن بعد (وقد سبق أن شاهدنا ذلك فى قصة الأخوين»[١٤٤]) - وإيضاً إمكانية إتخاذ أشكال جديدة، فيمكن ان يتجسد الساحر بسهولة فى أى شكل وان يتخذ الهيئة التى يريدها، متنقلاً من هيمئة إلى أخرى، دون معوقات. وكان ذلك، هو المثل الأعلى الذى ينشده المصريون: كانت هذه الحاجة، هى السبب وراء وجود الكتب الجنائزية فى مصر القديمة، التى كانت تضع تحت تصرف المتوفى التعويذات المناسبة والوسائل التى تؤهل المتوفى للحصول، خلال الحياة الأبدية، على الحرية التامه فى حركاته والظهور فيما يريده من مظهر. كل ذلك يقربنا من العقائد الشامانية البدائية.

ومثل غيرها من قصص الخوارق[١٤٥] فإن خلفية هذه القصة هى خلفية تاريخية. ومن الراجح أن الفرعون الخير الذى تشير إليه القصة هو تحوتمس الثالث الذى حكم مصر من ١٥٠٤ إلى ١٤٥٠ ق.م - وان حكم مصر حكما فعلياً اعتباراً من ١٤٨٠ فكان المؤسس الأول لإمبراطورية مصر - إذ كان واعياً بهذه المهمة وضرورتها السياسية. واضافة إلى ذلك، كان هذا الملك هو الذى ثبت سيطرة الإدار المصرية على النوبة، وهى الإقليم «المستعمر» التابع للإمبراطورية. وقد رأى المصريون من الألف الثالثة قبل الميلاد أن النوبة هى امتداد طبيعى تابع لبلادهم. ثم حدث في زمن الهزائم والإنحطاط، أن قام مواطنو النوبة بدورهم ببسط سيطرتهم على مصر، فاسسوا الأسرة الخامسة والعشرين لما يقرب من قرن من الزمن - من ٧٥٠ إلى ٦٥٦ ق.م. وقد طردهم الأمراء الثائرون ثم الأشوريون، فقاموا فى نهاية المطاف بتأسيس مملكة مستقلة فى «نباتا» و«مروى»، فى قلب أفريقيا. لقد عاني المصريون من موجات أخرى من الإحتلال الأجنبى، ولكن إحتلال النوبيين لهم وكانوا «رعاياهم» كان مؤلما لهم بصفة خاصة. وتفسر هذه الوقائع، إلى جانب غيرها من الوقائع، مدى

احتقارهم لشعوب الجنوب الذين تحولوا فى حكاياتهم الخرافية إلى عملاء نشطين للشر.

إن الأزمنة المختلفة، فى القصة، تتداخل وتختلط، مثلما يحدث فى الغالب فى النصوص المصرية - تأكيداً للإستمرارية وللتتابع اللانهائى للحياة التى تتجدد على الدوام - وكما حدث للطفل «أوزير - حورس»، فخلف فى ذات ليلة الطفل «سا - أوزير» الذى عاد إلى مرقده بجوار «أوزيريس» بعد ان انهى مهمته. فإننا نحيا فى آن واحد فى زمن تحوتمس الثالث وفى زمن هذا الفرعون الوهمى، وهو زمن متأخر جداً. ولا شك أن تأليف النص يرجع إلى العصر البطلمى. غير أن فترة الألف وخمسمائة سنة التى تفصل بين أنشطة الساحرين - تعادل تقريباً الفترة الزمنية التى انقضت بين حكم «تحوتمس» الثالث وحكم البطالمة. لقد حاولت مصر على الدوام فى عصور تبعيتها لشعوب أخرى أن ترتبط بماضيها المهيب وباثنين من أمجد فراعنتها: «تحوتمس» الثالث و«رعمسيس» الثانى.

شروح وهوامش الفصل الثانى من الباب الثانى

(١) سبق أن نشرنا فى المجلد الأول من «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية» (صص٣٠-٣٢) إحدى القصص التى تضمها هذه البردية، تلى فى الترتيب القصة الرابعة التى رواها «جدفحور»، وكانت ترتبط فى الواقع بالولادة المعجزة لملوك الأسرة الخامسة، الذين ولدوا من صلب الإله «رع» - وهى الولادة التى أعلنها الساحر «چدى» (راجع ضمن هذا الفصل: «قصة الساحر چدى»)

(٢) النص المصري : A.ERMAN, Die Märchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890, Pll. I-IV.

(٣) وهى الصفة المعتادة التى تطلق على المتوفين الذين عرضت حياتهم على محكمة «أوزيريس» التى رأت أن أقوالهم «صادقة» - ومن ثم اصبح فى وسع الملك المتوفى دخول الأبدية.

(٤) حرفياً: «حياة القطرين» وهو أحد أسماء العاصمة «منف».

(٥) اسم يعنى: «ذاك الذى يفلق الحجر.»

(٦) كاهن رفيع الشأن، ملمّ بالشعائر والتعاويذ، وساحر عظيم.

(٧) كان المصريون يعشقون الطبيعة والحدائق. فاحيطت البيوت الكبيرة بالحدائق الشاسعةالتي غرست فيها الأشجار والأزهار من مختلف الأنواع. وأقيمت فى وسطها، البرك التى، يسبح فيها البط والأسماك الملونة وتنمو أزهار اللوتس. وكان وجود جوسق للترويح يوفر الإستمتاع بالهدوء ومباهج الطبيعة.

(٨) أى ما يعادل ١٣سم تقريباً.

(٩) أى ما يعادل ٣٦٠ سم تقريباً.

(١٠) النص المصرى: A.ERMAN, Die Märchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890, Pll. I-IV.

K.SETHE:Aegyptische Lesestucke, Leipzig, 1959, (3e.ed) P.26-28.

(١١) اسم معناه: «ليكن رأس(ه) حياً!» كان فى الإمكان ان يطلق على المواليد الجدد أسماء تتكون من أسماء إلهية. وفى بعض الأحيان أيضاً يكون الاسم استمراراً لكلمة تعجب أطلقتها القابلة، لحظة الميلاد - وكانت هذه الكلمة فى حالة الشخص الذى يعنينا، على قدر من الصعوبة على ما يعتقد.

(١٢) حرفياً «مكان رطب»، أى مسلّ ويشرح الصدر أيضاً. ومن جديد يبرز موضوع الملل الملكى ويلحّ علينا.

(١٣) تقال صيغة هذه الأمنية التقليدية من أجل وجود سعيد ودائم وترتبط بالشخصية الملكية، بما فى ذلك الجماد.

(١٤) حرفياً: «البيت الكبير». وهى باللغة المصرية: «پرعا» - وهى الأصل المصرى لكلمة «فرعون»، حسب التصحيف اليونانى. ان القصر الذى يقيم فيه العاهل الملكى ذاته، قد أعطى اسمه للملك، فى نهاية الأمر - إذ اندمج الملك ومسكنه فى كيان مقدس له واحد.

(١٥) كان صفان من المجدفين (من المجدفات، فى هذا النص) يسيرون السفن فى المعتاد.

(١٦) لا تدل هذه العبارة على أخوة جسدية، إنما تعبر عن مدى توقير الملك للكاهن، العارف العظيم بالأسرار السحرية. كما أنه يريد بلا شك أن يؤكد على القرابة الروحية بين كائنين يربط بينهما رباط قوى، ولكن أساليب مختلفة، من خلال علم الآلهة.

(١٧) حرفياً «نطق كلمات (ه) بصفتها إفتتانا سحريا».

(١٨) فى وسطهما: أى فى أكثر النقاط عمقاً. «١٢ ذراعاً»: أى ما يعادل أكثر من ستة أمتار.

(١٩) النص المصرى: A.ERMAN, Die Märchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890, Pll. VI-IX

K.SETHE:Aegyptische Lesestucke, Leipzig, 1959, (3[e].ed) P.28-32

(٢٠) حرفياً: «رجل صغير» أو «ضعيف». ان كلمة «نچس» فى المصرية، تدل أولاً على ضآلة الإنسان بدنياً أو على ضعفه، كما تدل أيضاً على ضآلته أخلاقياً أو خسته. وهكذا فإن نفس هذه الكلمة قد تستخدم للدلالة على الخسيس (وهو عشيق زوجة «وباونر») والرجل الذى أتى عليه الدهر وشرب مثل «چدى».

(٢١) حرفياً: «فليظل الملك «سنفرو» باقياً»!» وهو الاسم الذى أُطلق على المدينة التى كانت قائمة بجوار هرم الملك، فى ميدوم.

(٢٢) الهرم الملكى - الذى يصعد منه الملك إلى السماء، مثلما تشرق الشمس يومياً، خارج الأفق.

(٢٣) بدءاً من العاصمة منف.

(٢٤) خشب نفيس كان يستورد من فينقيا.

(٢٥) العنصر المجنح للكائن الحى.

(٢٦) الشيطان، حارس إحدى بوابات العالم السفلى التى كان على المتوفى ان يجتازها أثناء الرحلة التى ستقوده إلى التجديد. و«حبس باج» يعنى: «ذاك الذى يخفى المتوفى».

(٢٧) إن الولع بالمعرفة والثقافة متأصل فى عقل المصريين. إن الكتب هى محل احترام الجميع. وسوف

يقول الكاتب آنيّ: «سيفعل الناس كل ما تقوله إذا كنت ملماً بالكتب. تبحرّ فيها وضعها فى قلبك، عندئذ ستصبح كل كلماتك فاعلة» (نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، المجلد الأول ص٣٥٠) وأثناء سفره لا يستطيع «چدى» ان يبتعد عن ذريته التى من صلبه، التى ستمدد حياة جسده، ولا عن كتبه التى ستؤمن له حياة عقله.

(٢٨) شاهد على الإحترام الكبير الذى ظل يكنه المصرى على الدوام تجاه المخلوقات الحية، التى خلقها الإله. وقد شاعت فى النصوص المصرية صورة «القطيع» البشرى الذى يقوده «الراعى الصالح» الملكى. (راجع C.LALOUETTE:Empire des Ramses' P374)

(٢٩) SETHE; OP cit. P31. I; 12-13

وهو ما يتفق مع ما ورد قبل ذلك في سياق النص.

(٣٠) يرى جوستاف ليفيفر G. LEFEBVRE، أن الحجرة المقصودة هى حجرة معبد هليوبوليس التي تحتفظ بالسجلات ولا سيما سجلات جرد أملاك المعبد. (Op. cit. P.84, note 60.)

(٣١) «الكاهن المطهر» أو «الكاهن ذو اليدين الطاهرتين» ـ المكلف على وجه التحديد بزينة التمثال الإلهى والعناية به فى ناووسه داخل المعبد.

(٣٢) مدينة قائمة على مقربة من هليوبوليس ـ حيث يحظى الإله الشمسى بعبادة هامة.

(٣٣) الملكية.

(٣٤) ومعناه، إما انه من أولئك الذى يتأملون التمثال الإلهى القائم بعيداً عن الأنظار أو من أولئك الذين يتأملون الإله الشمسى ذاته. وعلى كل حال فهو اسم كبير كهنة «رع» فى هليوبوليس.

(٣٥) خشية أن تخلف مباشرة على عرش مصر أسرة خلاف أسرته. ولكن «چدى» سيطمئنه.

(٣٦) قرب نهاية شهر نوفمبر، عندما يهل موسم إنبات البذور التى كانت مدفونة فى الطمى المخصب وتعمل فى بطء فى باطن الأرض على تحقيق الميلاد المنتظر. وجه الشبه بين فترة خصوبة المرأة وخصوبة التربة أمر واضح ومقصود.

(٣٧) نص مدون على ظهر بردية هاريس رقم ٥٠٠ Harris 500، المحفوظة حالياً فى متحف البريطانى British Museum (رقم 10060). ويرجع المخطوط إلى الأسرة التاسعة عشرة: نهاية حكم سيتى الأول أو بداية حكم رعمسيس الثانى.

(٣٨) النص المصري :: Alan H. GARDINER, Late Egyptian Stories. Bruxelles, 1931, pp 1-9. (Bibliotheca Aegyptiaca, vol. I)

(٣٨) آلهات القدر الذى يتحدد عند الميلاد.

(٣٩) بلد أسيوى يقع على الضفة اليمنى من نهر الفرات إلى الشمال من مدينة حلب. وفى عصر

الخامسة كان خاضعاً لهيمنة مصر، ثم خضع لها من جديد فى عهد سيتى الأول ورعمسيس الثانى (وهو العصر الذى يعود إليه مخطوط هذه القصة). ولا شك ان حبكة هذا النص تنطوى علي بعض الوقائع المتعلقة بالروابط التى جمعت مصر باقاليمها الأسيوية.

(٤٠) حوالى ٣٧ متراً.

(٤١) بمعنى: الوصول إلى النافذة قفزاً.

(٤٢) كانت المركبات المصرية يجرها فرسان.

(٤٣) لا شك ان الأمير يريد إخفاء أصله الملكى عن الذين سينافسونه فى المأثرة المطلوبة ويخبرهم بقصة ملفقة.

(٤٤) حرفياً: «يطير»

(٤٥) الإله الشمسى للأفق.

(٤٦) كان للقسم فاعلية سحرية، فهو يقيم رابطة وجود بين من ينطق به وبين الحياة الظاهرة للنجم.

(٤٧) حرفياً: «نفذت إلى الأمير».

(٤٨) ستصبح الفتاة نموذجاً للزوجة الصالحة ـ وهى صورة لإيزيس الساهرة على زوجها، الحافظة لحياته.

(٤٩) ربما كان من الصواب ان نقرأ «ختيو» أى «نحو موانئ» (فينقيا)، وليس «ختم».

(٥٠) إشارة محتملة إلى معارك «حورس» و«ست» (راجع الفصل الثالث من الباب الأول) ـ والأقدار الشريرة ضد القدرة الإلهية.

(٥١) هذه الجملة، صيانة إجتهادية، غير مؤكدة.

(٥٢) راجع الفصل الثانى من الباب الأول: «الإله «رع»: رحمته وضعف همته»

(٥٣) Contes et Romans, pp. 116-117.

(٥٤) النص منحوت على لوحة ضخمة من الحجر الرملى ومحفوظة حاليا بمتحف اللوفر، (c284)، فى باريس. وقد عثر عليها شمبوليون Champollion بجوار المعبد الذى شاده رعمسيس الثانى للإله «خنسو»، فى الكرنك. ويصور الجزء العلوى المقوس من اللوحة رعمسيس الثانى وهو يقدم البخور للإله. ويتكون النص ذاته من ٢٨ سطراً.

وان كان يبدو ان الأثر قد أقيم فى عهد رعمسيس الثانى (بل يضم النص فى صدره ألقاب العاهل الملكى)، فمن الواضح، أن تاريخه يرجع فى واقع الأمر إلى فترة زمنية لا حقة: كالعصر الفارسى أو العصر البطلمى، فى القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد ـ عندما كان يسعى المحتل

الأجنبى فى مصر إلى الإرتباط بالتقاليد الوطنية، التى ظل حكم رعمسيس الثانى، خير نموذج لأمجادها التليدة .

النص المصري : R.A.KITCHEN, Ramesside Inscriptions, vol. II. Fascicule 5, Oxford, 1971, PP. 284-287

(٥٥) يبدأ النص بألقاب رعمسيس الثانى الكاملة، ذات الأسماء الخمسة. راجع: «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، المجلد الأول ص ص٥٨-٥٩ لمعرفة أصل هذه الأسماء ودلالتها.

(٥٦) الاسم الشخصى للملك ويعنى حرفياً: «قديرتان هما حقيقة «رع» وعدالته - ذاك الذى اصطفاه «رع».»

(٥٧) اسم التتويج. واسم «رعمسيس» ذاته يعنى: «رع» هو ذاك الذى ولده».

(٥٨) حرفياً: «ثور أمه». يستعيد هذا الاسم إلى الذاكرة الثور الشمسى الذى يخصب أمه «نوت» (السماء) وهو فى سمت السماء، فتلده من جديد مع مطلع كل فجر، فى تناسل متجدد لا ينقطع. وهذا «الثور»، هو زوج وابن، فى آن واحد، والصورة الأكثر كمالاً على الإستمرارية الإلهية.

لمزيد من المعلومات حول أسطورة العاهل الملكى ابن الآلهة، راجع

C.Lalouette, Empire des Ramses, P. 384-387.

(٥٩) تشير هذه العبارة تقليدياً إلى البلدان (وكانت تسعة فى الأصل، بلا شك) الخاضعة للهيمنة المصرية. وقد تبدلت قائمتها حسب العصور.

(٦٠) إله طيبى فى وسعه أن يتقمص هيئة صقر. إله شمسى ومحارب.

(٦١) المقصود هنا هو الإله «ست»، إله العواصف والإضطرابات، وهو إله أجدب، محارب وعنيف. وحسب اللاهوت الهليوبوليتانى، فهو يعتبر ابن نوت، وحيث أن أخاه هو «أوزيريس»: فإنه هكذا يقف وجهاً لوجه الجدب والخصوبة، والإله الخيّر والإله الشرير، فى الغالب. والإشارة هنا، هى لوجهه المحارب.

(٦٢) راجع الهامش رقم ٣٩.

(٦٣) إشارة إلى العادة التى جرى عليها الثمانية والتحامسة فى التوجه كل سنة إلى أقطار الإمبراطورية، تدعيماً لروابط البلدان البعيدة مع البلد الأم، واتباعاً لسياسة الحضور الدائم.

(٦٤) كانت ضفاف نهر الفرات على الدوام بالنسبة للمصريين هى حدود المثالية للإمبراطورية شمالاً. وفى الجنوب، كانت الإمبراطورية المصرية تمتد لتصل آنذاك حتى الجندل الرابع على نهر النيل.

(٦٥) غالبا، بلاد پونت.

(٦٦) إذا كان تحرير الوثيقة يعود إلى العصر البطلمى، فقد يكون المقصود تصحيفا لاسم «بكتريان» الذى نسب المصريون غزوها إلى رعمسيس الثانى بدافع من الكبرياء.

(٦٧) اسم يعنى حرفياً: «جمال ـ رع».

(٦٨) عند بداية شهر يونيو.

(٦٩) عيد «حريم الجنوب» للإله «آمون»، الذى يحتفل به فى الأقصر. لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع راجع .C.LALOUETTE. Empire des Ramses, PP238-243

وكان هذا العيد يقام فى اليوم التاسع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان، أى خلال النصف الأول من شهر أكتوبر، عندما تنحسر مياه النيل تاركة وراءها التربة الخصبة. كان عيداً مزدوجاً للخصوبة: الخصوبة الإلهية فى حريم الإله وعيد الأرض التى تتهيأ لاستقبال البذور الجديدة. ترى هل ورد التاريخ المذكور فى النص عن طريق الخطأ؟ أو انه إشارة إلى العيد القادم.

(٧٠) من اليوم الأول من العالم ـ الذى نشأ فى طيبة، علي ما يعتقد.

(٧١) صفة للدلالة على الملك، كزعيم للإمبراطورية، التى ترتبط أقطارها على الصعيد الروحى، من خلال العبادة المشتركة لإله «الشمس»، الذى يجسده فرعون. وابتداءً من تحوتمس الثالث ـ يسير هذا اللقب جنبا إلى جنب مع لقب «ملك مصر» الذى يدل بصفة خاصة على حكمه لوادى النيل، والهدف من الجمع بين اللقبين هو التأكد على سيطرة فرعون الشاملة ـ المادية والمعنوية ـ على إفريقيا والشرق الأسيوى.

(٧٢) إى الكتبة الدارسون فى «بيت الحياة» الذين يتعلمون من الكتابة إلى جانب «العلم بكل الأشياء».

(٧٣) يعنى هذا الأسم حرفياً: «تحوت هو فى عيد». فتحوت» هو إله الكتابة والمعرفة.

(٧٤) تمثال إلهى.

(٧٥) يؤدى هذا التاريخ أحياناً إلى تعديل التاريخ الأول المشار إليه، إى العام الخامس عشر، فيصححه أحياناً الشراح المعاصرون إلى «العام الثالث العشرين» ـ ومن ثم تتحدد فترة زمنية تعادل ثلاث سنوات بين الرحلتين ـ وهو أمر أكثر معقولية»

(٧٦) أحد أشكال الإله «خنسو»، الإله القمر، والإله الإبن فى ثالوث طيبة. و«نفر حوتب» معناه: «صاحب السلام الميمون».

(٧٧) كانت «رحلات» التماثيل الإلهية هذه من الأمور الشائعة والمعروفة فى مصر القديمة وفى أقطار العالم القديم.

(٧٨) كان القلب مركز الإحساس بالمشاعر وكان المصريون يعتبرونه أيضاً المركز العضوى لكل حياة فكرية وللذكاء والعقل.

(٧٩) شكل الإله الشمسى المصرى.

(٨٠) مع بداية شهر فبراير.

(٨١) «تلك التى تشاهد حورس وجمال رع.»

حول هذا الزواج، راجع: C.LALOUETTE. Empire des Ramses, PP132-138

(٨٢) تتكون هذه القصة فى واقع الأمر من ثلاث قصص. تروى أولاها البحث المضنى الذى يتكبده «ستنى - خع إم واس» للعثور على كتاب فى السحر كتبه الإله «تحوت» شخصياً. وتضع ثانيتها على مسرح الأحداث نفس الشخصية مع ابنه «سا - أوزير»، فيقومان فى البداية بهبوط مثير إلى مثوى الأموات. وتعرض ثالثتها للمنازعات التى احتدمت بين «سا - أوزير» وأحد السحرة النوبيين. ونقلت إلينا هذه الخرافات برديتان: والقصة الأولى تحتفظ بها بردية بمتحف القاهرة (No 30646). أما القصتان الثانية والثالثة فمدونتان على ظهر بردية هى الآن جزء من مجموعات المتحف البريطانى (British Museum (no 604.

تتمحور هذه القصص التى يلعب فيها السحر دوراً بارزاً، حول شخصية الأمير «خع إم واس» وهو الابن الرابع لرعمسيس الثانى وكبير كهنة «بتاح» فى منف. وهكذا امتدت شهرته وسعة اطلاعه عبر قرون عديدة. وجعلت منه الروح الشعبية ساحراً عظيماً. وعلى غرار القصة السابقة، فقد شاد الخيال المصرى خرافات لطيفة استوحاها من حياة شخصيات كان لها وجود حقيقى.

يرجع تاريخ البرديتين إلى العصر البطلمى.

النص المصري : (بالخط الديموطيقى)

القصة الأولى: ERICHSEN: Lesestucke,PP.1-40

القصتان الثانية والثالثة: F.H. GRIFFITH: Stories of the high priests of Memphis, vol I-II-

(٨٣) ربما «نا - نفر - كا - بتاح» شخصياً(؟).

(٨٤) «أحورع» هى التى تتحدث.

(٨٥) وقت التطهر بعد الدورة الشهرية.

(٨٦) مدرسة الكتبة - التى كانت تستقبل فى المقام الأول أبناء الملوك والأمراء، وتحدد مستقبلهم ومصائرهم. ويرى ما سبرو (Maspero, Contes Populaires, P 130) ان جميع المعلومات التى كانوا يتقدمون بها كانت تدون فى سجلات كانت تستخدم على ما يعتقد فى تحديد تقويم أيام السعد وأيام النحس.

(٨٧) حول تواجد البشر والآلهة على سطح الأرض راجع الفصل الثانى من الباب الأول.

(٨٨) طولها مماثل الذراع الملكى.

راجع (E.Luddeckens, Demotishe Texte, vol 2, pp. 19-20)

(٨٩) الـ «دبن» وزن يعادل ٩٢ جراماً تقريباً.

(٩٠) يعادل الـ «إيتر» الواحد حوالى عشرة كيلومترات ونصف!

(٩١) فى منف.

(٩٢) تقع مدينة «كوبتوس» على مقربة من طيبة، على بعد حوالى ٣٠كم إلى الشمال الشرقى من هذه المدينة، على البر الشرقى من النيل.

(٩٣) هل ربطها بالسفينة الأخرى؟

(٩٤) هل تدور الأحداث فى النوبة(؟) مسقط رأس الساحر الذى يرتبط به القسم الثالث من هذه القصة.

(٩٥) مكان تحنيط جثمان المتوفى.

(٩٦) طريقة سحرية شائعة. للشفاء من بعض الأمراض ـ كلسعة عقرب مثلاً ـ فكانت تدون التعويذات الفعالة، حسب الحالة المعينة وبعد ذلك، إما أن يشرب المريض البردية المكتوبة بعد إذابتها فى الماء أو يشرب الماء المنساب على التعويذه السحرية المنقوشة على الحجر. وهكذا يستوحذ المريض على الفاعلية السحرية للكلمة.

(٩٧) هامش «ماسپرو» (Maspero, Contes, P144): «فى مختلف الطقوس السحرية، يعتمد استحضار أو طرد الأرواح الشريرة على النار أو السيف، أو على سلاح معدنى مدبب كحربة أو عصا متشعبة بدلاً من السيف. وعلى الحربة المصنوعة من الرصاص التى نجدها فى المقابر الإفريقية، نجد أن «تيفون» والأرواح الشريرة المصرية التى يستدعيها الساحر، قد صورت وهى تمسك حربة بيدها وتضع لهباً فوق رأسها.»

(٩٨) لاحظ «ڤيدمان» Wiedmann التقابل القائم بين الاثنين وخمسين خادماً والاثنين وخمسين قطعة لرقعة الشطرنج السحرية

(Altagyptische Sagen and Marchen, P.136, note 1)

(٩٩) «خادم الإله» ـ كاهن رفيع المرتبة.

(١٠٠) حرفياً: «حياة الأرضين» ـ حَىّ فى مدينة منف أو المدينة ذاتها.

(١٠١) جوسق للترويح، قائم فى الحديقة ـ وهو مناسب للراحة ولتأمل الطبيعة. راجع قصة المرأة الزانية: الفصل الثانى من الباب الثانى والحلقة الثالثة من قصائد بردية هاريس٥٠٠، الفصل الرابع من الباب الثانى.

(١٠٢) كان هذان الإقراران طبقاً للقانون المعمول به فى العصر البطلمى، ضروريان لضمان أساس قانونى لإقتران الرجل والمرأة تجنباً لشبهة البغاء. (راجع Maspero, contes, P 148)

(١٠٣) بسبب النور الذى كان يشع من كتاب السحر.

(١٠٤) أى جسدهما ـ إذ أتى «كاؤهما إلى منف فى مقبرة زوجها وأبيه.

(١٠٥) «نا ـ نفر ـ كا ـ پتاح» ذاته.

(١٠٦) من الراجح أنه الجسر الترابى على جانبى النهر، ويشرف عليه، وكان الطريق يمر فوقه.

(١٠٧) فصل الشتاء ـ من ١٩ نوفمبر إلى ١٩ مارس.

(١٠٨) راجع الفصل الأول من الباب الثانى.

(١٠٩) راجع ص ٢٤٠

(١١٠) راجع الفصل الأول من الباب الثانى.

(١١١) إنها قصص متنوعة صيغت حول شخصية ابن رعمسيس الثانى اللامعة، وإذ كان لا يوجد بالضرورة رابط يجمع بينها. ويختلف الإطار باختلاف الخرافات التى كانت بلا شك فى الأصل من إبداع العقلية الشعبية ان عائلة «ستنى» تختلف هنا عن عائلته فى القصة السابقة. ولكنها ليست سوى دعامة ومحيط وهمى لأعمال السحر التى تشكل مبرراً لها.

(١١٢) لعلاج العقم.

(١١٣) فترات الدورة الشهرية.

(١١٤) اسم يعنى «ابن أوزيريس».

(١١٥) كانت «مدرسة الحياة» أو مدرسة الكتبة ضمن ملحقات المعبد. وقد أطلق عليها «مدرسة الحياة» نظرا لأن كلمات الكتابة (الذى يحاط الكتبة علما بها) كان لها القدرة ان تدب فيها الحياة وأن تمنح الحياة لما تصوره أو ما تعبّر عنه.

(١١٦) النص مهشم فيستحيل التكهن بما كان يحدث فى القاعات الثلاثة الأولى.

(١١٧) الـ «آخو» هى شخصيات مبجلة، وكريمة، لها شهرتها الخاصة.

(١١٨) تاج خاص بـ «أوزيريس» ـ ويتكون من ريشتى نعامة على جانبى حزمة نبات البردى، ويّحدها من أعلى قرنا كبش يشكلان إطاراً لقرص الشمس.

(١١٩) حيوان خرافى له جسد أسد ورأس تمساح أو على هيئة أنثى فرس النهر.

(١٢٠) أنثى فرس النهر برأس تمساح.

(١٢١) إله جبانة «منف».

(١٢٢) ان فكرة تقسيم العالم الآخر المماثل لتقسيم اقاليم مصر الإدارية، لهى فكرة فريدة.

(١٢٣) ابنه، «سا ـ أوزير».

(١٢٤) «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية»، المجلد الأول: ص ص ٣٣٢ – ٣٤٥.

(١٢٥) P.GRIMAL, Dictionnaire de la Mythologie grecque et romaine, P. 322.

(١٢٦) إن دورة المحن السحرية هذه، لا تلتزم بالتتابع الزمنى للأحداث. إنها قصص متنوعة نسخها الكتبة على البردى،بناء على اختيارهم. ان القصتين الثانية والثالثة، التى قمنا بترجمتها قد التزمنا بهذا الترتيب فى بردية المتحف البريطانى التى احتفظت بنصهما.

(١٢٧) كان المصريون يحتقرون أهل الجنوب إحتقاراً بالغاً. فطعامهم يتكون من الصمغ الذى يلتقطونه من على الشجر ومختلف القاذورات بعد إعدادها بطريقة خاصة.

(١٢٨) يسلك مجرى النهر.

(١٢٩) كانت قراطيس البردى تطوى بعد نسخها ويلصق عليها بطاقة توضح اسم مالكها ثم توضع فى جرة أو فى صندوق صغير. وكان فى الإمكان نقل هذه «المكتبات» إلى المقابر حتى لا يشعر ملاكها فى دار الآخرة بأنهم محرومون منها. وقد وجدت مثل هذه المكتبات فى العديد من المواقع نذكر منها على سبيل المثال طيبة والفيوم.

(١٣٠) ظلت النوبة وشمال السودان حتى الجندل الرابع جزءاً من الإمبراطورية المصرية لفترة تناهز الألفى سنة. ومثلما كان وضع أمبراطورية آسيا وعملاً بروح التسامح التى سادت العالم القديم، حدث تبادل للعبادات وتداخل لها. ومن الطبيعى إذن، أن يصبح الإله العظيم «آمون» إله النوبة والسودان. وظلت عبادته بالتحديد منتشرة لزمن طويل فى «نپاتا». ان كلمات «سا - أوزير» هى تحديداً تذكرة للزعيم النوبى على تبعيته المادية والروحية لفترة طويلة كامتداد لمصر - وإن كانت مملكة نپاتا ومروى قائمة فى وقت أحداث القصة.

(١٣١) ربما كان فرعوناً وهمياً.

(١٣٢) ترى أهى إشارة إلى «من - خپر - رع»، أى تحوتمس الثالث، المؤسس الحقيقى للإمبراطورية والذى بسط هيمنة مصر على النوبة وشمال السودان. (إنه مجرد افتراض).

(١٣٣) المصريون أصحاب نكتة. لتأكيد التبعية الفعلية للنوبيين الذين يفكرون فى التمرد فى أسلوب ساخر، فان اسماءهم الثلاثة هى اسم «حورس» - وهو اسم مصرى، بكل بمعنى الكلمة.

(١٣٤) يستعيد ذلك إلى الذاكرة هزيمة مملكة الفراعنة المؤقتة، عندما انطلق ملوك «نپاتا» المصريون حوالى عام ٧٥٠ ق.م لغزو القسم السفلى من الوادى، وفرضوا عليه هيمنتهم. ولما هزمهم الأشوريون، وبسمتك من بعدهم، لم يتدخل «الأثيوبيون» أبداً، فى شئون مصر، وأسسوا مملكة وحضارة حول «مروى» (على مقربة من الجندل الخامس) كانت مدينة بالكثير لحضارة مصر.

(١٣٥) «پانسحى» اسم قريب من أسماء النوبيين.

(١٣٦) سيد الثامون الذى كان قد خلق العالم حسب اللاهوت الهرموپوليتانى. راجع الفصل الأول من الباب الأول»

(١٣٧) إشارة إلى المخلوقات السحرية التى اصطحبته مسرعة محلقة فى السماء.

(١٣٨) اشارات متلاحقة إلى هيمنة مصر على النوبة، التي دامت أكثر من ألفي سنة. وعلى مرّ الزمان، كان ينظر المصريون إلى النوبيين على أنهم من رعايهم، فبلادهم كانت امتداداً طبيعياً لملكة مصر.

(١٣٩) أو ما يعادل ١٠٤ أمتار في ٢٦ متراً.

(١٤٠) هي بلا شك بحيرة «موريس» في الفيوم (بحيرة قارون حالياً). ويرى ماسپرو (MASPERO, Contes, P178) «أن السفينة التي تحمل القبة الحجرية يرجح أنها نفس القبة التي نشاهدها علىّ بردية الفيوم»، وهي تقود إله الشمس على صفحة مياه بحيرة «موريس»».

(١٤١) انه وضع «حورس» المعتاد، وقد أمسك بحربة، ويقف فوق تمساح ينسب إلى «ست». ويصور هذا الوضع أنتصار الخير علي الشر. والنوبي هو المقصود بالشر، والأسلوب اسلوب ساخر.

(١٤٢) يظهر النوبيون في مظهر يفتقر إلى السمو، بل إنه مثير للسخرية.

(١٤٣) حرفياً: «حورس شديد البأس».

(١٤٤) راجع الفصل الأول من الباب الثاني.

(١٤٥) راجع الفصل الثاني من الباب الثاني.

الفصل الثالث

كبرى المغامرات الخيالية.

قصة «سنوهى»[1]

«سنوهى»[2]، النبيل، الأمير، حامل أختام ملك الوجهين القبلى والبحرى، «الصديق الأوحد»، عين الأعيان، المشرف على أراضى الملك فى البلدان الأسيوية، صديق الملك الحميم، محبوبه و «زميله»[3]، يتحدث («سنوهى») قائلاً : «أنا «زميل» سيدى، وخادم فى الحريم الملكى للسيدة النبيلة، صاحبة الثناء العظيم، زوجة الملك «سنوسرت»[4] فى مدينة «خنم سوت»[5]، وابنة الملك «أمنمحات»[6] فى مدينة «كا-نفرو»[7]، المبجلة.

فى العام الثلاثين، فى الشهر الثالث من فصل الفيضان، فى اليوم السابع[8]، صعد ملك الوجهين القبلى والبحرى «سحتپ - إيب-رع»[9] إلى أفقه، ليتحد مع قرص الشمس[10]، فى حين تنضم أعضاؤه الإلهية[11] إلى أعضاء خالقه[12]. كان الصمت يخيّم على المقر الملكى، والقلوب يعتصرها الحزن، والباب المزدوج الكبير للقصر ظل مغلقاً، ورجال البلاط كانوا منهكين ورؤوسهم فوق ركبهم ... وتعلو صرخات ونحيب الشعب.

غير أن جلالته كان قد ارسل جيشاً إلى بلاد «التمحيو»[13]، على رأسه، ابنه الأكبر، الإله الكامل «سنوسرت». وهكذا كان قد كلّف بضرب البلدان الأجنبية وانزال العقاب بمن كانوا ضمن «الثحنو».[14] وكان يهمّ الآن بالعودة، مصطحباً معه أسرى من شعوب «الثحنو» وأنواع مختلفة من الماشية بأعداد كبيرة.

غير أن أصدقاء القصر الملكى أوفدوا فى الحال (رسلاً) فى اتجاة الغرب لإحاطة ابن الملك علماً بالأحداث التى وقعت فى القصر[١٥]. وصادفوا الأمير فى الطريق، وكان لقاؤهم به ليلاً. وعلى ذلك لم يتمهل هذا الأخير لحظة: وانطلق الصقر[١٦] محلقاً ومعه الموكب المرافق له، دون ان يخبر جيشه بذلك، ولكن رسلاً كانوا قد بعثوا أيضاً إلى الأبناء الملكيين (الآخرين) الذين كانوا فى الجيش ضمن الموكب المرافق للأمير[١٧]. ونادى بعضهم على أحدهم، بينما كنت أقف هناك، وسمعت صوته وهو يتحدث. واقتربت بعد ان ابتعد . عندئذ، اضطرب قلبى[١٨]، وخار ساعداى، وأخذ جسدى كله يرتعش. ووليّت هارباً بقفزة (واحدة)، بحثاً عن مكان أتوارى فيه (عن الأنظار). وأخذت مكانى بين أجمتين، لأبعد نفسى عن كل من يسلك الطريق[١٩]. ثم رحلت صوب الجنوب. ولم أكن أرى (أنه فى وسعى) أن أصل إلى المقرّ الملكى، لأننى افترضت بالطبع ان تحتدم المنازعات وكنت أخشى ألا أخرج منها حياً. وعلى ذلك، فقد عبرت بحيرة «ماعتى»[٢٠]، على مقربة من «الجميزة»[٢١] وأدركت جزيرة «سنفرو»[٢٢]. وقضيت اليوم عند حافة حقل. وعندما انبلج النور هنا (من جديد)، هرعت مسرعاً. وصادفنى رجل كان يقف عند طرف الطريق وحيانى بشئ من التوقير، فقد كان يشعر بالخوف.[٢٣] وعندما جاء وقت طعام المساء، كنت قد وصلت إلى مدينة «نجاو»[٢٤]. وبعد ذلك عبرت (النهر) على متن صندل بلا دفة، بفضل ريح قادمة من الغرب وانتقلت إلى الشرق من المحجر القائم إلى الجنوب من (محراب) سيدة الجبل الأحمر[٢٥]. وواصلت طريقى فبلغت «أسوار الأمير» التى شيدت لصد الأسيويين والدوس بالأقدام على «السائرين – على – الرمال»[٢٦]. عندئذ جلست القرفصاء فى أجمة، خوفاً من أن يرانى الحارس المناوب فوق الأسوار.[٢٧] ولم أواصل السير (إلا) عندما أقبل الليل، ولما تنفّس النهار كنت قد وصلت إلى «تين»[٢٨]. وتوقفت فوق إحدى جزر «الشديدة السواد»[٢٩]. عندئذ أعيانى العطش، إذ كان يخنقنى، وأصابنى الهزال التام، وكانت حنجرتى متربة. وكنت أظن أنه مذاق الموت. وفجأة انهضت قلبى ولملمت أطرافى[٣٠]، عندما سمعت صوت خوار قطيع. لاحظت (وجود) أسيويين. وتعرف علىّ شيخ كان هنا وسبق له أن أقام فى مصر. عندئذ قدم لى ماءً، وأمر بتدفئه شئ من اللبن ليقدم لى ورحلت معه إلى قبيلته. وما فعله هؤلاء القوم من أجلى، قد أرضانى كل الرضا.

ثم (ومن جديد)، سلّمنى بلد لبلد آخر.[٣١]. فرحلت إلى بيبلوس[٣٢] وعدت أدراجى إلى «كدم»[٣٣] وامضيت هناك عاماً ونصف، إلى أن اصطحبنى «عامو - ننشى». وكان «عامو - ننشى» أمير الـ«رتنو» العليا[٣٤]. لقد سبق أن قال لى: «ستسعد لوجودك معى، وستسمع (الناس يتحدثون) لغة مصر.» لقد قال لى ما قاله، لأنه كان يعرف طبعى وسمع (الناس) يتحدثون عن حكمتى. وبالفعل، فبعض أهل مصر من الذين كانوا معه شهدوا لصالحى.[٣٥] ثم قال لى : «ما سبب مجيئك إلى هذا المكان؟ أوَقع حدث ما فى المقر الملكى؟» فأردفت قائلاً : «رحل ملك الوجهين والبحرى «سحتپ - إيب - رع» إلى أفقه، ولم يُعرف (حتى الآن) ما حدث فيما بعد.» ثم قلت (وانا أعرف أننى أقول الكذب) : «كنت عائداً من حملة عسكرية فى بلاد «التمحيو» عندما قُدِّم لى تقرير بحيث ارتبك له فكرى، ولم يعد قلبى فى جسدى. فرفعنى إلى مدارج الهروب. ومع ذلك، لم يكن أحد قد ذمنى، ولم يبصق أحد فى وجهى، ولا كان فى وسع أحد أن يسمع عنى كلمة السوء ولاسُمع اسمى فى فم المنادى. ولا أدرى ما الذى قادنى إلى هذا البلد. وكأنه قدر إلهى.. كان وضعى كوضع رجل من إلفنيتين وجد نفسه فجأة فى الدلتا أو رجل من المستنقعات وجد نفسه فى النوبة.» عندئذ، قال «عامو-ننشى»: «كيف سيظل هذا البلد العظيم قائماً، بدون هذا الإله المجيد المبارك[٣٦] الذى كان الرعب منه يعمّ ربوع البلدان الأجنبية، وكأنه (الرعب من) «سخمت»[٣٧] فى سنة الطاعون؟»

فأردفت قائلاً، رداً (على سؤاله) : «طبعاً، فإن ابنه[٣٨] لمّا دخل القصر، استولى على ميراث أبيه. إذ أنه إله لا مثيل له، إن كائناً من كان ليس فى وسعه أن يظهر قبله هو. إنه يملك الحكمة، ونصائحه ثاقبة وأوامره خيِّرة. والناس «يصعدون» أو «يهبطون» حسبما يأمر به. بل كان يُخضع من قبل البلدان الأجنبية، وعندما كان أبوه قائماً داخل قصره، وبعد أن ينفذ أوامر هذا الأخير، كان يحضر ليقدم له التقرير. إنه رجل شديد البأس، يعمل بساعده المقدام، إنه بطل[٣٩] لا مثيل له، عند مشاهدته وهو ينقض على «رجال - القوس»[٤٠] أو عند اقترابه من (أرض) المعركة. إنه رجل فى وسعه أن يلوى قرناً ويجعل الأيدى خائرة، بحيث لا يقوى أعداؤه على ان يتجمعوا من جديد. إنه رجل يدخل السكينة فى الأبدان ويهدئها[٤١] ولكن فى وسعه أيضاً ان يحطّم الجباه. وبجواره لا يبقى أحد واقفاً[٤٢]، إنه عدّاء سريع،

يقضى على الهارب، فليس فى وسع محارب ان يولّى ظهره له(٤٣). إنه قلب صنديد عندما يغمره الأعداء،(٤٤) رجل يعود على (الدوام) ولا يولّى ظهره ابداً. إنه قلب مكين عندما يشاهد جحافل (الأعداء) ولا يسمح بأن يحاصر الكلل قلبه. إنه رجل جسور، عندما يشاهد أهل الشرق، ومتعته فى أن ينقض على «رجال - القوس». وحالما يمسك درعه، فإنه يدوس (الأعداء) بقدميه. إنه لا يحتاج إلى تكرار ضربته، إنه يقتل، ولا أحد يستطيع أن يتجنب سهمه، ولا أحد فى مقدوره أن يشدّ قوسه(٤٥). و«رجال- القوس» يتجنبون ساعديه (الرهيبين)، بله بهاء صلـ(ـه) أيضا(٤٦). إنه يخوض المعركة، بعد أن يتدبر الهجوم، ولا يُبقى على شئ، فلا يبقى شئ. كما أنه يمتلك سحر الإفتتان، وذو الرقة العظيمة، وهو يتسلط (أيضاً) بالحب الذى يثيره (فى النفوس). ومدينته تحبه أكثر من نفسها وتسعد به، أكثر من آلهتها. ويتوافد الرجال والنساء مبتهجين بفضله بعد أن أصبح الآن ملكاً. ومنذ أن كان فى البيضة، وهو فاتح مغوار، يولّى وجهه شطر (الملكية) إلى ان أتى إلى الدنيا. إنه إنسان جعل من ولدوا معه، تتضخم أعدادهم. إنه كائن أوحد، إنه هبة من الإله لسعادة هذه البلاد منذ أن تولّى حكمها. لقد وسّع حدودها. لقد غزا أراضى الجنوب، ولكنه لم يفكّر بعد فى بلدان الشمال، لقد خُلق لكى يضرب بدو آسيا وليدوس بأقدامه «السائرين - على الرمال»(٤٧). هيا! إذن، توجه إليه، اجعله يتعرف على اسمك. لا تتآمر، وإن كنت بعيداً عن جلالته، لأنه لن يتوقف عن عمل الطيبات من أجل البلد الذى يظل باقياً فوق مياهه(٤٨).»

عندئذ قال لى «عامو-ننشى» : طبعاً إن مصر بلد سعيد، لانها تعرف بسالة مليكها. ولكنك، ها أنت هنا، وستبقى معى . وسوف أفعل من أجلك أشياء طيبة.» وعلى ذلك فقد جعلنى متقدماً على أبنائه أنفسهم وزوجنى(٤٩)ابنته الكبرى وأذن لى أن أختار لنفسى، فى بلده، أفضل ما يمتلك من أرض والقائمة عند إطراف بلد آخر، كانت أرضاً طيبة(٥٠)، كان اسمها «ياء»، كان فيها شجر التين، إلى جانب شجر الكروم، وكان النبيذ اكثر من الماء. كما تفيض عسلاً، والزيتون وفير والفواكه بأنواعها على أشجارها، وفيها أيضاً الشعير والقمح، وكان حصر أعداد مواشيها المتنوعة من الصعوبة بمكان(٥١). ولاريب، أن ما حدث لى كان عظيماً، فى حين، كنت أُحاط بمزيد من الحب. عندئذ، يمننى «عامو-ننشى» زعيماً لقبيلة، قبيلة هى من نخبة

قبائل بلده. وخُصصت لى يومياً حصص من الأطعمة تضم شراباً اختمر، ونبيذاً بالإضافة إلى لحم مطهو، وطيور مشوية شيأً جيداً، وذلك فضلاً عن أغنام الصحراء، فكانوا يقتنصون (الصيد) بالأشراك ثم يضعونه أمامى، وإلى جانب ذلك، كان لابد من إضافة المغانم التى تعود إلّى من كلاب الصيد. وكانت (الفطائر) العديدة تعد من أجلى وكل ذلك مطبوخاً باللبن.

وهكذا قضيت سنوات عديدة. وأصبح اطفالى رجالاً أشداء، وصار كل منهم (بدوره) زعيم قبيلة، وكان المبعوث القادم من المقرالملكى[٥٢]، أكان صاعداً ناحية الشمال أو هابطاً ناحية الجنوب، يتوقف (دائماً) عندى[٥٣]. وعلى كل حال، كنت أطلب من جميع أهل مصر (الذين يمرون هناك) التوقف. كنت أقدم الماء للظمآن، وأعيد التائه إلى الطريق (السليم)، وأهبّ لمساعدة من سُرق[٥٤] وإذا رأى بدو رحّل من آسيا أنهم مضطرون إلى دحر زعماء البلدان الأجنبية[٥٥]، كنت أنا الذى أشير عليهم، بتحركاتهم، وبالفعل، كان شيخ بلاد الـ «رتنو» قد سمح بأن أكون قائد جيشه، وذلك على امتداد سنوات طويلة. وكل بلد زحفت عليه، كنت أنشر فيه الهزيمة، فأحول بينه وبين مراعيه وآباره، وأنهب ماشيته، وأسوق أهله، وأضع يدى على طعامهم، وأذبح من فيه من مصريين(؟)[٥٦] – بفضل ساعدى الجسور، وقوسى وتحركاتى، ومخططاتى النابهة. كان ذلك مفيداً ومباركاً لقلب «عامو-ننشى». وعلى ذلك فقد أحبنى، لانه اعترف بقدرتى، وأقامنى أمام أولاده، وكان قد لاحظ صلابة ساعدىّ.

وذات يوم (جاء) من الـ«رتنو» رجل قوى. وإذا به يدعونى إلى القتال، بينما كنت فى خيمتى. كان بطلاً لا مثيل له (بفضل ماله من شهرة) لانه كان قد أخضع بلاد الـ«رتنو» بأسرها . وكان يتحدث عن رغبته فى أن يدعونى للنزال، وكان يظن أن فى وسعه ان يضربنى وتصور بناء على مشورة أبناء قبيلته أن فى استطاعته ان يسلب قطعانى. وعلى ذلك، تحدث الشيخ إلىّ، وقلت : «إنى لا أعرفه، وبالطبع فأنا لست من أقربائه، ولا أستطيع السير فى معسكره رابط الجأش. ترى أحدث ابداً ان فتحت بابه أو هدمت سياجاته؟ لا،بل إنه يحسدنى لانه يرانى أنفذ أوامرك. حقاً، أنا مثل ثور ضال استقر وسط قطيع آخر. وعلى ذلك يسعى فحل هذا القطيع أن يلحق به الهزيمة فى حين يحاول العجل أن يمسك به، تُرى أيوجد رجل خامل الذكر، يمكن ان يحاط (بمشاعر) الحب، إذا اصبح زعيماً ذات يوم؟ ليس هناك «رجل-قوس»[٥٧]، فى

وسعه أن يتحد مع رجل من الدلتا. حقاً، فمن يستطيع ان يثبّت أجمة بردى فوق جبل؟، أيوجد ثور يتشوق إلى القتال[٥٨]، فيتمنى ثور بطولى[٥٩](عند مواجهته) ان يولّى له ظهره، خوفاً من أن يتعادل معه الأول؟ وإذا ظلّ قلبه ميالاً للقتال، فليفصح إذن عما يرغبه قلبه. أيوجد إله يجهل ما أمر به أو لا يعرف بالأحرى حقيقة الأمر؟

وقضيت الليل أشدّ قوسى، وأسدّد السهام. كما سللت سيفى، وصقلت أسلحتى. ولما ابيضت الأرض، كان رجل الـ«رتنو» قد وصل، وحشد قبائله، وجمع نصف بلاده، وكان يفكر فى هذه المعركة. عندئذ زحف البطل علىّ، وكنت واقفاً هناك. لقد اتخذت مكانى غير بعيد عنه وكانت القلوب كلها تحترق من أجلى، كان الرجال والنساء يتنفسون الصعداء، كانت النفوس كلها قلقة وكان يُقال :«أيوجد رجل آخر، قوى بما فيه الكفاية لينازله؟» ثم أشهر درعه وبلطته وملأ ذراعه بالأسلحة. وبعد أن سدّد إلىّ هذه الأخيرة (دون طائل)، إذ تصرفت بحيث مّرت سهامه فوق رأسى، السهم تلو الآخر، حتى لم يبق منها شئ، ثم انقضّ علىّ، على أمل أن يضربنى. ولكن بينما كان يقترب، رميته بسهم، فاستقر هذا الأخير فى عنقه بقوة. وعلى ذلك، أطلق صرخة وسقط على أنفه. واجهزت عليه ببلطته الخاصة وأطلقت فوق ظهره صيحة الحرب الخاصة بى. وأخذ جميع الأسيويين يصيحون، فى حين كنت أجزل التسبيح للإله «مونتو»،[٦٠]، وكان أهل (المهزوم) فى حداد. وضمّنى الشيخ «عامو – ننشى» بين ذراعيه. ثم أخذت ممتلكات (الرجل الذى كان قد تحدانى) واستوليت على ماشيته، وفعلت به، كل ما كان ينوى ان يفعله ووضعت يدى على ما كان فى خيمته وسلبت مخيمه، وقدر لى من الآن أن أكون شخصاً مهيباً، وفير المؤن، ولا حصر لماشيته. كان الإله هو الذى انعم برحمته على من كان قد انزل عليه نعمته (فى البداية)، بعد ان كان قد هرب إلى بلد آخر. لقد هدأت اليوم نفسه.

فى الماضى، كنت هارباً أهيم على وجهى، والآن، يشهد القوم فى المقر الملكى لصالحى، كنت رجلاً يجرجر نفسه فى بطء لانه كان (يتضور) جوعاً، والآن فإنى أقدم الخبز للشخص الذى بجوارى . كنت رجلاً هجر بلده من جراء الفقر (الذى كان يعانى منه) والآن أتألق مرتدياً أرقّ (أنواع) الكتان. كنت رجلاً يعدو، لافتقادى إلى مبعوث. والآن امتلك العديد من الخدم. دارى جميلة، وشاسعة هى ممتلكاتى، وتبقى ذكراى فى القصر (قصر فرعن) .

«إيها الإله»، أياً كنت، يا من أمرت بهذا الهروب، كن (أيضاً) رحوماً، أعدنى إلى المقر الملكى. لربما أذنت لى أن أشاهد من جديد المكان الذى مازال عقلى وقلبى يمضيان فيه أيامهما، أيوجد (بالنسبة لى) شئ أهم من ان يسجى جسدى فى أرض البلد الذى ولدت فيه؟ تعال ، لمساعدتى،[٦١] وليجر حدث حسن وسعيد، وليمنحنى الإله رحمته! وليعمل بالأسلوب المناسب ليجعل نهاية طيبة لمن كان قد أثقلته بالأسى. ليعتصر الألم قلبه على من كان قد طرده (من وطنه) و(أجبره) ان يعيش فى بلد أجنبى. ان كان يجنح اليوم إلى الغفران، فليستمع إلى توسلات الرجل المبعد، فليمد يده[٦٢]، التى بسببها قضيت حياة شاردة، إلى (أن وصلت) المكان (الذى أنا فيه)، لكى أنسحب منه. ليكن ملك مصر رحوماً علىّ، لأعيش فى سلام. فلأحىِّ سيدة البلاد[٦٣] التى فى قصر العاهل الملكى. ولأستمع لرسائل ابنائه. وليبق جسدى فتياً وقوياً إلى الأبد، فى حين أننى بلغت الآن من العمر عتياً، ويلاحقنى الوهن. عيناى متثاقلتان، وساعداى بلا قوة، وساقاى ترفضان السير وعقلى متعب[٦٤]، إنى أقترب من لحظة الرحيل[٦٥]، لحظة يصطحبنى فيه القوم إلى المساكن الأبدية. ليتنى مع ذلك أرافق أيضا الملكة، ليتها تحدثنى أيضاً عن كمال ابنائها. ليتها تظل فوقى إلى الأبد![٦٦]

وحدث لماتكلم البعض إلى جلالة ملك الوجهين القبلى والبحرى،، «خپر-كا-رع»عن الظروف التى أعيش فيها، أن أرسل إلىّ (مبعوثين) محملين بهداياً ملكية لإدخال السرور إلى قلب خادمه المتواضع، كما (اعتاد أن يفعل) مع أمير من (امراء) البلدان الأجنبية. وتصرف الأبناء الملكيون الذين فى القصر بحيث استطيع (أيضاً) أن استمع إلى رسالتهم.

صورة من المرسوم ا(لملكى) الذى تم إبلاغه إلى الخادم المتواضع بشأن عودته إلى مصر[٦٧].

«حورس» : «ذاك الذى تؤمن ولاداته الجديدة الحياة»-

«السيدتان» : «ذاك الذى تؤمن ولاداته الجديدة الحياة»-

«ملك الوجهين القبلى والبحرى» : «خپر-كا-رع».[٦٨]

«ابن رع» : «أمن-إم-حات»[٦٩] (هكذا) - فليحى للزمن اللانهائى وللزمن الأبدى .

مرسوم ملكى بخصوص الزميل «سنوهى» - انظر لقد تمّ إبلاغك مرسوم الملك هذا، لكى تحاط علماً بما يلى. لقد تنقلت هنا وهناك فى البلدان الأجنبية، صاعداً حتى «كدم» والـ«رتنو». وسلّمك بلد لبلد آخر، بدافع من قلبك وذهنك. فحسب، ترى ماذا فعلت إذن لـ (تخشى) أى إجراء ضدك؟ لم تكن قد جدّفت، لتستوجب كلماتك عقاباً، ولا ارتفع صوتك فى مجلس الأشراف، بحيث يتعين التصدى لأحاديثك وحركتّ هذه النية قلبك، ولكنها لم تكن ضدك، فى قلبى. هذه «السماء» وهى سماؤك[٧٠]، هى التى فى القصر، وهى الآن مستقرة، وفى غاية الإزدهار. فرأسها تغطيه الآن الحلىّ، وشارات الملكية فى البلاد، وابناؤها موجودون فى المقر الملكى. سوف تجعل الخيرات التى يقدمونها لك، تغالب الأيام، وسوف تحيا من هداياهم.

عُد إلى مصر، فتشهد من جديد المقر الملكى الذى نشأت فيه، وتخرّ ساجداً (من جديد) أمام الباب المزدوج الكبير (للقصر)، وتنضم إلى «الأصدقاء». فاليوم، بدأ بالنسبة لك، زمن الشيخوخة، ونشاطك الرجولى يتخلى عنك. فكّر فى يوم الدفن، يوم الإنتقال إلى وضع المبجل. عندئذ يكون الظلام من نصيبك، والزيوت اللازمة للتحنيط والشرائط بين يدى (الإلهة) «تاييت».[٧١] سيُنظّم من أجلك موكب جنائزى يوم تنضم إلى الأرض، (ويُعد لك) تابوت من ذهب،[٧٢] رأسه من اللازورد، وتوضع سماء من فوقك فى التابوت[٧٣]. وتسحبك العجول[٧٤]، ويتقدمك الموسيقيون. ومن أجلك أيضاً، سوف تؤدى رقصة الـ«مُوو»، ، عند مدخل المقبرة[٧٥]. ومن أجلك، تُقرأ بصوت مرتفع قائمة القرابين[٧٦]. وتُنحر الأضاحى أمام مذابحك. وسوفت شيدت أساطين مقبرتك من حجر أبيض وضّاء وسط (مقابر) الأبناء الملكين.

عليك ألاّ تقضى نحبك فى بلد أجنبى. لن يدفنك الأسيويون، لن توضع فى جلد خروف، ولن تقام لك أكمة(متواضعة). لقد فات زمن مواصلة الترحال. فكّر فى المرض وعُدْ!.»

وصلنى هذا المرسوم بينما كنت واقفاً وسط قبيلتى. وبعد قراءته، انبطحت أرضاً على بطنى ولامست تراب الأرض، ونثرته على شعرى. وأخذت أجوب معسكرى،

وأصيح قائلاً :«ترى، كيف يكون التصرف مع خادم، ساقه قلبه على هذا النحو إلى البلدان الأجنبية و«الهمجية»[٧٧]؟ حقاً، إن رحمتك التى تنقذنى من المنية (رحمة واسعة. إن «كا»ك يتيح لى أن أقضى آخر حياتى فى المقر الملكى.»

صورة (خطاب) الإقرار باستلام هذا المرسوم : «السلام لكم! إنه لغاية فى التوفيق، أن يلقى هذا الهروب الذى ارتكبه خادمك المتواضع فى غفلة من أمره- يلقى تفهماً من قبل «كا»ك ، أيها الإله الكامل، يارب القطرين، الذى يحبه الإله، «رع» ويثنى عليه الإله، «مونتو»، سيد طيبة. ليت «آمون»، سيد عرشى القطرين، و«سوبك-رع» و«حورس» و«حتحور» و«آتوم» وتاسوعه الإلهى، و«سوپد» و«نفرباو» و«سمسرو» و«حورس» الشرق وسيدة «بوتو» التى تضم رأسك والمحكمة التى تتصدر الـ «نوو» و«مين-حورس» المقيم فى الصحارى والروابى، الإلهة العظيمة سيدة «پونت» و«نوت» و«حرويرس» و«رع» وجميع آلهة البلد المحبوب والجزر و«الشديدة الإخضرار»[٧٨] - تهب أنفك الحياة والقوة، ولتتحد بك ومعها مواهبها، لتمنحك الأمن الأبدى بلا نهاية والزمن الانهائى بلا حدود ليتكرر الخوف الذى تثيره فى الأقطار والصحارى، بعد أن تكون قد أوثقت كل ما يحيط به قرص الشمس. إن دعاء هذا الخادم المتواضع إلى سيده، هو الذى أنقذه من الغرب.[٧٩].

إن سيد المعرفة[٨٠]، الذى يدرك شئون الشعب، كان يعرف، فى جلالة قصره، أن هذا الخادم المتواضع كان يخشى التحدث فى هذه الأمور. إن الإبلاغ عنها كان يشكل حقاً مسألة خطيرة. إن الإله العظيم، صورته «رع» بذاتها،[٨٠]، يسبغ البراعة على من يعمل من أجله، بشخصه. والخادم المتواضع فى يد من يبسط عليه حمايته. إنه يحقق مقاصد هذا الأخير. إن جلالتك هو الـ«حورس» الذى يغزو، وقد انتصر ساعداك على كافة الأقطار.

فليأمر جلالتك إذن، بأن يؤتى إليه بـ«ميكى»، المتحدّر من «قيدام»[٨١] و«خنتيو يعوش،» من «خنتكشو» و«منوس» من بلاد الفينقيين[٨٢] إنهم أمراء ذوو سمعة طيبة، تربوا على حبهم لك. ولك أذكرك ببلاد الـ«رتنو». إنها ملك لك، كما أن كلابك (هى ملك لك).

أمـا عن هذا الهـروب لخادمـ(ـك)، فلم أكن قـد خططت له، ولم يكن قد خطر على بالى ، ولم أكن قد قصـدته. لا أدرى ما الذى أبعدنى عن المكان (حيث كنت). كان أشبه بحلم. تماماً كما لو أن شخصاً من الدلتا وجد نفسه فى إلفنتين، أوشخصاً من المستنقعات (وجد نفسه) فى النوبة. لم يكن الخوف قد تولأنى، ولا أحد يطاردنى، ولم أكن قد استمعت إلى حديث شرير، ولا كان أحد قد سمع اسمى فى فم المنادى. رغم كل ذلك، كان جسدى يرتعد، وساقاى تدفعانى بسرعة، بينما يحملنى قلبى. والإله الذى كـان قـد أمـر بهـذا الهـروب يشـدّنى. كمـا أننى لست بالشـخص المزهو. إن الإنسـان الذى على دراية ببلده هو (إنسـان) خـائف(٨٣)، فقد أقام «رع» الخوف الذى تثيرة فى ربوع مصر و(أقام) فى كل بلد أجنبى الرعب منك. وسواء أكنتُ فى المقر الملكى أم فى هذا المكان، فأنت فى الحقيقة ستار هذا الأفق.(٨٤) لأن قرص الشمس يتـألق برغبتك والماء فى النهـر يمكن شـربه، حـينمـا تودّ أنت ذلك . ونسمـة السمـاء يمكنى استنشـاقها عندما تأمر أنت بذلك وأخيراً، سوف ينقل هذا الخادم المتواضع أعماله فى هذا المكان إلى ذريته (بعد) أن حضر (الآن) من يصطحبه. وليتصرف جـلالتك كـمـا يحلو له. لان الناس تحـيـا من النسـمـة التى تمنحـهـا. ليـحب «رع» و«حـورس» و«حتـحور» أنفك المقدس وعسى أن لا يكف «مونتو» سيد طيبة عن رغبته فى أن يحيا (أنفك) للزمن اللانهائى.»

وسُمح لى بأن أقضى يوماً فى بلاد«ياء»، لأنقل ممتلكاتى لأولادى. وكان على ابنى الأكبر ان يحتفظ بقبيلتى، فتظل بيده هذه الأخيرة إلى جانب كل ممتلكاتـى (وكذلك) خدمى وماشيتى وفاكهتى واشجار الفاكهة. ثم رحلت فى اتجاة الجنوب، وتوقفت عند دروب «حورس»(٨٥). (أما) القائد الذى كان مسئولاً عن الحامية فى هـذا المكان فقد أوفـد رسـولاً إلـى المقـر الملكى للإبلاغ (بوصـولى إلى هذا المكان). وعلى ذلك، فـقـد أرسل جلالته أحد مديرى الفلاحين البـارزين التابع للبيت الملكى. وكانت ترافقه سفن مـحـملة بهـدايا الملك من أجل «بدو» آسـيـا الذين كـانوا ضـمن حـاشـيـتى والذين اصطحبونى حتى «دروب» حورس. وسميت كل واحد باسمه. وبسرعة انهمك السقاة فى عملهم(٨٦). وبينمـا كنت انطلق فى طريقى وأقلع مـبـحـراً، كان القوم يعـجنون من أجلى(٨٧) ويصفّون (الجعة) فى حضورى إلى أن وصلت مدينة «إثت»-(«تارى»)(٨٨).

وعندما أُضيئت الأرض، فى الصباح، جاء من يستدعينى. وهّم عشرة رجال بالحضور، ليصطحبونى حتى القصر. ولمست الأرض بجبينى وسط (تماثيل) أبى الهول واستقبلنى الأولاد الملكيون الواقفون عند باب المدخل فى حين كان الأصدقاء الذين أدخلوا إلى قاعة الأساطين يرشدونى إلى طريق قاعة المقابلات الرسمية. وألفيت جلالته (متربعاً) على العرش الكبيرتحت بوابة من الذهب الخالص. وانبطحت أرضاً على بطنى، وغبت فى حضرته عن وعيى، عندئذ تحدث إلىّ هذا الإله كما يتحدث إلى صديق. ولكننى كنت أشبة بإنسان أطبقت عليه الظلمات... كان «با»ئى يفارقنى، بينما أعضائى ترتعد ولم يعد قلبى فى جسدى. ولم يكن فى وسعى أن أميز الحياة من الموت.[٨٩] قال جلالته لأحد الأصدقاء الموجودين هنا:«عاونه على النهوض، حتى يتحدث إلىّ»- ثم قال لى : «انظر، لقد عُدت، بعد أن تجولت فى البلدان الأجنبية وصرت طريداً. والآن، بدأت تظهر أضرار كبر السن، لقد ادركتك الشيخوخة. فلن يكون بالأمر الهين ان يوارى جسدك التراب، فلن يشيعك «رجال - القوس». ولكن لا تتصرف إذن على هذا النحو، لا تتصرف على هذا النحو، إنك تظل صامتاً ، بينما يُنطق باسمك».

كنت أخشى العقاب، وعلى ذلك أجيب إجابة خوف : «ترى، عما حدثتنى، ياسيدى؟ أن أجيب عليك، فهذا ليس فى مقدورى. إن الإله (هو الذى يريد ذلك). فالخوف يلازم جسدى، كما كان أيام هروبى. أنظر، أنا بين يديك، - الحياة ملك لك. وليتصرف جلالتك حسب رغبته!، فى هذه اللحظة، أُدخل الأبناء الملكيون، بينما كان جلالته يقول للزوجة الملكية : «انظرى، لقد عاد «سنوهى»، أشبه بأسيوى، قام البدو بتشكيله.» صاحت الملكة صيحة مدوية وتعجب الأبناء الملكيون فى آن واحد وقالوا لجلالته :«أيها العاهل الملكى، ياسيدنا، لا يمكنه فى الحقيقة أن يكون هو». وقال الملك : «بل إنه هو فى الحقيقة.» وعلى ذلك، ولأنهم كانوا قد أحضروا معهم قلائدهم «مينات»[٩٠] وجلاجلهم وصلاصلهم، فقد اهدوها لجلالته»[٩١]:

«عسى أن توجهك يداك (على الدوام) نحو الكمال، أيها الملك المخلد، يازينة «سيدة السماء»! عسى أن تمنح «المذهبة»[٩٢] الحياة لأنفك! عسى أن تلحق بك «سيدة النجوم»[٩٣]! عسى أن يبحر تاج الجنوب صوب الشمال وتاج الشمال صوب الجنوب، وعساهما ، يجتمعان متحدين بأمر من جلالتك[٩٤]! عسى أيضاً أن يوضع الصل على

جبينك! كما انك عملت على ابعاد الشرور عن رعاياك، سيكون «رع» بالمثل رحوماً، يارب الأراضى. تحية لك، أنت، ولـ«سيدة الكون» أيضاً(٩٥). اخفض قرنك،(٩٦) جلّ سهمك، امنح النسمة لمن يختنق. امنحنا فى هذا اليوم الجميل(٩٧) هذه الهدية الجميلة (فى شخص) هذا الشيخ، ابن «محيت»(٩٨)، «رجل - القوس» هذا، المولود فى البلد المحبوب. لقد هرب بسبب الخوف الذى تثيره (فى النفوس)، لقد ترك البلد خوفاً منك. ولكن وجه من عاد ليرى وجهك عليه ألاّ يضطرب ابداً (من القلق) والعين التى تتأملك (من جديد) لا ينبغى ان ترتاع.»

عندئذ قال جلالته:« لن يخاف أبداً. لن يفزع ابداً. فهو من الآن، «صديق»، وسط رجال البلاط. له مكانته فى البلاط. هيا، اذهبوا إذن الى «بيت الصباح»،(٩٩) لينتهى من بعض شؤونه.»

وخرجت إذن من قاعة الإستقبالات الرسمية. وأيدى الأبناء الملكيين فى يدى، وهكذا عبرنا الباب المزدوج الكبير. وخصص لى مسكن ابن ملكى، مزود بوسائل الترف : حمام ومرايا(١٠٠). كما كانت اشياء ثمينة تعود إلى «البيت الأبيض:(١٠١) فكان فى كل حجرة من الحجرات ملابس من الكتان الملكى، وبخور وأفضل الأدهان الملكية المخصصة لرجال البلاط أصحاب الحظوة. وكان جميع الخدم يؤدون أعمالهم.

وعندئذ، أزالو من جسدى (آثار) السنين ونتف (شعرى)(١٠٢) وصفف شعرى، وأعيدت قاذوراتى إلى الصحراء، و(ما كنت ارتدية من ملابس) إلى «السائرين- على- الرمال». وأُلبست أرقى «أنواع» الكتان الملكى، ومسحت بأفضل (أنواع) الأدهان وتمكنت من الآن ان أنام على سرير. وتركت الرمال لمن يقيمون فيها، وزيت الشجر(١٠٣) للذين يدهنون به.

كما منحت بعد ذلك مسكناً كان يملكه «صديق» واصبحت أيضاً أملك حديقة، وبدأ العديد من الحرفيين يعملون. ومن جديد نبتت فيها أشجار من شتى الأنواع. كما كانت تقدم لى وجبات القصر، ثلاث أو أربع مرات يومياً، دون النظر إلى ما يقدمه الأبناء الملكيون، فى أى وقت، وبلا انقطاع. كما شيدوا لى أيضاً هرماً من حجر(١٠٤)، وسط الأهرامات.(لذا) فقد قام مدير قاطعى حجر الأهرامات بالتفتيش أولاً على الموقع. ورسم مدير الرسامين الرسم التخطيطى. وقطع مدير النحاتين (الحجر). فى حين كان مدير اعمال الجبانة يشرف على العمل. ووضعت فى حجرة

دفني جميع التجهيزات التي توضع في المعتاد في حجرة الدفن (في أى مقبرة) وخصص لي كهنة الـ«كا».(١٠٥) وخصصت من أجلي أملاك جنائزية، تضم حقولاً وحديقة، كما جرى العرف مع «صديق» رفيع المنصب. وصُفّح تمثالي برقائق الذهب، وكانت النقبة من الذهب الخالص. كان جلالته هو الذي سمح باعداد كل ذلك. وهكذا نلت رعاية الملك إلى أن جاء يوم الرُسوّ.(١٠٦)

هكذا وصلنا هذا النص، من بدايته وحتى نهايته، وهو مطابق لما وُجد مكتوباً.

ان قصة «سنوهى» هى قصة مغامرات طويلة وعلى قدر كبير من الغرابة. ولاندرى بوضوح الاسباب التى دفعته إلى هذه المغامرات. وفى وسعنا أن نطرح عدداً من الأسئلة. فمن هو «سنوهى»؟ يعلن بداية النص، انه خادم فى الحريم الملكى الأمر الذى قد يفسر مدى «ألفته» مع الملكة والأبناء الملكيين. كما أنه شخص «نشأ وترعرع» فى القصر الملكى. وفى الواقع، كان أبناء أعيان البلاد يحصلون على تنشئتهم فى البلاط جنباً إلى جنب مع الأمراء الملكيين، والحال هذا، نفهم بسهولة، مدى السعادة التى اظهرها هؤلاء عند عودته. ومن المحتمل أيضاً انه كان من أقرباء الملكة، التى يرتبط بها بروابط وجدانية. وفى المقابل تخبرنا نهاية النص أنه «لا يوجد شخص رقيق الحال» قد توفر له كل هذا التكريم: ربما اعتبرنا هذه الجملة مجرد عبارة مجاملة - من التواضع المتصنع - على الطريقة الشرقية. وعلى كل حال، يبدو ان «سنوهى» كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحياة البلاط، منذ سن الشباب الغض. أهو شخصية روائية خيالية أم كان له وجود حقيقى؟

ومن حقنا أيضاً، أن نتساءل حول أسباب هذه الرحلة المضطربة وهذه الإقامة الطويلة فى البلدان الأجنبية. أهو خوف مفاجئ؟ الخوف من سماع معلومات عن مؤامرة. فقد يعرضه إفشاء هذا السرّ إلى معاقبته؟ ولكن مع تسلم الأمير سنوسرت السلطة، اختفت أسباب هذا الخوف. ولكن هذا الخوف يتكرر عبر النص كله، وكأنه موضوع ثابت. ويبدو الأمر على قدر من الغرابة، حتى أننا نميل إلى الإعتقاد إنه كان

مجرد مبرّر. إلا أننا نعيش عصراً أزدهرت فيه العلاقات الدولية، وهى لحظة، كانت مصر قد تلقت خلالها تحذيراً من جراء الأحداث المقلقة والغزوات التى وقعت بدءاً من الأسرة السادسة وحتى نهاية الأسرة العاشرة وإذ توحدت مصر آنذاك فقد سعى ملوكها إلى إقامة سلسلة من الدول الحاجزة حول حدودها حتى يضمنوا من الآن الحماية لمصر. كما تعززت العلاقات مع آسيا . ترى أكان «سنوهى» مبعوثاً سرياً لفرعون (؟)، مكلف بتدعيم الروابط مع شيوخ الصحراء وأفراد المدن الفينقية والتعرف على موقفهم السياسى. ان وضعه كهارب أو كلاجئ كما يبدو فى الظاهر، كان يسمح له أن يفهم بمزيد من السهولة حقيقة موقفهم السياسى. وبالفعل، فانه يوضح للملك فى خطابه أن منهم الأمراء المخلصون، الذين يمكن الاعتماد عليهم، لا سيما أمراء الـ«رتنو». ربما كانت القصة مجرد أحداث حيكت حول إطار سياسى، ظل سرياً. ومن الراجح أن المصريين قد أحبوا هذه القصة على نحو خاص، - إذ نسخوها مراراً وتكراراً - لانهم كانوا يفهمون على ما يظن مغزاها الحقيقى، وانها كانت تعود بذاكرتهم إلى وقائع - كانت حقيقية - وان كنا نحن نجهلها. إنها رواية مقنّعة، إذ صح التعبير .

ويقدم لنا هذا النص أيضاً معلومات مفيدة حول موقف المصريين إزاء الملك، بعد أن تأسس النظام الملكى الجديد. انها إرهاصات لأيديولوچية التحامسة والرعامسة - التى تم الإعداد لها منذ وقت بعيد، ان التصور االذى كان قد تكون عن العاهل الملكى قد أخذ يتنوع ويصطبغ بصبغة انسانية. ولا ريب ان فرعون مازال يجسد السيادة والقوة، ولكنه أيضاً المالك الخيّر للحكمة والمعرفة الذى يعلم كيف يظهر الرقة والرحمة، عند الضرورة. وهنا تظهر الشواهد الأولى على البطولات المليكة، وأسطورة الملك الذى لا يقهر (التى سيطورها تحوتمس الثالث، وامنحوتب الثانى والرعامسة، إلى أقصى حدّ).

كما تشير قصة «سنوهى» أيضاً إلى وقائع تاريخية، لا نملك عنها من جانب أخر، سوى القليل من المعلومات : وجود مؤمرات فى البلاط مع تولى الأسرة الثانية عشرة السلطة، الحملة التى شنت على ليبيا، فى العام ٢٩ أو ٣٠ من حكم امنمحات الأول بقيادة سنوسرت الشريك فى الحكم، والشريك النشط فى السياسة الخارجية لمصر، وأيضاً ظهور التمييز الأساسى، الذى سيظل أمراً جوهرياً وحقيقياً على الدوام

ولاسيما على الصعيد الإدارى ، بين الممتلكات الإفريقية والممتلكات الأسيوية.

وأخيراً فهذا النص المكتوب فى لغة كلاسيكية هى آية فى الجمال هو، أيضاً انعكاس لمختلف التقاليد الأدبية، سواء القديمة منها أوالجديدة، إن التضاد الإيقاعى الذى يقابل بين الفاقة التى كان يعيش فيها «سنوهى» فى السابق وثرائه الحالى[١٠٧] ليذكرنا بـ مرثيات «إيپوور»[١٠٨]. إن الإسهاب فى الكلام، وواقعية الوصف وشكاوى «سنوهى» وتوسلاته التى تجيش بالحزن والحنين لتذكرنا أحياناً بعرائض الفلاح الذى تعرض للسطو (الفلاح الفصيح)[١٠٩]. كما تظهر هنا الأناشيد إلى الملك، فى قوالب شعرية، وهو النوع الذى نشأ آنذاك وأخذ يتطور فى وقت لاحق تطوراً ملحوظاً.

كما نتعرف فى هذه القصة أيضاً، على مواضيع اكثر عمومية، نذكر على سبيل المثال، تفوق الإنسان الفطن والماهر على بطل لا يغتر بقوته؟ وهو موضوع ظل يراود وعى الإنسان منذ أقدم الأزمنة، فى نموذج داوود و«جوليات» أو «أستيريكس» Asterix فى الأزمنة الحديثة، كنموذج أكثر ابتذالا. ويحلو للبشر ان ينتصر الذكاء على القوة القح.*

ولعدة أسباب تعتبر قصة سنوهى فصلاً هاماً من تاريخ الأدب المصرى.

---

* راجع الكتاب المقدس ، سفر صموئيل الأول : الإصحاح : ١٧. (المترجم).

رحلة «ون آمون»[١١٠]

اليوم السادس عشر[١١١]، من الشهر الثانى، من فصل الجفاف،[١١٢]، من العام الخامس. فى هذا اليوم رحل «ون آمون»، كبير مسئولى البوابة[١١٣]، التابع لمعبد «آمون»، رب عرشى القطرين، لإحضار الخشب (اللازم) للقارب الكبير المقدس الخاص بـ«آمون رع»، ملك الآلهة – القارب الذى يبحر على (صفحة) النيل والذى يسمّى «أوسرحات»[١١٤].

ويوم أن وصلت «تانيس»، حيث مقر «سمندس» («نس بانب چد»–م.) و«تنت آمون»[١١٥]، سلمتهما مراسيم، «آمون – رع»،ملك الآلهة. وعملا على أن تقرأ فى حضرتهما، وقالا : «لسوف اتصرف (هكذا!–م) (بكل تأكيد) سوف اتصرف طبقاً لكلمات «آمون–رع»، سيدنا، ملك الآلهة.» وعلى ذلك، فقد مكثت فى فى مدينة «تانيس»[١١٦] حتى الشهر الرابع من فصل الجفاف. عندئذ أصدر إلىّ «سمندس» و«تنت آمون» أوامر الرحيل فى صحبة قائد السفينة «منجابت»[١١٧] ونزلت على بحر سوريا العظيم، فى الشهر الأول من فصل الفيضان[١١٨].

وأدركت فى البداية مدينة «دِر»[١١٩]، وهى احدى المدن التى يقيم فيها الـ«ثاكر».[١٢٠] وسمح أميرها «بادر» بأن يقدم لى خمسون رغيفاً، وإبريق نبيذ وفخذ عجل. ولكن هرب أحد رجال سفينتى بعد ان سرق (إناءً) من ذهب، يزن خمسة «دبنات»[١٢١] وأربعة أوعية من فضة تزن عشرين «دبن»، واربعة أباريق من فضة تزن عشرين «دبن» وكيساً (به) احد عشر دبن من فضة (قيمة ما سلبه اللص:)خمسة «دبنات» ذهب وواحد وثلاثون «دبن» فضة[١٢٢]. (وفى نفس) هذا الصباح، رحلت، متجهاً إلى حيث يقيم الأمير وقلت له : «لقد سُرقت فى ميناء تابع لك. غير أنك أمير هذا البلد، فانت الذى يدير شئونه. فبادر بالبحث عن فضتى وذهبى[١٢٣]، فإن هذه الفضة وهذا الذهب هما ملك «آمون – رع»، ملك الآلهة، وسيد الأراضى. وهو أيضاً ملك «سمندس»، ، ملك سيدى، «حريحور» وجميع عظماء مصر الأخرين[١٢٤] كما انه ملكك أنت، و ملك «ورت» و«مكامير» و««وثاكر بعل» وأمير بيبلوس.[١٢٥] عندئذ قال لى : «حتى لو انك رزين وحصيف، فكما ترى، فأنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق، عن هذا الموضوع الذى تحدثنى عنه، فلو أن هذا اللص كان تابعاً لبلدى، (اللص) الذى

نزل فى سفينتك وسرق فضتك وذهبك، لكنت سددّتها لك من خزينتى، إلى أن يتم العثور على مرتكب السرقة، أياً كان اسمه. ولكن هذا اللص الذى سرق منك (هذه الممتلكات)، تابع لك، تابع لسفينتك. ومع ذلك، عليك أن تقضى هنا بضعة أيام، بجوارى ولسوف ابحث لك عنه.» وهكذا امضيت تسعة أيام، راسياً فى مينائه. ثم توجهت إليه قائلاً: «انظر. إنك لم تعثر على فضتى وذهبى دعنى إذن أرحل مع قادة السفن التى تجوب البحر...»

السطور التى تلى ذلك، مهمشة تهشيماً بالغاً. ويبدو ان «ون آمون» قد رحل رغم نصيحة أمير در. وابحر حتى وصل صور وصيدا، وعقد العزم على أن يصل إلى بيبلوس. وقبل النزول من السفينة، يبدو انه فتش فى خزينة السفينة التى كانت فى حوزته، وهكذا أخذ ثلاثين دبن من فضة. ثم أعلن لركاب السفينة انه سيعيد لهم هذه الفضة، عند العثور على ما سرق منه، من قبل.)

وهكذا رحلوا. وضربت خيمتى على شاطئ البحر، فى ميناء «بيبلوس». واقمت هناك تمثالاً الـ «آمون الطريق»،(١٣٦) ووضعت ما كان يخصة داخل (الخيمة). وأوفد أمير بيبلوس (رسولاً) ليخبرنى : «اذهب بعيداً عن مينائى !» وارسلت له (بدورى رسالة) قلت فيها : « وأين أذهب؟ . فإن كان عندك سفينة على وشك السفر، فاسمح لى بالعودة إلى مصر(١٢٧).» وهكذا قضيت تسعة وعشرين يوماً. وخلال كل هذه الفترة، ظل يوفد إلى يومياً (رسولاً) ليخبرنى قائلاً : «هيا، إذهب بعيداً عن مينائى!»

غير أنه حدث ذات يوم، بينما كان يقدم القرابين لآلهته، أن أمسك الإله («آمون») بزميل من زملاء (الملك) واوصله إلى حال من الجذب ، قائلاً له ؟: «احضر (تمثال) الإله فوق المرتفع(١٢٨). احضر أيضاً الرسول المسئول عنها. فـ«آمون» هو الذى ارسله، وهو الذى سمح بحضوره.» وخلال الفترة التى ظل فيها هذا الشخص فى غشيته، كنت قد وجدت سفينة كان قيدومها متجهاً ناحية مصر، وكنت قد شحنت عليها كل ما يخصنى، وكنت أشاهد الليل (وهو يرخى سدوله)، بينما يدور فى خلدى: «عندما يهبط (الليل) سوف اضع أيضاً (تمثال) الإله على متن السفينة، لأمنع كائناً من كان ان يراها (من الآن).» (وفى هذه اللحظة) جاء إلىّ مدير الميناء ليقول :

«امكث (فى هذا المكان) حتى الفجر، فهكذا تكلم الأمير.» فاردفت قائلاً : «ألست أنت هو ذاك الذى كان يقضى وقته كل يوم فى الحضور إلى قائلاً : «هيا ابتعد عن مينائى!» فكيف تخبرنى الآن : «امكث هذه الليلة!» - وذلك للسماح للسفينة التى اهتديت إليها بأن ترفع مرساها، ثم ستأتى من جديد لتقول : «ارحل!» وعلى ذلك، ذهب مدير الميناء ليبلغ ذلك إلى الأمير، وأرسل هذا (رسولاً) إلى قائد السفينة، ليأمره (بمايلى) : «امكث (فى هذا المكان) حتى الفجر. فهكذا تكلم الأمير.»

عندما انبلج الفجر، طلب منى الحضور، واصطحبنى إلى المرتفع، فى حين كان الإله راقداً فى خيمته، على شاطئ البحر. ووجدت الأمير جالساً فى قاعة كبيرة، وقد ولىّ ظهره جهة شباك، بينما تتلاطم أمواج بحر سورياً الكبير خلف رأسه(١٢٩). فقلت له : «فليباركك آمون!» قال الأمير : «ما هو عدد الايام التى انقضت منذ أن غادرت مقر «آمون؟» فاردفت قائلاً : «خمسة أشهر بالتمام الى يومنا هذا.» قال الأمير :«فلنر، ان كنت صادقاً فأين إذن وثائق مراسيم «آمون - رع» التى كانت بين يديك؟ اين خطاب كبير كهنة آمون الذى كان أيضاً فى حوزتك؟» فأجبت قائلاً : «لقد سلمتها إلى «سمندس» و«تنت آمون».(١٣٠) فثار ثورة عارمة وقال: «المراسيم والخطاب، لم تعد إذن فى حوزتك فأين هى أيضاً السفينة المصنوعة من خشب الأرز التى أعطاها إياك «سمندس»؟ أين طاقم بحارتها السوريون» ألم يسلمك (هذا الطاقم) لقبطان السفينة الأجنبى هذا ليدبر أمر قتلك ويلقيك فى البحر؟ لدى من إذن، سوف يجرى البحث عن (تمثال) الإله؟ وانت نفسك، لدى من يجرى البحث عنك؟ هكذا تحدث الىّ، فاردفت قائلاً : «ولكن أليست السفينة (التى تتحدث عنها) ملكاً لمصر؟ وطاقم الملاحين أليس تابعاً لمصر ويبحر بأمر من «سمندس» فهو لا يملك طاقماً «سورياً»(١٣١) (قال) الأمير : «ألا توجد هنا فى مينائى عشرون سفينة تتعامل مع سمندس؟ أما عن صيدا وهى مدينة أخرى مررت بها، أليس بها خمسون سفينة تتعامل مع «واركاتر» وهى فى طريقها إلى مقره؟»»(١٣٢) والتزمت الصمت لفترة طويلة. ثم سألنى أيضاً قائلاً : «فى أى مهمة جئت إذن؟» قلت له : « جئت بحثاً عن الخشب اللازم للقارب الكبير المقدس الخاص بـ«آمون»، ملك الآلهة. فما فعله أبوك، وما فعله أيضاً أبو أبيك، عليك أنت أيضاً ان تفعله.» هكذا قلت له. فأجابنى قائلاً :«حقاً، لقد فعلوه. وإذا اعطيتنى ما ينبغى من أجل ذلك،(١٣٣) لفعلته أيضاً. لقد اتم آبائى هذه الصفقة، لأن فرعون - ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة! كان قد ارسل

لهم ست سفن محملة بسلع مصر، تم تفريغها فى مخازنهم. أما أنت، فماذا أحضرت لى إذن؟»

عندئذ أمر بإحضار السجل اليومى لآبائه وأمر بأن يقرأ فى حضوره بصوت مرتفع. فوجد (أنه قد دُوِّن) فى سجله ألف «دبن» من مختلف الأشياء من فضة وذهب وقال لى: «لو أن أملاكى كانت فى يد ملك مصر :ولو أننى كنت خادمه التابع له، لما أرسل إلىّ فضة وذهباً قائلاً لى : «انجز (هذه) المهمة من أجل آمون!»(١٣٤) فما كان يرسله لأبى لم يكن على سبيل الهدايا. وعلى ذلك فأنا أيضاً لست خادمك، ولا خادم من أرسلك إلى. فعندما يعلو صوتى فى لبنان تنفتح السماء والأشجار تهوى هنا على شاطئ البحر(١٣٥). اعطنى إذن الأشرعة التى كان عليك أن تحضرها معك لتعود بسفنك (إلى مصر) محملة بأشجارك. اعطنى أيضاً الحبال التى كان عليك ان تحضرها لربط أشجار الأرز التى علىّ أن اقطعها .. ترى كيف ستعود بالأشجار التى سأوفرها لك؟ لسوف تتهاوى أشرعة سفنك، وتكون ركائز سواريك ثقيلة (جداً) فتتحطم، الزم جانب الحذر حتى لا تلقى حتفك وسط البحر.انظر، ان «آمون» ينفخ صوته فى السماء، فى حين يتجلى «سوتخ»»(١٣٦)، فى وقته. ان «آمون هو الذى أسس الأراضى قاطبة ، لقد أسسها بكل تأكيد . ولكنه أسس أرض مصر أولاً، (مصر) التى قدمت منها. فمن مصر أتى التفوق ليصل إلى الأرض التى أنا فيها(١٣٧). فمن مصر أتت الحكمة لتصل إلى الأرض التى أنا فيها، ترى، ما هذه الإجراءات الحمقاء التى يطالبونك بها؟»

وأجبت قائلاً :« ويحك! ليست حمقاء هى تلك الترتيبات التى اتبعتها، انظر، لا توجد سفينة على صفحة النهر إلا وتخص «آمون». فالبحر له، ولبنان أيضاً التى قلت عنها: «إنها لى». لبنان حيث «ينمو» قارب آمون، الـ«أوسرحات»، سيدة جميع السفن المقدسة(الأخرى)، فى الحقيقة، فإن «آمون- رع»، ملك الآلهة، قد قال هذه الكلمات لسيدى «حريحور» : «دعنى أرحل»(١٣٨) وقد أوفدنى «حريحور»، (وعهد إلى) بمهمة هذا الإله الكبير. ولكن، كما ترى فقد تصرفت بحيث قضى هذا الإله الكبير تسعة وعشرين يوماً منذ أن نزل إلى مينائك، مع أنه لم يكن خافياً عليك أنه كان موجوداً هنا. أليس هذا الذى كان يحيا هنا من قبل؟ ومع ذلك فأنت تقف هنا، بلا حركة، تسعى إلى القيام بصفقات لصالح لبنان مع «آمون» وهو مالكها، أما عن قولك «ان ملوك الأزمنة الغابرة كانوا يرسلون الفضة والذهب» (فسيكون ردى) انه لو كان فى

وسعهم ان يمنحوا الحياة والصحة، لما أمروا إذن بارسال سلع. لقد أمروا إذن بارسالها لآبائك، بدلاً من الحياة والصحة[١٣٩]. ولكن «آمون – رع»، ملك الآلهة، يملك الآلهة، يملك الحياة والصحة كان سيد آبائك، الذين قضوا أيام حياتهم يقدمون القرابين إلى «آمون» فأنت أيضاً خادم «آمون». وإذا قلت لـ «آمون» : «سوف أفعل، فلا ريب أنك ستفعل». وإذا عالجت مهمته، ستكون حياً، ستكون مزدهراً، ستكون فى صحة طيبة، وتكون كاملاً من أجل بلدك كله ومن أجل شعبك. لا تطمع إذن لنفسك فيما يملكه «آمون – رع» سيد الآلهة، من ثروات أخرى[١٤٠]، لأن الأسد يحب بالطبع ثرواته. اسمح إذن بأن يحضر إلى كاتبك، حتى أوفده إلى سمندس» و«تنت آمون» الحاكمين[١٤١]، اللذين وهبهما «آمون» لشمال بلده، لتلبية كل ما طالبت به. سوف أوفده إليهما (لابلاغ) هذه الكلمات: «مُرا بإحضار كل ذلك، وعند عودتى إلى الجنوب، سأتصرف آنذاك لأسدد لكم مجمل هذه المصاريف، بالتمام والكمال. وسلمته هذه الرسالة، وسلم رسالته إلى يد رسوله. كما شحن (على متن السفينة) اللوح الصالب للسفينة، ورأسى (الكبش؟) من الخشب (واحدة) لقيدوم (القارب المقدس لآمون) (والأخرى) لكوثلها، إلى جانب أربع عوارض خشبية، فكان مجموعها سبع قطع – وأمر بأن ينقل (كل ذلك) إلى مصر.

أما الرسول الذى سافر إلى مصر، فقد عاد إلىّ، فى سوريا، فى الشهر الأول من فصل الإنبات[١٤٢] وكان «سمندس» و«تنت آمون» قد ارسلا : أربع جرار وإناء واحداً من ذهب، واربع جرار من فضة، وعشرة ثياب من ارق انواع الكتان الملكى، وعشر حزم من كتان الوجة القبلى، وخمسمائة لفافة من أفضل البردى، وخمسمائة جلد عجل، وخمسمائة حبل من حبال السفن، وعشرين كيس عدس، وثلاثين سلة سمك. إلى جانب ذلك، فقد ارسلت تنت آمون : خمسة ثياب من كتان الوجه القبلى، وخمس حزم من كتان الوجه القبلى، وكيس عدس وخمس سلال سمك.

وفرح الأمير (بذلك). وبدأ ثلاثمائة رجل وثلاثمائة عجل العمل فى الحال وأقام على رأسهم المشرفين، لقطع الأشجار، وبعد أن قطعت ظلت ملقاة على الأرض طوال فصل (الإنبات)[١٤٣]. ومع حلول الشهر الثالث من فصل الجفاف[١٤٤] تم سحبها حتى ساحل البحر. وخرج الأمير وبقى على مقربة منها وبعث فى استدعائى قائلاً: «تعال!» وعندما اقتربت منه، سقط علىّ ظل مظلته. عندئذ تدخل «بن آمون» وهو ساق[١٤٥] من سقاته قائلاً : «إنه ظل فرعون – ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة

طيبة-، (فرعون)، سيدك، فقد سقط (ظله) عليك.» ولكن الأمير استشاط غضباً عليه وقال له: «ابعد عنه أنت!» وبينما كنت واقفاً أمام الأمير، وجه إلىّ الحديث التالى : «انظر، ان المهمة التى تصدّى لها آبائى فى الماضى، تصديت لها أنا أيضاً، رغم أنك لم تنجز من أجلى ما فعله آباؤك من أجل (آبائى). لقد وصلت بقية أشجارك، ووضعت هنا. والآن، تصرف حسبما أود، واشحنها. الم تعط لك؟ ولكن لا تماطل وأنت تتفكر فى الرعب الذى قد يثيره البحر، فلو فعلت لاستطعت أن ترى مدى (رعبى)[١٤٦]. وفى الواقع، فاننى لم أفعل معك، مافعله (أجدادى) مع رسل «خع إم واست»،[١٤٧] بعد أن امضوا سبع عشرة سنة فى هذا البلد. فقد وافتهم المنية وهم فى أماكنهم. وقال أيضاً لساقيه : «اصطحبه ليشاهد مقبرتهم التى يرقدون فيها. عندئذ قلت له : «ليس من الضرورى أن ترينى إياها. أما «خع إم واست» فالرسل الذين كان قد أوفدهم إليك كانوا رجالاً وهو أيضاً كان رجلاً. والذى (يقف أمامك) اليوم ليس واحد من هؤلاء الرسل، وإن قلت: «هيا اذهب لترى رفاقك» أليس فى وسعك أن تبتهج وتأمر بأن تقام لك لوحة حجرية تقول على سطحها : «آمون - رع»، ملك الآلهة، قد أوفد إلىّ رسوله -ليكن حياً ومزدهراً وفى صحة طيبة وهو (تمثال) «آمون الطريق» - (وارسل) معه، فى نفس الوقت «ون آمون» رسوله البشرى، بحثاً عن الخشب للقارب المقدس لآمون، ملك الآلهة، فأمرت إذن بقطع (الأشجار)، وتحميلها ووفرت لك من جانبى السفن والملاحين. لقد فعلت (إذن) كل ما يمكن عمله لتصل الحمولة إلى مصر، وطلبت فى المقابل من «آمون» ان يمنحنى خمسين سنة اضافة إلى عمرى الذى حدده لى القدر؟ وفى الحقيقة، سيحدث مستقبلاً فى المرة القادمة، ان يصل رسول من بلاد مصر يجيد القرأة. وعندئذ سوف يقرأ بصوت مرتفع اسمك على سطح هذا اللوح الحجرى[١٤٨] وتنال قرباناً من الماء الطهور فى الغرب، أسوة بالآلهة المقيمة فيه.»

وأجابنى قائلاً : « إن هذه الكلمات التى اخبرتنى بها للتو، هى شهادة على قدر كبير من الأهمية.» وواصلت كلامى قائلاً له : «فيما يتعلق بالأمور العديدة التى حدثتنى عنها، فعند وصولى إلى مقر كبير كهنة «آمون»، وبعد أن يقف (على الأسلوب) الذى عالجت به هذه المهمة، طبعاً! فستعود عليك هذه المهمة بالنفع وتنال بعض الخيرات.»

وعلى ذلك، توجهت إلى شاطئ البحر، إلى المكان الذى وضعت فيه الأشجار، وشاهدت إحدى عشرة سفينة قادمة عن طريق البحر. كانت سفناً تابعة لأهل «ثاكر» الذين سوّل لهم فكرهم: «اسجنوه ، ولا تدعوا سفنه ترحل.» عندئذ جلست وبكيت، وجاءنى أمين سر[١٤٩] الأمير عند خروجه وقال لى : «ترى ماذا أصابك (أيضاً)؟» فأجبت عليه : «ألا ترى إذن هذه الطيور المهاجرة التى تنزل إلى مصر، للمرة الثانية[١٥٠]؟ انظر إليها. إنها راحلة إلى مستنقعات النيل. أما أنا، فإلى متى أظل هنا، مهملاً؟ ألا ترى هؤلاء القوم الذين يقتربون للقبض علىّ؟» وذهب ليخبر الأمير بذلك، وهنا بكى الأمير بسبب هذه الكلمات التى نقلت إليه فأحزنته. وسمح لأمين سره ان يحضر عند خروجه ليقدم لى إنائى نبيذ وخروفاً. كما أمر بأن تأتى إلىّ «تانتنيوت»، وهى مغنية مصرية كانت فى صحبته وقال لها : «غنىّ من أجله، لا تسمحى للهواجس (السوداء) بان تملك قلبه.» كما ابلغنى رسالة، قال فيها : «كل، واشرب، ولا تسمح للهواجس (السوداء) بان تملك قلبك. وفى وسعك ان تسمع عند الفجر كل ما عندى من كلام.» ومع بزوغ الفجر، دعا جمعيته إلى الإجتماع[١٥١]، ووقف وسط (الأعيان) وقال عندئذ للـ«ثاكر»: «لم جئتم؟» فاجابوا: «جئنا لمطاردة هذه السفن التى بلا حماية[١٥٢] والتى ترسلها إلى مصر وإيضاً (لمطاردة) القوم الذين نريد ان نصفى حسابنا معهم[١٥٣].» فقال لهم :«ليس فى وسعى أن أحبس رسول «آمون» إلى بلدى. دعونى أرحله، وسوف تطاردونه فيما بعد للقبض عليه.»

عندئذ تركنى اركب السفينة، لأرحل بعيداً عن الميناء البحرى. ودفعتنى الرياح إلى «ألاسيا»[١٥٤] وهناك، خرج أهل المدينة، وفى نيتهم أن يقتلونى وشققت وسطهم لنفسى طريقاً إلى حيث تقيم «حتيبا» أميرة المدينة. فالتقيت بها بينما كانت تهم بالخروج من أحد مساكنها وعلى وشك الدخول إلى آخر. وقدمت لها التحية وقلت للرجال الواقفين بجوارها :«أيوجد من بينكم من يفهم لغة مصر؟» وأجاب أحدهم:«إنى افهمها.» وعلى ذلك فقد قلت له :«قل لسيدتى أنه نما إلى علمى، أنه بقدر بعد المدينة (مدينة طيبة) وبقدر بعد مقر إقامة «آمون»، يقترف الناس الظلم فى كل مدينة، ولكن الناس فى بلاد «الآسيا» ، يمارسون الحقيقة والعدالة. ولكنهم يقترفون أيضاً فى هذا المكان، الأعمال الخسيسة.» فردت علىّ قائلة: « ترى ماذا يعنى إذن ما تخبرنى به؟» قلت: «كان البحر هائجاً، عندما دفعتنى الرياح الى البلد الذى تقيمين فيه. ترى اتسمحين لهؤلاء الناس أن يلقوا القبض علىّ ويقتلوننى، فى

حين اننى رسول «آمون»؟ التزمى جانب الحذر، ففيما يخصنى، سوف يتواصل البحث عنى على مرّ الأيام. أما عن طاقم الملاحين هذا، فأنه تابع لأمير بيبلوس، ويحاول (رجالك) أيضاً أن يقتلوهم. (ألا تظنين) انه لو التقى سيده (سيد هذا الطاقم) بعشرة أطقم تابعين لك، ألن يقتلهم أنذاك، هو أيضاً؟» فاستدعت الناس (المعنيين) ووبختهم. ثم قالت لى :«أما أنت، فاذهب لقضاء ليلتك .....»

(هنا يتوقف المخطوط الذى ضاعت نهايته)

مساومات وجدل على خلفية من الشرق. إن الكشف ذات يوم عن بردية أخرى ربما يتيح لنا ان نتعرف على مآل المحن التى كابدها مبعوث آمون.

ويسمح لنا النص بالتعرف إلى أى مدى كانت هيبة مصر قد ضاعت، خلال الألف الأول قبل الميلاد. فبعد انقضاء العصور المجيدة التى عاشتها مصر فى ظل الإمبراطورية وحكم الرعامسة، جاء اغتصاب الحكم على أيدى كهنة طيبة فى الوجه القبلى وانفصال الوجه البحرى سياسياً ليضعف مملكة الوادى إلى حد كبير. وبيبلوس، التى كانت على امتداد اكثر من ألفى سنة، الحليف الأمين لمصر، لم تعد تابعة إلى هذا الحدّ.

ولكن هناك حقيقة جديرة بالإهتمام : فقد ظلت مصر على الصعيد الروحى لها الهيمنة على العالم القديم، وإن تضاءلت هيمنتها على الصعيد المادى. فالرفعة والحكمة قد ولدتا على ضفاف نهر النيل. ان حضارة الفراعنة التليدة قد تركت فى العقول بصمات واضحة، ويظل اسم «آمون»، الشديد البأس فى طيبة، وملك الآلهة، الذى عرفه الإغريق تحت اسم أمونراسونتير Amonrasonther *– يظل بالنسبة للجميع، بمثابة تميمة سحرية تفتح جميع الأبواب، وسوف تخضع اليونان وروما لهذه الهيمنة الروحية التى مارسها البلد الأقدم فى العالم، وتعترفان بها.*

---

* وهو التصحيف اليونانى للإسم المصرى «أمون-رع-نسو-نترو» اى «أمون-رع ملك الآلهة» (المترجم).

شروح وهوامش الفصل الثالث من الباب الثانى

(١) فى حوزتنا الآن نسخ عديدة من هذا النص، الذى كان المصريون بلاشك مولعين به ولعاً خاصاً. والمخطوطان الرئيسيان المدونان على البردى محفوظان فى الوقت الراهن بمتحف برلين تحت رقم 3022 (ويعود إلى مجموعة اتنازى Athanasi) ورقم 10499 (وهو من الرامسيوم - معبد رعمسيس الثانى الجنائزى، فى البر الغربى، لمدينة طيبة)

كما وصلت الينا العديد من الأوستراكا، التى دونت عليها نسخ من قصة «سنوهى». وأكملها موجود حاليا من مجموعات اوكسفورد (متحف الاشمولايان Ashmolean Museum) وترجع هذه النسخ إلى الفترة الممتدة من الأسرة الثانية عشرة إلى الأسرة العشرين. وصياغة النص هى بلغة الأسرة الثانية عشرة الكلاسيكية الجميلة.

A.M. Blackman, Middle Egyptian stories.

Bruxelles, 1932, PP 1-41. (Bibliotheca Aegyptica, vol II, Part I

J. W.B.Barns, The Ashmolean Ostracon of Sinouhe, London, 1952

(٢) هذا الاسم معناه حرفياً «ابن (شجرة) الجميزة» – إذ ترتبط الشجرة بعبادة «حتحور».

(٣) «الصديق الأوحد» و«الزميل» هما لقبان من ألقاب البلاط الملكى يرجعان إلى أقدم العصور ويشيران إلى مدى الحظوة التى نالها الشخص الذى يحملهما منزلته الرفيعة فى بلاط فرعون.

(٤) فى اللغة المصرية «سى - إن - وسرت» أى «رجل الإلهة أو سرت» وهى من آلهة المنطقة الطيبية اسمها «الشديدة البأس». ونحن فى صدر الأسرة الثانية عشرة وكانت طيبة فى ظل حكم الملوك السابقين (الأسرة الحادية عشرة) قد أصبحت للمرة الأولى عاصمة المملكة. وعندما تربع سنوسرت الأول على عرش البلاد نقل من جديد العاصمة على مقربة من رأس الدلتا (عند التقاء الوجهين القبلى والبحرى) عند مدخل الفيوم، فى اللشت.

(٥) مختصر اسم هرم «سنوسرت» الأول ومدينة هرمه فى اللشت: «خپر كا رع» (اسم العرش للملك «سنوسرت» الأول) «خنم - سوت» («يتحد بمقار الملك».)

(٦) «أمنمحات» الأول، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة الذى اغتصب العرش حوالى عام ٢٠٠٠ق.م ومعنى اسمه: «آمون هو فى المقدمة». أو «آمون هو الأول»

(٧) اختصار: «كا - نفرو - إمن - إم حات» أى: «رفيع هو كمال امنمحات» وهو اسم هرم «امنمحات» الأول، فى اللشت. وكان «سنوسرت» الأول قد تزوج إذن من أخته على عادة ملوك مصر، وكان هو شخصياً ابن «امنمحات» الأول.

(٨) قرب نهاية شهر أكتوبر.

(٩) اسم العرش لـ «أمنمحات» الأول ويعنى: «ذاك الذى يرضى قلب رع». إن اسمى «رع» و«آمون» يلتقيان إذن فى مجموعة ألقاب «أمنمحات» الأول وهما الإلهان المهيمنان على آلهة مصر العظمى. إن امنمحات الأول الذى دمج الصورتين الإلهيتين لـ «آمون - رع» قد فرض هيمنة هذا الأخير - وهى الهيمنة التى غالبت الأيام.

(١٠) آتون.

(١١) أعضاء الملك - الإله.

(١٢) عبارة تقليدية للدلالة على وفاة فرعون الذى يرتفع حتى السماء وينضم إلى أبيه «الشمس» (مذكر فى اللغة المصرية القديمة) ويتحد معه فى اندماج تام وأبدى.

(١٣) قبائل كانت تعيش فى سهوب ليبيا الحالية. وقد عاشت مصر فى معارك متواصلة مع أبناء هذه المناطق شبه الرعوية (الـ «تحنو» والـ «تمحيو») الذين جذبتهم خيرات وادى النيل وعقدت العزم على التغلغل داخل غرب الدلتا. وكان الـ «تحنو» وهم الأقدم، يرتبطون مع المصريين من الناحية الإثنية. فى حين أن الـ «تمحيو» الذين استقروا حديثاً فى هذه المناطق ينحدرون من أصول شمالية.

(١٤) إشارة محتملة إلى وجود مصريين متمردين على الأسرة الملكية الجديدة التى أسسها «امنمحات» الأول والذين لجؤوا بصفة مؤقتة على ما يظن إلى السكان المشاغبين القاطنين إلى الغرب من مصر.

(١٥) أى وفاة «أمنمحات» الأول، والد ولى العهد، الذى كان العاهل المتوفى قد أشركه فى العرش كشريك فى الحكم، وهكذا اختاره بصفة رسمية خليفةً له.

(١٦) الأمير ذاته، الذى سيصبح حورس الجديد، الصقر الملكى.

(١٧) إشارة محتملة إلى المؤامرة التى حاكها بعض رجال البلاط لمساعدة أمير اخر غير الذى اختاره امنمحات الأول ولم يكن الإبن البكر - لمساعدته على التربع على عرش البلاد. وربما راودت سنوسرت شخصياً بعض الشكوك حول وجود مؤامرة محتملة، الأمر الذى يفسر إسراعه فى التوجه فى الحال إلى العاصمة دون إبلاغ أحد.

(١٨) لاريب إنه عند سماع «سنوهى» الأحاديث المتبادلة، قد تعرف على وجود مؤامرة(؟). وسوف يهرب خوفا من أن يكون أحدهم قد اكتشف انه كان يتنصت على ما يقال.

(١٩) كانت الطرق فى مصر تمتد فوق الجسور الترابية، الواقعة على جانبى النهر، وتحفها أدغال كثيفة من نبات البردى.

(٢٠) اسم يعنى: «الحقيقتان» - الذى صحفه الإغريق إلى مريوط. وتقع هذه البحيرة فى الوجه البحرى، غرب الدلتا، على مقربة من مدينة الإسكندرية الحالية.

(٢١) مكان معلوم يحيط بشجرة جميز مقدسة ـ ويعتبر مقر إقامة الإلهة «حتحور» أو الإلهة السماوية «نوت».

(٢٢) وتقع أيضاً إلى الشمال الغربى من الدلتا.

(٢٣) كانت مشاهدة «سنوهى» بعد أن ظل هارباً لعدة أيام، وظهوره فجأة عند حافة أحد الحقول، من الأمور التى تثير الريبة فى النفوس.

(٢٤) لاريب أنها كانت قريبة من رأس الدلتا. لقد قطع بالفعل مسافة طويلة.

(٢٥) احتفظ «الجبل الأحمر» باسمه حتى الوقت الراهن: والجبل الأحمر تلٌ لا يبعد كثيراً عن القاهرة ويقع إلى الشرق من «مصر الجديدة». وكانت الإلهة «حتحور» فى العصور القديمة. هى سيدته وحاميته. وسواء نظرنا إلى اسم «سنوهى» ذاته أو اسم الأماكن المعلومة التى يلتقى بها، فان كثرة تردد اسم الإلهة، دليل على أهمية عباداتها فى ظل الأسرة الثانية عشرة.

إن «سنوهى» الذى كان عائداً من ليبيا يواصل «هروبه»(؟) ـ أو رحلته ـ إذ يمرٌ بغرب الدلتا ويعبر النهر عند تفرعاته قرب رأس الدلتا. ويتجه الآن شمالاً حتى يصل إلى الصحراء الواقعة شرقى هليوپوليس، ثم أخذ يبتعد بشكل واضح من المقر الملكى فى اللشت.

(٢٦) تتكون «أسوار الأمير» من سلسلة من القلاع الموزعة على طول حدود مصر الشمالية الشرقية وتمتد من سواحل البحر الأبيض لتصل إلى منطقة تقع على مستوى مدينة هليوپوليس تقريباً وقد شيدت بناء على أوامر «امنمحات» الأول للحيلولة دون تسلل القبائل الرعوية من بلدان آسيا المتاخمة لمصر، والتى كشفت عن خطورتها الشديدة خلال القرنين اللذين عمّت خلالهما الفوضى مصر، اعتباراً من ٢٣٥٠ وحتى ٢١٣٠ ق.م. تقريباً. وبشأن مشاعر الكراهية والإحتقار التى كان يكنها المصريون تجاه هذه الشعوب التى كانت ما تزال تعيش فى الخيام راجع: «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية»، المجلد الأول ص ٧٢.

(٢٧) كانت تشغل هذه القلاع حاميات صغيرة تسهر على منع أى عبور غير مشروع. لذا اختفى «سنوهى» حتى يحاول عبور «الحدود».

(٢٨) مكان مجهول.

(٢٩) البحيرات المرة عند طرف خليج السويس الحالى. وقد أطلق عليها هذا الاسم فى العصور القديمة نظرا لارتفاع نسبة النطرون فيها.

(٣٠) وهى أفعال تمارس على جسد «أوزيريس» لضمان بعثه إلى الحياة. إننا فى سياق روحانى للموت والإحياء.

(٣١) أى: «ذهبت من بلد إلى بلد».

(٣٢) أحد الموانئ الفينقية الكبيرة، أقامت معه مصر منذ أقدم العصور علاقات ودية. لقد وصل «سنوهى»

إذن إلى شمال ساحل البحر المتوسط.

(٣٣) بلدة قائمة بلا شك إلى الشرق أو إلى الجنوب الشرقى من بيبلوس.

(٣٤) من الراجح ان الـ «رتنو» هو جوف بلاد سوريا ـ فلسطين (الشام) حالياً.

(٣٥) فى هذه الآونة، ازدهرت إلى حد كبير علاقات مصر مع جيرانها وأخذ التجار المصريون والآسيويون يتنقلون من بلد إلى آخر.

(٣٦) أمنمحات الأول.

(٣٧) كانت الإلهة اللبؤة، إلهة محاربة وعدوانية، كما كانت تتسبب فى انتشار الأوبئة ولها القدرة ايضاً على الشفاء من الأمراض،، على حد سواء، وكانت «المصارِعة» العظمى.

(٣٨) سنوسرت الأول.

(٣٩) حرفياً: «الذى يرفع ساعده»، تعبيراً عن النصر، وهذا النص هو أحد الأناشيد الأولى الموجهة إلى فرعون، ونرى هنا النشأة الأولى لهذا النوع الأدبى (راجع: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، المجلد الأول ص ٩٣-٩٧) وسيزدهر هذا النوع فيما بعد ، لاسيما فى عصر التحامسة والرعامسة. (نفس المرجع).

(٤٠) الأعداء بصفة عامة، وربما كان المقصود على نحو خاص النوبيين وكانوا حملة أقواس ماهرين ومرهوبى الجانب، وبالفعل فقد قاد سنوسرت ثلاث حملات إلى النوبة، فى العام التاسع والعشرين من سنوات حكم أبيه، (وهى واقعة معروفة، جاءت أقوال «سنوهى» لتؤكدها) ثم فى العامين التاسع والثانى عشر من سنوات حكمه هو شخصياً. كما تجد أقوال «سنوهى» تأكيداً لها فى مطلع هذا النص: فى السنة الأخيرة من سنوات حكم امنمحات الأول (السنة الثلاثين)، كان سنوسرت مشغولاً فى حروبه فى ليبيا، بناء على أوامر أبيه.

(٤١) حرفياً: «الذى يغسل الوجه» ـ وأحياناً أيضا: «القلب»، انها تعبيرات تدل على راحة الجسد والروح.

(٤٢) صورة المحارب المنتصر، وهى أيضا صورة الرجل الذى يحترمه المرء وينحنى أمامه.

(٤٣) اى الذى فى وسعه أن يتجنبه بأن يهرب.

(٤٤) «فى اللحظة التى ينقلب فيها»

(٤٥) سوف يتكرر بكثرة موضوع البطل ذى المآثر الخارقة للعادة فى العصور اللاحقة راجع
C. LALOUETTE, Thébes, PP379-385

(٤٦) حرفياً: «الإلهة الكبرى»، وهى تعبير شاع فى نصوص الرعامسة على وجه التحديد، راجع
C. LALOUETTE, Empire des Ramse's,, PP389-390

(٤٧) إننا نعيش فى عصر، هو فاتحة لتأسيس امبراطورية الفراعنة، فيتم غزو الأراضى الإفريقية («تاو»)

الواقعة إلى الجنوب بالعنف، وتعتبر كما يدل اسمها مع ذلك امتدادا لمصر («تا» - أى الأرض المثلى -) ومن هنا كـان لابد من إبقـائهـا تابعـة لمصـر - البلد الأم. (راجع الهـامش ٤٠). امـا البلدان الأسيوية فى الشمال، وعلى رأسها المدن الفينقية - والتى تدعى «خاسوت» - أى «البلدان الأجنبية» فقد اعتبرت وستعتبر على الدوام بلداناً مستقلة، نظراً بلا ريب لحضـارتها العريقة، وسوف تكتفى مصـر بفرض هيمنتها عليها، ولأهداف تجـارية فى المقام الأول. ومن ثم لم يعرها سنوسرت أى اهتمـام. ولكن كان عليه تأديب البدو الرحل فى الأراضى المتاخمة الواقعة إلى الشمال الشرقى من مصـر إلى جانب بدو سيناء المقيمين فى أراضى العبور والذين كـانوا يعيشون على سلب ونهب القوافل فيصيبون بالضرر التبادلات التجارية المنتظمة. ومنذ أقدم العصور كانت مصر هى المسئولة عن حفظ الأمن فى دروب الصحراء الشرقية والشمالية.

(٤٨) إستـعارة منقولة عن لغة نوتيـة نهر النيل. «ان يبقى المرء فوق مياه فلان» يعنى انه يتبعـه مـادياً ومعنوياً، أى ان يكون وفياً مخلصاً له.

(٤٩) ورد فى النص «ربط حبل السفينة» - تماماً كما يربط حبل السفينة عند الرسو على الشاطئ.

(٥٠) واحة فى صحراء الـ «رتنو».

(٥١) إننا موجودون هنا فى جوف فينيقا، فى الواحات الزاخرة بالنبات.

(٥٢) بلاط سنوسرت الأول.

(٥٣) ظل «سنوهى» دائماً على علاقة بفرعون.

(٥٤) عملاً بمبادئ المحبة وإعانة المعوزين. وهى مبادئ أساسية فى المجتمع المصرى. راجع على سبيل المثال لا الحصر: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية، المجلد الأول: ص ٢٢٧

(٥٥) «حقاو خاسوت» هو الإسم الذى صحفه الإغريقى إلى «هكسوس» ربما كان المقصود بذلك، البوادر الأولى لموجة الغزاة الكبرى التى ستنقض فيما بعد على مصر فى القرن الثامن عشر ق.م. والأمر غير مستبعد حيث ان الشعوب الهندو أوربية، ولاشك أن أصولها كانت أصولاً قوقـازية، قد أخذت «تهبط» إلى الجنوب، ابتداء من عام ٢٠٠٠ق.م تقريباً، أى خلال السنوات الأولى من حكم أمنمحات الأول، وأخـذت تطرد أمـامـهـا الشـعـوب السـامـيـة القاطنة فى شـمـال آسـيـا - وهـم «زعـمـاء البلدان الأجنبية».

(٥٦) ترى أهى إشـارة إلى ظروف مـحـتـملة أدت إلى وجـود تمرد على الأسـرة المالكة الجـديدة، فلجـأ المتـمـردون إلى ليبيا أو إلى آسـيـا؟ ام أن كلمـة «رمث» التى تشير فى المعتـاد إلى شـعب مصـر، تستعمل هنا بمعناها الأعم للدلاله على «البشر» دون تفرقة بين أصولهم؟

(٥٧) من الواضح هنا أن المقصود هو رجل «نوبى».

(٥٨) رجل «الرتنو» القوى.

(٥٩) «سنوهى» ذاته.

(٦٠) الإله الصقر المحارب.

(٦١) حرفياً: «فى ظهرى» - لحمايتى.

(٦٢) رمز السلطة وما يصدر من أوامر. من الواضح فى هذا السياق ان كلمة «إله» - وان كانت تعريفاً لقدرة الربوبية بشكل عام - فهى أيضاً اسم ملك مصر.

(٦٣) الملكة. ان «سنوهى» هو فى الواقع «خادم فى الحريم الملكى للسيدة النبيلة». راجع الفقرة الأولى من هذه القصة. إن وظيفته تجعله إذن على اتصال بالملكة وأبنائها.

(٦٤) ان وصف الشيخوخة ومضارها كما وردت فى «حكم الوزير بتاح حوتب»، قريبة الشبه جداً بالأوصاف الواردة هنا. راجع «نصوص مقدسة ونصوص دنيوية» . المجلد الأول ص ٣٣٢

(٦٥) أى: الوفاة.

(٦٦) مثلما يندمج فرعون فى الشمس «آمون - رع»، تندمج الملكة فى «نوت»، إلهة السماء. إنهما لايشكلان زوجين أرضيين وآدميين فحسب، بل انهما «زوج» كونى وإلهى لاينفصم. وعلى الوجه الداخلى من غطاء التابوت، كانت ترسم أو تنقش فى الغالب صورة للإلهة «نوت»، ممددة فوق المتوفى، فتحميه إلى الأبد. ويشير هنا النص إلى هذا الأسلوب الرمزى.

(٦٧) يلى ذلك الألقاب الملكية، التى تتصدر فى المعتاد كل مرسوم أو كل قانون صادر عن القصر.

(٦٨) يعنى هذا الإسم: «فليأت إلى الوجود «كا» «رع» - »

(٦٩) كان الكاتب ساهياً. فمن ناحية، لم يذكر الإسم الثالث، وهم اسم حورس الذهبى، من ناحية أخرى فقد وضع اسم «امنمحات» خطأ بدلاً من اسم «سنوسرت».

(٧٠) الملكة. راجع الهامش ٦٦ فيما تقدم.

(٧١) إلهة النسيج، متخصصة فى الشرائط التى كانت تدثر فيها المومياء.

(٧٢) التابوت الداخلى الذى يلى المومياء مباشرة.

(٧٣) التابوت الخارجى. كانت صورة الإلهة السماوية «نوت» شاخصة على الوجه الداخلى من غطاء التابوت.

(٧٤) كان التابوت يوضع فوق زحافة من خشب، تجرها العجول، ابتداء من المنزل (حيث ثم تحنيط الجسد حسب القواعد المعمول بها) إلى المقبرة.

(٧٥) رقصة جنائزية تقليدية: كان الراقصون يرتدون فوق رؤوسهم تاجاً عالياً مصنوعاً من الخوص ويؤدون حركات إيقاعية منقولة عن فولكلور موغل فى القدم. وكانت هذه الرقصة ذات أصول إفريقية، على ما يظن، وهدفها طرد الأرواح الشريرة.

(٧٦) سوف يجسد الصوت والكلمة هذه القرابين مادياً.

(٧٧) غير متحضرين يتصرفون تصرفاً أرعن.لإبراز هذا المعنى، يلجأ مخصص الكلمة إلى صورة رجل بلا يدين، وبلا ساعدين، وقد ارتد إلى وضع بهيمى.

(٧٨) الهدف من هذا السرد الطويل للآلهة دون أى ترتيب منطقى هو وضع فرعون تحت حماية آلهة الكون العظمى فى مصر وفى البلدان الأجنبية وفى الجزر وفى البحار، على حد سواء. وهذه الآلهة هى:

١- الآلهة الأولية: «آتوم» وذريته المكونة من تسعة آلهة هم الذين خلقوا العالم ونظموه - وهم القوة الإلهية التى كانت كامنة فى الـ «نوو» - وهو المحيط الأزلى - وقد اجتمعت هذه الآلهة على هيئة محكمة.

٢- آلهة السماء: «رع» والآلهة المرتبطة به، مثل «سوبك» التمساح الذى ينبعث فجأة من مياه النيل، على غرار مافعله «رع»، فى اليوم الأول من الخلق، عندما انبثق خارج الخواء السائل - وأيضا «نوت» و «حتحور» السماويتان - و«حورس» صقر السماء.

٣- الآلهة الملكية: «آمون»، القادم الحديث، الذى تسيد بفضل ما أكتسبه أمراء طيبة فى الوجه القبلى من سلطان سياسى. - و «سيدة بوتو»، الحية «واچت» وهى الحامية القديمة والراعية لأوائل ملوك الوجه البحرى.

٤- آلهة البلدان الأجنبية أو المرتبطة بها: «مين» فى «كوبتوس» عند بداية الدروب الكبرى التى تخترق الصحراء وتنتهى عند البحر الأحمر - «سوپد» الذى كان يعبد فى أقص الأقاليم الشرقيه من الدلتا، عند تخوم الأراضى الأجنبية، ويرتبط به «نعرباو» و«سمسرو» وهما من آلهة آسيا.

يؤكد هذا النص بكل وضوح الأهمية التى كان يوليها المصريون فى هذا العصر (بداية الأسرة الثانية عشرة) للعبادات المحلية، وشاغلهم «الإمبريالى» فى إشراك آلهة مصر وآلهة البلدان الأجنبية معاً، إلى جانب أنه يعبر عن ضرورة روحية، شغلت المصريين منذ أقدم العصور: فاتحاد القوى الإلهية يؤمن لمن يتضرع إليها عونا رفيع المستوى. لذلك، فعندما أراد «سنوهى» أن يشكر فرعون على عظيم رحمته أخذ يناجى رموز كافة الآلهة من أجل فرعون ولصالحه.

(٧٩) المنطقة التى تغرب فيها الشمس وتختفى عن أعين الأحياء - وهى مملكة الموت.

(٨٠) فرعون نفسه.

(٨١) راجع الهامش ٣٣.

(٨٢) الاسماء المذكورة هى أسماء أمراء أجانب مكتوبة على الطريقة المصرية بالرسم المقطعى.

(٨٣) المصرى يحترم فرعون ويخشاه.

(٨٤) الذى فى وسعه إذن ان يحجب النور وينشر الظلمات، إذا ما أراد ذلك.

(٨٥) طريق ساحلى قديم جداً، يبدأ من القنطرة ويتجه شمالاً فى محاذاة شواطئ البحر المتوسط.

(٨٦) ان الجعة وهى المشروب المصرى الأمثل، تصنع أثناء الرحلة.

(٨٧) دقيق الشعير.

(٨٨) حرفياً: «تلك التى تقبض على الأرضين» ـ وهو اسم مقر إقامة ملوك الأسرة الثانية عشرة الأوائل.

(٨٩) وصف عضوى دقيق لما حدث عندما غُشى على «سنوهى» ـ عندما التقى بفرعون وشاهده، ونتيجة الإنفعال الشديد الذى انتابه.

(٩٠) قلائد كبيرة من الخرز. وعند هزها هزاً شديداً كان يصدر عنها صوت حاد، يرافقه هنا صوت طقطقة ناتجة عن اصطدام الشرائح المعدنية للمصلصلات. وكان الهدف من كل رنين «موسيقى» وإيقاعى هو ادخال السعادة على قلب فرعون وجميع الحاضرين معه. والقلائد «مينات» والمصلصلات هى من رموز الإلهة حتحور.

إن عودة «سنوهى» المظفرة بعد أن ظل طريداً وقد لفحته الشمس وطالت لحيته جعلته أشبه ببدو الصحراء، حتى اصبح التعرف عليه من الصعوبة بمكان.

(٩١) حفل موسيقى ـ بمصاحبة الغناء والإلقاء المنغم الذى يلى.

(٩٢) «سيدة السماء» و«المذهبة» هما صفتان تطلقان على الإلهة «حتحور» ـ وهى «المذهبة» لأنها بقرة السماء، وبصفتها هذه فهى زوجة الشمس (مذكر فى اللغة المصرية القديمة ـ م.) وأمه، فى آن واحد. (راجع الفصل الثانى من الباب الأول.)

(٩٣) «حتحور» وتقوم هنا أيضاً بدورها كبقرة سماوية، ترفع بطنها النجوم أثناء الليل.

(٩٤) وتكونّ بالتالى تاج ـ «البشنت» رمز الملكية الموحدة للوجهين القبلى والبحرى.

(٩٥) الملكة.

(٩٦) الثور المنتصر وفقاً لصورة الملك العتيقة.

(٩٧) حسب نص «أوستراكون» متحف الأشموليان فى أوكسفورد.

(٩٨) تتحمل هذه الكلمة تأويلات ثلاثة: فقد تدل على ريح الشمال، أو الإلهة برأس لبؤة التى كانت تعبد فى مدينة «ثنى» القديمة أو اسم والدة «سنوهى»، وهو المعنى الأكثر احتمالاً. وهذا المعنى الأخير قد يتفق بشكل أفضل مع الجملة التالية ـ وهكذا تنفق الجملتان فتسير على نفس الإيقاع: فالملامح هى ملامح أسيوية من حيث المظهر. ولكن الأصول هى أصول مصرية.

يكشف هذا المقطع باكمله عن الطريقة التى اختارها الأبناء الملكيون لطلب الصفح عن «سنوهى».

(٩٩) فى «بيت الصباح» كان يتطّهر الملك بالماء ويرتدى ملابسه. ومن ثم أدخل سنوهى؟ إلى جناح الملك الخاص.

(١٠٠) ندين لـ SANDER - HANSEN (Acta Orientala, 1955 - 1959, 22, P149 بهذا التأويل لعبارة «صور الأفق»

(١٠١) الخزينة الملكية.

(١٠٢) كل مصرى من علية القوم كان عليه ان يكون بلا لحية فى حين يصور الأسيويون على الدوام بلحية مدببة.

(١٠٣) زيت الزيتون ـ فى مقابل زيت الخروع الذى كان المصريون يستعملونه بشكل أساسى،

(١٠٤) إنه أمر جدير بالملاحظة، ففى ذلك العصر كان الإقتصاد المصرى لازال يعانى من الثورة الإجتماعية التى استمرت قرنين من الزمن قبل أن يتمكن ملوك الأسرة الحادية عشرة من جمع شمل المملكة وتنظيمها .حتى أن بعض الأهرامات الملكية فى اللشت قد شيدت بالطوب اللبن.

(١٠٥) كهنة جنائزيون كانت مهمتهم فى المقبرة ان يقوموا بمختلف الطقوس الضرورية لاستمرار حياة المتوفى.

(١٠٦) فى العالم الآخر.

(١٠٧) راجع ص ٣٢٤

(١٠٨) راجع: نصوص مقدسة ونصوص دنيوية. المجلد الأول: ص ص ٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(١٠٩) نفس المرجع ص ٢٧٧ وما يليها.

(١١٠) إننا نعرف هذا النص من خلال بردية يحتفظ بها فى الوقت الراهن متحف موسكو (رقم 120). ومن المحتمل ان المخطوط يرجع إلى الأسرة الثانية والعشرين (عام ٩٠٠ق.م تقريباً). ويصّور النص أحداثاً يفترض أنها وقعت قبل قرن ونصف، فى السنوات الأخيرة من حكم رعمسيس الحادى عشر، فى الفترة التى أخذ فيها «حريحور» كبير كهنة آمون فى طيبة يدعم سلطانه قبل أن يحل محل الرعامسة (الأسرة العشرين) ويعمل على تأسيس أسرة حاكمة جديدة هى الأسرة الحادية والعشرون (عام ١٠٨٥ ق.م تقريباً) لِيقيم نظاماً ثيوقراطياً استطاع أن يحكم وادى النيل. وفى الحقيقة فقد بسط «حريحور» سلطته مع الوجه القبلى أساساً، فى حين كان «سمندس» يتربع على عرش الوجه البحرى، فى مدينة «تانيس». إن ضعف الرعامسة الأواخر وطموح كهنة طيبة قد قضيا على وحدة مصر التى تضاءلت هيبتها فى الخارج إلى حدّ كبير. ومرّ «ون ـ آمون» بهذه التجربة، أثناء رحلته إلى لبنان، والنص الحالى هو تقرير عن هذه الرحلة.

النص المصـــري: Alan H. GARDINER, Late Egyptian Stories, Bruxelles,

1932, PP. 61-76. (Bibliotheca, Bruxelles, 1933, PP. 61-76. (Bibliotheca, Aegyptiaca, vol I Part II)

(١١١) قرب نهاية شهر مايو.

(١١٢) ورد فى المخطوط: «الشهر الرابع». ولكن بقية النص تستلزم التصويب إلى «الشهر الثانى». والخطأ هو خطأ ناسخ المخطوط على الأرجح.

(١١٣) لقب كان يلقب به علية القوم التابعون للجهاز الإدارى فى أحد المعابد أو فى القصر.

(١١٤) حرفياً: «قوياً قيدومه». كان لكل إله قارب مقدس تحت تصرفه، وكان يصنع فى الغالب من خشب الأرز (الذى يتم احضاره من لبنان)، وكان يسمح بأن يبحرتمثاله على صفحات نهر النيل، خلال الأعياد والمواكب الشعائرية.

(١١٥) زوجة سمندس. ان المكانة المرموقة التى تحتلها فى القصة إلى جانب «الملك» سمندس، تحملنا على الظن بأنها كانت إحدى أميرات الرعامسة، فأضفت على زوجتها قدراً من الشرعية - فى مقابل اغتصاب العرش من جانب «حريحور» فى الوجه القبلى.

(١١٦) كان يمكن للرياح الشمالية التى تهب فى شهرى مايو ويونيو أن تعوق السفر بحراً إلى فينقيا. لذلك فإن «ون آمون» ينتظر شهر يوليو ليواصل سفره بحراً عبر البحر المتوسط.

(١١٧) اسم أجنبى، وربما كان اسماً فينقياً. ولكن يبدو أن السفينة كانت تعمل لحساب مصر.

(١١٨) من الواضح ان الناسخ قد ارتكب خطأ جديداً عندما كتب الشهر الأول من فصل الجفاف.

(١١٩) بلاشك أنها مدينة «تانتورا» الحديثة، التى أطلق عليها الكتاب الإغريقى واللاتين اسم «دورا». وتقع هذه المدينة إلى الجنوب من جبل الكرمل.

(١٢٠) ينحدر «الثاكر» أصلاً من آسيا الصغرى، وكانوا جزءاً من شعوب البحر التى حاولت مرة تلو الأخرى، أن تغزو مصر ولكن رعمسيس الثالث صدهم بشكل قاطع عام ١١٨٥ق.م تقريباً. عندئذ حطوا الرحال على ساحل فينقيا واستمروا لمدة قرون يزاولون أعمال القرصنة، وعاشوا على السلب والنهب. وسيمر «ون آمون» أيضاً بهذه التجربة.

(١٢١) الـ «دبن» يعادل حوالى ٩٢ جراماً.

(١٢٢) كانت خزينة طيبة هى مصدر هذه الأشياء الثمينة، وتسمح لـ «ون آمون» عند وصوله إلى المكان الذى يقصده بأن «يشترى» خشب الأرز اللازم لإصلاح قارب «آمون».

(١٢٣) حول قانون الأعراف الدولية هذا الذى ساد الشرق الأدنى (اعتباراً من عهد تحوتمس الرابع، عام ١٤٢٥ق.م تقريبا) والذى يعتبر بموجبه زعيم البلد مسئولاً عما يحدث على أراضيه من سلب ونهب، راجع

C.LALOUETTE, Thébes, p. 433-434

(١٢٤) يطلب «ون آمون» مساعدة كافة القوى الحالية فى مصر- التى لا تتمتع بما كان لها من هيبة فى السابق والتى اصبح تاثيرها محدوداً إلى حدما، ولو كان الأمر يتعلق بزعيم قراصنة.

(١٢٥) أمراء فينقيون كان على «ون آمون» أن يتوقف عندهم ليساومهم على شراء خشب الأرز. وكان «ثاكر بعل» أميراً على مدينة «بيبلوس الكبرى».

(١٢٦) «آمون» حامى المسافرين.

(١٢٧) يبدو أن «ون آمون» على وشك اتخاذ قرار بالتخلى عن مهمته».

(١٢٨) التل الذى يشرف على الساحل حيث يوجد مقر إقامة الأمير.

(١٢٩) ملاحظة انطباعية. فعند دخول «ون آمون» القاعة - كانت النافذة أمامه وفى وسعه أن يرى البحر خلف الأمير.

(١٣٠) حتى يسمح له هؤلاء بالرحيل على متن إحدى سفن أسطولهم. ويبرز هذا المقطع المتاعب التى كانت تعانى منها مصر من جراء انقسامها اذ تحكمها أسرتان ملكيتان متوازيتان.

(١٣١) تهدف هذه المناقشة الطويلة على الطريقة الشرقية، إلى التدليل على مشروعية مهمة «ون آمون» الذى أوفده كل من الملكين «حريحور» و«سمندس» - بعد أن فقد «ون آمون» خطابات اعتماده وبعد تمسك أمير بيبلوس بأن يعتبره مغامراً.

(١٣٢) وفقاً لما يراه جوستاف ليفيفر (G.LEFEBVRE. Contes et romans p 213)

فالمقصود هنا هو رجل من أهل فينقيا كان قد استقر فى «تانيس»، فى شرق الدلتا، والتى كانت عاصمة «سمندس».

ويريد أمير بيبلوس أن يقول، بأنه رغم كل العلاقات المتصلة على مصر، فان هذه السفن تظل ملكية أجنبية.

(١٣٣) مقابل من فضة.

(١٣٤) أى دون دفع مقابل.

(١٣٥) رمز لقدرات أمير لايعير هيمنة مصر أدنى اهتمام - مصر التى فقدت هيبتها. غير أن بيبلوس، كانت من قبل وعلى مدى ألفى سنة من الحلفاء المخلصين لفرعون. إلا ان زمن الإنحطاط قد حلّ الآن وبات التابعون القدامى يطالبون بالإستقلال.

(١٣٦) «سوتخ». إله أسيوى. وهو إله الحرب والعواصف. وقد اتحد بالإله المصرى «ست» (الذى له صفات مماثلة).

(١٣٧) رغم التقلبات السياسية فإن نفوذ مصر الروحى مازال باقياً.

(١٣٨) ومعناه: «مرٌ برحيل تمثالى». - أى تمثال «آمون - الطريق»

(١٣٩) «آمون» وحده فى وسعه أن يمنح الحياة والصحة. وعوضاً عن الفضة والذهب ـ وهى أشياء مادية ففى وسع «ون آمون»، وبفضل وجود التمثال الإلهى، ان يهب أشياء أهم وأبقى، فى مقابل الأخشاب التى جاء يبحث عنها. علماً بأن هذا الخشب هو بكل بساطة من حق «آمون»، مالك لبنان.

(١٤٠) أرز لبنان.

(١٤١) بالنسبة لـ «ون آمون» وهو من أهل طيبة، فإن «حريحور» وحده هو ملك مصر.

(١٤٢) قرب نهاية شهر نوفمبر.

(١٤٣) حتى منتصف شهر مارس.

(١٤٤) قرب منتصف شهر يونيو ـ عندما تهب الرياح الشمالية من الشمال، فتساعد على الملاحة فى اتجاه مصر انطلاقاً من ساحل فينقيا.

(١٤٥) إنه اسم مصرى ويعنى: «ذاك الذى ينتسب إلى آمون». لقد كان مواطنا مصريا فى خدمة أمير بيبلوس.

(١٤٦) أى: ارحل بأسرع ما يمكن، حتى ولو كان البحر هائجاً.

(١٤٧) الاسم الحورى لرعمسيس التاسع. وهوفى نفس الوقت اسم أحد وزراء هذا الملك.

(١٤٨) «النطق بالاسم بصوت مرتفع» يعنى منح الحياةج لصاحبه ـ نظراً للفاعلية السحرية للكلمة.

(١٤٩) حرفياً: «كاتب الخطابات».

(١٥٠) وهو ما يعنى فى أسلوب شاعرى، أن «ون آمون»، قد سبق له أن شاهد عبور الطيور المهاجرة مرتين ـ وبالتالى فان إقامته فى بيبلوس قد امتدت لأكثر من سنة. وهو ماتؤكده التواريخ الواردة فى النص.

(١٥١) جمعية الأعيان. بلاشك.

راجع WILSON, in J.N.E.S., 1945 VOL. 4, P245

(١٥٢) حرفياً: (سبق) «تحطيمها».

(١٥٣) راجع ٣٢٨

(١٥٤) جزيرة قبرص.

الفصل الرابع

الشعر الدنيوى.
أغانى الحب.

ظهر شعر الحب بدءًا من ١٥٠٠ ق.م، وهى الفترة التى صارت فيها العادات اكثر تحريراً، والسلوكيات اكثر تصنعاً والمشاعر متكلفة. إن عصر الرعامسة، بالتحديد، هو أكثر من غيره، العصر الذى أنطلق فيه الشعر - الشخصى والحرّ - متحرراً من كل قيد. ومن الراجح أن القصائد كانت تلقى أثناء الولائم، بمصاحبة الموسيقى على آلتى الفلوت والجنك.

(١) بردية شيستر بيتى رقم واحد[١]
Chester Beatty I

ا - «مطلع أقوال السعادة الكبرى»[٢]

- الأخ - المقطع الأول.

أيها الكائن الواحد،[٣] أختى (التى) لا ثانى لها،

يا أجمل الجميع،

إنها تشبه نجمة الصباح فى فجرها،

مع مطلع عام سعيد،

وضاء ومنير. طلعتها مشرقة،
ساحرة هى نظرات عينيها،
رقيقة هى كلمات شفتيها،
اللتين لا تقولان أبداً حديثاً عقيماً.
جيدها طويل، ونهداها نضيران،
شعرها من اللازورد الخالص،
وساعداها أجمل من الذهب،
وأناملها أشبه ببراعم اللوتس،
فخداها ممتلئان وقامتها ممشوقة،
وساقاها تعلنان عن جمالها.
نبيلة فى مظهرها عندما تسير على الأرض،
إنها تأسر قلبى بقبلاتها.
وعنق كل أمرئٍ، بسببها،
يلتفت ليتأملها (ملياً).
ياالسعادة من تعانقه،
فيصبح أول الرجال.
وعندما تغادر مسكنها، فإنها تشبه
هذا الكائن الآخر «الواحد».(٤)

- الأخت - المقطع الثاني.

أخى(٥) بصوته، يثير قلبى،
والألم يتسلطّ علىّ.
إنه يسكن بجوار منزل أمى،
ولا أستطيع أن أذهب إليه.

وأمى على حق، عندما تقول لى أن الزم جانب الحذر منه:

«توقفى عن التفكير فى الأمر». (هكذا تتحدث إلىّ).

ولكن قلبى يتألم كلما فكرت فيه،

لان حبى له يستحوذ على.

أجل انه أرعن،

ولكنى أشابهه.

ومع ذلك، فهو لا يعرف مدى اشتياق أن احتضنه بين ساعدىّ،

وعلى ذلك فقد يراسل أمى.

يا أخى ليتنى اكون موعودة لك،

من قبل الإلهة الذهبية للنساء.(٦)

تعال إذن إلى جانبى لأشاهد جمالك،

فأبى وأمى سوف يسعدان!

وأهلى(٧) سيحتفون بك، فرداً فرداً،

سيحتفون بك، يا أخى!

-الأخ ـ المقطع الثالث.

لقد ظن قلبى،(٨) أن فى وسعه أن يتأمل جمالك،

فيما أنا جالس فى دارها.

فى الطريق صادفنى «محى»(٩) (راكباً) مركبته،

ووفتيانه كانوا يرافقونه.

لا أدرى كيف أتجنبه،

فهل أسير بخطوات حثيثة لا تجاوزه؟

والنهر أيضاً طريق،

فما عدت أعرف أين أطأ بقدمىّ.

يا قلبى، كم أنت أحمق،
ولكن لماذا أمُرّ بجوار «محى»؟
فلو مررت أمامه،
لكشفت له عن مشاعرى،
وأقول له: «أنظر، فأنا لك»،
وعلى ذلك، سيعلن اسمى،
ويخصنى بالمكان الأول
من بين من يتبعونه.(١٠)

ـ الأخت ـ المقطع الرابع.

قلبى يرتجف قلقاً(١١)
بينما أفكر فى حبى لك،
إنه لا يتيح لى (أن اتصرف) تصرفاً رشيداً،
إنه يختلج فى مكانه،
لم يعد يتركنى ألبس ثوباً
ولا أحرك مروحتى من حولى،
لم أعد أضع الكحل فى عينىّ،
لم أعد أتعطر،
«لا تتوقفى، هيا!» (هكذا) يحدثنى قلبى،
كلما فكرت فى حبى،
يا قلبى، لا تتصرف، كالأحمق،
فلِمَ تتصرف بهذا القدر من الرعونة؟
أخلد إلى الراحة فى هدوء، فأخوك قادم إليك،
عيون الجميع (تنظر إليك)،

تصرف بحيث لا يقال عنى:
«هذه المرأة وقعت فى الحب».
كن ثابتاً عندما تفكر فيه،
ياقلبى، لا ترتجف.

- الأخ - المقطع الخامس.

إنى اتعبد(١٢) للإلهة الذهبية، إنى أثنى على جلالتها،
إنى أُعظّم سيدة السماء،
إنى ابجّل «حتحور»،
إنى اقدم الحمد لسيدتى الإلهية.
وبينما أتضرع إليها، فإنها تستجيب لمناداتى،
وتبعث إلىّ السيدة (التى أحب).
عندئذ، تأتى هذه الأخيرة من تلقاء ذاتها لتشاهدنى -
فيالها من (سعادة) تغمرنى.
أنا سعيد، انا مغتبط، أنا مبتهج
بينما أتى من يخبرنى (قائلاً): «أنظر، فهى هنا!»
وبينما تهم هى بالحضور، ينحنى الفتيان،
لما تثيره من حب عظيم.
إنى ابتهل للإلهة
لتقدم إلىّ أختى هبةً.
فطوال ثلاثة أيام، وحتى الأمس، كنت ابتهل باسمها.
والآن فقد مضت خمسة أيام دون أن أراها.(١٣)

- الأخت - المقطع السادس.

بينما كنت مارّة بمسكنه،
ألفيت الباب مفتوحاً.
كان أخى بجوار أمه،
ومعه جميع أخواته.
والتحبب إليه يستحوذ على قلب
جميع من يعبرون الطريق.
إنه انسان فتىّ وجميل، فلا مثيل له،
إنه أخ، فريدة صفاته،
لقد رنا إلىّ، بينما كنت مارة،
وشعرت بالسعادة،
فكم يتفجر قلبى فرحاً
عند رؤيتك، ياأخى!
ليت أمه كانت على علم برغبتى!
لو أنها كانت تفهمـ (ـها) الآن!
أيتها الإلهة الذهبية، اوردعى ذلك فى قلبه.
وعلى ذلك، سأستطيع ان أحضر مسرعةً إلى أخى،
فأعانقه فى حضور من يحيطون به،
ولن أشعر أبداً بالخجل أمام أحد،
وسأفرح لأنهم يعلمون
إنك تعرفنى!
وعلى ذلك سأقيم حفلاً لإلهتى -
واه! ان قلبى يقفز حتى إخال إنه يخرج (من صدرى) -
لتسمحى لى بأن أرى أخى منذ هذه اليلة.

أيتها السعادة التى تزول!

- الأخ - المقطع السابع.

لم أر أختى منذ سبعة أيام.
التعاسة تعتصرنى،
وجميع أطرافى مثقلة،
وجسدى تخلّىّ عنى.
وإذا حضر الأطباء (لزيارتى)
سيرفض قلبى دواءهم.
والسحرة عاجزون،
فمرضى يصعب الكشف عنه.
ولكن إذا قيل لى: «هيًا فهى هنا»، فلسوف يعيد ذلك إلىّ الحياة،
اسمها وحده سيدفعنى إلى النهوض،
روحات رسلها وغدواتهم،
ستعيد الحياة إلى قلبى!
فأختى هى أفضل من كل دواء،
وقدومها إلىّ (أشبه بـ) تميمة سحرية،
ورؤيتها تعيد إلىّ الصحة والعافية.
وعندما تفتح عينيها، يعود الشباب إلى أطرافى،
وكلماتها، تعيد إلىّ القوة.
وإذا ضممتها بين يدى، يزول دائى.
لم أرها(١٣) منذ سبعة أيام.

- ب ـ قصيدة من ثلاثة مقاطع شعرية(١٤)

آه، ليتك تأتى مسرعاً نحو أختك!
مثل مبعوث الملك،
الذى ينتظر سيده الرسالة بفارغ الصبر،
(الرسالة) التى يتوق قلبه إلى سماعها.
من أجله أُسرجت جميع الإسطبلات
والجياد موجودة فى (جميع) محطات الإبدال،
والمركبة شُدّت إليها الجياد، فى مكانها،
فلا ينبغى أن يتوقف فى الطريق.
ـ وعندما يصل إلى منزل أخته
ستغمر البهجة قلبه.

آه، ليتك تأتى [مسرعاً نحو أختك]!
مثل فرس الملك،
المختار من وسط ألف فرس من مختلف الفصائل،
الأفضل فى جميع الإسطبلات.
إنه يحصل على غذاء خاص،
وسيده يعرف خطاه.
وعندما يسمع فرقعة الكرباج،
لا يستطيع أحد أن يستقيه،
فلا يوجد رئيس مركبات
فى وسعه أن يلحق به.
ـ ويعرف قلب الأخت على وجه التأكيد،

أن (أخاها) لا يبعد عنها كثيراً.

آه، ليتك تأتى مسرعاً نحو أختك!
مثل الغزال الذى يقفز فى الصحراء،
(وفجأة) تترنح أقدامه، وتصبح أطرافه متثاقلة.
ويتولى الرعب جسده،
فى حين يطارده صياد وكلابه.
إن الغبار الذى يثيره - يحجبه،
ويبصر ملجأً...،
الترعة هى الآن طريقه.
- إنك تصل إلى مسكنها،
وتقبلّ يدها، أربع مرات،
وبينما لا تزال تسعى إلى حب أختك،
كانت الإلهة الذهبية قد جعلتها من نصيبك، أيا صديقى!

- حـ - «مطلع الكلمات الرقيقة التى ألفها كاتب الجبانة «نخت سوبك»».

الأغنيات

كما أنها تجيد رمى الوهق،
دون أن تدفع مع ذلك ضريبة الماشية.
فإنها ترمى علىّ الوهق بشعرها،

وتنصب لى فخاً بعينيها،
وقلادتها لجام بالنسبة لى،
وبخاتمها تسمنى بالحديد المحمى.

- لم تحاور قلبك؟
توجه إليها وعانقها.
- حقاً وكما أن «آمون» يحيا، فأنا قادم إليك،
وردائى على ساعدى.

- لقد ألفيت أخى بجوار حوض الماء،
وقدماه فوق الماء.
لقد شاد هيكلاً لمباهج النهار.
بل إنه وضع فيه الجعة.
إن صورته على صدرى...

- ماذا فعلت أختى معى، إذن؟
لِمَ أسكت على ذلك؟
لقد تركتنى واقفاً على باب منزلها،
فى حين كانت تدخل إليه بنفسها.
ولم تحدثنى قائلة: «ادخل أيها الفتى!»
(لاريب) أنها كانت صماء فى هذا المساء.

أثناء الليل، كنت ماراً بجوار مسكنها،
طرقت (الباب) ولكن لم يفتح لى أحد.

إنها ليلة سعيدة لبوابنا.

أيها المزلاج سوف افتحك.

أيها الباب أنت قدرى،

أنت الجنىّ الخيرّ الذى يخصنى.

سوف يُضحى بجاموس داخل المسكن،

أيها الباب لا تُظهر قوتك.

(كما) سنقدم أيضاً جاموساً قرباناً للمزلاج،

وثوراً للمغلاق،

وأوزة برية للعتبة،

ومن شحومها (نقدم قرباناً) للمفتاح.

إن كافة الأجزاء المختارة من جاموسنا،

قد خصصت لابن النجار.

ولذا، سيصنع لنا مزلاجاً من بوص،

وباباً من قش.

ـ وهكذا، فكلما حضر أخو الحسناء،

سيجد (باب) منزلها مفتوحاً،

والمخدع مزيناً بأرق الستائر،

والفتاة الحسناء داخله.

وستقول الفتاة: «إنه مسكنى،

إنه ملك ابن سيد المدينة.»

(٢) بردية هاريس رقم٥٠٠ [١٥]
HARRIS 500

قصائد الحلقة الأولي [١٦]

١- أترحل لانك تريد أن تاكل؟
أأنت، إذن، رجل لاهمّ له سوى بطنه؟
أترحل بحثا عن ثياب؟
ولكن عندى أغطية فوق السرير.
أترحل لأنك جوعان؟
أتريد الرحيل لأنك ظمآن؟
تناول إذن ثوبى،
فما به يفيض من أجلك.

٢- حبى لك ينفذ إلى كل جسدى،
كما يذوب الملح فى الماء،
كما تتشرب الطماطم[١٧] بالأدهان العطرة،
كما يمتزج الماء بالنبيذ.
هيا اسرع إذن،
لتشاهد أختك،
مثل الفرس فى ساحة القتال،
مثل ثور... ناحية علفه.

السماء تعطى حبها،

كاللهب الذى يشتعل...

٣- ثغر أختى برعم زهرة لوتس،

وثدياها ثمرتا طماطم،

وساعداها؟ مِلْزمتان (بكسر الميم)

وجبينها طوق من خشب السنط(١٨)

وأنا أوزة برية.

أتطلع بنظراتى إلى شعرها، إنه طعم،

فوقعت فى الشرك.

٤- لا ينبغى أن اخضع لحبها.

ـ يا أخى، استمع لسكرك

ـ أنا الذى يقضى سحابة يومى فى المستنقعات،(١٩)

كلا، لن اتخلى عنها، وإن طردونى،

بالهراوات والعصى إلى أرض سوريا،

وبالمقامع إلى أرض النوبة،

وبالضرب حتى اطراف الصحارى،

أربالسياط حتى سواحل البحار...

كلا، لن استمع إلى من يقولون لى

أن اكبح جماح اشتياقى إليك.

٥- أنزل النهر فى قارب (يبحر) مع إيقاع المجاديف،

وحزمة البوص فوق كتفى.

إنى راحل إلى منف، «حياة القطرين».[٢٠]

لأقول لـ «پتاح»، رب الحقيقة:

«اعطنى أختى، هذا المساء!»

النهر مثل النبيذ،

والإله «پتاح» أجمة بوصه،

والإلهة «سخمت» دغل أزهاره،

والإلهة «يعديت» براعم لوتسه،

والإله «نفر توم» غى الزهرة المتفتحة.

وستصبح أختى فرحانة!

الفجر يشرق عبر جمالها،

و«منف» كأس طماطم،

موضوع أمام الإله ذى الوجه الجميل.[٢١]

٦- سوف أبقى راقداً فى دارى،

مدعياً المرض،

وسيدخل الجيران ليطلوا علىّ،

وأختى سوف تأتى معهم.

وتجعل (وجود) الأطباء لا طائل منه،

لانها تعرف دائى.

٧- فى قصر أختى،

الباب فى وسط الواجهة،

المصراعان مفتوحتان،

والمزلاج مخلوع.

أختى غاضبة!

واه! لو أننى كنت بوابها

لا ستشاطت غضبا علىّ،

واستمعت لصوتها الهادر

وصرت كطفل تروعه.

٨- لقد ابحرت عبر «قناة الأمير»،

ثم سلكت «قناة رع»،

وكنت أودّ الذهاب إلى (منطقة) نصب الخيام،

فوق المرتفع، عند مدخل المستنقعات.

وإذ هممت بالتوجه إليها على جناح السرعة،

فجاة تذكر قلبى إله الشمس(٢٢)

ودارت بخلدى فكرة انه فى وسعى ان اشاهد أخى،

الذى كان يتمنى الذهاب إلى «منزل الرب»،

نعم لقد وقفت بجوارك، عند مدخل المستنقعات،

لتخطف قلبى حتى «هليوپوليس»،

ولأعبر فى صحبتك تحت الأشجار،

التى تحيط «بمنزل الرب».

من هذه الأشجار قطعت

غصناً لاستخدمه كمروحة،

بينما كنت أراقب تصرفه،

وقد ولّيت وجهى شطر بستان الفاكهة.

وامتلأ ساعداى بأغصان شجر البرساء،

وشعرى تشبع عطراً،

وخيّل إلىّ أنى سيدة القطرين...

قصائد الحلقة الثانية(٢٣)

« مطلع أغـانى اللهـو الجـمـيلة
التى (تغنيـهـا) أخـتك المحـبـوبة
عندمـا تعــود من الحــقـول.»

١- صديقى الذى أحبه،
إن حبى لك هو شغلى الشاغل.
كل الأشياء فى انتظارك
وأقول لك: «أنظر، إن ذلك جاهز.»
لقد حضرت لأنصب الأشراك (للطيور).
إنى أمسك المصيدة بيد،
والشباك وعصا الرماية، بالأخرى.
جميع طيور «پونت»، تحطّ على مصر،
ويفوح منها شذا المرّ.
أول من وصل منها التقط طُعْمى.
كان عبيره من «پونت»،
ومخلباه مملوءتان بلسماً.
ومن أجل حبى لك، فلنطلقة معاً حراً،
وسأبقى معك بمفردى،
وأُسمعك الصرخة الكبرى
لطائرى الجميل الذى يفوح منه شذا المرّ.
يا لها من سعادة إذن، ان تكون هناك معى

بينما أنصب شركى.
يطيب للمرء ان يذهب إلى الحقول،
لملاقاة من يعشقه.

٢- تطلق الأوزة البرية صرختها الحادة
فـ (الطير) قد وقع فى الشرك.
إن الحب الذى اكنه لك، ينفذ إلىّ،
وليس فى وسعى أن اتخلص منه.
والآن سوف استعيد شباكى،
ولكن، ترى ماذا أقول لأمى،
التى أعود إليها كل يوم
محملةً بما اصطدته من طيور؟
اليوم لم أنصب الشراك،
لاننى أسيرة حبى لك.

٣- وانطلقت الأوزة البرية، ثم هبطت،
وحطت على الشبكة،
وتحلق طيور أخرى، بأعداد كبيرة فى الأماكن المجاورة،
ولكننى مشغول (فى مكان آخر).
إن حبك يتملكنى، أنا،
وقلبى هو بجوار قلبك، ولو كنت وحدى،
لانه ليس فى وسعى أن ابتعد عن جمالك.

٤- ... إذا رأيت كعكة حلوة،

فمذاقها بالنسبة لى هو مذاق الملح،
والنبيذ، ذو النكهة الحلوة، فى الفم
يبدو لى علقماً.
إن أنفاس أنفك وحدها
فى امكانها أن تعيد الحياة إلى قلبى.
إن ما وجدته، واه! ليت «آمون» يعطينى إياه
للزمن الأبدى والزمن اللانهائى.

٥- أى أنت، يا صديقى الجميل، إنى أشعر برغبة
فى (اقتسام) أملاكك كسيدة لبيتك.
وسوف يركن ساعدك إلى ساعدى،
ويكون حبى فى خدمتك.
إنى أقول، فى سريرتى،
بكل لهفة العاشق.
«واه! (ليته يكون) زوجى، لهذه الليلة!
وحرمانى منه يجعلنى أشبه بقبر.»
ألست أنت الصحة والحياة (بالنسبة لى)؟
ولذا، يسعد قلبى الساعى إليك، (لأنك تحيا)،
إنه سعيد بصحتك.

٦- صوت اليمامة ينادى،
إنه يقول: «هاهو الفجر. آين تذهبين إذن؟»
ـ واه! توقف عن توبيخى، أيها الطائر!
لقد وجدت أخى فى مخدعه،

والفرح يغمر قلبى.
وكل منا قال (للآخر): «لن أهجرك،
وتظل يدى فى يدك،
فأنا وأنت، سوف نتنزه
فى كافة الأماكن الممتعة.»
وهكذا، جعلنى أول النساء،(٢٤)
وقلبى لم يعد حزيناً.

٧- وأرنو بنظرى إلى باب الحديقة،
فسوف يحضر أخى من أجلى.
العينان على الطريق، والأذنان مصغيتان،
إنى انتظره يا «ميحى».
إن حب أخى هو شاغلى الوحيد،
ففيما يخصه، لا يمكن ان يهدأ قلبى أبداً.
ويرسل قلبى مبعوثاً سريع القدمين،
فيروح ويغدو متحدثاً إلىّ قائلاً:
«لقد خذلك، وبعبارة أخرى
فقد تعرف على امرأة أخرى،
إنها مبهرة فى نظره.»
ولكن لم إصابة قلب (امرأة) أخرى بجرح قاتل؟

٨- كان قلبى يفكر فى حبى لك،
فى حين كان نصف شعرى (فقط) مجدولاً.
لقد عدوت مسرعة لألقاك،

وأهملت زينة شعرى
والآن، لو امهلتنى لأجدل شعرى
سأكون جاهزة بعد لحظة.

قصائد الحلقة الثالثة.

«مطلع أغاني الملذات[٢٥]»

١- يازهرة الحب الزرقاء- قلبى ملك لك،
ومن أجلك أفعل ما يهواه.
إنتظارى لك هو كُحل عينىّ،
فعندما أراك، يتألق نظرى.
إنى التصق بك، لتزداد معرفتى بحبك،
يا أحب الناس، (يا) مالكاً قلبى!
هكذا، فيا لجمال لحظتى،
ليتها تدوم إلى الأبد!
منذ أن استرحت بجوارك،
فإنك أذكيت قلبى.
واه! وليكن مكتئباً أو مسروراً
فلا تتركنى.

٢- هنا، تنادينا أزهار اللبلاب(؟).
أنا أختك، أنا أفضلهن جميعاً.
أنا ملكك مثل هذه الأرض

التى زرعتها زهوراً
وأعشاباً عطرية.
حوضها مبهج،
(الحوض) الذى حفرته بيدك،
الذى ترطبه ريح الشمال،
إنه مكان رائع لنتنزه فيه،
يدى فى يدك،
لقد استعاد بدنى نشاطه، وقلبى مغتبط،
بينما نسير معاً.
إن سماع صوتك هو (أشبه) بشرب خمر الرمّان،
فإنى أحيا بسماعه،
وكل (نظرة) تلقيها علىّ
(تجعلـ)نى (أحيا) أفضل مما لو تناولت طعاماً وشراباً.

٣- زهرة الخشخاش فى الحديقة،
وأنا أمسك بأكاليل زهورك،
وعندما تعود ثملاً،
وترقد على سريرك،
فإنى أمسح تراب قدميك...

بقية النص مهمشة تهشيماً بالغاً.

(٣) على سطح إناء فى متحف القاهرة[٢٦]

يا إلهى، يا أختى...
كم يحلو لى أن أرحل...
أن انزل النهر، وان استحم أمامك،
إنى اتركك تشاهد جمالى،
وأنا فى سروالى (المصنوع) من الكتان الملكى، ومن أرقّه،
وأنا معطرة بالطيوب الزكية.
إنى أغوص فى الماء بجوارك،
ومن أجل حبك، أخرج ممسكة بسمكة حمراء،
إنها رائعة بين أصابعى...
يا صديقى، يا محبوبى،
تعال وشاهدنى.

عشق أختى على الشاطئ الآخر،
والنهر يفصل بيننا،
والمياه تندفع بشدة فى زمن الفيضان.
والتمساح واقف بالمرصاد فوق شط رملى.
ولكنى أنزل إلى الماء وأغوص وسط الأمواج.
إن قلبى قوى فوق النهر،
والتمساح يبدو لى كالفأر،
والماء تحت قدمى أشبه باليابسة.
إن حبى لها هو الذى يمنحنى القوة،
وكأن (وجودها) قد سحر الماء.

وأنا لا أدرى سوى رغبة قلبى،
فى حين انها تقف أمامى!

لقد حضرت أختى، إن قلبى (يطير) فرحاً،
وساعداى ممدوان لعانقاها.
إن قلبى يقفز فى مكانه،
كالسمكة الحمراء فى بركتها.
أيها الليل، فلتكن ملكى إلى الأبد،
الآن بعد أن هلّت ملكتى.

عندما أعانقها ويمتد ساعداها،
فالأمر بالنسبة لى، كما لو كنت فى بلاد «پونت»،
كما لو كان جسدى قد تشبع بالعطر.

إذا قبلّتها وانفتحت شفتاها
فى حين أننى سكران
دون أن أشرب الجعة.

آه! لو أننى زنجية (فى خدمتـ)ـها،
(الزنجية) التى ترطب قدميها.
لكان فى وسعى عندئذ أن أتأمل
بشرة بدنها بالكامل.
آه! لو أننى غسّال (فى خدمتـ)ـها
ولو لشهر واحد،

لغسلت الزيت المعطر
الذى ينتشر فى وشائجها.
آه! لو أننى الخاتم الذى تضعه فى أصبعها...
لزينت حياتها...

(٤) بردية تورين[٢٧]

تقول شجرة الرمان(؟):
حبّاتى مثل أسنانها
وثمارى مثل نهديها.
أنا أجمل شجرة فى الحديقة،
فأنا باقية على مرّ الزمان.
المحبوبة وأخوها
يتنزهان تحت أغصانى،
وقد اسكرتهما الأنبذة والخمور،
المشبعة بالزيون وروائح العطور.
وماعداى، فإنها تفنى كلها،
(كل) نباتات الحدائق.
أنا، أتمم شهور السنة الإثنى عشر،
فأنا باقية.
عندما تسقط وردة من ورودى،
تتفتح وردة أخرى.

أنا إذن الأولى فى الحديقة،

ولكنهم يعتبروننى(٢٨) فى المنزلة الثانية.

لو أن على ذلك أن يبدأ من جديد،

لما سكتّ بشأنهما أبداً،

لما تسترت عليها أبداً،

ولعرف الناس غلطتها.

عندئذ سينكشف أمر المحبوبة،

ولن... شقيقها

من زهور اللوتس اليانعة

والبراعم...

والجعة بشتى أنواعها،

(فبفضلها) توفر له قضاء يوم سعيد.

وكان جوسق البوص فى مكان عليه حراسة مشددة.

- انظرى، إن شجرة الرمان على حق.

علينا ان - نستأجره.

ليعمل طوال اليوم كما يحلو له،

لانه هو الذى يحمينا.

شجرة التين تفتح فمها،

وتقول أوراقها:

يحسن الإذعان لأوامر سيدتى.

أتوجد امرأة مثلها؟

لو كانت تحتاج (ذات يوم) إلى خادمة،

لكنت أنا خادمها...............

لقد أحضرت من أرض سوريا،
كأسير، من أجل المحبوبة.
لقد غرستنى،
فى بستانها...
إنها لاتملأ بدنى
بماء قربة.
ويلقانى (الناس) للإسترخاء...
حقاً وكما أننى أحيا، أيتها المحبوبة،
عساهم يحضرونك إلى جوارى!

شجرة الجمين الصغيرة، التى غرستها بيدها
تفتح الآن فمها لتتكلم،
إن حفيف أغصانها
يذكرنا بخمر العسل.
إنها جميلة وأغصانها النحيفة
اخضو ضرت.
إنها مثقلة بالثمار الناضرة،
الأكثر حمرة من اليشب،
وما أشبه ثمارها بالفيروز،
وقشرتها بالخزف...
إنها تدعو من لم يستظل بعد بظلالها،
إنها تمنح النسيم الرقيق،
إنها تدسّ خطاباً فى يد فتاة،
ابنة البستانى،

وتدفعها إلى الإسراع نحو محبوبها:

تعال إذن لقضاء لحظة بجوار رفاق من الشباب،

إن الحديقة قد غمرتها البهجة،

وتحتى، يوجد هنا جوسق من أجلك،

إن سادتى سعداء،

مثل الأطفال، عندما يرونك،

فليأت خدمك فى بداية الأمر،

محملين بكل ما هو ضرورى،

إن السعى نحوك يسكر المرء،

دون أن يكون قد شرب،

لقد حضر الخدم ومعهم المؤن،

وأصناف الجعة من كل نوع، والفطائر المتنوعة،

وكثير من زهور الأمس واليوم

والفواكه من كل نوع، فتروى عطشنا،

تعال إذن، ولنقض معاً يوماً سعيداً،

ثم يوم غد أيضاً، وبعد غد، ثلاثة ايام، بالتمام والكمال،

تستريحين فيها فى ظلالى،

صديقها جالس عن يمينها

إنها تسحره،

إنها تفعل حسبما يقول لها،

إن مكان شرب الجعة يقض مضاجع السكر،

ولكنها تظل على انفراد مع محبوبها،

فى ظلالى،

تتنزه الجميلة.

وأنا صامتة،

ولن ابنى بكلمة واحدة، فأكشف النقاب عما أشاهده.

ازدهر هذا الشعر برونقه وفخامته، بسلاسته ورقته، فى عصر وصلت فيه الإمبراطورية المصرية إلى قمة الرخاء. إنه يكشف النقاب عن بعض المشاعر الضارية فى أعماق المصريين: فالحياء، رغم كل مظاهر التحرر، هو من أهم هذه المشاعر. وإذا كان هذا الشعر يتغنى به، فى دقة متناهية، بما يثيره الحب من اضطراب وقلق، فإن المرأة لاتنسى أبداً رغبتها فى «مشاركة أخيها ممتلكاته» بأن تصبح زوجة له. ان الحرية لم تكن تعنى الإباحية، التى كان يستحيل أن تسمح بها المجتمعات القديمة.

هناك شراكة بين المرأة والطبيعة، انهما تمتزجان امتزاجاً تاماً، لأنهما تشكلان عنصرى الخصوبة فى الكون. إن المرأة والزهور والثمار لاتختلف من حيث الجوهر: انها جميعها النموذج والشاهد على الحياة المتجددة، البشرية والنباتية، على حدّ سواء.

إن اطار الأناشيد هو أيضاً عيد الطبيعة: الحديقة، والنهر والبحيرة - فعناصرها ضالعة فى قصة الحب او تعمل على إخفائه. ان هذه المشاركة الكبرى التى تجمع بين الكائنات الحية وعالم النبات هى واحد من المواضيع الرئيسية للعقل المصرى. وأشجار الحديقة كتومة، تدعى انها لا تكشف النقاب عن أعياد العشق - بما لها من براءة، وتظللها بظلالها. والقنض وصيد الماء تقدم تجهيزاتها لصائدة العصافير، للمرأة العاشقة التى تسعى إلى نصب أشراك لايمكن تجنبها.

إن الخيال الحميم فى وسعه أن يقود الإنسان إلى تغيير وجهد العالم الذى يحيط به: فى شمس الفجر، عند ضواحى منف، وفجاة وبفضل وجود الآلهة، تدب الحياة فى النيل وشطآنه، وهى تتألق بنفس القدر بنور جمال المرأة المحبوبة ونور االشمس المشرقة. فإذا كان «الحب» جزءاً من الطبيعة فهو أيضاً عنصر إلهى.

كما أن الشعر المصرى هو أيضاً فى الغالب شعر انطباعى. كان سكان الوادى الذين يعيشون وسط هذه المشاهد «المسطحة» التى تسطع نوراً، والتى تفتقر إلى

«نقاط ارتكاز » للعين، يسعون على الدوام بحثاً عن صور محسوسة. وكان «قلبهم» (وهو مركز الوجدان والفكر، معاً) يركز كل اهتمامه على الإنطباعات التى تجيش بالأحاسيس، فيقيم بالتالى روابط تكاد تكون حسية بين عناصر الكون، أى كانت المملكة التى ينتمى إليها.

وهذا الشعر هو أيضا الإنعكاس الشفهى» للمشاهد المنحوتة أو المرسومة التى ظلت فى جميع الأزمنة تشيد على نحو مشابه بسحر الحياة التى تجمع بين اثنين، سحر المجتمع القائم على الأسرة ـ والحنان الدائم. يلتقى «توت عنخ آمون» و«عنخ إس ان پاآمون» فى حديقة: وهى تحمل باقة ورد كبيرة مركبة تقدمها لزوجها. وتقوم نساء شابات، ذوات عيون مسحوبة وشعر كثيف واضعات أقراطاً ضخمة من ذهب، والجسد مستور بالكاد فى عباءة شفافة ـ يقمن بقطف الزهور أو يمكن مجموعة من البط البرى من أجنحتها وهن بجوار أبيها الصياد، داخل قارب خفيف على صفحة النيل.

شروح وهوامش الفصل الرابع من الباب الثانى

(١) هذه البردية التى يحتفظ بها المتحف البريطانى British Museum فى لندن، تعود على الأرجح إلى عصر رعمسيس الثانى، وتضم ثلاث حلقات من قصائد الحب.

(٢) يبدو ان هذه القصيدة الطويلة قد نظمت للترفيه عن العاهل الملكى، وتضم سبعة مقاطع، وهى أغان على شكل حوار بين العاشق وعشيقته («الأخ» و«الأخت» فى اللغة المصرية القديمة)، ويبدأ اول كل بيت بنقطة بالمداد الأحمر، لتظهر الشكل الشعرى لهذه المدونة.

النص المصري : Alan H. GARDINER, The Chester Beatty Papyri no. 1, pll 16-12 ll Oxford 1931, p

(٣) هذه الكلمة تدل أيضاً على الرقم «واحد»، الذى يشير إلى رقم هذا المقطع كما نجده أيضا فى نهايته.

(٤) لا شك، انه «الشمس».

(٥) كلمة «أخ»، وهى «سن» فى اللغة المصرية، تنطوى على تجانس صوتى مع الرقم «اثنين» كما سنجدها أيضا فى نهاية هذا المقطع الثانى. سيستخدم نفس الأسلوب لترقيم باقى مقاطع القصيدة اعتماداً على «التلاعب بالألفاظ».

(٦) الإلهة «حتحور» هى إلهة الحب، وتنعت عادة «بالذهبية» نظراً لعلاقاتها الوثيقة بالشمس.

(٧) جميع أفراد البيت والأقارب.

(٨) تنطوى كلمة «خمت» وتعنى «يظن» على جناس صوتى مع الرقم ثلاثة.

(٩) يُظن انه أمير لايريد الشاب ان يكشف له عن مشاعره، ـ فيوحى له، لهذا السبب، بأنه يتبعه ليصبح واحداً من أفراد بطانته.

(١٠) إنه جناس ناقص، بين كلمتى «خمت» و«مخت» الذى يعنى «فى معيته».

(١١) جناس صوتى بين الفعل «فدى»: بمعنى «يرتجف قلقا» و«فدو» بمعنى: الرقم أربعة.

(١٢) جناس صوتى بين «دوا»: بمعنى «يتعبد» و «د(يـ)و» ويعنى خمسة.

(١٣) حرفياً: «انها هجرتنى»

(١٤) Alan H. GARDINER, op. cit, PII .29-30.

(١٥) هذه البردية تعود أيضاً إلى عصر رعمسيس الثانى وهى محفوظة أيضاًفى لندن فى المتحف البريطانى British Museum (no 100 60). وتضم ثلاث حلقات من الشعر: الحلقتان الأولى والثانية تتكون من ثمانى قصائد لكل منهما. اما الحلقة الثالثة فتضم ثلاث قصائد (تبدأ كل منها باسم زهرة)، وعنوان الحلقة الثانية موجود فى النص المصرى.

(١٦) النص المصرى: MÜLLER, Liebes Poesie, PII. 4-5

(١٧) الرمان.

(١٨) شرك الطيور.

(١٩) المكان المفضل بالنسبة للصيادين.

(٢٠) من أسماء «منف» القديمة، عندما كانت عاصمة المملكة فى صدر تاريخ مصر. وكان «بتاح» هو إلهها وراعيها.

(٢١) فى نظر العاشق، تبدلت صورة الطبيعة، لتحيا بما فيها من عناصر إلهية بينما يقوم هو بالأبحار فى اتجاه «منف». وفى مطلع الفجر، يبدو النيل والمدينة أحمرين كالرمان، فى النور الساطع الشمس النهار. كما ان الفجر يشعّ أيضاً بتأثير جمال المرأة المحبوبة.

(٢٢) لاشك انه اسم يشير إلى المحبوب.

(٢٣) النص المصرى: MÜLLER, Liebes Poesie, PII. 8-13.

(٢٤) بمعنى «الأكثر سعادة».

(٢٥) كل قصيدة من هذه القصائد الثلاث تبدأ باسم زهرة، يليها فعل، يجمع بينهما تجانس صوتى. انه تلاعب جديد بالسجع الذى كان المصريون مولعين به، وتعجز الترجمة عن التعبير عنه.

النص المصري : MÜLLER, op. cit PII.., 14-15.

(٢٦) عثر على واحد وثلاثين شقفة من هذا الإناء ـ الذى كانت قد دونت عليه، أصلاً مجموعة من قصائد الحب. وقد نعثر على شقف أخرى فى المستقبل لأن الإناء، مازال ناقصاً. وهو موجود فى الوقت الراهن فى متحف القاهرة.

النص المصري : G. POSENER, Ostraca hie'ratiques, II, 3,PP.43-44, PII. 74-79

(٢٧) شكل القصيدة محدد. فكل بيت من أبياتها، تسبقه نقطة بالمداد الأحمر، كما فى المخطوط الأول الذى عرضناه.

(٢٨) محبوبة أخيها.

الملاحـــــق

إعداد : ماهر جويجاتى

* راجع فى هذا الصدد ما ورد فى كلمة المترجم فى المجلد الأول، ص٢٥.

الملحق الأول

أسماء أهم الآلهة التى شاع استخدامها حسب التصحيف اليونانى، مرتبة ترتيبا أبجدياً، مع توضيح الأسم المصرى القديم.

الاسم اليوناني		الاسم المصري القديم
أبوفيس	Apophis	«عاپيپ».
أبيس (العجل)	Apis	«حپ».
أنوبيس	Anubis	«أنپو».
أوزيريس	Osiris	«أوزير».
أونوريس	Onouris	«إن حرت»
إيزيس	Isis	«إيزة».
تحوت	Thot	«چحوتى».
حتحور	Hathor	«حوت حر».
حرويرس	Haroéris	«حر- ور».
حورس	Horus	«حِر»
حورس بن ايزيس	Harsiesis	«حِر سا إيزة»
متيير	Methyer	«محيت ورت»
نفتيس	Nephtys	«نبت حوت».

الملحق الثانى

جدول بأهم الأماكن والمدن المصرية كما وردت فى هذا المجلد حسب التصحيف اليونانى، مرتبة ترتيبا أبجدياً، مع توضيح الأسم الحديث، والاسم المصرى القديم.

الاســم اليوناني	الاسم الحديث	الاسم المصري القديم
أپولينوپوليس ماجنا Apollinopolis Magna	إدفو	چبا ، بحدت
أبيدوس Abydos	العرابة المدفونة	أبچو
أتريبيس Athribis	أتريب	حوت تاحرى إيب.
أثيوبيا Ethiopie	النوبة العليا	كاش (كوش)
	النوبة السفلى	واوات
أفروديتوپوليس Aphroditopolis	أطفيح	تپ إيحو / پر إيدت
أفروديتوپوليس پاتيريس Aphroditopolis Pathyris	الجبلين	پر حتحور
أكسويس Xois	سخا	خاسو.
إلفنتين Elephantine	إلفنتين (جزيرة الأفيال)	آبو.
أمبوس Ombos	كوم أمبو	نبت.
أواريس Avaris		حوت وعرت.
أوكسيرنكوس Oxyrhynchus	البهنسا	پرمچد. سبت مرو.
إيلسيا سپوليس Eileithyaspolis	الكاب	نخب.
بوباستس Bubastis	تل بسطا	پرباستت.
بوتو Bouto	تل الفراعين	په. دپ.
بوزيريس Busiris	أبو صير بنا	چدو.
تانيس Tanis	صا الحجر	چعن.

الاســم اليوناني		الاسم الحديث	الاسم المصري القديم
ثيس	This	جرجا	ثني.
سايس	Saïs	صا الحجر	ساو.
سيين	Syene	أسوان	سوان.
طيبابيد	Thebaïde	جنوب الصعيد (من أسيوط حتى طيبة أو إلفنتين)	تپ شمعو (رأس الجنوب)
طيبة .ديوسپوليس ماجنا*	Thèbes. Diospolis Magna	الأقصر	واست . نيوت
فيله	Philae	أنس الوجود .فيله	پا ـ آا ـ رك
كروكو ديلوپوليس	Crocodilopolis	مدينة الفيوم	شدت
كوپتوس	Coptos	قفط	چبتيو.
لاتوپوليس	Latopolis	إسنا	تاسنت . يونيت
ليتوپوليس	Letopolis	أوسيم	خم
ليكوپوليس	Lycopolis	أسيوط	ساوت
ممفيس (منف)	Memphis	ميت رهينة	.من نفر.
مندس	Mendes	تل الربع. تمى الأمديد	چدت.
هرقليوپوليس ماجنا	Herakleopolis Magna	إهناسيا المدينة	ننى نسوت.
هرموپليس	Hermopolis	الأشمونين	خمنو.
هرموپوليس پارڤا	Hermopolis Parva	دمنهور	دمى ـإن ـحور.
هرمونتيس	Hermonthis	أرمنت	يونى
هليوپوليس	Heliopolis	المطرية . عين شمس	يونو
هيراكنپوليس	Hierakonpolis	الكوم الأحمر	نخن

* حول مختلف أسماء طيبة وألقابها راجع :

د. سيد توفيق : أهم آثار الأقصر الفرعونية دار النهضة العربية ١٩٨٢. (ص١٥ ـ ١٨) .

فهرست الكتاب

تم جمع الجزئين فى
العالمية للدعاية والإعلان **جرافتيك**
ت : ٤١٧١١١٠

رقم الإيداع ٩٥/١٠٣٦٥

الترقيم الدولى I.S.B.N.
977 - 5091 - 23 - 3

بعد الجزء الأول، وبعد النصوص التى تخص الملوك وأعيان البلاد وعامة الشعب، وبعد أسفار الحياة والموت، نقدم الجزء الثانى الذى يضم بين دفتيه نصوصاً محملة بالأسرار تحدثنا عن ميلاد الآلهة ونشأة الكون وأصل الخير والشر، وحلول العدالة، واتراح وأفراح الآلهة، وأهوائها وانفعالاتها.

* * *

كما سنطالع فى هذا الجزء أناشيد البشر طمعا فى رضا القوى الكونية المؤلهة، وليدخلوا إلى نفوسهم الطمأنينة بأن وجودهم ممتد ويستطيع أن يغالب الأيام. ثم ننتقل إلى عالم الأحلام وعالم السحر - الذى تفوقت فيه مصر الفرعونية وعالم الرحلات على صفحات نهر النيل أو عبر أمواه «الشديدة الإخضرار». وفى الختام نصل إلى قصائد العشق والغرام، فتزيح النقاب عما كان يجيش فى أعماق أعماق نفس الإنسان المصرى القديم من مشاعر عذبة ورقيقة.

* * *

جميع هذه النصوص، مترجمة إلى العربية عن أحدث ترجمة فرنسية بها عالمة المصريات الشهيره «كلير لالويت» عن الأصول المصرية القديمة مباشرة وذيلتها بهوامش وشروح على قدر كبير من الأهمية، لتعيد إلى الحياة عالماً ظننا أنه مات واندثر.

المترجم



